العدد الثاني عشر

منبر الإسلام

السنة ٢٧ • ذو الحجة ١٣٨٩ • فبراير ١٩٧٠

الثمن ١٠ قروش

عدد ممتاز

مع العدد هديتان

- تفسير سور: الأحقاف . محمد . الفتح . الحجرات . ق . الذاريات . الطور . النجم . القمر . الرحمن . الواقعة . الحديد
- الفردوس: مجلة الطفل المسلم

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة كل شهر عربي

العدد الثاني عشر • السنة ٢٧ • ذو الحجة ١٣٨٩

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

« لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله
التقوى منكم »

« صدق الله العظيم »

الاشتراكات عن سنة

١٠٠ قرش	فى الجمهوريه العربية المتحدة
٨٠ قرشا	للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة ومايساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

الاشتراكات تدفع مقدما

العنوان
٣ شارع الامير قدادار
المتفرع من ميدان التحرير
القاهرة - تليفون ٢٨١٥٦

من محتويات العدد

- **نص الخطاب الهام الذى ألقاه السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر البرلمانيين الدوليين**
- **حريق المسجد الأقصى ... حديث للسيد حسين الشــافعى**
- ابراهيم واسماعيل وبناء الكعبة . . . .
  الاستاذ أحمد حسين
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . . . .
  فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- من قصص الســنه . . . .
  فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم
- الوجدان العربى المشترك فى الشعر الحديث .
  الدكتور أحمد الحوفى
- من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها . . . .
  فضيلة المستشار محمد خاطر
- براعة الاستهلاك وروعة الاساليب فى فواتح سور القرآن . . . .
  الدكتور عبد الغنى الراجحى
- قاعدة وضع الجوائح . . . .
  الدكتور محمد سلطان
- تسمية الاشياء بغير أسمائها . . . .
  فضيلة الدكتور بدر المتولى عبد الباسط
- الطريق الى الله . . . .
  الاستاذ أحمد زين
- بنو اسرائيل فى ميزان القرآن . . . .
  الاستاذ البهى الخولى
- الحج عرفة . . . .
  فضيلة الشيخ احمد كامل الخضرى
- الليالى العشر . . . .
  فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى
- عيد الاضحى المبارك . . . .
  المستشار عبد الستار آدم
- نظرة الى اقتصاديات الاضاحى . . . .
  الاستاذ محمد دياب
- الاسلام دين الوحدة . . . .
  الدكتور بدوى طبانه
- الصبر والصمود وسيلة النصر . . . .
  فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور
- من التراث الفنى الاسلامى . . . .
  الدكتور حسن الباشا
- ماذا تعرف عن العالم الاسلامى . . . .
  الدكتورة عنايات الطحاوى
- المسيرة الشاقة (قصة العدد) . . . .
  الاستاذ حسين الطوخى

معالم الطريق

نص خطاب
السيد الرئيس
جمال عبد الناصر
فى مؤتمر البرلمانيين الدوليين
١٩٧٠/٢/٢

• غارات إسرائيل لن تخيفنا ... بل إنها تضاعف تصميمنا ...

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يلقى خطابه الهام فى مؤتمر البرلمانيين الدوليين الذى انعقد فى القاهرة لبحث مشكلة الشرق الاوسط .

• أمتنا تملك مقومات ووسائل معركة التحرير .....

ايها الاصدقاء انني لم اجد نداء اتوجه به اليكم ادق ولا اشمل من نداء الصداقة ذلك ان الصديق الحق ليس هو الذى يزور صديقه او يلازمه ويؤيده ظالما كان او مظلوما وانما الصديق الحق هو الذى يعيش مع صديقه فى فكره وشواغله يبحث معه ويناقشه يخلص القول ويخلصه النصيحه مصداقا لقول النبى محمد صديقك من صدقك لا من صدقك وحين اتيحت لى الفرصة ايها الاصدقاء لمطالعة جدول اعمال مؤتمركم الذى تبدءونه اليوم فانني احسست معنى الصداقة فى التطبيق العلمى انكم لم تجيئوا هنا لمجرد زيارة ولاجئتم لمجرد التأييد لنا ولكنكم جئتم لتضعوا امامكم محور فكرنا وشواغلنا ولتبحثوه وتناقشوه بينكم ومعكم ثم ليكون ما تقولوه لنا بعد ذلك هو صدق الصديق واخلاصه اسمعه منكم بالثقه كلها ويسمعه العالم بأسره معنا ونتمنى ان يكون بالفهم سمعه قبل اى شىء اخر ونحن واحوجها لدم بمنتهى التجرد والموضوعية لا نريد من الصديق غير الصدق ونحن ايضا وفى نفس الوقت لا نريد من العالم الذى نعيش فيه غير الحق ان جدول اعمال مؤتمركم ضم فى سياقه كل القضايا التى يناضل من اجلها شعبنا العربى فى مصر وشعوب الامه العربيه كلها من المحيط الى الخليج فهذه هى القضايا التى نعيش لها جميعا ونموت من اجلها جميعا اذا اقتضى الامر ليس هناك بند فيها نستغنى عنه وليس هناك بند غيرها نريد اضافته اليها هذه النقط بالضبط فى جدول اعمالكم هى نضالنا باكمله وفى نفس الوقت فانه ليس هناك محفل اكثر جدارة ببحث هذه القضايا الحيويه بالنسبه لنا ولبحثها بروح الصديق ومسئولياته من هذا المحفل الذى يضمكم فانكم جميعا صفوة من المشتغلين بالقضايا العامة فى أوطانكم وانتم موضع ثقة جماهيركم التى اعطتكم شرف النيابة عنها فى برلماناتكم بالتالى ايها الاصدقاء فانكم فى عملكم خلال هذا المحفل الممتاز الذى يضمكم تستطيعون تحقيق الغايتين صدق الصديق وهو ما نطلبه اكثر من غيره وفهم العالم الذى نعيش فيه وانتم قادرون على حمل رسالة الفهم الى جميع اطراف الدنيا •

أزمه لا مثيل لها

أيها الاصدقاء

ان الامة العربية تواجه ازمة لا نظن ان امة غيرها تواجهها فى العصر الحديث •

ولعل هذه الازمة نفسها ان تكون هى وبذاتها ازمة الضمير الانسانى فى هذا العصر الحديث — هذا العصر الذى استطاع فيه الانسان ان يصل برحلة ساعات فى الفضاء الى الوقوف على سطح القمر ، ومع ذلك بقى عجزه بعد رحلة ملايين السنين فى مراحل التطور البشرى ان يصل الى تحقيق العدل على ارضه •

واستأذنكم ان أعبر سريعا على بعض ملامح الازمة التى تواجهها الامة العربية •

اغتصاب فلسطين

اولا : دعوة غريبة تنشأ فى اوربا فى نهاية القرن التاسع عشر تحول الدين اليهودى الى حركة قومية متعصبة تطالب بجزء من وطن الامة العربية فى فلسطين ، وتضع المخططات للانقضاض عليه بكل الاساليب وتبحث عن سند يساعدها على تنفيذ مطلبها فى اغتصابه ، تبحث عنه فى تركيا الخلافة مرة ، وفى المانيا الامبراطورية مرة أخرى ، وفى بريطانيا مرة ثالثة — وهناك وجدته بأن وجدت فى بريطانيا رغبة ضمان سيطرتها على العالم العربى واستمرار تهديده وتمزيق وحدته •

ثانيا : خلال الحرب العالمية الاولى وجدت تلك الحركة القومية المتعصبة سندها فى بريطانيا ، وبينما كان العرب يحاربون جنبا الى جنب مع بريطانيا ومع الحلفاء من اجل أمل فى استقلالهم وحريتهم شهدت به بريطانيا علنا اذا بالحكومة البريطانية فى السر تقطع على نفسها وعد بلفور باقطاع الحركة الصهيونية وطنا قوميا لليهود فى فلسطين •

وعندما انتهت الحرب كان تنكر بريطانيا لعهدها العلنى باستقلال العرب وحريتهم هو الوجه الاخر لتمسك بريطانيا بوعدها السرى للحركة الصهيونية باقطاعها جزءا من ارض الامة العربية فى فلسطين وتمكنت بريطانيا من ان تحصل على مسئولية الدولة المنتدبة على فلسطين من عصبة الامم واستغل هذا الانتداب لهدف واحد هو هدف التمكين للصهيونية من السيطرة على فلسطين •

ثالثا ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية — وكان مصدر الصدارة فى العالم الغربى قد انتقل من بريطانيا الى الولايات المتحدة الامريكية غيرت الحركة الصهيونية سندا بسند او سيدا بسيد فتحولت من لندن الى واشنطن التى اندفعت لتأييد الصهيونية تحت دعوى انقاذ اليهود من ضحايا النازية •

هكذا بدا ان الامة العربية وهى التى لم تقترف فى تاريخها كله جريمة اضطهاد اليهود هى التى وقع عليها عبء دفع ضريبة اضطهادهم كاملة من ارضها ومن دمها •

• الأمة العربية تقبل مسئولياتها عارفة بأبعادها وأخطارها ..

وفى الواقع فان هذا الذى بدا لم يكن الا مظهرا خارجيا لاخفاء الحقيقة لان الولايات المتحدة الامريكية التى ورثت مركز السيطرة البريطانى . اخذت لنفسها جميع اهداف هذه السيطرة خصوصا فى العالم العربى الذى كان يراد دائما تهديده وتمزيقه واهدار طاقاته ٠

العنف : اسلوب اسرائيل :

رابعا ، ولقد كان العنف العدوانى هو الاسلوب الذى اتبعته اسرائيل وهو التجسيد الحى لمطالب الحركة الصهيونية المتعصبة ، ومطامع الاستعمار الذى ساندها ، منذ البداية الى النهاية ٠

ولم يكن هذا العنف العدوانى فى صميم الامر مجرد اسلوب ولكنه كان بالتجربة الواقعية تعبيرا عن طبيعتها ٠

ويلفت النظر فى هذا الصدد ان العرب خلال المعارك الثلاث التى دارت بينهم وبين اسرائيل لم يكونوا البادئين بالحرب فى اى مرة من هذه المرات ٠

فى سنة ١٩٤٨ بدأت اسرائيل بالحرب قبل يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ وهو اليوم الذى كان مقررا فيه انسحاب القوات البريطانية وتنفيذ قرار التقسيم ٠

بدأت اسرائيل بالحرب واستولت على مناطق كثيرة كانت مخصصة للعرب بنص قرار التقسيم ٠

وكان دخول العرب الى القتال فى ١٥ مايو ١٩٤٨ هو رد فعل اكثر منه فعلا ضد الزحف الاسرائيلى المسلح الذى هيأ له ومهد لنجاحه تواطؤ الدولة المنتدبة على فلسطين ٠

وفى سنة ١٩٥٦ لم يبدأ العرب بالحرب ٠ وتستحق وقائع سنة ١٩٥٦ انتباهكم كاملا لانها تجربة واضحة تتحدث عن نفسها بعد ان تكشفت اسرارها جميعا ــ فى سنة ١٩٥٦ لم يكن فى وسع اسرائيل ان تدعى بأن هناك استفزازا عربيا موجها اليها او انه كان هناك تحرشا بها من اى نوع ٠٠ كان التفات العرب وقتها موجها الى ناحية اخرى تماما ٠٠ ولست فى حاجة الى ان اعيد على مسامعكم حكاية التواطؤ الثلاثى الذى تم سرا فى جو اقرب الى المؤامرة منه الى السياسة والى عمل العصابات منه الى تصرف الدول .. وكان لاسرائيل اول الادوار فيما جرى تدبيره فى ذلك الوقت ٠

وفى سنة ١٩٦٧ كانت التهديدات ضد وطن من أوطان الامة العربية وهو سوريا .. تهديدات سافرة ، ولقد بدأ العدوان بالعنف المسلح علينا يوم ٥ يونيو لمجرد ان الامة العربية اعلنت انها لن تقبل التهديد السافر بالغزو ، واتخذت من التدابير داخل اوطانها ما رأته ضروريا لمواجهة الخطر ٠

يارنج يدور فى فراغ

خامسا : ونتيجة لعدوان سنة ١٩٦٧ فان قوى العنف المسلح فى اسرائيل مؤيدة بقوة الولايات المتحدة الامريكية ودعمها المادى والعسكرى تمكنت من احتلال فلسطين كلها الى جانب اراض تنتمى لثلاث دول عربية مستقلة واعضاء فى الامم المتحدة هى مصر وسوريا والاردن ٠٠ وتعالت الاحاديث فى الناحية الاخرى عن اسرائيل الكبرى ونشرت الخرائط التى تطلب مابين النيل والفرات دولة لاسرائيل ، وعادت الحجج لاتستند على شىء الا على حق الغزو وكان الدنيا رجعت مرة اخرى الى ظلمات القرون الوسطى ٠

سادسا : برغم ذلك كله فان مصر قبلت بقرار أصدره مجلس الامن بالاجماع فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، واعتبره المجتمع الدولى كله حلا للمشكلة يحد من خطرها المحلى ويحول دون مضاعفات عالية لها ٠٠ يمكن أن تمد تاثيراتها على السلام العالمى بأسره ٠٠ وكانت مصر فى ذلك عند مسئوليتها فى المنطقة التى تعيش فيها ٠ كما كانت عند مسئوليتها تجاه المجتمع الدولى ٠٠ وعلى أساس قبول هذا القرار فان الجمهورية العربية المتحدة استقبلت السفير جونار يارنج مبعوث السكرتير العام للامم المتحدة المكلف بالاشراف على تنفيذ هذا القرار ٠٠ ولقد ظلت الجمهورية العربية المتحدة تستقبل هذا المبعوث وتودعه قادما ٠٠ ذاهبا ٠٠ طوال سنة كاملة وضعت خلالها تحت تصرفه رأيها فى كل ما طلب منها ٠٠ وفى نفس الوقت فان اسرائيل ضربت بقرار مجلس الامن عرض الحائط حتى وجد مبعوث السكرتير العام للامم المتحدة نفسه يدور فى فراغ فأوقف مهمته دون أن يقدم عنها تقريره الى مجلس الامن وكانت تلك ضرورة من أولى ضرورات الموقف لكن الضغط الامريكى قفل الطريق حتى على هذا الاجراء الضرورى ٠٠ حتى لا يستطيع العالم تبين المواقف على حقيقتها ٠

ما الذى نتفاوض عليه

سابعا : ان اسرائيل ركزت دعايتها فى ذلك الوقت على مطلب المفاوضات المباشرة ، وكنا نتساءل كيف يمكن أن يتم تفاوض فى ظل احتلال الارض ٠٠ ان التفاوض فى هذه الحالة معناه الاستسلام بغير قيد أو

شرط — ولم يحدث فى التاريخ ان تفاوض شعب فى ظل احتلال اراضيه الا اذا كان هذا الشعب قد وصل الى قبول الاستسلام بلا قيد ولا شرط لقوة الاحتلال .

ومع ذلك ومن ناحية نظرية بحتة فما الذى نتفاوض فيه ؟ واذا كانت اسرائيل تعلن يوما أن القدس العربية لا يمكن أن تكون موضع مفاوضات وتقرر رئيسة وزرائها علنا أن العلم الاردنى لن يرتفع مرة اخرى فوق القدس العربية ما الذى نتفاوض فيه اذا كانت اسرائيل فى يوم آخر تعلن ان المرتفعات السورية لا يمكن ان تكون موضع مفاوضات ٠٠ وفى يوم ثالث تشير اعلانات من نفس النوع الى الضفه العربيه والى غزة والى شرم الشيخ المصريه نفسها ٠

ثامنا : ان العرب ازاء ذلك كله كان عليهم أن يتعلموا الدرس الذى سبقتهم اليه أمم كثيرة وهو ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة .. والقوة فى طلب الحق المشروع أمانة وطنية تتحملها الشعوب مهما كانت تكاليفها ٠٠ لكن اسرائيل كان لها منطق آخر يساعدها عليه الاصدقاء ٠٠ ان طلب الحق اصبح فى نظر هؤلاء تحفزا للعدوان ٠٠ وهكذا بدات اسرائيل بمعونة أصدقائها محاولة جديدة للعنف الارهابى تمثلها أكثر من اى شىء اخر هذه الايام غاراتها بالعمق البعيد داخل الاراضى المصرية .. تقصد بذلك ان تخيف الشعب المصرى .. وهى لاتدرى انها بذلك تضاعف من تصميمه ٠

مسئولية أمريكا

تاسعا : ان الولايات المتحدة الامريكية وسياستها ، تتحمل المسئولية الكبرى فيما يجرى الان على ارض الشرق الاوسط ، وما سوف يجرى فيه مستقبلا ٠٠ ان الولايات المتحدة الامريكية هى التى تعطى للعنف الارهابى أدواته التى يمارس بها دوره المجرم ، وهى التى تسنده سياسيا ودعائيا ، وبينما تتظاهر حكومة الولايات المتحدة الامريكية كذبا وتضليلا أنها تسعى من اجل السلام ، فان جميع تصرفات هذه الحكومة فى أزمة الشرق الاوسط تشير الى العكس ٠٠ ولو لم يكن لدينا دليل مادى على تواطؤ الولايات المتحدة ضدنا فى عدوان سنة ١٩٦٧ ٠٠ فان لدينا الان أكثر من دليل مادى على ان الولايات المتحدة الامريكية تؤيد العدوان ضدنا وتيسر له كل سبل الاستمرار ٠٠ ويكفى أن نشير فى ذلك الى تدفق الاسلحة الامريكية على اسرائيل .. ان اسرائيل لم تكن بحاجة الى السلاح ٠٠ بعد يونيو سنة ١٩٦٧ ، كان جيشها قويا ، وكان جيشها معتديا .. وفى الوقت ذاته فقد كنا نحن فى أمس الحاجة الى أى سلاح ٠٠ بعد يونيو سنة ١٩٦٧ كان سلاحنا حطاما ، وكنا فى حاجة الى ما ندافع به عن النفس أولا ٠٠ ثم ماندافع به عن الارض المغتصبة ثانيا ٠

ومع ذلك فان السلاح الامريكى ظل يتدفق على اسرائيل ، وتحت دعوى أن العرب يحصلون على السلاح من الاتحاد السوفيتى ، ولقد كنا على استعداد لقبول هذا المنطق ، لو أنه جاء بعد تصفية آثار العدوان ٠٠ وبعد انسحاب قوات الاحتلال ، تطبيقا لقرار مجلس الامن فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ ٠٠ أما أن يحدث ذلك التدفق فى السلاح الامريكى على اسرائيل ، بينما هى تحتل كل فلسطين وأجزاء من أراضى ثلاث دول عربية مستقلة ٠٠ فذلك ما لا نستطيع تفسيره الا على أنه انحياز بالكامل لاسرائيل ضد كل المبادىء ، والا على أنه تشجيع للمعتدى على استمرار عدوانه .. والا على انه عداء للامة العربية على طول الخط ٠

الامة العربية ستخوض المعركة

عاشرا : ان الامة العربية كما ترون ايها الاصدقاء ليس أمامها غير أن تخوض معركتها وظهرها الى الحائط والى آخر المدى .. ومهما كانت التضحيات موقفها فى ذلك موقف أى أمة تعرضت للعدوان ووقعت أجزاء من أراضيها تحت سيطرة قوات الاحتلال ٠٠ والامة العربية تتخذ هذا الموقف عارفة بأبعاده ومقدرة لمخاطره ٠٠ مدركة فى كل الاحوال أنها تملك المقومات اللازمة والوسائل الكافية لمتطلبات التحرير ، وسوف تتعلم من كل ساعة من ساعات الازمة أكثر وأعمق مما تتعلمه فى سنة من سنوات الرخاء ٠٠ ذلك لا غنى عنه ولا بديل له لانه طريق الامة العربية الوحيد الى الحياة ٠٠ والى شرف الحياة ٠

أيها الاصدقاء ٠٠

هذه ملامح من الازمة التى تواجهها أمتنا العربية ، **لا أريد بها استباق مناقشاتكم فى هذا المحفل الممتاز : ولكنى أردت بها أن أضع أمامكم صورة من تفكيرنا ٠٠ وأعود مرة أخرى الى ان أؤكد باننا نريد منكم بالدرجة الاولى صدق الصديق ، وانتم الاولى به ٠٠ ثم نريد بعد ذلك فهم العالم الذى نعيش فيه ، وأنتم الاقدر عليه بصلة الثقة التى تربطكم بجماهير شعوبكم ٠٠ وليكن التوفيق معكم — والسلام عليكم ورحمة الله ٠**

حريق المسجد الأقصى

حديث خاص الى « منبر الإسلام » للسيد حسين الشافعى

إعداد :

الأستاذ عبد العليم المهدى

عندما يحين موسم الحج من كل عام ، ترى كل من سبق له اقامة هذا الركن من الاسلام ، وقد استبد به الشوق الى مكة وعرفة ، والى طيبة والروضة : وكأنه قد ترك بضعة من قلبه فى هذه المناسك والمزارات : فلا يكفيه أن يشد الرحال اليها مرات ، حتى يبلغ به الاحساس أن يتمنى الحياة هناك : لولا مايشغله من أمور الدنيا والسعى فى سبيل الرزق •

■ ■

بهذه العبارات المضيئة ، بادرنى السيد حسين الشافعى ، عندما ذهبت اليه لكتابة رأيه فى جريمة احراق اسرائيل للمسجد الاقصى ، ثم أضاف يقول :

ان الحديث عن حريق المسجد الاقصى : يعنى الحديث عن احتراق فلسطين جميعا ، ويخطىء من يظن ان فلسطين المقدسة ارض عربية اغتصبت ، لانها فى شرعة **الحق جزء من الدين الاسلامى منتزع : وغاية الصهيونية بعد فلسطين مكة والمدينة** •• وسائر الارض الممتدة من النيل الى الفرات • وقد جاء فى تفسير الالوسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **انه تعالى بارك فيمابين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس ! •** »

وعن انس بن مالك رضى الله عنه أن الحديث الشريف يقول :

« **الجنة تحن شوقا الى بيت المقدس : وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس ، وهى صرة الارض ! •**

أما حكاية الهيكل المزعوم الذى يتحدث عنه اليهود فقد قال فيهم وفيه سيدنا سليمان عليه السلام :

« **انى أقطع اسرائيل عن وجه الارض التى أعطيتهم اياها والبيت الذى أقمته باسمى أنفيه من أمامى ! •**

ويقول الانجيل على لسان السيد المسيح عليه السلام :

« **يا اورشليم • ياقاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها • هوذا بيتكم يترك لكم خرابا ! •**

وسكت الشافعى قليلا قبل أن يقول :

نحمد الله الذى سخر نار الذين كفروا من أهل الكتاب لتحرق المسجد الاقصى ، حتى تضىء لنا الطريق الى مكاننا الذى ضاع منا فى زحمة الضعف والشك والهوان الذى لحق بنا منذ تداعت علينا الامم كما تداعت الاكلة على القصعة .. **وما أشد ضراوة الجائع والطامع والحاقد والخائف على ظلام كفره من نور الايمان •**

قلت : ان بعثة من الجامعة العبرية قد عثرت على كومة من التراب داخل بيت مهجور على مسافة ٢٥٠ مترا من المسجد الاقصى ، وقال **احبار الصهاينة ان هذا التراب من أنقاض هيكل سليمان وقد كان قائما فى هذا المكان •**

قال : تكملة للوهم الذى يعشش فى عقول تلك المخلوقات •• كلنا يذكر بيان المجلس الاسلامى فى القدس عند ارتكاب اليهود لجريمة حرق المسجد الاقصى •• فقد قال هذا البيان : **ان اليهود قد أقدموا على اشعال النار فى المسجد الاقصى تغطية لجريمة أخرى هى الحفريات التى استمرت طوال عامين حول المسجد وتحت اسواره ، حتى أصبح مهددا بالانهيار •• وهم الان يستكملون حفرياتهم التى اكتشفوا فيها كومة التراب المزعوم •**

قلت : ونذكر كذلك قول بن جوريون غداة حرب الايام الستة : لا معنى لاسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بغير الهيكل •

قال : وماذا تحسبهم يقولون وقد نجح مخططهم فى **لقاء ذنب الافعى برأسها فى القدس ؟ ••**

قلت : وقال موشى ديان غداة اقتحامه القدس : **لقد وصلنا الى اورشليم ، ونحن الآن فى طريقنا الى يثرب والى بابل •**

قال : ليسمع قومنا فيما بين النيل والفرات •

قلت : ان اسرائيل تطبع مصحفا محرفا لتوزيعه على البلاد الاسلامية •

قال : ان لهم سوابق لا تحصى فى التحريف •• **لقد كفروا بالتوارة •• وحاربوا الانجيل •• وافتروا كثيرا من الاحاديث الشريفة •• وليس بعد الكفر ذنب**

قلت : ولكنهم فى طبعة بيروت من المصحف المحرف قد تنبهوا هذه المرة الى الآية التى تلعنهم :

« **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا** » .. لقد مسحوا النقطة من كلمة غلت ، وجعلوها علت ، بفتح العين واللام .. وحرفوا كلمة لعنوا فجعلوها امنوا بضم الالف وكسر الميم .

قال : لماذا يصنعون هذا الان ؟ ..

قلت : خشيتهم من انفعال المسلمين بلعنة الله لليهود بما قالوا .

قال : انهم اعداء كل دين .. والمسيحية بنوع خاص .. **ومع ذلك فان الدول المسيحية الكبرى هى أكبر عون لهم على تحويل كنائس ومساجد بيت المقدس الى معابد لليهود .**

قلت : ويبدو أنهم مصممون على بناء هيكل سليمان فوق انقاض المسجد الاقصى .. وقد اطلقوا عليه اسم **تل المعبد .. وبدأوا يؤدون فيه صلاتهم التلمودية .**

قال : وكل الاماكن المقدسة فى فلسطين معرضة لهذا التخريب ..

قلت : والى متى يمضى اليهود فى تحديهم لكل أصحاب العقائد السماوية ؟ ..

قال : حتى يهىء الله للبشرية من يخاطبها بجميع لغاتها ولهجاتها **بالخطر الذى يهددهم به أعداء الله وأعداء البشرية .. حتى تطبع وتذاع الكتب بجميع اللغات موضحه عقيدة الصهيونية التى تؤمن بان كل بنى آدم من نسل الحيوانات .. واليهود وحدهم هم المؤمنون : وبقية البشر كفار : ومن العدل أن يقتل اليهودى الكافر بيديه فان سفك دم الكافر تقرب الى الله .. هكذا يقول التلمود .**

قلت : ومن يحمل هذه المسئولية ؟

قال : مسئولية المسلمين أولا .. فهم وحدهم الذين لا تصح عقيدتهم بغير الايمان بالله وكتبه ورسله .. **لا نفرق بين احد من رسله .. ولا نفرق بين احد من أتباعهم .. فنحن أمة تدين برسالة الرحمة للناس كافة .. أما هذه المخلوقات التى هبطت على فلسطين كالوباء ، فلا تؤمن بغير التلمود الذى يفصلهم عن بنى آدم ، ويضللهم حاخاماتهم فيه بانهم شعب الله المختار : خلقوا من روح الله : أما غيرهم فقد جاءوا من نطفة حصان : وقد جعلهم الله فى شكل آدميين حتى يكونوا جديرين بشرف خدمة سادتهم بنى اسرائيل !!!**

قلت : وكيف يمكن اعلان هذه العقيدة الهستيرية على العالم ، وهم يملكون أقوى وسائل الاعلام ، ويملكون قبل ذلك الذهب الذى يشترون به الكلمة التى تكشف عوراتهم ؟ ..

قال : **ولكننا نملك أقوى دعوة الى كرامة الانسان : وحرية الشعوب : وحق البشرية فى أن تعيش فى سلام قائم على العدل .. نملك الجهر بالآية الكريمة :**

« **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** » .

نملك المبادىء التى ترفع قدر الانسان باعتباره خليفة **لادم الذى سجدت له الملائكة .**

نملك الدعوة الخالدة الماجدة :

« **لا اكراه فى الدين !** » .

نحن امة مكلفة بدعوة البشرية الى الله ، وهم مخلوقات تجذب البشرية الى الشيطان .. الشيطان الذى قال عن الانسان : « **قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين** » .

كذلك يتعالى اليهود عن أن يكونوا من بنى آدم .. بل ويجعلونهم جميعا والبهائم سواء ..

لا بد أن تبذل جهود ضخمة لنشر التلمود وتعاليم حكماء صهيون واعلانها بالصوت العالى المستمر .. حتى يعرف كل انسان غير يهودى أنه فى عقيدة اسرائيل كافر .. وسفك دمه تقرب الى الله !!

قلت : ولكن العالم الاسلامى كله لا يملك من وسائل النشر والاعلام عشر ما يملكه أبناء الشيطان ..

قال : يكفى ان يعرف ذلك جيدا تسعمائة مليون مسلم فى العالم ، ويكفى أن يعرف كل مسيحى فى العالم أن المخطط الصهيونى الموضوع موضع التنفيذ الان ، **يقضى بأن تكون الجولة الاخيرة فى الفاتيكان !..**

قلت : وأمريكا وانجلترا وغيرها من الدول المسيحية المؤيدة لاسرائيل ·· ألا تعرف هذا ؟ ·

قال : ان تضليل الجماهير فى كل مكان ، ونشر الحرية الدينية فى كل شعب ، وامتصاص الذهب فى بنوكهم ، وتحكمهم فى أجهزة الاعلام ، أسلحة تستخدمها الصهيونية على أنها نصف الطريق الى الهدف ·· ان العقول فى البلاد الواقعة تحت النفوذ الصهيونى تعيش فى ضباب الدعاية الصهيونية ·· **ان ذلك لايحول أبدا دون دعوة العالم المسيحى الى استطلاع ماتقوم قوات اسرائيل فى كنائس القدس ·**

قلت : والعالم الاسلامى ·· الم يعلم بحريق المسجد الاقصى ؟··

قال : ومن يستطيع أن ينكر هزة العالم الاسلامى بهذا الحريق ·· ان كل مسلم لم يحرق قلبه لهيب المسجد الاقصى لايستحق شرف الانتساب الى هذا الدين ·· انه يخرج بذلك على ملة أبينا ابراهيم الذى سمانا المسلمين من قبل « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » وقد دعا عليه السلام ربه (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا » · وابراهيم هو الذى بنى الكعبة التى يحج اليها المسلمون : أما مسجده فى الخليل ·· فقد تحول الى معبد يهودى ·· تتردد فيه تراتيل التلمود الذى كتبه قتلة الانبياء ·· وجعلوه كتابهم المقدس الذى يدعوهم الى تكفير كل غير يهودى ·· ويحرضهم على امتلاك الارض كلها : فقد وهبهم الرب اياها ، وجعل الادميين لهم خدما وعبيدا : فالاسرائيلى فى حاجة الى نوعين من حيوان يأكله وحيوان يخدمه وكل قوة فى العالم تقف فى طريقنا الى استرداد حقوقنا فلا بد من تدميرها ·· بالمال ·· بالجنس ·· بالقتل ·· بالدم !

قلت : ومع ذلك فهم يملاون الدنيا ضجيجا بأنهم يريدون أن يعيشوا مع العرب فى سلام ؟ ··

قال : سقطت هذه الخرافة منذ اعلان قيام حكومة صهيونية باسم اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ·· ومن يحاول التصدى لهذه الحقيقة : فعليه أن يحصر أولا حوادث العدوان الاسرائيلى على العرب : فى خارج وداخل الارض المحتلة ثم يذكر حرب السويس والدماء الزكية التى سالت على شاطىء قناة السويس ورمال سيناء ·· ثم عدوان ١٩٦٧ ، وما أعقبه من توسع دموى طال أكثر من عامين: لتشهد الدنيا على جرائم النازية الصهيونية التى يقوم بها « شعب صغير مسالم يريد أن يعيش مع العرب فى سلام ! !

قلت : ويريدون أن يعيشوا مع المسلمين أيضا فى سلام بدليل حريق المسجد الاقصى ·

قال : انهم يحسبون بذلك أنهم بلغوا ذروة القوة : ويصور لهم الوهم أن حرق المسجد الاقصى لن يكون له رد فعل يتناسب مع حجم الجريمة ··

قلت : متى وأين وكيف ؟ ··

قال : اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ·

إبراهيم وإسماعيل وبناء الكعبة

- سكنى اسماعيل الحجاز وبناء الكعبة
- واقعة الفداء
- من هو الذبيح ؟

الاستاذ أحمد حسين

(٢)

سكنى اسماعيل الحجاز وبناء الكعبة

القرآن الكريم هو وثيقتنا أن ابراهيم عليه السلام هو بانى الكعبة بمساعدة ابنه اسماعيل ، وأن الكعبة قد بنيت لتكون بيتا لله يحج اليه المؤمنون بالله من انحاء الارض ، اظهارا للعبودية والطاعة لاوامر الله ، وأن تعظيم هذا البيت الحرام والحج اليه هو من شعائر دين ابراهيم وبالتالى دين الاسلام • واليك نصوص القرآن المثبتة لذلك والدالة عليه :

ــ رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (ابراهيم ٣٧)

ــ ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين (آل عمران ٩٧) •

ــ واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود • واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير • واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم • ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين • اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين • (البقرة ١٢٦ ــ ١٣١) •

مناسك الحج

وينص القرآن على مناسك الحج كما يؤديها المسلمون باعتبارها الشريعة التى تلقاها ابراهيم عليه السلام :

ــ واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود • وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق • ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق • ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور (الحج ٢٦ ــ ٣٠)

وهكذا تتضمن هذه الآيات اشارات الى كل مناسك الحج ، من طواف حول البيت ، ووقوف بعرفة واقامة بمنى ونحر الاضاحى لله ، مما سنفصله فقهيا عند مكانه من السيرة ان شاء الله •

اما الان فبحسبنا تأكيد هذا الذى قلناه ، من أن ابراهيم عليه السلام ، قد جاء بقواعد الاسلام الاساسية وأن الاسلام كما جاء به سيدنا محمد هو بعث واستمرار لهذه العقيدة الثابتة الخالدة •

وقد بقى ان نتساءل ما الذى جاء بابراهيم عليه السلام الى مكة المكرمة ، وعهدنا به فى بلاد فلسطين او ارض كنعان كما كانت تلقب فى هذا الزمان •

ان القرآن الكريم كما هو شأنه ومنهاجه لا يذكر الحوادث الا مجردة تكاد تستقل عن الزمان والمكان ، وذلك لانه كتاب وعظ وارشاد وهداية وليس كتاب تاريخ ، وعلينا ان نلتمس الوقائع التاريخية وتفصيلها من المصادر الاخرى وعلى رأسها الحديث النبوى الشريف • وعندما لا يكون ما ينطوى عليه كتاب العهد القديم غير متعارض مع القرآن او الحديث فلا مانع من الاستئناس به واتخاذه مصدرا تاريخيا للوقائع التى نحتاج الى استيعابها •

زواج ابراهيم بهاجر

ولقد أشرنا من قبل الى أن ابراهيم عليه السلام قد وفد الى مصر مصطحبا سارة زوجته ، وقد اقتنت سارة عند وجودها فى مصر جارية مصرية يقال لها هاجر ، ولما كانت سارة قد أصبحت عجوزا لاتلد فقد وهبت جاريتها لابراهيم عليه السلام عله يرزق منها بولد ، واليك نص ما جاء فى العهد القديم :

« وأما ساراى امرأة ابرام فلم تلد له وكانت لها أمة مصرية اسمها هاجر • فقالت ساراى لابرام هو ذا قد حبسنى الرب عن الولادة فادخل على أمتى لعل بيتى يبنى منها ، فسمع ابرام لقول ساراى • فأخذت ساراى امرأة ابرام هاجر المصرية أمتها من بعد عشر سنين من مقام ابرام فى أرض كنعان فأعطتها لابرام رجلها لتكون له زوجة • فدخل على هاجر فحملت فلما رأت انها قد حملت هانت مولاتها فى عينيها • فقالت ساراى لابرام ظلمى عليك • انى دفعت أمتى الى حجرك فلما رأت انها قد حملت هنت فى عينيها يحكم الرب بينى وبينك « الفصل السادس عشر »

وتمضى قصة العهد القديم فتذكر لنا كيف أن هاجر لم تلبث أن رزقت باسماعيل عليه السلام ، فزادت غيرة سارة من هاجر ، ثم من الله على سارة بولد وهو اسحق عليه السلام ، فلما اصبح لها ولد رأت ان لا محل لبقاء هاجر بعد ذلك فطلبت الى ابراهيم عليه السلام أن ينفيها من الارض ، فغضب ابراهيم لهذا الطلب ، ولكن الله سبحانه وتعالى ، طلب من ابراهيم أن ينتقل بهاجر وابنها اسماعيل حيث سيكون لاسماعيل شأن اى شأن •• فتوجه ابراهيم عليه السلام من فلسطين نحو

الجنوب ، متبعا طريق القوافل الذى كان يسلكه العرب من قديم الزمان من جنوب جزيرة العرب حتى شمالها ، حتى وصل فى تجواله الى موقع مدينة مكة والذى كان فيما يبدو محطة تستريح عندها القوافل ، فرأى أن ذلك هو خير مكان يمكن أن يدع فيه هاجر وابنه اسماعيل ٠

حديث البخارى عن قصة ابراهيم واسماعيل

وكان هذا الذى أشرنا اليه فيما سبق من بناء الكعبة ، كما نص عليه القرآن الكريم ، ولكن هذا الذى أوجزه القرآن الكريم ، يفصله حديث شريف رواه البخارى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم وهذا نصه : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ٠ ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء ماء ثم مضى ابراهيم منطلقا فمنعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به انس ولا شىء ، فقالت له ذلك مرارا وجعل لايلتفت اليها ٠ فقالت له الله آمرك بهذا ؟ قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت ، فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الكلمات « رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم » حتى بلغ يشكرون ٠ وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط ، فانطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهد حتى جاوزت الوادى ثم أتت على المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما ــ فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ، ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت ، قد اسمعت ان كان عندك غوث ، فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهى بعد ما تغرف ٠ قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم ــ أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا ٠

وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيت الله يبنيه ذلك الغلام وابوه ، وان الله لا يضيع أهله ٠ وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك ٠ حتى مرت بهم رفقة من جرهم او أهل بيت جرهم مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طيرا عائفا ، فقالوا ان هذا الطير ليدور على ماء ، وعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء ، فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء ، فأقبلوا ، قال وأم اسماعيل عند الماء ، قالوا ، أتأذنين لنا ان ننزل عندك ، فقالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء (اى لا يكون ملكا لهم) قالوا نعم ٠ قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم : فالفى ذلك (اى وافق ذلك) أم اسماعيل وهى تحب الانس ٠ فنزلوا وأرسلوا الى أهلهم فنزلوا معهم ٠

اسماعيل يتزوج من جرهم (١)

حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام اسماعيل وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم حين شب ٠ فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ٠ وماتت ام اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل ٠ فسأل امرأته عنه ، فقالت خرج يبتغى لنا ٠ ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت نحن بشر ، نحن فى ضيق وشدة ٠ فشكت اليه ٠ قال : فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بيته ، فلما جاء اسماعيل كأنه انس شيئا فقال هل جاءكم من احد ٠ قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ، وسألنى كيف عيشنا ، فأخبرته انا فى جهد وشدة ٠ قال : فهل أوصاك بشىء ٠ قالت : نعم « أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك » ٠ قال ذاك أبى ٠ وقد أمرنى أن افارقك ، الحقى بأهلك ، فطلقها ٠ وتزوج أخرى ، فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ــ ثم أتاهم بعد فلم يجده ٠ فدخل على امرأته فسألها عنه (اى عن اسماعيل) فقالت : خرج يبتغى لنا ٠ قال : كيف انتم ، وسألها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله ، فقال : ما طعامكم ، قالت : اللحم : قال : فما شرابكم ؟ قالت الماء ٠ قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء (قال النبى صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب ، (أى قمح او شعير) ولو كان لهم دعا لهم فيه : قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه ٠ قال : فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه ٠ فلما جاء اسماعيل ، قال هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه ، فسألنى عنك

---

(١) هذا العنوان ليس من متن الحديث

فأخبرته ، فسألنى كيف عيشنا فأخبرته انا بخير • قال فأوصاك بشىء • قالت نعم فهو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك • قال : ذاك أبى ، وأنت العتبة • آمرنى أن امسكك • ثم لبث (اى ابراهيم) عنهم ما شاء الله ـ ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلاله قريبا من زمزم • فلما رآه قام اليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد • ثم قال : يا اسماعيل ان الله آمرنى بأمر • قال فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتعيننى ؟ قال :وأعينك . قال : فان‌الله أمرنى أن أبنى ها هنا بيتا ـ وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها ـ قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة ، وابراهيم يبنى ، حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له (١) • فقام عليه السلام وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم •

مبنى الكعبـــة

هذا هو التاريخ الثابت المحقق لاول بناء للكعبة الشريفة وربما كان ذلك فى زمن يقرب من سنة ١٨٩٢ ق • م •

وهناك أقوال كثيرة اوردها الازرقى فى كتابه تاريخ مكة ، تقول بأن الارض رجبت من تحت الكعبة ، وأن الكعبة قـد بنيت تحت العرش مبـاشـرة ، وأن الحجاج يطوفون بها كما يطوف الملائكة حول العرش ، وأن اول‌من بنى‌الكعبة هم‌الملائكة قبل خلق آدم ، ثم بناها آدم عليه السلام ، ثم اكتسحها الطوفان ، فبناها نوح عليه السلام ، وأن الملائكة اذا نزلوا الارض طافوا حول الكعبة ، وأن فريقا منهم يستأذن الله جل وعلا للنزول الى الارض والطواف حول الكعبة ، وقد قلت فى كتابى « **الحج أسراره ومناسكه** » وهـذه الاقوال كلها لا نستطيع ان نتعرض لها بنفى او أثبات ، فهى من احاديث الغيب ، ونحن انما نسجلها للامانة العلمية ليكون امام القارىء كل ما يقال بهذا الصدد ـ ولنا الثابت المحقق كما نص عليه القرآن الكريم ، من أن ابراهيم عليه السلام هو بانى الكعبة المكرمة بمعاونة ابنه اسماعيل •

ولقد تهدم بناء الكعبة كما بناها ابراهيم عليه السلام ، اكثر من مرة بفعل السيول ، ولكن ابناء ابراهيم واحفاده من العرب المستعربة كانوا يعيدون بناءها ، كما بناها ابراهيم عليه السـلام ، وكان ارتفاعها على ما يقول الازرقى تسعة اذرع ، وعرضها ما بين الركن الاسود والركن الشامى ٣٢ ذراعا ، وعرض ما بين الركن الشامى الى الركن الغربى الذى فيه الحجر ٢٢ ذراعا • وهى مؤلفة من حجـرة واحدة . ويمكن القول أن الكعبة كما هى اليوم لا تختلف عما كانت عليه فى زمن سيدنا محمد ، فيما خلا الارتفاع الذى قد زيد بعد ذلك (٢) • والمادة التى تبنى منها الكعبة هى هذه الحجارة الزرقاء الصلبة الجرانيتية ، وهى الاحجار المتوافرة فى منطقة مكة •

الحجر الاســود

وأهم معالم الكعبة هو الحجر الاسود الذى يسن تقبيله ، قبل البدء فى الطواف حول الكعبة ، وهو حجر صقيل بيضاوى غير منتظم لونه اسود براق كأنه أبنوس ، يميل سواده نحو الاحمرار ، وفيه نقط حمراء وتعاريج صفراء ، وهى من أثر لحام القطع التى تكسرت منه فى عصور تالية على عصر رسول الله ، اما فى وقت النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان لا يزال قطعة واحدة ، وطول قطره نحو ثلاثين سنتى ، ويحيط به فى الوقت الحاضر اطار من الفضة عرضه عشرة سنتيمترات ، ولكنه أيام الرسول وقبل ذلك لم يكن محاطا بهذا الاطار الفضى • وقد قلت فى كتابى الحج أسراره ومناسكه : والاقوال فى الحجر الاسود كالاقوال فى أصل الكعبة كثيرة ، وكما قيل ان الكعبة قد بنيت بعد خلق الارض ، وان الملائكة بنوها ، وكانوا اول من طاف بها ، فكذلك الحجر الاسود ، قيل انه من أحجار الجنة وأن الملائكة قد جاءت به ووضعته فى موضعه • وقد قيل فى فوائده انه شفاء من كل سقم ، وانه غافر من كل ذنب ، وانه يمين الله فى الارض ، وانه كان ابيض اللون ، ثم اسود من آثام الناس • وهذه كلها أقوال لا نستطيع أن نتعرض لها باثبات أونفى ، ولنا ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اللهم أنى أعلم أنك حجر لا يضر ولا ينفع : ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك • وسوف نعود لذكر ذلك كله بالتفصيل فى حينه ، واثناء عرض هـذه السيرة ، اما الان فحسبنا ، ان نقف عند هذا القدر ، من أن ابراهيم جاء باسماعيل الى مكة ، وانهما بنيا البيت معا لعبادة الله الواحد الاحد ، وان اسماعيل كان كأبيه صديقا نبيا :

ـ واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا • وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا • (مريم ٥٤) •

وقد كان اكتشاف بئر زمزم وبناء الكعبة واستقرار اسماعيل بها ، هو الاصل الذى نشأ منه العرب المستعربة الذين اشتهروا بأنهم العرب العدنانية •

(١) ذلك هو مقام ابراهيم عليه السلام الموجود امام الكعبة

(٢) ارتفاع الكعبة فى الوقت الحاضر خمسة عشر مترا وطول ضلعها الشمالى والجنوبى عشرة أمتار وعشرة سنتيمترات وطول الضلع للشرقى حيث يوجد الباب والضلع الذى يقابله اثنا عشر مترا وبابها على ارتفاع مترين .

والاصل فى اسم مكة انه بكة وقيل ان بكة معناها البيت ، ثم سميت المنطقة كلها باسم البيت ، وأبدلت **الباء ميما على عادة العرب فى النطق احيانا .**

واقعة الفداء

وثمة واقعة تاريخية اخرى ، لا يمكن اغفالها عند الحديث عن ابراهيم واسماعيل ، لان الاشارة قد وردت بذكرها فى القرآن الكريم من ناحية ، ولانها تتصل بمنسك الحج من ناحية أخرى ، وتلك هى حادثة الفداء التى فدى فيها الله عز وجل ابن ابراهيم بذبح عظيم . وتبدأ الواقعة المذكورة ، بأن ابراهيم عليه السلام رأى فى المنام كأنه يذبح ابنه ، ولما كانت رؤيا الانبياء نوعا من الوحى فقد ادرك ابراهيم عليه السلام ان ذلك امر من الله عز وجل قد صدر اليه بأن يذبح ابنه . فبادر ابراهيم عليه السلام بالانصياع لما تصوره امرا صادرا من الله اليه ، فعرض الامر على ابنه ، الذى انصاع بدوره الى أمر الله عز وجل . ووافق اباه على أن يذبحه قربة لله عز وجل ، ولما أن شرع ابراهيم عليه السلام فى ذبح ابنه بالفعل ، جنبه الله عملية الذبح وقدم له كبشا ليذبحه فداء عن ولده .

ولهذه القصة اشار القرآن الكريم فى الايات التالية :

ـ فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا أبراهيم ، قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على ابراهيم ، كذلك نجزى المحسنين ، انه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين . (الصافات ١٠٥ ـ ١١٢) .

من هو الابن الذبيح

وقد جرى التساؤل حول شخصية الابن الذبيح ، فالقرآن الكريم قد تحدث عنه دون أن يذكر اسمه ، ومن المعلوم أن ابراهيم عليه السلام كان له ابنان : أسماعيل واسحق فاى الابنين هو الذبيح ، ان الاسم الوحيد ، الذى اشير اليه فى الايات السابقة هو اسم اسحق ، فهل يكون الذبيح هو أسحق ، ان سياق الايات يحتمل ذلك ، كما يحتمل ان يكون الذبيح غير اسحق ، فقد جاء الحديث عن اسحق بعد حرف الواو « **وبشرناه باسحق** » ومن هنا وقع الخلاف بين المفسرين حول شخصية الابن الذى هم ابراهيم بذبحه ، يقول الطبرى شيخ المفسرين :

بقية المقال فى صفحتى ١٧٢ ، ١٧٣

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

من معجزات القرآن الكريم

التى لا تنقطع إلى قيام الساعة

٣٧

تعرضنا فى المقال السابق لبعض أوجه الاعجاز فى هذه القصة ، وذلك ببيان الحق فى شخصية من هو (ذو القرنين) ؟ وأدلة ذلك من القرآن والتاريخ . ثم سجلنا الآيات المشتملة على القصة وعددها ست عشرة آية ، من اول آية (٨٣) الى (٩٨) من سورة الكهف .

وينبغى لقارىء هذا المقال الثانى أن يستحضر الآيات السابقة أمامه .

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

واليوم نعرض لبقية القصة ، فنقول :

ان معنى هذه الايات كما وردت فى القرآن ما يأتى :

يسألك أيها النبى اليهود عن ذى القرنين وما هى أعماله ليظهروا للناس أنهم أهل لفضل الله ورحمته ٠

قل لهم أيها النبى : سأتلو عليكم من أخباره قرآنا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم شرع سبحانه فى تفصيل خبره فقال : **(انا مكنا له .. الخ)** أى مكناه من التصرف فى الارض بطريقة غير معهودة، وآتيناه من كل شىء يحتاجه فى تحقيق أغراضه ومقاصده مايوصله اليها من علم وقوة وحسن سياسة الى غير ذلك ٠ فاتبع الطريق الذى يوصله الى ما يريد ٠ **ثم كانت له ثلاث رحلات : الاولى الى جهة المغرب ، والثانية الى المشرق ، والثالثة الى الشمال ٠ أما الاولى** فسببها أنه كان فى **(ليديا)** أى **(الاناضول)** فى ذلك الحين شعب من اليونان ، حرض ملكهم بعضا منهم على الهجوم على بعض بلاد الفرس ، فرحل اليهم قورش ، واستولى على بلادهم وعاقب المسىء منهم المحرض على التعدى ، وأحسن الى الابرياء . **قال ابو الكلام :** لنضع خريطة الساحل الغربى لاسيا الصغرى أمامنا ، فسنرى بها معظم الساحل قد تقطع وكون خلجانا صغيرة ، لا سيما على مقربة من أزمير حيث اتخذ الخليج صورة عين ، ولما وقف قورش على الساحل ، وكان الماء قد انكدر وتغير قرب الساحل ، عند ذلك رأى الشمس وهى تغرب فى ماء هذه العين . فتراءى له كأنها تغرب فى بقعة كدرة من الماء ٠ ثم قال ، ان كل اللغات تعبر عن غربها وشرقها **(بمغرب الشمس)** و **(بمطلع الشمس)** ونجد فى كتب العهد القديم تعبيرات كهذه ، فمثلا فى صحيفة زكريا اصحاح ٨ آية ٧ نجد فيها **(يقول رب الجموع : انى أنجى شعبى من البلد الذى تطلع منه الشمس ، ومن البلد الذى تغرب فيه ٠ يريد بالاول بابل وبالثانى مصر لان بابل بالنسبة لفلسطين بلاد مشرق ٠ ومصر بالنسبة لها بلاد مغرب ٠**

(وجد عندها) المراد وجد قريبا من تلك العين على الشاطىء ٠

(قوما) كفارا تابعين لحكومة اليونان ، حاولوا الافساد كما تقدم سابقا .

(تتخذ فيهم حسنا) الحسن بضم الحاء وسكون السين أصله مصدر للفعل (حسن) بفتح فضم و (حسن) بفتحتين (يحسن ، بضم السين ، وأريد به هنا الامر المستحسن جدا حتى صار كأنه الحسن نفسه ، وهو دعوتهم الى الحق ، وارشادهم الى ما فيه صلاحهم فى الدين والدنيا ٠

(نكرا) المراد عذابا منكرا ، اى غير معروف عند الناس ، والمعنى أنه شديد لم يعهد له مثيل ٠ **(الحسنى)** أى المثوبة الحسنى وهى الجنة ٠

(وسنقول له) أى فيما نأمره به **(يسرا)** (أى تكليفا سهلا ذا يسر لا مشقة فيه ٠

(ثم أتبع سببا) المعنى ثم سلك طريقا عكس الاول يوصله الى المشرق ، والمراد أقصى بلاد الافغان شرقا عند مدينة بلخ ، وهى أجمل مدن خراسان ، ولو نظرنا فى الخريطة لوجدنا **(بلخ)** بمثابة الشرق الاقصى لايران ، لان الارض بعدها ترتفع وتكاد تسد الطريق ، فهى مناطق كانت تكاد أن تكون لا عمران فيها ، تقطنها قبائل بدوية ٠ **(على قوم)** لم يحدثنا القرآن عما حصل من هؤلاء القوم ، ولا عما فعله ذو القرنين بهم ، ولكن سيرته تنادى بأنه كان مصلحا لا يتحرك الا لدفع فساد أو جلب مصلحة ، ولذا قال المؤرخون عن هذه الرحلة ان هؤلاء القوم كانوا قبائل همجية صحراوية أخذت تعيث فسادا على حدود فارس الشرقية ، فلم يكن لذى القرنين بد من السير اليها لسلامة بلاده ، وحفظ نظامها ، فخرج اليها من جنوب فارس مارا ببلوخستان فكابل حتى وصل (بلخ) ٠

(لم نجعل لهم من دونها سترا) أى انهم كانوا قبائل رحالة لاتسكن المدن ولا تبنى بيوتا .

« كذلك » المعنى أمر « بفتح الهمزة وسكون الميم » ذى القرنين كما ذكرنا لك ايها النبى ٠

(وقد أحطنا بما لديه خبرا) المعنى أن علمه سبحانه بما لدى ذى القرنين من القوة والعدة الظاهر منها والخفى محيط بها جميعا ، **والمراد أن ما هىء لذى القرنين من أسباب النصر بلغ من الكثرة والاتقان حدا لا يعلمه غيره سبحانه ٠**

(ثم أتبع سببا) المراد ثم سلك طريقا ثالثا ٠

(بين السدين) يطلق السد على الجبل وعلى كل ما يحجز بين شيئين ، والمراد هنا الاول لان الجبل يسد فجاجا من الارض ، وستعلم فيما يأتى ان ما بين السدين هنا هى فجوة كانت فى جبال القوقاز ٠ **(من دونهما)** أى قبلهما المراد من جهة الجنوب الغربى **لهذين الجبلين (قوما لا يكادون يفقهون الخ)** أى انهم كانوا قبائل جبلية حرموا المدنية ، والعقل الكامل ، والفهم المعتاد ٠

(قالوا يا ذا القرنين) قال المفسرون انهم قالوا ذلك بواسطة مترجم يعرف لغتهم ولغة ذى القرنين ٠

(يأجوج ومأجوج) تضافرت الشواهد التاريخية على أنه كان فى السهول الشمالية الشرقية لاسيا قبائل همجية بدوية ، وأن هذه المنطقة كانت مهدا لعدد لا يحصى من هذه القبائل ، وكانت معينا بشريا تتدفق مياهه وتتجمع حتى اذا بلغت النهاية انصبت الى الغرب والجنوب طلبا للقوت ، ويقول المؤرخون ان

الجد الاعلى لهذه الشعوب يقال له (**أنجه خان**) وانه ولد له ولدان توءمان احدهما (**تترخان**) والثانى (**مغل خان**) فتكون منهما قبيلتان (**تتار**) و (**مغول**) ، نحو (**ربيعة**) و (**مضر**) فى الامة العربية فهما اولاد (**نزار**) بن (**معد**) بن (**عدنان**) فالتتر والمغول أولاد عم ، والتتر مرادف للترك عند الافرنج حتى أنهم يعدون قبائل الاتراك كلها تترا ، وهذه هى القبائل التى سميت فيما بعد يأجوج ومأجوج ، وهما كلمتان غريبتان اتخذتا صورة الكلمات العبرية وينطقهما اليونان (**غاغ**) و(**ماغاغ**)، وينطقهما غير اليونان بألفاظ أخرى، ولا زالتا يعتريهما التغيير حتى وصلتا الى (**يأجوج ومأجوج**) .

وقد ورد هذا الاسم لاول مرة فى كتب العهد القديم ، ففى التوراة فى الاصحاح العاشر من سفر التكوين عند ذكر خروج أمم العالم من ذرية نوح . وجاء فى أسفار الانبياء عدة مرات ، ففى صحيفة حزقيال اصحاح ٣٨ و ٣٩ جاء هذا اللفظ بصراحة عدة مرات ، وعرفهما العرب بهذا اللفظ من اليهود المجاورين لهم بالمدينة .

وفى سنة ٧٠٠ ق.م. ظهر شبح هذه القبائل وتسلل الى الجنوب فوجدوا فى جبال القوقاز المحصورة بين بحرين فجوة كبيرة تتوسط سلسلة تلك الجبال واذا تأملنا الخريطة نجد سلسلة جبال القوقاز تنتهى شرقا ببحر الخزر (قزوين) وغربا الى البحر الاسود ، فهى تعتبر حاجزا يسد ما بين البحرين ، فصارت تلك القبائل تتسلل من تلك الفجوة التى تتوسط سلسلة جبال القوقاز لتشن غاراتها على من بالجنوب ، **واستمرت على هذا الحال حتى ظهرت شخصية (قورش) سنة ٥٥٩ قبل الميلاد ، واشتهر فى العالم بعدله ، وحبه لدفع الاذى عن المظلومين ، فاستنجد به أهل تلك البلاد التى تعيش فى جنوب القوقاز لينقذهم من هجمات يأجوج ومأجوج فتوجه اليهم وبنى ذلك السد الذى تكون منه ومن جبال القوقاز سدا واحدا حصينا يمتد الى مئات الاميال ، وبذلك سدفى وجوههم المنفذ الذى كانوا يمرون منه فأخذوا يتلمسون طريقا آخر يوصلهم** للبلاد العامرة ، فبعد مضى ٢٥٠ سنة على سد ذى القرنين اتجهوا نحو الصين ، فبنى امبراطور الصين سدا عظيما يمتد آلاف الاميال ، بدأ فى بنائه بالحجر والجير فى سنة ٢٧٤ قبل الميلاد وأتمه سنة ٢٦٤ ق.م ، أى فى مدة عشر سنين ، ولما سد هذا الجدار حملات التتار على الصين توجهوا الى آسيا الوسطى ثانيا فوجدوا فى آخر سلسلة جبال القوقاز من الشرق سهلا منحدرا بين تلك السلسلة غربا وبين ساحل بحر الخزر (**قزوين**) شرقا عند بلد اشتهرت فى العهد القديم باسم (**داربند**) وسمتها العرب (**باب الابواب**) فأخذت تلك القبائل تنحدر من تلك البقعة الى الجنوب وتعيث فسادا فى شمال المملكة الايرانية ، عند ذلك بنى ملك الفرس كسرى انوشروان فى هذا المكان سدا عرف فيما بعد بسد (باب الابواب) بناه بالحجر والجير فى القرن السادس الميلادى فيما بين سنتى ٥٣٠ و ٥٧٩ وهى مدة حكمه ، وبهذا السد أمن أهل الجنوب من غارات يأجوج ومأجوج الى أن جاءت الطامة الكبرى بهجوم طوفانهم المدمر بعد أن مضى على آخر هجوم لهم نحو ٦٠٠ سنة ، وذلك أن سيلا من هذه القبائل تجمع فى بلاد منغوليا فى الشمال الشرقى لنهر سيحون فأخذ ينساب نحو الجنوب الغربى فى القرن الثانى عشر الميلادى (سنة ٦١٦ هـ) ، وهذا الهجوم سيأتى الكلام عليه فى المقال الثالث اثناء تناولنا الشرح آية اخرى تعرضت ليأجوج ومأجوج هى آية ٩٦ من سورة الانبياء .

ومما ينبغى التنبيه له هنا هو أن كثيرا من المؤرخين والمفسرين اشتبه عليهم أمر تلك السدود فوقعوا فى الخطأ الواضح ، ذلك أن بعضهم يقول ان سد ذى القرنين هو سد الصين العظيم ، والبعض الاخر يقول انه هو سد (باب الابواب) ، وغفل الجميع عن الفوارق الكثيرة بين سد ذى القرنين وبين هذين السدين .

فسد ذى القرنين له مميزات خاصة به كما جاء فى القرآن الكريم ، منها :

اولا : أنه بنى بين جبلين . وكل من سد الصين ودار بند (باب الابواب) ليسا بين جبلين ، اما الصين فظاهر أنه فى سهول مترامية الاطراف وهو موجود الى الان ، وأما سد (باب الابواب) فانه بين بحر الخزر كما علمنا مما سبق وبين طرف سلسلة جبال القوقاز من الشرق .

ثانيا : أن سد ذى القرنين سد فجوة وسط سلسلة جبال القوقاز ، وسد الصين يمتد نحو خمسة آلاف من الاميال فهو ليس فى مضيق بين جبلين ، وسد (باب الابواب) يمتد نحو ٣٠ ميلا بين جبل وبحر ، لا بين جبلين .

ثالثا : ان سد ذى القرنين بنى بالحديد وغطى بالنحاس كما سنعلم ولذلك سمى بالسد الحديدى ، وكل من سد الصين وباب الابواب بنى بالحجر والجير ولذلك سمى كل منهما بالسد الحجرى .

(**مفسدون فى الارض**) المراد فى ارضنا بالقتل والتخريب

(**خرجا**) اى جعلا من أموالنا

(**سدا**) اى حاجزا يمنعهم من الوصول الينا .

للحديث بقية

الوجدان العربي المشترك فى الشعر الحديث

الدكتور أحمد الحوفى

— ٣ —

ومن الحملات على الاستعمار قصيدة طويلة لمصطفى صادق الرافعى — من مصر — فى حرب طرابلس ، سخر فى بعض ابياتها سخرية لاذعة منوعة من ايطاليا ، وهو موفق فى هذه السخرية ، لانه يريد ان يدفع عن النفوس العربية ماقد يتسرب اليها من خور أو تهيب ، وتوعد الجيش الايطالى بسوء المنقلب . واستثار حماسة العرب ليثأروا لاخوتهم القتلى والجرحى والثكالى واليتامى ، منها قوله :

رميتمونا بجند لاثبات لهم
الا كما ثبتت للارجل الاكر
يارامى الشهب بالاحجار تحسبها
كالشهب هيهات ينسى طبعه الحجر
خاطوا لاجسامهم من نقعنا كفنا
فان أسيافهم فى حربها ابر
أسطولهم أم كلاب البحر تنبحنا
أم الضفادع قد ضجت بها الغدر
لابد من غضبة ان ثار ثائرها
على الشياطين من جن الفلا ذعروا
ثار اليتامى وثار الثاكلات وثأ
ر الخدر ينفى وثار العرض يشتهر
ياللرجولة من قوم اذا انفردوا
بالطفل يلعب ردوا الطفل يحتضر
ياللحفيظة من قوم اذا انفردوا
بالبائسات غدت اكفانها الازر
ياللمروءة من قوم اذا نظروا
للمستغيث بهم فى موته سخروا

٢ — فى بيروت

حينما كانت الحرب مشتعلة فى طرابلس بين العرب والايطاليين ، ضرب الاسطول الايطالى بيروت سنة ١٩١٢ ، فضج العرب ، وثار الشعراء ،

وقال شوقى قصيدة ، بكى فيها بيروت ، وحمل على ايطاليا ، وصور العرب الذين قتلتهم القنابل اسودا ماتوا غدرا فى غير معركة ، فليس لايطاليا ان تباهى بقتلهم ، لان الليث المقيد يسهل صيده ، اما الليث الطليق فان صيده عسير مرهوب .

وحزن شوقى على دماء الابطال التى سفكها الاعداء ، وصور لاثارة العرب هذه الدماء تسيل حول المساجد معابد المسلمين ، وحول الكنائس معابد النصارى ، وحول المدارس دور العلم لهؤلاء وهؤلاء، ولكن القافية اضطرته الى تصويرها تسيل ايضا حول البنوك .

وتمنى لو ان العمر امتد بأصحابها ليذودوا عن حماهم ، ويثأروا من عدوهم . ثم صور ابى المصريين مما نزل باخوتهم ممثلا فى الدمع السخين الذى لو استطاعوا ان يغسلوا به جراح لبنان لفعلوا ، ولكنه عبر عن المصريين بأنهم جيرة بيروت ، ولو انه قال اخوة لكان اكثر صوابا وتوفيقا :

بيروت مات الاسد حتف أنوفهم
لم يشهروا سيفا ولم يحموك
سبعون ليثا أحرقوا أو أغرقوا
ياليتهم قتلوا على ا طبروك ا
كل يصيد الليث وهو مقيد
ويعز صيد الضيغم المفكوك

يامضرب الخيم المنيفة للقرى
مانصف العجم الالى ضربوك
ماكنت يوما للقنابل موضعا
ولو انها من عسجد مسبوك
سالت دماء فيك حول مساجد
وكنائس ومدارس وبنوك
كنا نؤمل ان يمد بقاؤها
حتى تبل صدى القنا المشبوك
لك فى ربا النيل المبارك جيرة
لو يقدرون بدمعهم غسلوك

٣ — فى سورية

فى سنة ١٩٢٥ ثارت سورية على الحكم الفرنسى ثورتها الباسلة التى استمرت سنتين ، وهدمت فيها قرى كثيرة ، وضرب الفرنسيون دمشق بمدافعهم مرتين ، اولاهما كانت فى مايو سنة ١٩٢٥ والثانية فى اكتوبر سنة ١٩٢٦ ، حينما حدث ذلك التهبت مشاعر العرب ، ومجد شعراؤهم بطولات المجاهدين ، وبكوا دمشق ، ورثوا شهداءها .

وحسبنا ان نمثل ببعض ماحدث فى مصر ، فقد عقد المصريون فى يناير سنة ١٩٢٦ مؤتمرا استنكروا فيه عدوان فرنسا ووحشيتها ، والقيت فيه قصيدة لشوقى ، حيا فيها دمشق ، وجزع مما اصابها ،ومجد ماضيها وحاضرها ، وصور عزازتها ، وحزن لما احدثه الفرنسيون بآثارها الخالدة ، واستنكر وحشيتهم ، وحمل عليهم ، وندد بهم ، لانهم تنكروا لاصول ثورتهم التى زعموا انها كانت اول هتاف بالحرية والاخاء والمساواة ، وندد بطيش القائد الفرنسى ، لانه قائد غاشم ، كان حربا على فرنسا بما جنى ، وبما جر عليها من سبة وسوء سمعة وانذر فرنسا بأن السوريين لابد ان ينالوا حريتهم ، وبأن وحشيتها غذاء لحماستهم ، لان شهداء الجهاد خالدون ، وذكراهم تؤرث النضال .

وختم القصيدة بتشجيع السوريين على الجهاد ، ونصحهم ان يحذروا خداع فرنسا ، لانها تحاول ان تصرفهم عن الاستقلال بأوهام خداعة ، كالدولة السورية ، ولبنان الكبير ، ودولة جبل الدروز ، وحكومة العلويين ، وبألقاب توهم بالملك والسيادة وهى فى حقيقتها ذل واستعباد [١] وصور لهم الحرية حصنا لايقرع بابه الا المجاهدون المصبوغة ابديهم بدماء الجهاد .

ولقد غاظت القصيدة فرنسا ، فمنعت شوقى ان يزور بلاد المغرب التى كانت خاضعة لها حينئذ :

سلام من صبا بردى أرق
ودمع لايكفكف يادمشق
ومعذرة اليراعة والقوافى
جلال الرزء عن وصف يدق
وذكرى عن خواطرها لقلبى
اليك تلفت ابدا وخفق
وبى مما رمتك به الليالى
جراحات لها فى القلب عمق
الست دمشق للاسلام ظئرا
ومرضعة الابوة لاتعق
صلاح الدين تاجك لم يجمل
ولم يوسم بأزين منه فرق
وكل حضارة فى الارض طالت
لها من سرحك العلوى عرق [٢]

ثم ختم القصيدة بحض السوريين على الاتحاد وعلى الجهاد ، وقال :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

ولما ضربها الفرنسيون ثانية فى مايو سنة ١٩٤٥ بعد الحرب العالمية الثانية بكاها الشعراء ، مثل قول على الجندى — من مصر — فى التفجع عليها ، والسخرية بمؤتمر السلام حينئذ ، والدعوة الى التسلح لحماية الحق بالقوة :

تجمعتم من كل جنس وامة
ولون لحفظ السلم هل حفظ السلم ؟
وهل رفع الحق الذليل جبينه
وهل نحن بتنا لايروعنا الظلم ؟
والا فما بال الشام دماؤه
تسيل وانتم عن مناحته صم ؟
سمعنا كلاما لذ فى السمع وقعه
ورب لذيذ شاب لذته السم
اذا ساءت النيات كانت عهودكم
قصاصات اوراق وللغالب الحكم
هى الحال مازالت على ماعهدته
فويل لاقوام يغرهم الوهم
الا كل شعب ضائع حقه سدى
اذا لم يؤيد حقه المدفع الضخم

[البحث موصول]

[١] عمدت فرنسا الى الجزء الداخلى فقسمته فى سنة ١٩٢٠و ١٩٢١ الى اربع دول منفصلة هى : دولة دمشق ودولة حلب ودولة جبل العلويين ودولة جبل الدروز . فلما اعترضت عصبة الامم على ايجاد دولتين اسمهما جبل الدروز وجبل العلويين جعلهما الفرنسيين حكومتين مستقلتين داخليا ضمن الدولة السورية .

[٢] السرح : جمع سرحة وهى الشجرة العظيمة .

من أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها

فضيلة المستشار محمد خاطر

كان حديثنا السابق فى بيان نظرة الشريعة الاسلامية للمرأة وحقها فى المهر وآثار المغالاة فى ذلك وأدلة الشريعة فى النهى عن المغالاة .

واليوم نعرض لاقوال الفقهاء بشأن الحد الادنى للمهر بعد ان بينا فى مقالنا السابق أجماع العلماء على عدم وجود حد أعلى للمهر اذ لم يرد نص لا فى الكتاب ولا فى السنة لتقدير حد أعلى لا يمكن تجاوزه . كما قد بينا ما أتجهت اليه أحكام الشريعة ونصوصها فى النهى عن المغالاة فيه .

وقبل ان نذكر اختلاف الفقهاء فى بيان الحد الادنى للمهر ، نرى ان من المناسب هنا ان نشير أشارة عابرة (سنرجع اليها بالتفصيل فى موضوع مستقل خاص بالعقود) هذه الاشارة هى ان الشريعة الاسلامية لم تنظر الى الزواج النظرة المالية التى لاحظتها فى عقود المعاوضات، بل نظرت اليه نظرة خاصة، وذلك لان عقد الزواج هو العقد الذى تقوم على أساسه الاسرة ومنها يتكون المجتمع ، فاذا ماقامت الاسرة على أساس روحى من الود والتآلف والتعاون . بعيد عن المادة وشوائبها وأغراضها نشا المجتمع المترابط المتكافل المتعاون ، كما يوجد العكس حين يكون الهدف غير ماأشرنا .

ولهذا نرى ان احكام الشريعة قد اشترطت فى عقود المعاوضات ضرورة ذكر العوض وبيانه فى العقد ، لكنها فى عقد الزواج لم تنظر اليه هذه النظرة المادية فلم تشترط وجوب ذكر المهر فى صيغة العقد ، وماكان ذلك الا لان المهر قد شرع لا بانة شرف العقد وأظهار خطره ، ولم يشرع بدلا كالثمن فى المبيع والا لوجب تقديم تسميته فى العقد ولما صح العقد بدون ذكره ، فى حين ان عقد الزواج يصح بدون دكر المهر ودون تسميته له وماكان ذلك الابناء على ماروؤى من الزواج لا يؤخذ فى مفهومه المال كجزء فالمهر حكم العقد ولا يشترط لصحة العقد التنصيص على حكمه فى صيغته . كالملك لا يشترط لصحة البيع ذكره « انظر جـ ٢ شرح فتح القدير باب المهر » .

هذا ومن نصوص الفقهاء وما اعتمدوا عليه من أدلة نراهم يقررون على الاساس المذكور ان المهر ليس ركنا فى الزواج ولا شرطا من شروطه بل هو حكم من احكامه المترتبة عليه بعد تمامه على نحو ما أشرنا ، فيصح عقد الزواج وتنتج عنه آثاره وان لم يسم فيه المهر أو سمى فيه تسمية غير صحيحة ، وكذلك اذا نفى الزوجان المهر فى العقد كما اذا اشترطا الا مهر للزوجة فالعقد صحيح عند الحنفية والشرط باطل خلافا للامام مالك اذ يرى انه عقد معاوضة ملك المتعة بملك المهر فيفسد ذلك بنفى العوض، ويرى الحنفية انه يجب فى كل الصور المذكورة (عدم التسمية او التسمية غير الصحيحة او نفيه) . مهر المثل لان ذلك هو الموجب الاصلى للعقد ، وقد قام المهر المسمى فى العقد بين الطرفين تسمية صحيحة مقام مهر المثل بتراضى الطرفين واتفاقهما .

والدليل على أن المهر حكم من أحكام الزواج الصحيح وليس ركنا ولا شرطا فيه قوله تعالى « **لا جناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة** » فالاية الكريمة تدل على أن الله جل شأنه نفى الاثم والجناح عمن يطلق زوجته التى لم يدخل بها ولم يفرض لها المهر فى العقد والمعروف ان الطلاق لا يكون الا من زواج صحيح . وذلك يفيد ان عقد الزواج الذى لم يفرض فيه المهر يكون صحيحا بدون تسمية المهر ويرد عليه الطلاق - ولو كان ذكر المهر ركنا فى الزواج او شرطا لصحته لما صح العقد بدون تسمية المهر .

ويدل على ذلك ايضا ماروى ان عبد الله بن مسعود سئل عن امرأة مات عنها زوجها ولم يكن قد فرض لها

مهرا ولا دخل بها ، فقال ابن مسعود اقول فيها برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان . ارى ان لها مثل صداق نسائها لا وكس ولا شطط (لا نقص ولا زيادة) وعليها العدة ولها الميراث . فقام معقل بن سنان الاشجعى فقال . قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بروع بنت واشق امرأة فيا مثل الذى قضيت ، فسر ابن مسعود سرورا لم يسر مثله قط بعد اسلامه لموافقة قضائه قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم قال الترمذى حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح وقد روى عنه من غير وجه .

واذا كان الامر كذلك والمهر ليس شرطا ولا ركنا فى صحة عقد الزواج بل يصح العقد بدون ذكره وللزوجة مهر المثل . فانه قد وضح كذلك ان المهر هو حكم العقد وجب لحق الشرع واظهار خطر العقد ، فلا يملك الطرفان اسقاطه قبل تقرره بالعقد لان ذلك اسقاط لحق الشرع ولا يملك الانسان ذلك - اما بعد ان يتقرر المهر بالعقد ويصير حقا للزوجة لها أن تسقطه عن زوجها بابرائها له وهى فى هذه الحالة انما تسقط حقها .

ومن هذه النظرة وذلك العمق فى التشريع ومداه يمكنك ان تعرف مقدار اهمية عقد الزواج ومقدار احاطة الشريعة الغراء له بالعناية والرعاية كما يترتب على هذه النظرة وان وجوب المهر ابتداء هو حق الشرع لا يملك أحد ابطاله : انه لا يملك احد الطرفين تغيير هذا المشروع فلا يمكن ان يتفقا على ان المهر يجب على الزوجة للزوج لان فى ذلك قلبا للاوضاع المقررة المشروعه على نحو ما أوضحنا - هذا وان كانت الزوجة تملك بعد ان يتقرر لها المهر فى ذمة الزوج ان تتنازل عنه وأن تهبه له الى غير ذلك من التصرفات التى تباشرها فى حقها وملكها لما أسلفنا .

وعلى هذا الاساس يمكن النظر بعد ذلك الى ماورد من أحاديث ونصوص تدل على مقدار الحد الادنى للمهر دون مراعاة للقيمة المالية لهذا الحد مادمنا قد عرفنا نظرة الشريعة الغراء الى شرف العقد وسموه وخطره غير آبهة لاى مقدار من المال - واليك ماورد من أحاديث وأخبار فى هذا الموضوع .

عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة فقال ماهذا ، قال يارسول الله انى تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب ، قال بارك الله لك او لم ولو بشاة . متفق عليه واللفظ لمسلم

وقيل ان النواة من ذهب عبارة عما قيمته خمسة دراهم الورق ، ونقله عياض عن أكثر العلماء ويؤيده ان فى رواية البيهقى وزن نواة من ذهب قومت خمسة دراهم من الورق ، ونقله عياض عن أكثر العلماء ويؤيده ربع دينار ، والحديث دليل على أنه يدعى للعروس بالبركة ، وقد نال عبد الرحمن بن عوف بركة الدعوة النبوية حتى قال لقد رأيتنى لو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب ذهبا او فضة . رواه البخارى عنه فى آخر هذه الرواية .

وفى حديث سهل بن مسعد مايدل على ان الصداق يكون اقل من ذلك بكثير . عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال زوج النبى صلى الله عليه وسلم رجلا امرأة بخاتم من حديد أخرجه الحاكم ، وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم أمر من خطبها ان يلتمس ولو خاتما من حديد فلم يجده فزوجه أياها على تعليمها شيئا من القرآن .

وعلى ضوء الاحاديث والاخبار جعل بعض الفقهاء حدا ادنى للمهر لا ينقص عنه ولا يسمى مادونه والبعض الاخر لم يعتبر للمهر حدا أدنى بل كل مايصلح عليه اسم المال يصلح ان يكون مهرا . هذا وقد اختلف الذين جعلو حدا أدنى فى مقدار هذا الحد .

فذهب الحنفية الى ان مقداره عشرة دراهم اى مايساوى بالعملة المصرية ٢٥ قرشا خمسة وعشرين قرشا وحجتهم فى ذلك ماروى عن عمر وعلى وعبد الله بن عمر أنهم قالوا لا يكون مهر أقل من عشرة دراهم . وايضا قد ذكروا فى هذا ماروى جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا مهر أقل من عشرة دراهم ومن رأى من الفقهاء عدم التحديد او الاخذ بهذا القدر لم يأخذ بحديث جابر لما اورده فى سنده ، اما المالكية . فانهم يرون ان اقل المهر ربع دينار لان عبد الرحمن بن عوف تزوج على وزن نواة من ذهب وهو يساوى ربع دينار .

والشافعية لم يعتبروا للمهر حدا أدنى وقالوا ان كل مايصدق عليه اسم المال يصلح ان يكون مهرا قل او كثر لقوله تعالى « **ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين** » ولقوله صلى الله عليه وسلم لمن اراد ان يتزوج التمس ولو خاتما من حديد - والى لقاء ان شاء الله فى أحاديثنا المقبلة فى رياض آداب الشريعة واحكامها

من قصص السنة المحمدية

ان مجالس العلم هى مواطن السكينة والرحمة، **ومهبط ملائكة الله سبحانه وتعالى، ففيها تشع الروحانية وبها تتصل الارض بمدد السماء، وأهل العلم المخلصون له لا يضيع بينهم رجاء، ولا يشقى لهم جليس وحسبهم ان الله يذكرهم فيمن عنده من الملأ الاعلى حيث الطهارة والصفاء، والقداسة والنقاء •**

وفى هذا الحديث الشريف قصة هؤلاء النفر الثلاثة الذين تباينت اذواقهم تجاه العلم كما وضح الرسول صلى الله عليه وسلم: فكان منهم الشغوف المولع، والمتأدب المستحى، والمعرض الذى اعرض الله عنه • : **قال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا اسماعيل قال حدثنى مالك** عن اسحاق بن عبد الله ابن ابى طلحة ان ابا مرة مولى عقيل بن ابى طالب اخبره عن أبى واقد الليثى **ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد والناس معه اذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد قال فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما احدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها وأما الاخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا**

سعادة الناس فى طلب العلم

فضيلة الشيخ
محمود أحمد هاشم

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا اخبركم عن النفر الثلاثة اما احدهم فأوى الى الله فآواه الله • واما الاخر فاستحيا فاستحيا الله منه • واما الاخر فأعرض فأعرض الله عنه •

وفى هذا الحديث الشريف صورة واضحة لمكانة العلم وأهله، ومنزلة اهله عند الله سبحانه وتعالى، وبيان واضح لما يجب ان يكون عليه المسلم من رغبة فى العلم، واقبال صادق على الله سبحانه •

وتلك صورة من صور العلم المتلألئة بالنور، النابضة بالرحمة، فى مجالس رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فهاهو ذا جالس فى المسجد والناس معه يتدارسون، وينتفعون ويتبركون حيث تنزل عليهم السكينة وتحفهم الملائكة، وتغشاهم الرحمة، ويذكرهم الله تعالى فيمن عنده، وأى مجلس اعظم وأكرم من هذا المجلس الذى التف فيه الصحابة واجتمعوا ليتعلموا العلم ممن نزل عليه الوحى ويأخذوا تعاليم الاسلام من رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام انه نقاء يفيض بالنور والامل ويشرق بالروحانية والرجاء •

وبينما هم فى مجلسهم هذا اذ مر عليهم ثلاثة نفر أقبل اثنان منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى احدهما فرجة فى الحلقة فجلس فيها وجلس الاخر خلفهم، اما الثالث فأدبر ذاهبا •

وبعد ان انتهى الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **الا اخبركم عن النفر الثلاثة ؟**

واخذ يوضح لاصحابه رضوان الله عليهم موقف كل واحد منهم ليكون على بينة من الامر:

اما أحدهم: فأوى الى الله فآواه الله اى انه قد لجأ الى الله او انضم الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى ينضم الى مجلس رسول الله انما هو ملتجىء الى ربه طالب الرضا منه، راغب فى رحمته، ملتمس منه العفو والمثوبة، والمغفرة والرضوان، «فآواه الله» اى جازاه بنظير فعله فضمه الى رحمته ورضوانه وجعله محل بره واحسانه •

وهكذا من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة •

ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين، لان مناط الخير والسعادة فى الدنيا والاخرة انما يكون على اساس من الدين صحيح وما ليس كذلك فلا قيمة له، ولا سعادة ترجى من ورائه: فالمال، والجاه، والمنصب وكل ما يصيبه الانسان فى هذه الحياة ان كان على أساس صحيح من دينه وجاءه عن طريقه الشرعى السليم فهو نافع وناجح يباركه الله ويدرك صاحبه به الخير حيث فقه امور دينه فاخذ حياته على منهجه وبنى دنياه على أساسه فوقف على مكانة رفيعة من تقوى الله سبحانه التى هى أس السعادة [illegible] السعادة نفسها كما يقول القائل: **ولست أرى السعادة جمع مال .. ولكن التقى هو السعيد** [illegible] ان الذى آوى الى رحاب العلم والدين وفقه [illegible]

الله له انما هو انسان يعرف ربه يقين المعرفة ، ويتقيه حق تقواه ، ويعبده على مبدأ واضح يعرف الحق حقا فيتبعه ويأمر به ، ويعرف الباطل باطلا فيجتنبه وينهى عنه « **انما يخشى الله من عباده العلماء !**

واما الاخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، اى انه ترك المزاحمة حياء من النبى صلى الله عليه وسلم ومن اصحابه الحاضرين فرحمه الله ولم يعاقبه وعامله بالمعروف معروفا وبالخير خيرا واعطاه من عنده الجزاء الاوفى وهذا الذى جلس حيث انتهى به المجلس حياء انما استحق هذا التكريم العظيم والثناء العاطر لانه راعى حرمات العلم ، وصان حقوق المجلس وحافظ على آداب الطالب وعظم امر نبيه ومكانته فكوفىء بالرحمة من ربه ، والعطف منه ، والكرم الوافر الجزيل ولا عجب فالحياء خير كله ، **والحياء شعبة من الايمان** •

واما الاخر فاعرض فاعرض الله عنه اى سخط عليه لانه ذهب معرضا بلا عذر ، ويحتمل ان يكون منافقا واطلع النبى صلى الله عليه وسلم على امره ، ومثل هذا المعرض يكون بعيدا عن الخير غير اهل لتلقى رحمات ربه وفيوضاته ، لان فى اعراضه هذا بعدا عن موطن الرجاء وشرودا من حظيرة الخير والرحمة فاستحق سخط الله سبحانه •

وفى حديث آخر يبين النبى صلى الله عليه وسلم معادن الناس ، ومشارب نفوسهم وانهم اشكال مختلفة ، وانماط متباينة ، وفيهم نماذج للخير والشر ، والفضيلة والرذيلة فمن بينهم من ينتفع بما جاء به دينه ، وما دعاه اليه رسوله وفيهم من لم ينتفع بذلك ولم يستجب لشىء من هذا •

عن ابى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكان منها نقيه قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، واصابت منها طائفة اخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم : ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به •

ومن اجل هذا الفضل الوافر حث النبى صلى الله عليه وسلم على تبليغ العلم ونشره بين الناس وان يبلغ الشاهد الغائب •

عن ابى بكرة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم قال ، **فان دماءكم واموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب** كما حذر صلوات الله وسلامه عليه من الكذب عليه وانه خطر أى خطر فى دين العبد ان يتقول على رسوله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم « **لا تكذبوا على فانه من كذب على فليلج النار** •

وقال انس : انه ليمنعنى ان احدثكم حديثا كثيرا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من تعمد على كذبا فليتبوأ مقعده من النار

وهكذا نرى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه رغب فى تعلم العلم ، والوقوف على أسراره ومعانيه ، وأن له مكانة دونها كل مكانة ، ويكفى أن العالم على جانب عظيم من خشية الله سبحانه ، فهو دائما وابدا يراقب مولاه الذى خلقه وسواه ومنحه العقل وامكنه به ادراك العلوم والمعارف :

« **الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان** » ، كما حث على تبليغه ونشره ودعا بالنضرة لمن سمع شيئا فبلغه : **نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ اوعى من سامع**

ومن اجل هذه المكانة الجليلة كان على العلماء ان يحرسوا تراث السماء ذلك الوحى الالهى الذى انزله الله سبحانه على نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم وكان الجزء الاول والاكبر من هذا الوحى – وهو القرآن الكريم – منقولا بالتواتر الذى لا يعتوره نقص ولا يرتاب فيه انسان : « **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ! بل ان الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ كتابه ووحيه كما قال تعالى :

« **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » وكان الجزء الثانى وهو السنة المطهرة على صاحبها افضل الصلاة والسلام – جاءت مبينة ومفصلة لما جاء فى القرآن الكريم ، وهى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم لانها وحى من الله كذلك على لسان نبيه ، « **وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى** » •

ولما لم يجد اعداء هذا الدين طريقا للنيل من القرآن الكريم ، او محاولة التبديل والدس فيه لما تقدم ، وجهوا سهام طعنهم ، وسموم عدائهم للسنة الشريفة بالدس والوضع وتصدى لحركاتهم الزائغة رجال الاسلام الذين زادهم الله هدى من أول زمن ظهر فيه هذا الزيف فحصروا أسماءهم فى قوائم الوضاعين ، وانبرى رجال السنة الكرام يعنون بتمحيص الاخبار ، والدقة فى الوقوف عليها وتنقيتها والتثبت منها وكان « الاسناد » الذى هو من خصائص هذه الامة المحمدية ، وكان الاشتغال بمدارسة العلم شرفا اى شرف فى دنيا العبد واخرته • فكان الذى يأوى الى رحاب العلم انما يلجأ الى ركن الله الشديد فيرعاه الله ، ويكلاه بعنايته الكاملة ، كما ينبغى على طالب العلم ان يتحلى بالاداب الحميدة ، والتواضع الجم ، والحياء المحمود وكان الذى يشرد عن حظيرة العلم ، ويند عن طريقه السوى وهو يرى نوره المشرق وروحانيته الخالصة انما هو انسان معرض عن الخير ، فكان جديرا ان يعرض الخير عنه •

تلك هى المعانى النبيلة التى يجدر بالمسلم ان يتحرى طريقها : ويتعرف على مواطن الكمال فيها مستوصيا فى كل خطاه بالحق وبالصبر والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

براعة الاستهلال
وروعة الأساليب
فى فواتح سور القرآن

فضيلة الدكتور
عبد الغنى الراجحى

نحن الان وفى هذا المقال أمام نوع جديد طريف من أنواع الاساليب التى أفتتحت بها سور القرآن الكريم . ونعنى به هذا النوع الذى جاء بأسلوب الخبر والجملة الخبرية ، فاذا كنا فى مقالات سابقة قد تعرضنا لانواع كثيرة ، من هذه الفواتح التى جاءت بأسلوب الانشاء ، من الامر والشرط والنداء والقسم والاستفهام ونحو ذلك فاننا نريد اليوم ان نتعاطى النظر والدرس للفواتح التى جاءت باسلوب الخبر والجملة الخبرية ، فان علماء البلاغة اذا كانوا قد قسموا الكلام — أى كلام — الى نوعى الانشاء والخبر ، فان القرآن من حيث هو ديوان العربية الاكبر ، قد جاءت فواتح السور فيه بالطريقتين والنوعين .

واذا كان علماء البلاغة يعرفون الخبر والاسلوب الخبرى بأنه ، ما يخبر به عن معان خارجية يحكم بثبوتها ان كانت حاصلة او بنفيها ان كانت غير حاصلة ، ويصح أن يقال لقائله انه صادق فيه أو كاذب ، فان ذلك هو القدر المشترك الذى يكون فى أى خبر من الاخبار ، وهو أقل قدر يتحقق به معنى الخبر ، لكن الحق والواقع ان الحال بعد ذلك يختلف اختلافا شديدا ، من خبر الى خبر ، ومن كلام لاخر ، ومن معنى لاخر ، فمن أخبار تافهة لاتستحق ان تحظى بشرف ذكرها ، لا فحولة فيها ولا جزالة ، ولا قدر لها ولا خطر ، ولا محصول وراءها ولا أثر ، تسمع فتمج ، وتذكر فتقابل بالفتور والاعراض ، لا يرفع السامع لها رأسا ولا يلقى لها بالا ، الى أخبار أخرى لها أهميتها معنى واسلوبا وموضوعا ، وفحولة وجزالة ، وأخذا بمجامع القلوب ، تقرع الاسماع فتتلقاها بالقبول والاهتمام ، وتستحوذ على المشاعر لما تتضمنه من الانباء ذات القيمة ، والحقائق الجليلة القدر ، التى تسترعى الانتباه ، ويهتز لسماعها كيان الانسان كله تقديرا لها واهتماما بها واقبالا عليها من مفرق رأسه الى أخمص قدميه

هذا بحذافيره ، وأكثر منه ، هو الذى جاءت عليه الاساليب الخبرية فى فواتح سور القرآن ، فانها كلها جاءت بأساليب وحقائق ومعان لا عهد لوجه الارض ولا لاهل الارض بها ، ولا يستطيع جن ولا انس ان يتأتى او يتهيأ لممارستها والنطق بها ، والعلم التام بما فى مطاويها ومضامينها ، من الحقائق العليا التى لا يتاتى تمام الاحاطة بها الا لعلام الغيوب ، اساليب فذة بارعة ، من حيث التعبير والتصوير وطريقة الاداء والفصاحة والبلاغة ، فى مطاويها ومضامينها معان وحقائق فذة عجيبة وخارقة للعادة ، تاخذ بنفس السامع الى عوالم لا تنتهى من التامل والدهشة والاضطراب والحيرة من هيبة وجلال ما يسمع ، يصدر ذلك كله عن متكلم لا يتطرق اليه فى صدق حديثه خلجة شك ، او بادرة تكذيب .

من ذا الذى دون الله ، يستطيع أن يخبر بما اخبر

به سبحانه وتعالى ، روعة ومهابة وصدقا وجلالا ، فى مثل قوله الكريم فى فاتحة سورة القارعة ، بل فى السورة كلها « **القارعة ، ماالقارعه ، وما أدراك ما القارعه ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث : وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، واما من خفت موازينه فأمه هاوية وما ادراك ماهيهنار حامية .**

الحديث والخبر من الله عن القارعة التى هى الساعة والقيامة واليوم الاخر ، ابتدأ بها الجملة الخبرية ، وسماها القارعة لانها تقرع القلوب والاسماع والنفوس بهول مافيها من اهوال ومشاهد ، والقرع هو الضرب الشديد ، بحيث يحدث منه صوت شديد ، وما من شىء من الكائنات الا وهو مقروع مضروب فيها ، منتقل من حال الى حال ، ومن صورة الى صورة ، جميع الاجرام علويها وسفليها ، السماء بالانشقاق والانفطار ، والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار ، والارض بالزلزلة والرجفة ، والجبال بالدك والنسف ، والخلائق بصعقها عند النفخة الاولى ، وقيامها من القبور عند النفخة الثانية ، فالقارعة ، مبدؤها النفخة الاولى ،ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق ، اما الى جنة ، واما الى نار .

بعد ان وقع لفظ القارعة مبتدأ وقع الخبر عنه بجملة خبرية فى صورة استفهام مقصود به التهويل والتفخيم فقيل « ما القارعة » ، أى شىء هىفظاعه وهولا ؟ فيصير الكلام . القارعة ما افظعها وما اخطرها ، ثم اشار الكلام الى قصور الافهام عن ادراك حقائقها كما هى عليه ، والتمس الاعذار والاسباب فى كون المخاطب لايدرى : ماالقارعةعلى حقيقتها ولا يستطيع ان يدرك تمام الادراك مافيها من الهول والفزع فقال ؟ وما ادراك ماالقارعة فهو تأكيد لهولها وفظاعتها ببيانخروجها عن دائرةعلوم الخلق : فعظم شأنها ومدى شدتها ، **بحيث لا تكاد تناله دراية أحد من الخلق ما داموا فى الدنيا .ولعلهم يدرون ذلك عند معاينتها فى الاخرة : فالناس نيام اذا ماتوا انتبهوا : ولما كان ذلك كله مشعرا بأنه لا يتأتى لاحد من الناس علم شىء من أحوالها الا باعلام من علام الغيوب ، استرسلت الايات فى شرح شىء من احوالها وأهوالها ، فقالت « يوم يكونالناسكالفراش المبثوث » يشبه الناس فى هذا اليوم الفراش المبثوث المفرق المنتشر ، يشبهونه فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتهافت والتطاير الى الداعى كما يتطاير الفراش نحو النار ، على نحو ما قال فى موضع آخر « يوم يدع الداع الى شىء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » .**

« وتكون الجبال كالعهن المنفوش » والجبال التى **يضرب بها المثل فى الصلابة والثبوت والقوة** وجعلها الله للارض اوتادا رواسى شامخات ، تصير **فى الرخاوة والتهافت والتطاير فى الجو والخفةفى** الوزن ، كأنها صوف مندوف ، مضروب بالمضارب ، متطاير فى الجو يميل به الهواء حيث يميل ، ويقول علماء اللغة ، ان العهن هو الصوف المتعدد الالوان المختلف فيها من ابيض الى اسود الى احمر ، وبذلك ومن هذا المنطلق اللغوى نستطيع أن ندرك ونقرر أن الجبال فى تطايرها تكون محاكية لالوانها الاصلية التى كانت عليها وهى قارة فى الارض ، هذه الالوان التى ذكرت صراحة فى قوله تعالى فى سورة آخرى « **ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود** » فالذىيراهاوهىمتطايرة ، لايشك فى انها هى الجبال التى كانت قارة وراسية ، فلله در القرآن ، كيف اختار لفظ « العهن » بدلا من لفظ « الصوف » ليدل على هذه المعانى الغزيرة التى ذكرت بغزارة فى موطن أخر منه ، حتى تكون معانيه وآياته متكاملة يفسر بعضها بعضا ، ويصادق بعضها بعضا ، « **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** » والذى يبدو ، أن ذلك المشهد المثير للجبال سوف يكون عند النفخة الثانية حسبما يفيده قوله تعالى فى موطن آخر « **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا . فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ، يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له : وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ... وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما** »

لم تكن القارعة من أحوالها وأهوالها الا ايذانا بأمر عظيم ومقدمة لنتيجة حتمية هى الوزن الحق والقضاء العادل والفصل بين الناس ، فالناس وان اشتركوا وتساووا فى المقدمات فسوف يفترقون وينقسمون وتختلف احوالهم فى النتائج « **فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية** » الموازين جمع موزون ، والمراد بالموزون العمل الذى له وزنه وقيمته وثقله ورجاحته عند الله ، وانما تثقل هذه الموزونات بكثرتها وعلو قيمتها ، وقيل ان الموازين جمع ميزان ، وثقل الميزان يراد به امتلاؤه بالاعمال الصالحة ، قيل ذلك كله ، كناية عن العدل والقضاء السوى لان الميزان الحسى لا يزن الا ما كان من قبيلالاجرام واعمالالعباد اعراض لا اجرام وقيل ان الاعمال تأتى يوم القيامةعلىصورة اجرام وايا ما كان فالذىثقلت موازينه يصير فيكونفى جنة الله ، فى عيشة راضية ، مرضية يرضى بها صاحبها ، ويحمد ربه عليها ، لما يلقى فيها من النعيم المقيم .

مقابل ذلك وقسيمه ونقيضه ، الذى خفت موازين أعماله الصالحة ، فامه التى تحتضنه ويأوى اليها ، ويلتمس الرفق والحنان فى اعطافها ، هاوية يهوى فيها « وأما من خفت موازينه فأمه هاوية » ولما فى هذا التعبير من تهكم وغرابة ومفارقة لاذعة ، كان لابد من

ايضاح الحقيقة المرة ، وبيان أن هذه الام ، ليست كالامهات اللاتى من شأنهن العطف والحنان ولكنها أم عجيبة غريبة ، فقبل عنها توضيحا لها بطريق الاستفهام أولا للابهام والتهويل « وما ادراك ما هيه ! ثم بالجواب ثانيا على هذا الاستفهام بقوله تعالى « نار حامية » والبيان بعد الابهام من أعلى أساليب البيان ، لما يثيره الابهام فى نفس السامع من الشوق الى البيان ، فاذا سبق البيان بعد ذلك ، تمكن فى النفس أفضل تمكن .

وبعد هذا الختام الرائع للسورة الكريمة ، نعود الى أمعان النظر فيها مرة أخرى لنجدها بنظرة شاملة ، وحدة واحدة متكاملة مترابطة متناسبة : فى المعانى والعبارات والالفاظ وطرق الاداء : والفواصل والاجراس الصوتية .

فاذا كان افتتاحها بهذا اللفظ الشديد الجرس ، الموحى المعبر المفزع « القارعة » فان اختتامها جاء بهذا اللفظ الذى هو مثل اعلى فى التفزيع والتخويف « نار حامية » : ان السورة مكية وأهل مكة غلاظ الاكباد قساة القلوب ، فليخاطبوا بما يناسب حالهم .

واذا كان لفظ القارعة قد جاء فاتحة للسورة ، فانه قد ذكر فيها ثلاث مرات ، الاولى « القارعة » تقع وحدها آية ، ثم فى الاية الثانية مستفهما عنها استفهام تفخيم وابهام « ما القارعة » ثم فى الاية الثالثة مستفهما عن العلم بها استفهام تعجيز وتهويل « وما ادراك ما القارعة » .

واذا كانت القارعة وقعت ثلاث مرات فاصلة لثلاث ايات فيها التهويل والابهام والتفخيم للقارعة ، فاننا نجد أن الفاصلة انتقلت الى وزن جديد لما انتقلت الايات الى معنى جديد هو البيان بعد الابهام ، بيان بعض احوال القارعة ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، فيكون ذلك من تنويع الفواصل لتنوع المعانى وكثيرا ما يكون ذلك هو المناط فى تبدل فواصل السورة الواحدة من وزن الى وزن .

واذا كان الناس كلهم مجموعين على حكم واحد وحال واحد فى هذه المعانى التى يشاهدونها والاهوال التى يلامسونها ،فان السورة قد ذهبت بعد ذلك تقسمهم وتفرق بينهم فى الحكم ، بفاصلة جديدة ايضا للاشارة الى هذا المعنى الجديد ، فقالت فى القسم الاول وحكمه « **فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية** » وقالت فى القسم الثانى وحكمه من نفس الفاصلة فى الالفاظ والتركيب ، وتقابل الضدية فى المعانى والالفاظ ، « **وأما من خفت موازينه فأمه هاوية** » والضد فى مقابل الضدابين واوضح لكل منهما ، والضد أقرب خطورا بالبال الى ضده ، **وهى** صنعة بديعية بلاغية يزداد بها الكلام البليغ رصانة

واحكاما وتجاوبا نفسيا ، تتطابق به البلاغة مع ما هو مقرر فى الغرائز والطباع ، تطابقا يرينا ما بين البلاغة وعلم النفس من روابط وصلات ، لايكاديذكر القرآن الكريم فى آياته وسوره احوال المؤمنين المهتدين اهل اليمين اصحاب السعادة والجنة والنعيم ، الا وهو يذكر بجوارهم احوال أضدادهم الكافرين الضالين أهل الشمال اصحاب الشقاوة والنار والجحيم ، كأنما تقول هذه الصنعة والطريقة .

امامك فانظر أى نهجين تنهج

طريقان شتى مستقيم واعوج

واذا كان استفهام الابهام والتفخيم للقارعة فى أول السورة فى قولها « **وما ادراك ما القارعة** ! ثم كان البيان بعد الابهام فى قولها « **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش** » ، فقد جاءت هذه الطريقة بنفسها فى الحديث عن الام والهاوية ، فى نهاية السورة ، ليكون ردا للعجز على الصدر فى الاساليب والعبارات ، فنراها تقول استفهاما وابهاما « وما ادراك ما هيه » هكذا بالحاق هاء السكت للضمير « هى » ليتم تناسق الفواصل فى موسيقاها وآجراسها الصوتية ، ثم يكون بيان هذا الابهام بقولها « نار حامية » .

ان الصورة الذهنية التى توحى بها الاية الكريمة « **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** » لا تخلو عن أن يكون فيها ادراك معنى الثقل فى لفظ الجبال ، من حيث هى جبال جعلها الله أوتادا للارض رواسى شامخات ، ثم ادراك معنى الخفة والتفاهة فى الصوف المندوف المتطاير فى الهواء ، أفلا يكون من ذلك بشقيه ومتقابليه ، مناسبا فى الصور الذاتية للشقين والمتقابلين المذكورين عقب ذلك مباشرة فى قوله تعالى ، **فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية، وأما** من **خفت موازينه فأمه هاوية** .. ؟ . بلى . ويكون ممهدا ومرشحا له ومعينا على ادراكه وفهمه ، تحسينا للثقل فى الوزن وترغيبا فيه ، وتقبيحا للخفة فى الوزن وتنفيرا منها ، ان الكفة الراجحة الثقيلة الوزن تقر وتثقل كما تقر الجبال وتثقل فوق ظهر الارض ، اما الكفة الشائلة الفارغة الخفيفة الوزن فانها تتحامق متطايرة الى اعلى ، ان السنبلة المليئة الحب تتدلى برأسها ثبوتا وثقلا ، أما الفارغة **فانها تشرئب برأسها خفة وزن وحقارة قيمة : فلا عجب اذن** أن يكون ثقل الوزن مدحا وخفته ذما وقدحا ، وأن يكون ثقيل الوزن الذى ثقلت موازينه هو رفيع القدر عند الله فى عيشة راضية ، وأن يكون خفيف الوزن الذى خفت موازينه هو وضيع القدر عند الله يصلى نارا حامية . وأن يكون هذان التعبيران فى السورة الكريمة من جوامع الكلم ، لاشتمالهما فى ألفاظهما القليلة على معان كثيرة ، لا يقادر قدرها ولا يحصى عددها ، والله باسرار كتابه أعلم ، يقول الحق وهو بهدى السبيل .

قاعدة وضع الجوائح

لو بعت من أخيك تمرا فأصابته جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا . بم تأخذ مال أخيك ؟ »حديث شريف

الدكتور محمد سلطان

قاعدة وضع الجوائح فى عقود المعاوضة فكرة اسلامية أصيلة تهدف الى معالجة موضوع تلف المعقود عليه بجائحة قبل تمام قبضه .

والجائحة يعرفها ابن تيمية بأنها الآفة السماوية التى لا يمكن معها تضمين أحد ، كالهلاك بسبب الريح والبرد والحر والمطر والجليد والصاعقة ونحو ذلك ..

وتستند قاعدة وضع الجوائح الى الاسس العامة فى التشريع الاسلامى والتى تقضى بالتيسير ورفع الحرج والمشقة فى التكاليف ، ووجوب تحقيق مصالح الناس جميعا فى كل زمان ومكان ، وابتناء الاحكام على مصالح العباد مع تحقيق العدالة بينهم .

وكنقطة بداية فان قاعدة تلف المعقود عليه قبل قبضه تدور حول أمرين :

أولهما : النهى عن أكل أموال الناس بالباطل . الأمر الذى قرره الشارع جل وعلا فى قوله « **يايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم** » .

وبديهى ان أخذ المال بغير عوض ، ودون رضى من صاحبه يعد أكلا لمال الغير بالباطل .. ويعد كذلك أخذ أحد العوضين دون تسلم العوض الاخر . او مع تعذر تسليمه اذ التقابض هو الهدف المقصود من العقود المالية .

ثانيهما : الملحوظ فى عقود المعاوضة كالبيع والاجارة من ابتنائها على الرضى والعدالة والمساواة من الجانبين ، اذ أن كلا من المتعاقدين آخذ ومعط . وليس من العدالة او المساواة ان يلتزم احد المتعاقدين وحده او ان يستمر التزامه حيث سقط الالتزام عن الطرف الاخر .

وينبنى على هذين الامرين انه اذا تلف المعقود عليه فى عقود المعاوضات قبل تسليمه تلفا لاضمان فيه ، فان العقد ينفسخ لانتفاء العدالة والمساواة اذا استمر الالتزام بالعقد وحتى لاينتهى الحال بنا الى أكل مال الناس بالباطل ..

لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن جابر « لو بعت من أخيك تمرا فأصابته جائحة فلا يحل لك ان تأخذ منه شيئا . بم تأخذ مال أخيك ؟ »»

وقد اتفق الفقهاء على ان تلف المعقود عليه قبل القبض فى عقود المعاوضات يبطل العقد ويمنع المطالبة بالثمن ذلك ان العين مادامت لم تقبض فهى على ضمان العاقد الذى يملكها ولم يسلمها ورغم اتفاق الفقهاء على هذا المبدأ الا أنهم اختلفوا بعد ذلك فى أمرين .

أولهما : معنى القبض

ثانيهما : مدى الضمان قبل التسليم

اما عن معنى القبض فقد رأى بعض الفقهاء ان التخلية كافية للقبض ، وبتمام التخلية ينتقل الضمان من البائع الى المشترى ، ومن المؤجر الى المستاجر .

ويرى الشافعى ان الضمان ينتقل من البائع الى المشترى بمجرد التمكن من القبض . بينما يرى مالك وأحمد أن العين الحاضرة ان امكن قبضها تعتبر قد قبضت والا فلا .

أما اذا لم يكن المبيع حاضرا فالقبض بالتسلم او التخلية وفق مايجرى به العرف ..

ويرى الامام أبو حنيفة ان الاعيان الحاضرة تعتبر مقبوضة فعلا بمجرد التخلية اى امكان الحيازة الفعلية اما بالنسبة للاعيان غير الحاضرة فان المناط فيها يكون بالتسليم او التخلية .

ويضيف الفقيه ابن تيمية ان القبض مرجعه الى عرف الناس حيث لم يكن له حد فى اللغة ولا فى الشرع .

مشروعيتها وأحكامها فى الفقه الاسلامى

وأما عن **مدى الضمان قبل التسليم** ٠ فقد اختلف الفقهاء فى شأنه كما اختلفوا فى جواز التصرف فى المبيع من جانب المشترى ٠٠

فيرى مالك والشافعى ومحمد من أصحاب أبى حنيفة ان التصرف ممنوع اطلاقا ، فلا يتصرف المشترى فى المبيع قبل قبضه سواء أكان عقارا أم منقولا .. لعدم خروجه من ضمان البائع .

ويرى أبو يوسف ان التصرف جائز اطلاقا لحصول الملكية والتصرف يتبع الملكية ولا يتبع الضمان ٠٠

والامام أبو حنيفة يرى الفصل بين العقار والمنقول فان كان المبيع عقارا جاز التصرف فيه قبل القبض لثباته وعدم مظنة هلاكه . اما ان كان المبيع منقولا فانه لايجوز التصرف فيه قبل القبض لخشية الهلاك قبل التسليم ٠

وفى مذهب أحمد روايتان ، **أولاهما** انه لا يجوز التصرف ولا فرق فى ذلك بين عقار ومنقول ٠ **وثانيهما** انه يجوز التصرف اطلاقا ٠٠

العقود التى توضع فيها الجوائح :

المجال الطبيعى لتطبيق قاعدة وضع الجوائح يتمثل فى المبايعات والمؤاجرات ونحوها من العقود اللازمة التى تعد من قبيل المعاوضات ٠

وقد اتفق العلماء على أن الجوائح توضع فى البيع اذا هلك المبيع قبل القبض ، وان اختلفوا فى معنى قبض الزرع والثمر ، وهل يتم بمجرد التخلية أم لا يتم الا بالتخلية ومجىء وقت القطع ٠٠

ومن المتفق عليه كذلك ان المنفعة اذا لم يمكن استيفاؤها فان الاجارة تبطل . كما ان الاجرة تسقط لان المنفعة التى لم توجد لم تقبض بحال ٠

واحكام الاجارة فى وضع الجوائح فى احكام البيع . وما بينهما من خلاف هو من قبيل تطبيق الحكم على طبيعة كل عقد .

ومن ثم أعتبر تسليم العين فى البيع هو التسليم النهائى لان محل العقد هو العين ذاتها ٠٠

أما محل العقد فى الاجارة فهو المنفعة وعلى ذلك فان القبض فيها ليس بقبض العين فقط بل بالتمكن من الانتفاع الى نهاية المدة بكل العين ٠ **ومانقص** فبحسبانه .

ونخلص من ذلك الى ان الاجارة تبطل بتعطل المنفعة واذا زال بعض نفعها المقصود وبقى بعضه، كان للمستأجر الحق فى فسخ الاجارة ، أما اذا اختار بقاء الاجارة رغم ذلك فان الامام أحمد يرى فى الامر رأيين :

أولهما : ان يمسك ملتزما بالاجرة كلها ، اذ ليس له الا الفسخ او الامضاء بالاجرة كاملة .

ثانيهما : ان يمسك بما يقابل المنفعة من أجرة ٠٠

ويضيف الفقيه ابن تيمية الى ذلك ان تعطل المنفعة يوجب فسخ الاجارة ، او يسوغ فسخها ان لم يكن التعطل كاملا وعلى ذلك فان من استأجر ارضا ليزرعها ٠ فانقطع الماء قبل الزرع او بعده ، او غرقت الارض بسيل او طغيان النهر ، ونحو ذلك من الاسباب القاهرة ، يخضع للاصل العام المشار اليه ٠٠ فان انقطاع الماء او الغرق سواء أحدث قبل الزرع ام بعده ٠ طالما عطل الانتفاع كلية فلا أجرة لعدم استيفاء المنفعه ٠ فان عطل بعض المنفعة نقص بقدرها ٠

ومن الفقهاء من فرق بين انقطاع الماء ، وبين غرق الارض بعد الزرع ، ففى انقطاع الماء عمم الحكم فأسقط الاجرة كلها او بعضها على حساب مقدار ماتعطل من المنفعة سواء أكان قبل الزرع او بعده ،

وفى غرق الارض فرق بين الغرق قبل الزرع وفيه منع القبض ولم يثبت الاجرة أما فى حال الغرق بعد الزرع فان الاجرة تجب لان الزرع ملكه ، وبالزرع يتم القبض .

ولا يرتضى ابن تيمية هذه التفرقة بين الغرق وانقطاع المياه ، ويقرر ان اتفاق الائمة قد انعقد على أن المنفعة انما تقبض شيئا فشيئا ، ومن ثم اذا تلفت العين او تعطلت المنفعة او بعضها فى أثناء المدة سقطت الاجرة او بعضها . . .

ويضيف ابن تيمية ان مقصود المستأجر الذى عقد عليه العقد هو تمكنه من الانتفاع بتربة الارض وهوائها ومائها وشمسها الى أن يكمل صلاح زرعه . فمتى زالت منفعة التراب أو الماء أو الهواء او الشمس لم ينبت الزرع ولم تستوف المنفعة المقصودة بالعقد . وليس المقصود هو مجرد شق الارض والقاء البذر حتى يقال اذا تمكن من ذلك فقد تمكن من المنفعة جميعها ، وان حصل بعده مايفسد الزرع ويمنع الانتفاع لان المعقود عليه هو منفعة الارض وانتفاعه بها .

وأماشق الارض فتعب ونصب والقاء البذر اخراج وانما يفعل ذلك لما يرجوه من انتفاعه بالزرع الذى يخلقه الله فى الارض من الانبات ...

وعلى ذلك ينتهى الفقيه ابن تيمية الى القاء الضوء كاملا على قاعدة وضع الجوائح فى العقود ، فيقرر ان الجائحة اذا كانت قبل استيفاء المعقود عليه فى عقود المعاوضات تسقط من الالتزام بقدر مايقابلها ، فان كان العقد بيعا فانه يبطل اذا هلكت العين قبل القبض والقبض الذى يراه ابن تيمية هو القبض الذى جرى العرف به ، ويكون به التمكن من الانتفاع فلا يعتبر القبض فى بيع الثمر او الزرع بمجرد التمكن والتخلية .. بل يكون وقت القطع او الحصاد حتى يتم النضج أما ان كان العقد من عقود المنافع . فاذا لم يتمكن من استيفاء المنفعة كلها او بعضها ينقص من الاجرة بمقدار ماتعذر عليه استيفاؤه ..

وهكذا تكتمل الصورة رائعة مجلوة ، يستند فيها الفكر الخصب الى الاسس العامة فى التشريع الاسلامى التى تقضى بالتيسير ورفع الحرج والمشقة فى التكاليف ووجوب تحقيق مصالح الناس جميعا فى كل زمان ومكان .

وفى المجموعة المدنية تنص المادة ٣٧٣ على أن ينقضى الالتزام اذا أثبت المدين ان الوفاء به أصبح مستحيلا عليه لسبب أجنبى لا يدله فيه .

وتنص المادة ٤٦٠ على أنه اذا هلك المبيع فى يد البائع وهو حابس له كان الهلاك على المشترى مالم يكن المبيع قد هلك بفعل البائع .

كما تنص المادة ٥٦٩ على انه اذا هلكت العين المؤجرة أثناء الايجار هلاكا كليا انفسخ العقد من تلقاء نفسه اما اذا كان هلاك العين جزئيا . ولم يكن للمستأجر يد فى ذلك فيجوز له ان يطلب تبعا للظروف اما انقاص الاجرة او فسخ الايجار ذاته .

وتنص المادة ٦١٥ على انه اذا منع المستأجر من تهيئة الارض للزراعة او هلك البذر كله او اكثره وكان ذلك بسبب قوة قاهرة برئت ذمة المستأجر من الاجرة كلها او بعضها بحسب الاحوال ..

وأخيرا تنص المادة ٦١٦ على انه اذا بذر المستأجر الارض ثم هلك الزرع كله قبل حصاده بسبب قوة قاهرة جاز للمستأجر ان يطلب اسقاط الاجرة اما اذا لم يهلك الا بعض الزرع لكن ترتب على الهلاك نقص كبير فى ريع الارض .. كان للمستأجر ان يطلب انقاص الاجرة ...

« القرآن الكريم »

روى عن على بن أبى طالب [رضى الله عنه] قال : سمعت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقول . —

« كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذى لا تزيغ به الاهواء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، والذكر العظيم ، والصراط المستقيم » .

كظم الغيظ

الدكتور أحمد الشرباصى

« كظم الغيظ » خلق قرآني جعله الله تبارك وتعالى من صفات المتقين ، فقال فى سورة آل عمران : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » .

•••

ومادة « الكظم » تدل فى أصلها اللغوى على الامساك والجمع للشىء ، والكظم هو اجتراع الغيظ والامساك عن ابدائه ، وكأنه يجمعه الكاظم فى جوفه . والكظم ايضا مخرج النفس – بفتح الفاء – ويقال : كظم البعير اذا ترك الاجترار ، ويقال : كظمه الغيظ ، اذا أخذ بنفسه ، فهو كظيم ومكظوم ، وقد جاء فى سورة النحل قوله تعالى ، **« واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم »** وفى سورة يوسف : **« وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم »** . وفى سورة غافر **« وأنذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين »** . وفى سورة الزخرف : **« ظل وجهه مسودا وهو كظيم »** وفى سورة القلم : **« ولاتكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم »** .

و « الغيظ » صفة تدل على تغير فى المخلوق عند احتداده يتحرك لها ، وفى الحديث جاء كلمة : «غيظ جارتها ، لانها ترى من حسنها ما يغيظها ويهيج حسدها . ولقد قال الاستاذ الامام محمد عبده عن الغيظ : « الغيظ ألم يعرض للنفس اذا هضم حق من حقوقها المادية ، كالمال ، أو المعنوية كالشرف ، فيزعجها الى التشفى والانتقام ، ومن أجاب داعى الغيظ الى الانتقام لا يقف عند حد الاعتدال ، ولا يكتفى بالحق ، بل يتجاوزه الى البغى ، فلذلك كان من التقوى كظمه » .

وقد وردت مادة « الغيظ » فى آيات من القرآن الكريم ، ففى سورة آل عمران **« واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور »** . وفى سورة التوبة : **« ويذهب غيظ قلوبهم »** وفيها أيضا : **« ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار »** . وفى سورة الاحزاب : **« ورد الله الذين كفروا بغيظهم »** ... الخ .

و « **كظم الغيظ** » هو تجرعه واحتمال سببه والصبر عليه ، وفى الحديث : « اذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع » . أى فليحبسه ما أمكنه ، وقد قال المفسرون فى قوله تعالى عن المتقين : « والكاظمين الغيظ » انهم الذين اذا ثار بهم الغيظ – وهو أشد الغضب – كظموه وكتموه ، ولم يستجيبوا لداعيه ، ولا يعملون غضبهم فى الناس ، بل يكفون عنهم شرهم ،ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل . ولشيخ المفسرين الامام ابن جرير الطبرىعبارة فى التعليق على كلمة « والكاظمين الغيظ » يقول فيها ما نصه : قوله : (والكاظمين الغيظ) يعنى : والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه ، يقال منه : كظم فلان غيظه اذا تجرعه ، فحفظ نفسه من أن تمضى ما هى قادرة على امضائه باستمكانها ممن غاظها ، وانتصارها ممن ظلمها ، واصل ذلك من كظم القربة ، يقال منه : كظمت القربة اذا ملأتها ماء . وفلان كظيم ومكظوم اذا كان ممتلئا غما وحزنا ، ومنه قول الله عز وجل : **(وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)** يعنى ممتلىء من الحزن ، ومنه قيل لمجارى المياه الكظائم لامتلائها بالماء ، ومنه قيل : أخذت بكظمه ، يعنى بمجارى نفسه ، والغيظ مصدر من قول القائل : غاظنى فلان فهو يغيظنى غيظا ،وذلك اذا احفظه واغضبه » . أ هـ .

وكظم الغيظ يحتاج الى ارادة صلبة وعزيمة قوية ، وشخصية تتحكم فى عواطفها ومشاعرها

وانفعالاتها ، فلا يستبد بها الغضب ، ولا يسيطر عليها الهوى الجامح ، فيدفعها الى الانتقام والتشفى ، أو الى ارتكاب ما لا يحسن بالرجل الحكيم الوقور ، ولذلك قال سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه : « **ليس الشديد بالصرعة : انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب** » . وفى رواية أنه قال ما تعدون الصرعة فيكم ؟ . قالوا : الذى لا يصرعه الرجال . قال : ليس بذلك ، ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب .

ولقد عنيت السنة المطهرة عناية واضحة بفضيلة كظم الغيظ ، فجاءت فيها مجموعة من الاحاديث الشريفة التى تنوه بمكانة هذا الخلق الاسلامى القرآنى ، فجاء فى الحديث : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ، دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق ، حتى يخيره من أى الحور العين شاء » . وجاء فيه : « من كظم غيظا — ولوشاء ان يمضيه لامضاه — ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا » .

وتشير السنة الى ما تتطلبه فضيلة كظم الغيظ من جهد ومعاناة ومغالبة للهوى والنفس ، فيقول الحديث الشريف ، « ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى » فالتعبير بكلمة « جرع » تفيد معنى المعاناة والمعالجة وحمل النفس على الشىء المتعب الذى يعقب خيرا ، كما يتجرع المريض الدواء المر ليورثه الشفاء و العافية . وهذا هو الاصفهانى يقول فى كتابه « مفردات القرآن » عن مادة جرع : جرع الماء يجرع ، وقيل جرع وتجرعه اذا تكلف جرعه ، قال عز وجل : « **يتجرعه ولا يكاد يسيغه** » .

وكأن احتياج كظم الغيظ الى الجهد والمشقة والمقاومة هو بعض السر فى أن الله تبارك وتعالى قد جعل هذه الفضيلة من أخلاق أهل التقوى ، كما جاء فى التنزيل المجيد : « **أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ ...** » . ولعل هذا هو السبب فى أن السيدة عائشة رضى الله عنها **كظمت غيظها حينما غاظها بعض من يخدمها** ، وقالت : « **لله در التقوى ما تركت لذى غيظ شفاء** » .

والغضب هو العامل المفسد لكظم الغيظ ، فمن استجاب لداعى الغضب لم يستطع أن يكظم غيظه ، ولذلك يروى أن رجلا رحل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : علمنى شيئا ولا تكثر على لعلى أعيه . فقال له ، لا تغضب ، فكرر الرجل قوله مرارا ، وفى كل مرة يقول له النبى : لا تغضب . وفى بعض الروايات أن هذا الرجل يسمى « جارية بن قدامة » وانه قال للنبى : اوصنى ولا تكثر على فى الوصية لعلى أحفظها . فقال : لا تغضب . فأعاد الرجل السؤال فأعاد النبى الجواب .

وقد كرم الرسول صلوات الله وسلامه عليه أولئك الذين ينأون بأنفسهم عن الاستجابة للغضب الطائش الجامح ، فقال : أشدكم من ملك نفسه عند الغضب ، وأحلمكم من عفا عند القدرة » . وقال : « **من كف غضبه ستر الله عورته** » . وقال : « **من ملك غضبه وقاه الله عذابه** » .

والعلماء يقولون ان الغضب هو فوران دم القلب لارادة الانتقام ، وهذا شىء كان الانسان مجبول عليه ، ولا يستطيع التخلص منه بالكلمة ، ولكن المأمول من الرجل صاحب الاخلاق الفاضلة أن يتجنب أولا أسباب الغضب ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وأن لا يطيع الشيطان فيما يوسوس له من الاستجابة لداعى الغضب ، فلا يتهور ولا يتجبر ولا يندفع . وهذا خلق من أخلاق الانبياء ، لان الحلم شيمة من شيمهم الاساسية ، والحليم لا يرتضى لنفسه التهور أو الاندفاع عند ثوران الغضب ، ولقد قال الله تعالى عن نبيه يحيى : « **وسيدا وحصورا** » وقال عكرمه فى تفسير الحصور هنا : « انه السيد الذى لا يغلبه الغضب » . هذا وان كان المشهور عند جمهور المفسرين أن الحصور هو الذى لا ياتى النساء من العفة والاجتهاد فى ازالة الشهوة . ولقد كان سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام يعطى المثل الاعلى فى كظم الغيظ ومقاومة الغضب . وكان يتحمل من أذى قومه ما يتحمل وهو كاظم غيظه ضابط نفسه ، ويقول فى تواضع نبيل « **اوذى موسى بأكثر من ذلك فصبر** » .

ومن وراء سيدنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه نجد أفرادا عرف الناس لهم كظم الغيظ ومقاومة الغضب وتحمل الاذى ، ومن هؤلاء الاحنف بن قيس الذى كان يقول : « من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ، ورب غيظ قد تجرعته مخافة ما هو اشد منه » .

ولقد كتب الامام على رضى الله عنه الى الحارث الهمذانى ففال له فيما قال وهو يوصيه بمكارم الخصال ومحامد الفعال : « واكظم الغيظ ، وتجاوز عند المقدرة واحلم عند الغضب ، واصفح مع **الدولة (أى السلطة والقدرة) تكن لك العاقبة** » .

وهذا النص يدلنا على أن كظم الغيظ انما يجمل ويحسن اذا كان من الاعلى بالنسبة الى الادنى ، ومن القادر بالنسبة الى العاجز ، ومن القوى بالنسبة الى الضعيف ، ومن الحاكم بالنسبة الى المحكوم ، ومن الرئيس بالنسبة الى المرءوس ، وهكذا ، ولذلك كان أحق الناس بالاتصاف بفضيلة كظم الغيظ : الحكام والرؤساء والقادة والمعلمون والكبار ومن على شاكلتهم ، وفى هذا المجال نتذكر ما روى أن مملوكا لموسى بن جعفر رضى الله عنه قدم اليه صحفة فيها طعام حار ، فتعجل فى تقديمه ، فوقع الطعام على موسى فغضب ، فقال له الغلام : والكاظمين الغيظ .

فقال موسى : قد كظمت غيظى . فقال الغلام : والعافين عن الناس . فقال موسى ، قد عفوت عنك . فقال الغلام : والله يحب المحسنين . فقال موسى : اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى .

لقد تحدث حجة الاسلام الغزالى عن آثار الغضب عند العجز عن كظم الغيظ فقال: «ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر ، تغير اللون ، وشدة الرعدة فى الاطراف ، وخروج الافعال عن الترتيب والنظام ، واضطراب الحركة والكلام ، حتى يظهر الزبد على الاشداق ، وتحمر الاحداق ، وتنقلب المناخر ، وتستحيل الخلقة. ولو رأى الغضبان فى حالة غضبه قبح صورته ، لسكن غضبه حياء من قبح صورته ، واستحالة خلقته ، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره ، فان الظاهر عنوان الباطن ، وانما قبحت صورة الباطن أولا ، ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا ، فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن ، ففس الثمرة بالمثمرة ، فهذا أثره فى الجسد .

وأما أثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذى يستحى منه ذو العقل ، ويستحى منه قائله عند فتور الغضب ، وذلك مع تخبط النظم ، واضطراب اللفظ .

وأما أثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة ، فان هرب منه المغضوب عليه ، أو فاته بسبب ، وعجز عن التشفى رجع الغضب على صاحبه ، فمزق ثوب نفسه ، ويلطم نفسه ، وقد يضرب بيده على الارض ، ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير ، وربما يسقط صريعا ، لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ، ويعتريه مثل الغشية ، وربما يضرب الجمادات والحيوانات ، فيضرب القصعة مثلا على الارض ، وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ، ويتعاطى **أفعال المجانين ، فيشتم البهيمة والجمادات** ويخاطبها » أ هـ .

وقد أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وسائل نتقى بها عواقب الغضب السيئة ، وتؤدى بنا الى التحلى بحلية كظم الغيظ ، والوسيلة الاولى تتمثل فى قول الرسول « **اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب فليضطجع** » . والوسيلة الثانية تتمثل فى قوله : « **ان الغضب من الشيطان (أى من أثر وسوسته) وان الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالماء ، فاذا غضب فليتوضأ** » . والوسيلة الثالثة تتمثل فى الحديث الذى يقول ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه رأى رجلا غاضبا ثائرا ، فقال : « **انى لاعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذى يجد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** » .

وينبغى أن نتذكر أن الغضب قد يكون محمودا فى بعض الاحيان ، وقد اشار الغزالى الى هذا حين قال : « وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين ، فينبعث حيث تجب الحمية ، وينطفىء حيث يحسن العلم ، وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة كلف الله بها عباده ، وهو الوسط الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (خير الامور أوساطها) ، فمن مال غضبه الى الفتور ، حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس فى احتمال الذل والضيم فى غير محله ، فينبغى أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ، ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش ، فنبغى أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ، ويقف على الوسط الحق بين الطرفين ، فهو الصراط المستقيم » .

نسأل الله تعالى أن يجمعنا بخلق الاستقامة على سواء السبيل .

تسمية الأشياء بغير أسمائها

فضيلة الدكتور بدر المتولي عبد الباسط

يطيب لقوم أن يسموا الاشياء بغير أسمائها ، فيسمون التهور شجاعة ، والاسراف كرما ، والبخل اقتصادا ، والاستكانة الى الذل صبرا ، والتعالى على خلق الله عزة والرشوة هدية .

ولو أن هؤلاء استبدلوا اسما باسم لكان الخطب هنا ، ولكنهم ـ استجابة لاهوائهم ـ حسنوا ما قبحه الله ، وقبحوا ما حسنه الله ، وجعلوا دينهم تبعا لاهوائهم ، وصيروا المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، ولبسوا على الناس دينهم ، وأفسدوا عليهم أخلاقهم .

ان بين التهور والشجاعة بونا شاسعا ، وان كان لهما مظهر واحد ، ومثل ذلك يقال فى الاسراف والكرم ، والبخل والاقتصاد ، والاستكانة والصبر ، والكبر وعزة النفس ، والرشوة والهدية .

فالتهور ، الاندفاع الى المهالك من غير تبصر واتخاذ أهبة ولغير هدف نبيل ، وأما الشجاعة فهى الاقدام فى مواطن الاقدام دفاعا عن حق بعد أخذ الاهبة واعداد العدة . والاسراف انفاق المال فيما لا يعود على الفرد او الجماعة بخير ، والاستزادة من الكماليات حتى يصل الانسان الى حد الترف المفسد للابدان والاخلاق . وأما الكرم فهو مواساة الناس بمالك فتعين البائس الفقير ، وتفرج كرب المكروب ، وتعين على نوائب الدهر مبتدئا باقرب الناس اليك ذوى رحمك ، ثم جارك ثم الاقرب فالاقرب .

ولنعلم أنه لا خير فى السرف ، ولا سرف فى الخير .

والبخل ، قبض اليد عن الانفاق فيما يجب الانفاق فيه ، فتضن على نفسك بما يحتاجه بدنك وبما تصون به كرامتك ، وتضن على أهلك بما يحفظ كرامتهم ، وتضن على أمتك بما تحتاجه من عون فى شدتها ، وبذل وتضحية للدفاع عنها .

أما الاقتصاد فهو أن لا تنفق مالك الا فى سبل الخير الذى يعود عليك وعلى أهلك وأمتك من غير أن تمنع حقا لمستحق أو تقبض يدك عن البذل حينما يجب البذل .

والاستكانة الى الذل أن ترضى بالدنية من غير أن تدفع عن نفسك ، وهذا شىء ناشىء عن خور فى العزيمة ، وضعف فى الارادة مع ما آتاك الله من قدرة على الانتصاف لنفسك وردع من يريد اذلالك ومهانتك ، وأما الصبر فهو تحمل المكروه فى سبيل هدف سام وغاية نبيلة من غير أن يذل الانسان نفسه أو يمتهن كرامته .

والتعالى على الناس هو الترفع عليهم وامتهان كرامتهم وغمط حقوقهم والنظر اليهم شزرا كأنهم من طبقة دون طبقتك .

وأما عزة النفس ؟ فالترفع عن الدنايا ، والتطلع الى معالى الامور واباء الضيم .

والرشوة ما قدم اليك من مال طمعا فى جاهك واستغلالا لمركزك ووظيفتك ، ورغبة فى قضاء مصالحه الواجب عليك قضاؤها بحكم وظيفتك ، أو قضاء مآربه غير المشروعة بمساعدتك وعونك ولولا وظيفتك ما قدم اليك ما قدم .

وأما الهدية فهى ما يقدم اليك حبا فيك ، وتقديرا لشخصك لا طمعا فى استغلال مركزك لمآرب شخصية ، ولقد بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – بيانا شافيا كافيا الفرق الواضح بين الرشوة والهدية ، فقد روى مسلم وغيره من المحدثين أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم – استعمل رجلا الصدقة يسمى بابن اللتبية ، فلما جاء حاسبه النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال الرجل : هذا مالكم ، وهذا هدية أهديت لى ، فقال له الرسول – عليه الصلاة والسلام – فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا ثم خطب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اما بعد فانى استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله ، فيأتى فيقول : هذا مالكم ؟ وهذا هدية أهديت لى ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تاتيه هديته ان كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئا بغير حقه الا لقى الله – تعالى – بحمله يوم القيامة فلا أعرفن احدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء (والرغاء صوت البعير عند غضبه) أو بقرة لها خوار أو شاة تبعر (أى تصيح) ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطه ، ثم قال : اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت .**

فلينظر كل ذى سلطة الى ما يقدم اليه ، هدية أم رشوة ، والمعيار الدقيق فى هذا ما بينه الرسول الاكرم ان الهدية تأتيك سواء كنت موظفا أو غير موظف ، وما سوى ذلك مما يقدم لارباب الوظائف رشوة فى ثوب هدية ، وهذا من تلبيس ابليس .

والرشوة بلاء يجب دفعه ، فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم – الراشى وهو من قدم الرشوة ، والمرتشى وهو من أخذها ، والرائش وهو الواسطة بينهما .

طهر الله أخلاقنا ، وجعل هوانا تبعا لديننا بمنه وكرمه .

« أدب عيادة المريض »

● مرض أبو عمر بن العلاء ، فدخل عليه رجل من أصحابه ، فقال له : أريد أن أساهرك الليلة . قال له : أنت معافى ، وأنا مبتلى ، فالعافية لا تدعك أن تسهر ، والبلاء لا يدعنى أن أنام ، وأسأل الله أن يهب لاهل العافية الشكر ، ولاهل البلاء الصبر .

● ودخل كثير عزة على عبد العزيز بن مروان – وهو مريض – فقال : لو أن سرورك لا يتم الا بأن تسلم وأسقم لدعوت ربى أن يصرف ما بك الى ، ولكن أسأل الله لك أيها الامير العافية ، ولى فى كنفك النعمة ، فضحك وأمر له بجائزة .

● ومرض يحيى بن خالد ، فكان اسماعيل ابن صبيح الكاتب اذا دخل عليه يعوده وقف عند رأسه ودعا له ثم يخرج ، فيسأل الحاجب عن منامه وشرابه وطعامه ، قال يحيى بن خالد : ما عادنى فى مرضى هذا الا اسماعيل بن صبيح .

● وقال الشاعر :

عيادة المرء يوم بين يومين — وجلسة لك مثل اللحظ بالعين
لا تبر من مريضا فى مساءلة — يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

● وقال سفيان الثورى : حمق العواد أشد على المرضى من أمراضهم : يجيئون فى غير وقت ويطيلون الجلوس .

● ودخل رجل على عمر بن العزيز يعوده فى مرضه ، فسأله عن علته ، فلما أخبره قال : من هذه العلة مات فلان ، ومات فلان . فقال له عمر : اذا عدت المرضى فلا تنع اليهم الموتى ، واذا خرجت عنا فلا تعد الينا .

● ومرض الاعمش فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله ، فكتب قصته فى كتاب ، وجعله عند راسه ، فاذا سأله أحد قال : عندك القصة فى الكتاب فاقرأها .

الطريق إلى الله

« الم تحدث لك حادثة واحدة فى حياتك رأيت فيها الله مرة ٠٠ فى رحمته ٠٠ فى قدرته ٠٠ فى حكمته ٠٠ ألم يحدث ان تخلى عنك الرجاء والامل ٠٠ وتوجهت الى السماء ، وصحت من أعماقك ٠٠ يارب ٠٠ ففتحت أبواب السماء » ٠٠

بدأت أطوف حول الكعبةمن جديد ٠٠كان كل شىء حولى ينطق باسم الله ٠٠ الوجوه تتطلع الى الله ٠٠ القلوب تتضرع الى الله ٠٠ النفوس غارقة فى ذكر الله٠٠كنت تحس بالايمان يهزك من أعماقك، وتنسى وسط هذا كله العالم بأحداثه وصوره وصراعاته ومتاعبه وكل شىء فيه ٠٠ هنا تحس أن شيئا جديدا يولد فيك ٠٠ شيئا يقربك من جوهر الحقيقة ٠٠ ويبعدك عن زيف الحياة ٠

الأستاذ أحمد زين

وفى ركن بعيد كان هناك رجل راكع على ركبتيه يدعو وفى عينيه دموع ، ٠٠ كان منظره يوحى أنه رغم وجوده هنا ٠٠ وجود جسده هنا ٠٠ فان نفسه فى مكان بعيد جدا ، واقتربت منه ٠٠ كان الرجل يقول :

« اللهم انى انسان جاحد ، جاء يطلب رضاك ٠٠ فى كل يوم يارب يموت الالوف وأنت تهبنى نعمة الحياة ومع ذلك انا لا أشكرك ٠٠ وفى كل ساعة تقع مئات الحوادث ، وانت يارب تنجينى منها جميعا ٠٠ ومع ذلك أنا جاحد نعمتك ٠٠ وفى كل لحظة يا الله يزول ثوب العافية عن عشرات من البشر ، وأنت يا الهى تبقى ثوب العافية على جسدى ، ومع ذلك فأنا أنسى فضلك ، وفى كل يوم تحدث كوارث لمئات الالوف من الناس ، وأنت تسترنى يا الله منها جميعا ، ومع ذلك أنا لا أسجد شكرا لك ٠٠ وعندما تأخذ الذين ظلموا انفسهم فى هـذه الدنيا بذنوبهم فانك تسع ذنوبى برحمتك ٠٠ ومع ذلك فاننى أنسى يا الله فضلك ٠٠ مع أن نعمتك يا الله هى الحقيقة ، فماذا لو اعطيتنى كنوز الدنيا ، وسلبت منى ثوب العافية ، واى شىء يمكن ان ينفعنى اذا ملكتنى الارض ٠٠ وجاء أجلى وأمرك ٠٠ اننى يارب اترك الحقيقة وأجرى وراء الخيال ٠٠ أبحث عن الامان فى جاه الدنيا ولا أمان الا فى وجهك ٠٠

وارتكب الذنوب والمعاصى فتفتح لى باب رحمتك ٠٠ وأنساك يا الله وقت يسرى وغناى ٠٠ وجاهى ٠٠ فتذكرنى يارب وقت شدتى ٠٠ وتخفف عنى محنتى ٠٠ انا الضعيف تغرنى قوتى ، وأنت القوى لطيف بعبادك ٠٠ أنا المذنب تشدنى ذنوبى ، وأنت الحليم الغفور تمهلنى ٠٠ وتفتح لى باب المغفرة ، ٠٠ كم من مرة يا الله انقطع الامل الا منك ، ٠٠ وذهب الرجاء الا فى وجهك ،وتطلعت الى السماء ودعوتك ، وكان عـدلا الا تجيب نفسا ملأتها الخـطايا ٠٠

واستغرقتها الحياة الدنيا .. ولكنك فتحت بابك .. ومددت يدك ، .. ومسحت الشقاء من نفسى ، ووضعت الامل فى قلبى ، وأريتنى شعاع النور يبدد ظلام الضياع الذى اعيش فيه ..

وأحس الرجل أننى جالس الى جواره ، استمع الى مناجاته فتوقف ، كأنما كان لايريد أن يسمعه الا الله وحده ، او كأننى قد قطعت حبل المناجاة •• فتوقف كل شىء ••

وابتعدت قليلا •• وجلست بجانب احد الاعمدة افكر ، هل نحن حقيقة نتذكر نعم الله علينا ، ام أننا نأخذها على أساس أنها شىء مسلم به مفروض أن نتمتع به ؟! هل اذا استعرض كل واحد منا شريط حياته •• توقف لحظات عن زحام الدنيا ليستعرضه •• هل لا يستطيع ان يرى حادثة واحدة •• شيئا واحدا حدث كانت فيه رحمة الله قوية براقة •• وكانت فيه نعم الله ظاهرة بلا حاجة الى بيان •• هل لم تحدث حادثة واحدة رأى فيها كل واحد منا الله فى حياته مرة •• رآه فى قدرته •• فى رحمته •• فى قوته •• فى انتقامه ، فى مغفرته ، فى عدله •• ؟! ألم يحدث هذا لكل فرد فينا حينما اتجه الى السماء بقلبه •• وصاح من اعماقه : يارب •• أن انفتحت أبواب السماء •• واحس بها ••

أنا لا اريد ان اجيب •• ولكنى اترك لكل شخص •• كل فرد •• أن يستعرض شريط حياته ليحصل هو بنفسه على الاجابة •• ليضع هو من داخله الجواب •• فان ما بين الله وبينك شىء لا يستطيع أن يتدخل فيه فرد ، او يؤثر فيه انسان •• ولكن الذى لا شك فيه أن كل انسان قد رأى الله فى حياته •• رآه فى حدث ما •• فى تصرف ما جعله يصيح من اعماق قلبه .. ربنا موجود .. او «ربنا كبير» •• انه اذا فكر قليلا ، فلابد أنه سيتذكر •

منذ الدقة الاولى

واذا كان الانسان يرى الله متمثلا فى قدرته مرة او مرتين او ثلاث مرات فى حياته •• فان الله موجود فى قلبه منذ الدقة الاولى التى تعطيه الحياة ، منذ الصرخة الاولى ، التى يطلقها ، ذلك أن الطفل ولد لا يعرف الكذب ولا النفاق ولا الخداع ولا أشياء أخرى كثيرة جدا لم ترد فى قوانين الحياة ، التى وضعها الله وفسرها ، بينما يولد وفيه أشياء اخرى ربما اكبر من ذلك •• يولد وفى عقله التراث الانسانى والتقدم الانسانى ، مع استعداد لفهم هذه الاشياء وهضمها بسرعة عجيبة •• فمثلا لو انك قلت لرجل من ألف سنة ان الانسان سيطير فى الهواء وسيصل الى القمر لاتهمك بالجنون ، ولو حاولت ان تقنع مجموعة من الناس بذلك لثاروا عليك وربما قتلوك •• ومنذ ألف سنة لم يكن العقل البشرى يملك فك أجزاء آلة معقدة مثلا كالقطار او السيارة •• لم يكن الانسان يستطيع أن يقوم بهذا عقليا •• ولكنك الان تستطيع ان تعلم العقل البشرى وتدربه على أشياء فى غاية الصعوبة والدقة من الالات الالكترونية الحديثة .. لماذا ؟ لان العقل البشرى يرث فطريا الحضارة الانسانية والتقدم ، واذا كان العقل البشرى قادرا على أن يرث هذا التراث الانسانى الضخم ويتقدم به ويطوره •• حسب قوانين محددة وموضوعة وموجودة •• فان هذا العقل الانسانى تزرع فيه الحياة الدنيا عوامل الشر •• فالمجتمع هو الذى يزرع فى افراده الكذب والخداع والنفاق وكل الخصال الاخرى •• وحتى وهو يزرعها يحاول أن يجد لها مبررا ينطبق على عوامل الخير ليسكت صوت الله الذى يدور داخله فهو ينشىء من نفسه قاضيا يحاول أن ، يضع حيثيات لكل سوء يرتكبه •• يحاول أن يبرر لنفسه ان ما ارتكبه حق وعدل •• لماذا ؟! لان هناك شيئا داخله يؤرقه •• حتى اللص الذى يدخل المنزل ليسرق يحاول أن يقول لنفسه انه مظلوم •• وأن هذا المجتمع ظلمه •• وانه يستخلص حقوقه .. يأخذ حقه .. حتى القاتل .. اذا ناقشته تجد أنه قد وضع فى نفسه المبررات لجريمته قبل ان يقدم عليها •

مقاييس الشر

الى هنا وأقف قليلا •• ما معنى هذا كله •• معناه ان الله يوجد فينا بالفطرة •• وان هذه الحياة تضع فينا مقاييس الشر •• ومعناه انه حتى ونحن نضع مقاييس الشر ، فان شيئا ما فى داخلنا يؤرقنا ، وأننا نحاول ان نسكت هذا الشىء زيفا بمبررات نحاول أن نلبسها من داخل انفسنا مقاييس نفصلها نحن وندعى انها طريق الحق .. مستخدمين فى ذلك احيانا مقاييس التطور .. وأحيانا .. اشياء اصبح المجتمع يتقبلها او يتغاضى عنها .. لايوجد انسان فى داخل نفسه او عقيدته يعتقد أنه شرير ولو كان هو الشر نفسه ، انه لا يستطيع ان يتقبل هذه الفكرة ولا أن يعيش بها •• ذلك أنها تتنافى مع الفطرة التى خلق عليها •• ولكنه يطور كل افكاره بمبررات حقيقية كانت او مزيفة •• محاولا أن يلقى ثوب الحق والعدل عليها ليخرج منها أنه على صواب فى الايذاء والسوء الذى ارتكبه •

لماذا ؟! لان هناك شيئا بداخله يسلبه مقومات الحياة ويؤرقه اذا هو لم يقنع نفسه بذلك •• ما هو هذا الشىء ؟! أظن اننا لسنا محتاجين الى جواب ••

وأفقت من تأملاتى على صوت المؤذن يؤذن لصلاة العشاء •• وصوته يدوى : «الله اكبر •• الله اكبر» ، كلمة كبرى من كلمات الايمان.. اننا نرددها عشرات المرات فى الاذان وفى الصلاة •• ومع ذلك فنحن نرددها دون استشعار معناها الحقيقى •• ان كلمة الله اكبر معناها ان الله اكبر من كل ما تستطيع هذه الدنيا ان تهبه وهذه الحياة ان تعطيه ..بل انه اكبر من الحياة نفسها •• انه القوة التى تحرك هذا الكون •• فاذا خفت من عدوك فان كلمة الله اكبر تعيد الطمأنينة الى قلبك وتملأه بالشجاعة .. ذلك ان الله

اكبر من هذا العدو مهما كان .. وهو معى ، ومن هنا فاننى يجب الا اخشى شيئا .. يجب الا اخشى احدا .. واذا وضعت هذه الكلمة فى ذهنك ، وفى قلبك ، وفى عقلك ، فانها تحافظ عليك ، اذا أغراك المال الحرام ، فانك تتذكر ان الله اكبر من هذا كله .. واذا وقعت تحت أى من المغريات التى تسهل لك المعصية فان تذكرك هذه الكلمة يكون حاجزا بينك وبين كل شىء يخالف اوامر الله ..

متى نتذكر الله

ولكننى لا ادرى لماذا لانتذكر الله حقيقة الا ونحن نودع هذه الحياة .. او ونحن نشاهد انسانا من اقاربنا وأهلينا يودعها .. فى هذه اللحظة بالذات تبرز الحقائق امامنا كلها .. ونحن نشاهد الدنيا بكل ما فيها ومن فيها تنتهى من امام انسان . ونحن نرى الجاه والمال والسلطان وكل شىء يقف عاجزا ، بلا قيمة ... او يوضع فى قيمته الحقيقية امام قدرة الله .. واذا كان الموت هو الحقيقة فى حياة الانسان ، فان هذه الحقيقة تذهلنا وتبهرنا ونحن نشاهدها .. مع أنها تحدث فى العالم مئات الالوف من المرات كل يوم .. اننا نراها فى كل ساعة مع أننا نتوقعها فى كل دقيقة .. ولكننا مع ذلك نفاجأ بها فى كل مرة وكأنها تحدث امامنا لاول مرة .. ونتبين أن هذا الصراع الرهيب الذى عشنا فيه والذى نسينا فيه كل شىء هو لا شىء .. بل ان الارض كلها بقدر ما تحوى من علم وتقدم وكنوز وبهجة تقف عاجزة خاشعة امام الموت ..

الى هنا وجاء الى عقلى سؤال يلح على طوال الايام السابقة للحج دون أن أستطيع أن اجد له الجواب . يارب اذا كان هذا دينك .. وهو دين الحق .. اذا كانت عقيدتك وقوانينك هى البناء الحقيقى الصلب للانسان .. يارب اذا كان الايمان يستطيع أن يهزم أى قوة فى العالم مهما كانت عاتية وينتصر على أى موجة مهما كانت عالية .. اذا كان هذا الايمان قد استطاع ان يحول مجموعة من الناس متفرقة متناحرة متقاتلة الى أمة عظيمة .. تهزم الامبراطوريات وتقيم الحضارات : وتدين لها الدنيا : وتنشر نور العلم والمعرفة .. اذا كان هذا كله .. فلماذا يارب حال المسلمين الان .. وما الذى حل بهذه الامة .. وما الذى خالفوه ونسوه .. وما هو الطريق .. ما هو الطريق يا الله ليعود لهذه الامة كيانها العظيم .. ووجودها الكبير ..

انه الثبات على العقيدة والتمسك باهداب الدين .
والى حلقة قادمة ان شاء الله .

بنو اسرائيل فى ميزان القرآن

من اعجاز القرآن قول الله تعالى فى شأن اسرائيل : « ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة .. الاية » والذلة فى مدارك القرآن ليست خطة الخسف التى يسامها الضعفاء انما هى فقدان عنصر الكرامة التى يقوم بها بناء شخصية الانسان .. فالكرامة عنصر ايجاب فى بناء شخصية الفرد يبعث العزة والاحساس بالامتياز : والذلة فى مقابلته « سلب » او خلو لا يتاتى معه ظهور أى أثر فى السلوك او الوجدان — لمواجيد الامتياز والكرامة .

وقد قدمنا أنهم « فصيلة » باينت أصلها الادمى بجبلة غير جبلته ، وكان جوهر المباينة هو فقدانهم ما امتاز به الانسان من خاصية ادراك المثاليات التى تقوم بها معرفة الانسان لله ، فمن شأن تلك الخاصية أنها تبصر فى الكون الطبيعى معارف باطنة غير معارفه الظاهرة التى يحصلها بادراكه الحسى .. من شأن تلك الخاصية الفكرية أنها تبصر فى الكائنات انها « صنع صانع » وأن تبصر فى هذا الصنع معالم تدل على ما للصانع من صفات القدرة ، والعلم ، والحكمة ، والهيمنة ، ونحوها من صفات الجلال ، ومعالم أخرى تدل على ما له من صفات الود ، والكرم ، والرحمة ، والبر ، ونحوها من صفات الجمال .. ويقترن ادراكه لتلك المعارف بوجدانات قدسية ايجابية تجعل همته فى مستوى تلك المعارف فى ابتغاء اهداف الجلال والجمال ، أو أهداف الحق والخير .

تلك المعارف والوجدانات هى لب « انسانية » الانسان ، وجماع مبادئه وقيمه .. وهى ثمر علوى لا شأن لنواميس الطبيعة بانتاجه ، انما هى عبر وحقائق باطنة تتبينها خاصية ادراك المثاليات فيما يبدو لها من دلالة الكائنات على صفات الصانع تعالى .. ولكل فرد من الانسان حظه من تلك الحقائق ولابد ، لان خاصية المثاليات هى احدى معالم هيئة الانسان النفسية المدركة ، أو هى احدى المعايير التى تتألف منها فطرته العقلية ، وما دام الانسان يقع حسه على صفحة الكون فان تلك الخاصية صالحة لان تقبس له

.. صدق الله

الأستاذ البهى الخولى

من آياتها - ولو فى ايام الطفولة - خطة الذى يكون به انسانا مهما يكن ضئيلا ..

تلك الخاصية هى جوهر امتياز فطرة الانسان العقلية ، فاذا استقل الاسرائيلى عنه بجبلة خاصة مباينة له ، فمعناه فقدان تلك الخاصية وآثارها المترتبة عليها ، وذلك هو المسخ الذى اخبر به القرآن فى قوله تعالى : « **قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله ، وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير ، وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل** » فهو ليس مسخ الخلقة الظاهرة ، بل مسخ الصورة النفسية ، قال مجاهد : « مسخت قلوبهم ، ولم يمسخوا قردة » ، وقال صاحب المنار : « وفى الدر المنثور : اخرج ابن المنذر ، وابن ابى حاتم فى هذا المسخ أنه قد مسخت قلوبهم ، ولم يمسخوا قردة .. فالمراد على هذا انهم صاروا كالقردة فى نزواتها » أى انهم صاروا كالقردة التى لها صورة الانسان ، وليست لها حقيقته .

وبفقد تلك الخاصية تنقطع كرامة الصلة بالله ، ويخلو الضمير من أى حقيقة تشعر بعزة الامتياز ، ولا يكون فى تصورهم - بتة - أى مفهوم لمعنى الكرامة ، واذ تخلو الفطرة الواعية - تصورا ، وادراكا ، ووجدانا - من أى فهم ، أو علم ، أو أثر للكرامة ، فهو معنى قوله جل شأنه : « **ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا** » .. فالذلة هى امحاء مدارك المعرفة الموجبة للكرامة ، المقيمة للانسان على جادة الحق وعزته ، وهو قريب من قول الامام البيضاوى : « ان الذلة هى التمسك بالباطل » . وبارتكاسهم فى هذا السلب المهين فقدوا « صلاحيتهم الحضارية » ، فان الحضارة « روح » او « بنية حسية » . فأما الروح فهو المعرفة المتضمنة اصدق القيم والمبادىء المنهضة للانسان الى أشرف المقاصد والغايات .. وأما « البنية » فهى حصيلة الاعمال والتخطيطات التى ينبعث اليها الانسان ليحقق ما فى ضميره من مثل ومبادىء .. واذ صار هؤلاء الى ما صاروا اليه ، فلا أهلية لهم بتة لاى دور حضارى اصيل .. فهم من هذه الوجهة فى حالة « قصور » لا يؤتمنون معها على مقومات الحضارة المتصلة بلبها ، اى على مقدسات الحياة وقيمها وأهدافها .. ولذلك يجب أن تنتظم صلتهم بالمجتمعات ، فلا يتركوا يعملون ويتصرفون كيف شاءوا الا فى النطاق الذى لا يضر بمقدسات المجتمع وقيمه ، باشراف دقيق من المجتمع نفسه اذا كان يدرك ان قيمه العالية وفضائله هى مقومات وجوده ، والا فانهم **لن ينتجوا الا فى نطاق الهدم والعبث بتلك المقومات** ، وهو المعنى الجليل العميق الذى تضمنته الاية الكريمة : « **ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله ، وحبل من الناس** » .. والحبل هو العهد ، أو معاهدة الاقامة ، فهم اذ فقدوا مواهب وخصائص الصلاحية الحضارية لم يشأ سبحانه ان يستبعدهم عن المجتمعات ، على أن يكونوا فى ذمة وعهد المجتمع الذى ينزلون به ، ينتجون فى حدود استعدادهم ، وهو انتاج يتعلق « بغلاف » الحضارة الحسى ، لا بلبها وقيمها التى تمنح الحياة معناها وجمالها .. وأعلى هذا العهد أن يكون من مجتمع يقيم أسسه وعمده باحكام الله « **حبل من الله** » وأدناه ان يكون من مجتمع يقدر ويدعم قيمه الانسانية ويحرص عليها من كل آفة « **حبل من الناس** » والناس فى مفهوم اللغة والقرآن هم عامة أفراد الانسان .

ولا شك أن هذا العهد غاية الحكمة ، **ومنتهى العدالة بالنسبة لهم .. غاية الحكمة ، لانه كفهم عما لم يؤهلوا له .. ومنتهى العدالة لانه رسم حدودا لحريتهم يلتزمونها فى التصرف المعيشى تحت رقابة المجتمع ، فلا يجاوزونها الى الربا وضروب الفساد والهدم : فلهم على ذلك أن يزاولوا ما أهلوا له من نشاط فى التجارة ، والصناعة ، وضروب التثمير والنظر فى مقررات العلم الطبيعى وما تتضمن من منافع ومخترعات ، ونحوها ، مما يقع فى سلطان الادراك الحسى الذى يشتركون فيه مع كافة أفراد الانسان السوى .. واذا كان الفكر يخشع فى تسليم واعجاب تام بصدق وعمق مقررات الكتاب الحكيم ، فلا ينبغى ان يغيب عنا أنها تتضمن احدى الايات التى بعثنا الله الى تبينها فى شأن هؤلاء بقوله : « لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين !! »** .

الصبر و الصمود وسيلة النصر

فضيلة الشيخ عبدالحكيم سرور

لقد وضح أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ان تحرر قلب الفرد من عبادة غير الله قوة وأية قوة ، تقهر الطغاة وتذل الجبارين ، وأن الحرص على أن يكون مثالا واقعيا للدعوة ، وقيادة رائدة يضحى بكل شىء ويصمد أمام كل شىء فلا يزيد قوله عن عمله ، بل ان العمل اجدى من كثرة القول او من القول الذى لا ينفذ ، ولذا عاب الله على قوم يقولون ما لا يفعلون : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » ، ومن اجل ذلك يرى الجماهير من ورائه مهتدين ومعتزين به يتخطون العقبات ويذللون الصعاب ويحبون الموت على الحياة ، فلا يصيبهم الوهن ولا يخذلهم الضعف ولا يذلون ولا يستكينون ، لان الحق الذى يطالب به أصحابه اذا لم يتسلحوا بكل هذه الاسلحة فاتهم الغرض وضاع منهم الهدف ، فان الصبر دائما ولو كان صبرا ماديا يحمى الحق ويؤيده ويحفظه ويسانده ومن أجل ذلك دفع الله المؤمنين الى الصبر يحمى حقهم ويشد أزرهم ويؤيدهم : « يا أيها الذين **آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »** ، **ويقول للرسول « واصبر وماصبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون »** ..

وعلى هذا ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه على حب العقيدة والدفاع والحفاظ على كيانها ، فأصبح جهادهم جهادا لانفسهم ، فلم يكن عملهم عمل شهرة او ابتغاء مظهر بل كان كل فكرهم فى الجهاد ابتغاء مرضاة الله وصدعا لاوامره واستجابة لدواعى الايمان الصادق ، فاذا ما دعا داعى الجهاد قدموا ارواحهم رخيصة ، فكتب الله لهم النصر وكانت لهم الغلبة ولاعدائهم الخزى والعار « وان جندنا لهم الغالبون » ، **« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم »** .

حقا لقد كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رسالة ينوء بحملها آلاف الرجال ويعجز عن النهوض بها الصناديد والابطال ، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم فى صدق عزيمة وقوة ارادة ، ودفع ايمان بلغ الغاية ووصل الى الهدف ، وايمان منه صلى الله عليه وسلم بتاييد الله وتسديده له ، بل لقد استطاع صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله من سماحة ورفق وانصاف مما جعله حاكما اداريا دقيقا وقائد حرب ممتازا ، فقد كان نعم المضحى اللبق الذى يكون سياجا لامته وحماية لها ، فما التقى جيشه بالعدو الا كان هو أقرب فرد من العدو ، وما جعله الداعية العظيم المؤمن بالله والمجدد العميق ومؤلف الجماعة ومحببها فى بعضها وصانع الامة ، وبذا كان اشخاصا فى شخص وامة فى فرد ، ومبلغ القول فيه انه بشر ، وانه خير خلق الله كلهم ، واذا سقنا مثالا واحدا من سماحته ندرك سر قيام هذه الامة بنضال يقوم على المبادى والقيم والمثل .

سماحة الرسول

روى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم اقترض بعيرا من اعرابى ، فلما حل وقت الاداء جاء الاعرابى يطلب دينه منه صلى الله عليه وسلم ، فأغلظ له فى القول ، فاستاء أصحاب الرسول وهموا بايذاء الاعرابى لاساءته الادب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : **« دعوه فان لصاحب الحق مقالا »** ثم قال : **« أعطوه سنا — جملا — مثل سنة » فقالوا : لا نجد يا رسول الله الا أطيب منه وأجود ، فقال : « أعطوه فان خيركم احسنكم قضاء »** .

امة واحدة

وبحسن الخلق والكلمة الطيبة والقدوة الحسنة وباللين كون امة ، فقد عظم الله شأن خلقه : **« وانك لعلى خلق عظيم »** ،وشأنه فى القدوة الحسنة : **« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »** ،ويجد فيه حب اللين

فى المعاملة : « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » .

اجل بهذا أسس برسالته العظيمة أسس دولة بهرت العقول فى الدنيا فى سرعة التكوين فيما حباها الله بالقوانين الخلقية والقوى العسكرية والتخطيطات الادارية والاقتصاد فى الحكم الاسلامى حتم لم ينعم العالم بمثل مانعم به فى الدنيا كلها فى ظلالها من عدل شامل وأمن مقيم وسلام دائم مما ضرب به الاسلام **المثل الاعلى فى تاريخ القيم والمبادىء : «يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون»** .

لقد امضى الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاما لقى فيها من العرب كل الوان الايذاء كما لقى المؤمنون اشد انواع التعذيب ، وكانوا كلما اشتدوا فى بغيهم يبدى لهم من البطولة والصبر ما يبدد اطماعهم فى أن ينالوا من دعوة الحق ومن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه مولاه : « **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** » كانت هذه بعض صفات القائد ، ومع رحمته بالناس فقد كانت من قمة عمله الصمود الذى لا يلين والعقيدة التى لا تهن ولا تضعف ولا تستكين فنراه يعلنها للدنيا ويتركها ميراثا من بعده لامته نراه يقول : « **والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه** » وبهذا اللون ربى محمد صلى الله عليه وسلم شبابا اقوياء حتى برز من صفوف المؤمنين مثل عليا ، وقيادات ممتازة اعتزت بالايمان فعملت وبقوة العقيدة فارست قواعد الخير فى الدنيا وتحملت فى سبيل الفكرة والعقيدة ما تحملت من الوان العذاب والبلاء حتى حققت النصر ، وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم بصبره وصموده الا بانى امة عز على الاعداء الوقوف امامها .

الثقة بالله طريق لتخطى الصعاب

وان ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بربه وايمانه بخالقه لتجعله يتحمل كل الوان الايذاء والعنت والشدة فى سبيل دعوته وتحقيق هدفه الاعز الاسمى وهو أن تكون كلمة الله هى العليا

ولقد كان المشركون فى ايذائهم للرسول وللرسالة متلعين الى الرسول بعين حمراء ووجه غاضب ولسان يفور بالشتائم وباخس الالفاظ وتوعدوه بالحديد والنار ، وتفزيعهم للدعوة المحمدية والداعية يحثون التراب فوق رأسه الشريف فيثير ذلك دموع فاطمة رضى الله عنها ولكنه صلى الله عليه وسلم يبدد خوفها بكلمة ويطمئن قلبها بعبارة قائلا لها : « يا بنية : لا تبكى فان الله مانع أباك » وقد آوتى الرسول صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم وما اقوى هذه الثقة وما افعلها فى النفس عندما يعرف الجند والاتباع سنة القائد وحفظ الله له ، وفى ذلك عظة وعبرة فان الاعتماد على الله والتوكل عليه هو السلاح الباتر بل انه السلاح الذى لايفل ، وصاحب الحق دائما قوى مادام متمسكا به ثابتا عليه متفانيا فيه ، والعاقبة دائما للثبات وقوة الايمان وبهذا كله لا تلين له قناة ويظل فى خطة حتى يصل الى غايته ، ولذا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يخرج وحيدا فريدا الى الطائف حيث يلتمس معهم التعاون والنصر ، لعله يجد فيهم من يمنعه من قومه الذين لم يدخروا وسعا فى الايذاء ، بالكلمة وبالعقل وبكل ما يستطيعون ، لكن اذا عميت العيون عن الحق وزاغت الافئدة والقلوب عن ادراكه وصمت الاذان عن سماع كلمة التوحيد حجبوا عن الخير ومنعوا من السعادة ، وبذا ردوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا غير كريم بل اغروا به سفهاءهم وصبيانهم حتى آوى الى بستان لشيبة وعتبة ولدى ربيعة فاحتمى وجلس فى ظل شجرة يرفع رأسه الى السماء ضارعا الى ربه فى شكاية افرغ فيها روحه وأمله راجيا رحمة ربه غير يائس لان ربه ارسله بالهدى ودين الحق وما اجل رحمة الله بعباده المخلصين وما اسرع نجدته لهم يرطب خاطرهم ويذهب عنهم بأسهم وشدتهم ولذا يجيىء اليه غيث ربه ، فيجيىء اليه عداس النصرانى ومعه قطف من عنب فيقدمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه وانما قدمه بدافع الانسانية وانقاذا لبشريته ، ولكنه عندما عرف انه نبى هوى على رأسه يقبله ويديه ورجليه يقبلهما ، وبذا طاب خاطره وهدأت نفسه فقد عرف ان الله معه اذ ناداه وناجاه : « **ان لم يكن بك على غضب فلا ابالى** » . انه لنضال قوى يعود بالخير ويعلم الناس الصمود والصبر وهكذا نرى كيف اعترض هؤلاء طاقات السماء بكل امكانياتهم وحاولوا جاهدين ان يفرغوا حقد قلوبهم فى كئوس من حنظل ، ومع ذلك فقد اصيبوا بالفشل وارتدوا خزايا امام اصرار الرسول وصموده بل أمام الجبهة الاسلامية التى صنعها الرسول صلى الله عليه وسلم يوم ناداهم المولى سبحانه : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » ويوم ناداهم بقوله : « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم** » . ان الرسول صلى الله عليه وسلم كون قوة لا تؤمن بالتنكيل والوعيد وقسوة القلوب المتحجرة المتعطشة الى الدماء والقتل والتخريب والتعذيب .

ولقد كان الانتقال الى الحبشة والى الطائف سبرا لغور الصحابة وفدائيتهم وتضحيتهم ، لقد كانتا كشفا لشجاعتهم القلبية والنفسية ، والتضحية بالمال والدار والولد وفيها اظهروا ان حبهم لله أسمى من كل هذه الاعتبارات وأعز من متع الحياة الدنيا .

لقد كانت هذه الهجرة بطبيعتها تحديا لعصابات الشر ، ان مثل هذا النضال البطولى لا تستطيع العراقيل ان تعطله او تقف دونه عقبات ، وان اصحاب هذا النضال لن ينهزموا او يغلبوا ، وانا بأذن الله وباتباع رسول الله والاقتداء به سنغلب الانجاس المناكيد وصناع الحروب واعداء السلام ٠

ايها الاخوة ٠٠ ايها المسلمون فى كل الدنيا :

ان النضال الصامد يجعل من العسر يسرا بأذن الله ومن الضيق فرجا ٠ ويعود الحق الى نصابه عزيزا كريما رافعا راية النصر وشعارات الامجاد ٠

ان الاستعمار اليوم يمثل دور التعالى ويتخذ من براثن الشر مخالب تنشب فى الشرق ويستشرى اوارها فى جسم العرب ، ومهما يكن فلن يبلغ الاستعمار امله ولن يتحقق لاسرائيل حلم واحد من احلامها فاننا لسوف نواصل نضالنا كما واصل الرسول نضاله ، ونستمر فى كفاحنا كما واصل الرسول كفاحه حتى نحرر الارض ونمكن امتنا من الخير ، فهيا نفذوا امر الله « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » ٠٠

ان الذين يقتدون برسولنا صلى الله عليه وسلم لن يضلوا ولن يخيبوا ماداموا معتصمين بحبل الله وانه بالتتبع والاستقراء نجد ان النصر دائما لايكون الا مع صاحب دين « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » .

وبذا لن نهزم ان شاء الله وبأذن الله مادمنا مستعينين بالله ولذا كان لزاما علينا الا نترك للعدو ثغرة ينفذ منها من ضعف خلقى او تحلل او انحلال.

« كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة » ــ سورة التوبة الآية ٨

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » ٠

« لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون » ــ سورة التوبة الاية ١٠ ــ

ايها العرب ايها المسلمون ابشروا فلن يتأخر نصر الله علينا مادمنا مع الله « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين** » ، ونسألك ياربنا ان تمدنا بنصرك لتكون لنا العزة باذن الله وتحقق للانسانية السعادة والهناءة والخير الوفير ، ونسألك ياربنا أن تكتب لنا النصر كما كتبته لنا فى عين جالوت وحطين التى قادها قطز وصلاح الدين وكما شئت ياربنا ان تكونا فى ارض فلسطين ، وقو جندنا وقادتنا وافتح علينا يا ربنا الفتح المبين ، « **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** » ٠ ونحن ملتزمون يا ربنا بكل ما يأخذ بأيدى المسلمين بل بكل ما يدفع شأن الانسانية الى الحق والى الطريق المستقيم ٠

« الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » ، « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » ٠

اسمعوا وأطيعوا وفروا الى الله جميعا « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » ٠ « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون » .

« ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » ٠

مع القرآن الكريم

الدكتور عبد الله محمود شحاتة

القرآن والعلوم

اعجاز القرآن نمط فريد ولون وحيد فهو بحر زاخر بالعلوم والمعارف ، لا تحد آياته ولا تنتهى عجائبه (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) • (الكهف ١٠٩) •

ومن أعجاز القرآن أنه نزل فى البادية على نبى أمى وقوم أميين لم يكن لهم الا السنتهم وكانت فنون القول التى يذهبون فيها مذاهبهم ويتواردون عليها لا تتجاوز ضروبا من الصفات ، وأنواعا من الحكم وطائفة من الاخبار والانساب • ثم نزل القرآن يحمل قصص الاولين ، وغيب اللاحقين ، ونظام الحاضرين وتفجرت ينابيع العلم من القرآن الكريم فكان أساس نهضة علمية متعددة الجوانب فى التشريع والفتوى والقضاء والمواريث والاحكام والاصول والعقائد ، وفى اللغة والادب والنحو والصرف والاشتقاق ، وفى الفلسفة والطبيعة والجغرافيا وعلم الهيئة والحياة •

بل ان جميع العلوم التى حفلت بها الحضارة الاسلامية فى أزهى عصورها كانت لخدمة القرآن وعلوم القرآن •

قال أحد العلماء « فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأرباعه، وعدد سجداته من غير تعرض لمعانيه فسموا القراء •

واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الاسماء والافعال والحروف العاملة وغيرها وأوسعوا الكلام فى الاسماء وتوابعها وضروب الافعال واللازم والمتعدى وجميع مايتعلق بالقرآن حتى أن بعضهم أعربه كلمة كلمة •

واعتنى المفسرون بشرح ألفاظه وتوضيح معانيه وتفصيل مجمله وبيان أحكامه . واعتنى الاصوليون بما فيه من الادلة العقلية والشواهد الاصلية والفطرية فاستنبطوا منه اصول العقائد وسموا ذلك علم التوحيد •

وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الاحكام فأسسوا أصوله وفرعوا فروعه وبسطوا القول فى ذلك بسطا حسنا وسموه بعلم الفقه •

وتلمحت طائفة مافيه من قصص القرون السالفة والامم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وسموا ذلك بالتاريخ والقصص •

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والامثال والمواعظ التى ترقق القلوب فاستنبطوا منه فصولا من العظات وسموا بذلك الخطباء والوعاظ •

ونظر قوم الى مافيه من الايات الدالة على الحكم الباهرة فى الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت •

ونظر الكتاب الى مافيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادىء والمقاطع والتلوين فى الخطاب والاطناب والايجاز وغير ذلك واستنبطوا منه المعانى والبيان والبديع • (ا هـ)

وهذه العلوم التى نبعت من القرآن وتفجرت ينابيعها منه قد أثمرت نهضة مباركه وحركه علمية فى الاقطار الاسلامية جعلتها تعيش أزهى عصورها الذهبية فى الوقت الذى كانت فيه أوربا تعيش فى القرون الوسطى .

وغدت ممالك الاسلام كبغداد وقرطبة ومصر ودمشق وتونس موارد العلوم الاسلامية والادبية والكونية . ومن هذه الموارد استمدت الامم الاوربية معارفها وفنونها وقد اعترف بهذا الكثير من العلماء المنصفين فى أوربا .

قال الاستاذ بريفولت الانجليزى فى كتابه « **تكوين الانسانية** »

فى القرن التاسع « **تعلم كثير من المسيحيين عند علماء الاسلام** » . وقال « ان رئيس دير كلوتى تأسف على ان رأى اثناء اقامته بالاندلس الطلبة من فرنسا وألمانيا وانجلترا يردون أفواجا أفواجا الى المراكز العلمية العربية » .

وقال « **فالعلم هبة عظيمة الشأن جادت بها الحضارة العربية على العالم الحاضر** » .

ولم يكن فضل الاسلام على أوربا من ناحية العلم فقط ، بل كان له الفضل فى نهضتها المدنية ، قال الاستاذ بريفلت فى الكتاب المذكور : «لم تكن ايطاليا مهدا لحياة اوروبا الجديدة بل اسبانيا (الاندلس) لان أوربا كانت بلغت أشد أعماق الجهل والفساد ظلمة ، بينما العالم العربى : بغداد والقاهرة وقرطبة وطليطلة كانت مركز الحضارة والنشاط العقلى ، ومن ثم ظهرت الحياة الجديدة التى تمت فى شكل ارتقاء انسانى جديد » .

القرآن والتربية :

والقرآن فى روحه العامة يهدف الى خلق نموذج انسانى فاضل فهو يدير كل مافيه من الاداب الاجتماعية على هذه الجهة لا يعدوها . وليس فيه من آية فى الادب والاخلاق الا وهو يدعو بها لهذا المقصد ، ومن أجل ذلك بقيت روح آدابه فى أنفس المسلمين لا تتغير .

ولقد كانت هذه الروح ـ ولم تزل ـ **هى السبب الاكبر فى انتشار الاسلام حتى بين أعدائه الذين أرادوا استئصاله كالتتار والمغول وغيرهم** ممن اشتدوا عليه ليخذلوه ، ثم كانوا بعد ذلك من أشد أهله فى نصرته والغضب له والمدافع دونه .

وحسبك من أثر القرآن فى المؤمنين أن أحدهم كان اذا اتهم فى بعض اخلاقه لم ينكر ذلك باشد من قوله « بئس حامل القرآن أنا اذن » .. ولما اعطى سالم مولى أبى حذيفة راية المسلمين يوم قتال مسيلمة الكذاب وكان من أشد الايام وأعظمها نكاية قال لاصحابه : ماأعلمنى لاى شىء أعطيتمونيها ، قلتم صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها قبله حتى مات ؟ قالوا أجل فانظر كيف تكون . قال بئس والله حامل القرآن أنا ان لم أثبت ، وكان صاحب الراية قبله عبد الله بن حفص .

وفى هذه الموقعة صاح أبو حذيفة وقد اضطرب المسلمون : **يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال** :ثم حمل على القوم حتى تم النصر وصدق الله العظيم « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » محمد ٧ . (**وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم**) آل عمران ١٢٦ .

لقد غدت أخلاق القرآن مثالا يحتذى ونموذجا انسانيا رفيعا وحين سئلت عائشة رضى الله عنها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت للسائل أما تقرأ القرآن **لقد كان خلقه القرآن** ، تقصد قوله تعالى « **فاصفح الصفح الجميل** » (الحجر ٨٥ « **واهجرهم هجرا جميلا** » **المزمل ١٠** « **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** » (الشورى ٤٠) وهذه المعانى أثمرت جيلا قرآنيا تناول مفتاح العالم فأداره فى أقفال الارض ففتح مسالكها وبلغ فى ثمانين سنة مالم يبلغه شعب من شعوب العالم فى أضعاف هذا العدد .

وقد جاء وصف هذا الجيل على لسان فتاة مصرية أرسلها المقوقس جارية للنبى وطلب منها أن تكتب له عن أخبار محمد وصحبه . فقالت فى رسالتها (ان هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد وهم الروح الجديد وهم النور الجديد . ونبيهم أطهر من السحابة البيضاء فى اليوم الصائف ، ولان تخاف البنت على عرضها من أبيها خير لها من ان تخاف عليه من اتباع ذلك النبى ، واذا رفعوا السيف رفعوه بقانون واذا وضعوا السيف وضعوه بقانون يفتحون البلاد بأخلاقهم قبل ان يفتحوها بسيوفهم .

لقد صنع القرآن خير أمة أخرجت للناس ، وأمدها بأسباب النمو والارتقاء وأى شىء فى تاريخ الامم أعجب من نشأة لغوية ، تنتهى بمعجزة لغوية ثم يكون الدين والعلم والسياسة وسائر مقومات الامة مما تنطوى عليه المعجزة . (**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) الاسراء ٨٨ .

الإسلام دين الوحدة

الدكتور بدوى طبانة

قال الله تعالى فى محكم آياته « **ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون . وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون** » .

والامة هى الملة ، والملة المعنية فى الاية الكريمةهى ملة الاسلام التى خاطبها الله بقوله « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله** » .

وهى الامة التى عبدت الله ربا ، وآمنت بمحمد نبيا ورسولا ، واتخذت الاسلام عقيدة ودينا .

وان كان من الممكن أن يكون خطاب الله للناس كافة، لانه الهكلمألوه، ورب كل مربوب، وهو الذى خلقهم ، وخلق لهم ما فى السموات وما فى الارض، ولا يستثنى من تلك العبودية لله فرد أو جماعة من الناس أو غير الناس ، ولعموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم مصداقا لقول الله تعالى « **قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** » .

والاسلام فى جملته وتفصيله هو دين الوحدة ..

وتتخذ تلك الوحدة صورتها الكاملة الواضحة فى كل أصل من أصول العقيدة ، وفى كل مظهرمن مظاهرها ، وفى كل شعيرة من شعائرها .

فوحدانية الله تعالى أساس العقيدة الاسلامية وجوهرها .

و « **لا اله الا الله** » شعار هذا التوحيد ، وأول أساس من أسس العقيدة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم .

ويتأكد هذا الأصل الأول، ويتكرر وروده فى آيات الكتاب الكريم لتأكيد معنى الوحدانية التى جلت عن الشريك، وعزت على الشبيه . ومن تلك الآيات :

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ..

الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ..

هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو ..

شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ..

الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ..

اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو ..

وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو ..

فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو ..

فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو ..

قل هو ربى لا اله الا هو ..

أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون ..

الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ..

اننى أنا الله لا اله الاأنافاعبدنى ،وأقم الصلاة لذكرى ..

الى غير هذه الايات البينات التى لا تحتاج الى شىء من التوضيح أو التأويل ، وفى كل آية منها آية جديدة على هذه الوحدانية ، ودليل على عظمة الله ، وكلها ناطقة بلب العقيدة وجوهرها ، وهى وحدانية الله تعالى عن الشريك وتعالى عن النظير ، بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شىء ، وهو بكل شىء عليم .. لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير .

وكما كان التوحيد أول العقائد التى أوحى بها كان التوحيد من أواخر ما حرص النبى عليه الصلاة والسلام على توكيده فى اخر خطبة له فى حجة الوداع اذ قال : أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لادم ، وآدم من تراب !

وهذه الوحدانية فى الاله المعبود والرب المقصود أول ما يجمع العقول ويوحد القلوب فى شريعة الاسلام .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم آخر المصطفين الاخيار ، وقد اتجهت فى رسالته خلاصة الرسالات المطهرة التى تدرجت مع الانسانية فى نشوئها وتطورها، وجاءت الرسالة المحمدية لتجمع البشرية وتصهرها فى بوتقة الايمان ، وتوجهها نحو المثل العليا فى الحق والخير والفضيلة والايمان بمعانيها الكاملة الواضحة التى تنفع الانسانية فى معاشها ،وتهيىء لها أسباب النجاة والسعادة فى معادها .

ومن هنا اقترنت شهادة ألا اله الا الله بشهادة أن محمدا رسول الله .

فاذا عدونا أس العقيدة ، وهو الايمان بالله الواحد القهار ، والتصديق بالرسالة المحمدية ألفينا الصلاة مظهرا جليلا من مظاهر وحدة الظاهر الذى يجرى على اللسان والباطن الذى يجتمع فيه الايمان .

خمس صلوات فى كل يوم فرضها الله على المسلمين أجمعين ، محدودة المواقيت ، معلومة الركعات والسجدات ، يقرأ المصلون فى كل ركعة منها فاتحة الكتاب ، وآيات من الكتاب الذى يؤمنون به جميعا ، بعد أن يتطهروا من الاحداث ، ويعدوا انفسهم للوقوف بين يدى ربهم ، منيبين اليه ، خاشعين له

ثم القبلة التى يتجه اليها المصلون من كل صوب ، تتجه اليها وجوههم ، لتتجه اليها قلوبهم « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** » وتلك التولية الى المسجد الحرام ، انما هى رمز الوحدة والغاية التى يسعى المسلمون اليها .. ويقول المستشرق « فيليب حتى » أنه لو أتيح لانسان أن يحلق فى السماء بحيث يرى العالم الاسلامى ــ متجاهلا ما تسببه خطوط الطول والعرض من خلاف ــ فى ساعة من ساعات الصلاة لرأى منظرا مكونا من عدة دوائر متحدة المركز من العباد ، تمتد أنصاف أقطارها من الكعبة فى مكة ، وتغطى مساحة تزداد اتساعا باستمرار من سيراليون الى كنتون ومن تبولسك الى مدينة الكاب !

ثم صلاة الجماعة التى شرعها الاسلام لتكون وحدة الصف رمز القلوب واستواء المشاعر أمام ربهم الذى يصلون له وحده ، والتى فضلها الله على صلاة الفرد ، وضاعف أجرها أضعافا كثيرة ، وفرض صلاة الجماعة يوما فى كل أسبوع ، وسنها فى العيدين . وهذه الصلاة الجامعة ــ كما يقول المستشرق المذكور ــ لا يفوقها فى وقارها وبساطتها أى نوع من أنواع العبادات الجامعة اذ يقف المصلون معتدلى القامة فى صفوف يسودها النظام فى المسجد ويتبعون زعامة الامام بكل دقة واحترام ولعمرى ان منظر اولئك المصلين ليكون دائما بالغ الاثر فى النفس ، واذا كانت تلك الصلاة الجامعة وسيلة للنظام ، فانها كانت ذات أثر كبير فى نفوس المتكبرين الذين كانوا يشمخون بأنوفهم ، فقد ارتقى فى نفوسهم بفعل تلك الصلاة الجامعة الشعور بالمساواة الاجتماعية ، والادراك لفكرة المصالح المشتركة وتوحيدها . ولقد ساعدت أيضا على تقوية روح الاخوة فى مجتمع المؤمنين وقد أحلها الاسلام محل روابط الدم .

واذا كانت الصلاة قد تقدمت الزكاة فى كثير من الذكر لترددها وتكرارها خمس مرات فى كل يوم ، فان الزكاة قد تسبق الصلاة فى بعض الذكر ، كما فى قول الله ، عز وجل « **قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى** » .

وقد فرض الله الزكاة على كل قادر من المسلمين ليؤدوها الى اخوانهم المحتاجين فى السنة الثانية من الهجرة ، وجعلها من مبانى الاسلام وقواعده ، كما جعلها حقا معلوما للسائلين والمحرومين ..

نعم ، جعل الاسلام الزكاة حقا ، والحق واجب الاداء ، لا يجوز التخلف عنه الا من العصاة الجاحدين ، وليست فضلا يتفضل به المالكون على المعدمين . وذلك ليشعروا بأن ما فى أيديهم انما هو مال الله جعله فى أيديهم ليؤدوا به حقوقه ، ويقوموا بواجب شكره على نعمته عليهم ، واحسانه اليهم .

والزكاة ركن من تلك الاركان التى تحقق الوحدة ، وتجمع شمل القلوب بما تحقق من التعاطف والتواد والتراحم بين جماعات المسلمين ، وتمكين معنى الاخوة ، وتأكيد معنى الشركة فى السراء والضراء . وبها يحس الفقراء بأن المال وان كان فى يد الاغنياء انما هو مالهم ، لان قيمة المال ليست فى كثرته ، ولكنها فى مدى ما يمكن النفع به .

وحق المنفعة يراه الفقير فى مال أخيه ، وان لم يجده فى حيازته فكأنه فى حيازته ، لانه منه جد قريب ، اذ هو حقه المعلوم بتعبير كتاب الله كحق الولد وحق الزوج وحق خاصة الاهل فى النفقة والعطاء ، الا اذا أمسكه صاحبه عن الحقوق فيبوء حينئذ بخزى الدنيا ، وسوء المنقلب وعذاب الله فى الاخرى .

ولذلك نراه حريصا على بقائه ، كما تراه حريصا على نمائه ، لان فضل البقاء والنماء يؤكد حقه ، ويزيد فى رزقه .

وقد حدد الاسلام مصارف الزكاة ، وجعل هذه المصارف درجات يلى بعضها بعضا . ولو أدى كل قادر ما وجب عليه لما كان فى المسلمين فقير ولا محتاج ، لان اخوانهم حملوا عنهم المئونة ، وأغنوهم عن ألم الحاجة ، وكفوهم ذل السؤال ، أو طلب الحياة من غير وجهها المشروع .. وليس أقوى من تلك الوسيلة التى ينبنى عليها المجتمع الاسلامى الذى هو المجتمع المثالى المتكامل الذى ترفرف عليه رايات الامن والرضا والاستقراء فى ظل الحب المتبال ، والاخاء النافع .

ثم الصوم وهو من مبانى الاسلام وقواعده الاولى ، وقد فرضه الله تعالى على المكلفين فى السنة الثانية من الهجرة ، فقال « **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** » وقال تعالى « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » !..

ما أبدع أن يصل المسلمون صومهم شهرا كاملا فى كل عام ، يصبحون صائمين ، ثم ينطلقون الى أعمالهم ، وقد تشابهت أحوالهم ، واتحدت قلوبهم فى طاعة الله والانقياد لامره ، والبعد عما يفسد عليهم عبادتهم التى يبتغون بها وجه الله والدار الاخرة ويبرزون جميعا موحدين فى صورة من صور الطاعة ، صابرين على شهوات بطونهم وفروجهم ، ليوفيهم الله أجورهم بغير حساب .

هذا هو الصوم الذى جعله الله من أوائل العبادات ، وفى مقدمة الطاعات ، وجعله خالصا لوجهه ، وكتب على نفسه ثوابه ، فيما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه يقول : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ٠ واية صورة من الصوم أروع من امساك كافة المسلمين من مطلع الفجر الى لدن تغرب الشمس فى وحدة جامعة ، ثم الافطار فى وقت جامع ، واباحة الطعام حتى تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ٠

ويذكر الصائم فى صومه كما يذكر فى فطره من غاب من أهله وأوليائه ، كما يذكر اخوانه من الصائمين القادرين على الطعام وغير القادرين عليه ، فيلين قلبه، ويذكر نعمة الله عليه، ويحس بما يكابد المعوز الفقير٠

فاذا انقضى رمضان كان المشهد الرائع للوحدة يوم عيد الفطر ، وقد برزت جماعات المسلمين الى المصلى يتبادلون التهانى بما وفق الله اليه من الطاعات ، ثم زخرت بيوتهم بطوائف المهنئين .

وهكذا يصل الله تعالى عباده بفريضة الصيام كما وصلهم ووحد بين قلوبهم بفريضة الصلاة وفريضة الزكاة ٠

ثم فريضة الحج ، وقد وفد المسلمون من كل فج عميق الى بيت الله العتيق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ٠٠

والذى يريد الدليل الذى لا يحتاج الى دليل على الوحدة التى دعا اليها الله ، وعلى الحكمة البالغة فيما شرع الله وفرض على عباده يلتمس ذلك فى فريضة الحج ليراه رأى العيان اذا حفلت البصائر أو اذا زاغت الابصار ليكشف عنها الحجاب فى أصدق رحلة الى الله ٠٠

وحدة فى القصد ، وحدة فى الميقات ، بل ووحدة فى الزى واللباس ، وتجرد مما يداخل النفوس والابصار من الحجب والفوارق بين عباد الله ٠

ثم هذه الجماعات الملبية ، وتلك الوفود الحاشدة تطوف ببيت الله العتيق ، وتسعى بين الصفا والمروة ، وتغذ السير الى عرفة وتقيم فى منى ، وتتزاحم فى رمى الجمرات ، وتلك المضارب والقباب التى تجاوز مد البصر فى تلك المرامى الشاسعة ..

وتلك الالوان المتباينة والالسنة المختلفة والاوطان المتباعدة قد اجتمعت كلها فى ذلك الصعيد تسعى لامر

ربها ، وتؤدى ما فرض عليها، وهى ان اختلفت فى الالوان وفى اللسان ، وتباعدت فى الاوطان فقد جمعها الاسلام فى ذلك المكان المشهود فتجلت وحده القلوب التى ألف الله بينها ووحد كلمتها ، لتقود البشرية نحو معالم الهدى والنور .

«الخنساء قدوة النساء العربيات»
« وأم الابطال الشهداء »

حضرت الخنساء حرب القادسية ومعها بنوها اربعة رجال ، فقالت لهم : « يا بنى انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، ووالله الذى لا اله غيره انكم لبنو رجل واحد ، كما انكم بنو امرأة واحدة ، ماخنت اباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

فاذا اصبحتم غدا فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين » .

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم ، فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون الاراجيز ، فقاتلوا حتى استشهدوا جميعا ، فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وارجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته ، فكان عمر [رضى الله عنه] يعطيها أرزاق أولادها الاربعة لكل واحد منهم مائة درهم حتى ماتت [رضى الله عنها]

الإخلاص

« قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين • قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين • قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ، ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » • الاخلاص تخليص العمل لله وحده « قل انما أدعو ربى ولاأشرك به أحدا • قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا » ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى ذر رضى الله عنه يا ابا ذر أتقن السفينة فان البحر عميق ، واستكثر من الزاد فان السفر طويل ، وخفف الظهر فان العقبة كؤود ، واخلص العمل فان الناقد بصير ، والله يوجهنا الى الاخلاص فيقول لنبيه وهو قول موجه لاتباعه أيضا

قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين • قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم • قل الله أعبد مخلصا له دينى •

فالاخلاص روح كل عمل ، وهو سر النجاح وفيه صفاء الطوية • وحسن النية ، وطهارة القلب • وهو دليل صدق الايمان ونقاء السريرة وتنقية الاعمال من شوائب النفاق والرياء ••

وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة • « البينة »

والمؤمن المخلص هو الذى يجعل ارادته قوية ، واعماله نقية ، لانه يحمل نفسا تعلو عن كل رياء وترتفع عن كل هوى وغرض شخصى •

وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى •

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت جبريل عن الاخلاص فقال سألت الله عز وجل فقال : هو سر من اسرارى أودعته قلب من احببته من عبادى : والله يحب من عباده التوابين ويحب المتطهرين • ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ويحب أمثالهم من المتقين •

وأما الذين يكرههم رب العالمين من خلقه فهم أهل الرياء والاعتداء والنفاق والشقاق فالله لا يحب كل خوان كفور ، ولا يحب كل مختال فخور ، ولا يحب الظالمين ، ولا يحب المستكبرين ، ولا يحب المعتدين •

والله طيب لا يقبل الا طيبا • فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم **(انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى • فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله • ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه) •**

والمهاجر بقلبه مؤمن بقلبه • مخلص لربه • صابر فى البأساء والضراء وحين البأس والايمان السليم يوحى بتخليص العبادة لله الذى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار لان الايمان يحارب الشر فى النفوس الامارة بالسوء ليصنع من المسلم رجلا كامل الرجولة صادق العزيمة لا يعرف الذل ولا الهزيمة • والمؤمن الكامل يكون نقى الخلق نظيف القلب قوى الارادة فى مكافحة الشيطان والهوى فلا تذل الرقاب الا لله ولا تعبد النفوس المؤمنة الا اياه والاسلام يقضى على منابع الشر ويمحق الظلم الاجتماعى لانه يريد للمسلمين حياة حرة كريمة فاضلة يعبد فيها رب العالمين مخلصا له الدين « **ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم** » •

فليس للانسان الا النية الطيبة وصالح العمل • أما الرياء فهو آفة تفسد العمل وقد جاء فى وصف المرائين قول رب العالمين •• « **ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولايذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لاالى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** »

والذى يتأمل فى أوائل سورة البقرة يجد الناس أمام هداية القرآن طوائف ثلاثا أولا : المؤمنون وهم الذين سلمت فطرتهم وطهرت سريرتهم واستنارت بصيرتهم وصفت للحق قلوبهم .. فكانوا من المهتدين المتقين وفى هذا يقول رب العالمين « **ألم • ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم**

روح العمل

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

يوقنون . **أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** » . والقرآن هداية الله القدسية التى تكفلت بصلاح الامر فى الدين والدنيا لان هداية القرآن توحى بالاحسان . احسان القول والفعل مع احسان النية وتوحى بالبذل فى سبيل الله ومعاداة أعداء الله واحتمال التضحية فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله :

وبهذه العقيدة استطاعوا أن يرفعوا راية الحق لان الاسلام دين عالمى خالد ولانهم جعلوا القرآن دليلا فاعتصموا بحبل الله جميعا فنجوا وكانوا أولى قوة . وأولى بأس شديد وكانوا يستمعون القول فيتبعون أحسنه فامتلأت قلوبهم خشية لله فاذا جاهدوا أخلصوا ونصحوا وصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

لقد كانت الخنساء فى الجاهلية ترثى أخاها صخرا رثاء مريرا حزينا يائسا حتى قالت فى فزع وجزع وحزن

يذكرنى طلوع الشمس صخرا
وأذكره لكل غروب الشمس
ولولا كثرة الباكين حولى
على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يكون مثل اخى ولكن
أعزى النفس عنه بالتأسى

هذه أمرأة اعرابية ينقلها ايمانها المخلص ويقينها الثابت بعد اسلامها الى أن تدفع بأولادها الاربعة . الى ميدان القتال لمحاربة أعداء الله وهى قريرة العين مطمئنة القلب وقد حرضتهم على الشجاعة والاستبسال حتى قاتل هؤلاء الاشبال كالابطال ثم قتلوا فلما بلغ الخبر أمهم قالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم جميعا فى الاسلام وأرجو أن يجمعنى الله بهم فى مستقر الرحمة ..

هذا هو الايمان الذى جعل المرأة قوة نادرة .

وطاقة هائلة عبأت نفسها بالايمان وملأت قلبها بالاخلاص واليقين . فقد هان عليها كل شىء حتى أولادها !! .. ولله در رابعة العدوية اذ قالت

اذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

والمخلصون هم الذين يؤثرون الله على غيره بالطاعة والرضا والخوف والرجاء ويفرون الى الله وحده وقد عنت الوجوه للحى القيوم .

ولا يزال التاريخ يتلو على الناس موقف اسماء بنت أبى بكر لابنها عبد الله بن الزبير وقد جاءها مودعا قبل ان يذهب لميدان القتال فتقول له : امض فى قتالك ياعبدالله فوالذى نفسى بيده لان أراك مجدلا صريعا فى سبيل الحق خير من أن أراك مذعنا للباطل .

هذا هو الاخلاص الذى يدفع المسلم الى طاعة الله بلا تردد ولا تقاعس والله يقول

« **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون** » « **الحشر** » .

قال ابن القيم تأمل هذه الاية تجد تحتها معنى شريفا هو أن من نسى ربه أنساه نفسه وذاته فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه بل نسى ما به صلاحه وفلاحه فى معاشه ومعاده فصار معطلا مهملا بمنزلة الانعام السائبة وربما كانت الانعام أخبر بمصالحها منه لبقائها على هداها الذى أعطاه اياها خالقها . أما هذا فخرج من فطرته التى خلق عليها فنسى ربه فأنساه نفسه وصفاتها وما تكمل به وما تزكو به وتسعد ، فى معاشها ومعادها قال تعالى « **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** » فهو مشتت الذهن شارد الفكر قد انفرط أمره عليه حيران لا

يهتدى ونعوذ بالله من شر هؤلاء الشاردين التائهين البعيدين عن ربهم ٠

والاخلاص شعبة من شعب الايمان السليم وخلق من خلق المكارم الاسلامية التى لا تقبل الضيم ولا ترضى بالضير وتأبى ألا أن يكون المؤمن لله وحده ولسان حاله يقول

فليتك تحلو والحياة مريرة

وليتك ترضى والانام غضاب

وعلى الاخلاص قامت الامة المحمدية قوية فى غير عنف ٠ لينة فى غير ضعف وأسسها فتية آمنوا بربهم وجعلوه غايتهم فى كل شئونهم وأمورهم فأصلح الله بالهم وأحسن حالهم ونصرهم على أعدائهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم لما علم نقاء ضميرهم وصدق جهادهم وصفاء قلوبهم وطهارة صدورهم من كل غل فأنزل الله السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا — لقد آمنوا بأن الحياة الدنيا متاع الغرور فآثروا ما يبقى على مايفنى فأخلصوا دينهم لله فأحبوهفجاهدوا فى الله حق جهاده وكل واحد منهم يقول « **وعجلت اليك رب لترضى** »

فكانوا كالذهب تزيده النار صفاء وبهاء كما حدث لبلال وغيره ممن زادتهم القسوة ايمانا وتثبيتا ٠

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخلصا لربه متفانيا فى تادية رسالته ٠ فكان قائدا حكيما ، ومؤدبا حليما ٠ وزعيما نبيلا ٠٠ ومعلما كريما وابا رحيما وقدوة وأسوة وكان سراجا منيرا وأبى الله الا أن يعز جنده ويؤيد عبده ٠ لان الاسلام دين الاخلاص الذى يدفع الجندى لساحة القتال للذود عن وطنه كما يذود الاسد عن عرينة بشجاعة وقوة وحماس وعزم لا يلين ولا يستكين ٠

أما الطائفة الثانية : فهم الكفار الذين قال فيهم رب العالمين فى سورة البقرة

« **أن الذين كفروا سـواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون** » الخ فهم اقوام لئام تبلد حسهم وقست قلوبهم وعميت ابصارهم وبصائرهم ٠ وصمت آذانهم عن سماع الحق « وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ٠٠ ومن بيننا وبينك حجاب » ٠٠ وفيهم يقول رب العالمين « **ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** » ٠

انهم لا يؤمنون ولا ينتظر منهم هداية فقد سدوا مسالك الخير على أنفسهم وأعلنوا الكفر العنيد ٠٠

وبقى فريق ثالث : وهم المنافقون الذين فسد باطنهم كالكفار ولكنهم ظهروا فى صفوف المسلمين بعد أن قالوا كلمة التوحيد لتستر مظهرهم الخارجى الذى يصوره القرآن الكريم فيقول

« **واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون** » المنافقون ويقول

« **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** ٠٠ الخ ٠٠

ولقد لقيت الدعوة المحمدية فى بدء أمرها من المنافقين ما كاد يعوق سيرها لولا أن فضح القرآن الكريم أمرهم وأظهر سرهم ٠

وكانوا يكيدون للاسلام ليطفئوا نور الحق ولكن الله أتم نوره وأظهر دينه وأعلى كلمته ٠

فهذا حاطب بن ابى بلتعة يكتب الى المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر الرسول صلى الله عليه وسلم : فيقول له الرسول ما هذا فيقول يا رسول الله لا تعجل على أنى كنت امرءا ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسها ٠ وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة وبها أهليهم وأموالهم فأحببت اذا فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى فيثور لذلك عمر ويهم بضرب عنقه لولا أن يقول الرسول انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر : فقال اعملوا ما شئتم ٠ فقد غفرت لكم » ٠

ان الله قد وضح للناس صفات المنافقين الافاكين والمتسلقين والمرائين ولقد كان على رضى الله عنه اذا سمع ثناء الناس عليه يقول :

« اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ٠ ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون » ٠

ولقد جاءت الشرائع السماوية بكل ما يسعد البشرية ولكن الافاعى الادمية التى لم تهذب طباعها شرائع ولا تربية لانها جبلت على الخسة — لم تخلص لربها : والقران كالماء النازل من السماء ينبت كل شىء حى ولكن العيب ليس فى الماء بل العيب فى طبائع الاشياء ومعادنها والمنافقون لا يخلصون لانهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ٠

أما المخلصون فقد شرح الله صدرهم للاسلام وملأ قلوبهم بنور الايمان فأصبحوا أشداء على الكفار رحماء بينهم يستمدون من الله قوتهم وعزتهم وليس أشقى ممن حرموا طمأنينة الانس الى الله والثقة بالله والله يقول

« **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب** » ٠

الفتوى فى الإسلام

الأستاذ رجائى عطية

يقول رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام ··

« العلم خزائن مفاتيحها السؤال ، فانه يؤجر فيه أربعة : السائل ، والعالم ، والمستمع : والمحب لهم ! ·

فمنزلة السؤال من منزلة العلم ·· فهو يمهد له ويؤدى اليه ·· وقد كانت الدعوة الاسلامية نورا اضاء للبشرية ، وحرك لدى الناس كوامن الرغبة فى المعرفة ·· معرفة هذه الاحكام والتعاليم الجديدة التى ينادى بها المصطفى عليه الصلاة والسلام : وتتحدث عنها الايات القرآنية الشريفة ··

وحينما يكون جديد يكون السؤال والاستفسار : ويكون الجواب والافتاء ··

وقد تحدث الاسلام عن الاحوال الشخصية والمعاملات والعقوبات كما تحدث عن العقائد والعبادات ·· وفى كل هذه الاحكام احتاج المسلمون لان يتوجهوا الى نبيهم عليه الصلاة والسلام بالسؤال ·· يستجلون ما غمض عليهم منها ، ويعرضون ما وقع لهم من أحداث لم يتبينوا وجه الصواب فيها ·· وكان المصطفى عليه الصلاة والسلام يجيب على تساؤلاتهم ويفتيهم ·· تارة بآية او آيات كريمة يوحى بها اليه ، وتارة باجتهاده الذى يلهمه الله ـ سبحانه ـ فيه فوق ما يهديه اليه عقله وبحثه وتقديره ·· ومنذ هذا العهد ـ عهد التنزيل ـ درج المسلمون من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا على التوجه الى علمائهم وفقهائهم ليبينوا لهم أحكام دينهم الحنيف ، ويفتوهم فيما يعرض لهم من شئون دينهم ودنياهم ··

وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام اول مفت فى الاسلام ·· من فتاويه تكونت معظم السنة (القولية) المصدر الذى يلى الكتاب الكريم مباشرة من مصادر التشريع الاسلامى ·· فقد تضمنت فتاويه جوامع الاحكام المشتملة على فصل الخطاب ·· أمرنا الله تبارك وتعالى باطاعتها والعمل بها ·· فيقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز :

« فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر : ذلك خير وأحسن تأويلا » ·

« من يطع الرسول فقد أطاع الله »

« أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم !

« وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى !

« فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته : واتبعوه لعلكم تهتدون » ·

صدق الله العظيم ··

والفتوى هى الجواب عما يشكل من الاحكام ببيان الحكم الشرعى لمن يريد معرفته ·· وهى بهذا تختلف عن الاجتهاد ·· او هى بالاحرى أخص منه : ذلك ان الاجتهاد هو استنباط الاحكام سواء أكان هناك سؤال فى موضوعها ام لم يكن ·· اما الفتوى فانها تكون ردا على سؤال بصدد واقعة معينة تداعت يتولى الفقيه المفتى التعرف على حكمها وارشاد السائل اليه ··

وقد كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يتوخى تفقيه اصحابه فى أحكام الدين ، وتأهيلهم للقيام بدورهم من بعده فى الافتاء ·· لذلك كان يشجع من يرسله منهم الى المناطق النائية على الاجتهاد فيما لم يرد بشأنه نص فى الكتاب او السنة ··

روى أنه عليه الصلاة والسلام عندما ارسل **معاذ ابن جبل الى اليمن داعيا وهاديا وقاضيا سأله بم** يقضى اذا لم يجد بغيته فى كتاب الله وسنة رسوله ·· فلما أجابه معاذ : « **أجتهد رأيى ، لا آلو** » سر المصطفى عليه الصلاة والسلام وتهلل وجهه وقال له : « **الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله** » ··

وقد تابع الصحابة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام الاجتهاد وافتاء المسلمين فيما يشكل عليهم ·· فقد اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وترامت

أبعادها بانتشار الاسلام ·· ونمو حركة الفتح ·· واخذت اعداد الوافدين الجدد فى رحاب الدعوة تكبر وتتعاظم ·· ولم يكن كل واحد منهم على درجة من التفقه فى الدين ومقدرة على الرجوع بنفسه الى المصادر الاساسية فى الكتاب والسنة تمكنانه من التعرف على الحكم الشرعى الصحيح فى كل المسائل، فقد كانت نصوص القرآن الكريم لاتزال فى ذلك العهد مدونة فى صحائف خاصة محفوظة فى بيت الرسول وبعض أصحابه، ولم تكن السنة قد دونت بعد تدوينا شاملا، فضلا عما طرأ على المسلمين من حاجات وحوادث وأقضية لم تطرأ فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ·· ومن هنا اضطلع علماء الصحابة بمهمة نشر القرآن الكريم والحديث الشريف وتفسيرهما، وافتاء الناس فيما يعرض لهم من وقائع فى مختلف الامصار الاسلامية ·· وفى هذا المجال **اشتهر منهم نحو مائة وثلاثين صحابيا ·· من ابرزهم الخلفاء الاربعة، والسيدة عائشة: وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر: وزيد بن ثابت: ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود: وغيرهم ·· رضى الله** تعالى عنهم أجمعين ··

ولقد كان علماء الصحابة بحق خير من يتولى هذه المهمة فى هذه الحقبة ·· استحقوها لعمق ايمانهم وورعهم وطول صحبتهم للرسول، وحفظهم عنه القرآن والسنة، ولمشاهدتهم مواضع التنزيل والمامهم بأسبابه، وتلقيهم تعاليم الرسول وارشاداته ·· كل ذلك مع العقل الواعى والاخلاص جعلهم أقدر الناس على معرفة مرامى الشرع وادراك حكمه ·· **فوظيفة الافتاء من أجل المهام واخطرها: والمفتى الحق يقوم بعمل هو من عمل الانبياء ·· فهو يبين للناس ما يحل** لهم وما يحرم عليهم، ويرشدهم الى أحكام دينهم الحقة ·· وهو دور تبدو أهميته وخطره فى تهيب السلف - على علمهم الغزير - من الفتيا، واحجامهم عن اعطائها - فى عهد الراشدين - الا لضرورة تتمثل فى واقعة حصلت بالفعل، وبعد البحث والتحرى المتأنى ··

يقول الامام النووى فى مقدمة شرح المهذب:

«اعلم ان الافتاء عظيم الخطر كبير الموقع كثير الفضل، لان المفتى وارث الانبياء وقائم بفرض الكفاية ··

ويقول عبد الرحمن بن أبى ليلى:

« ادركت عشرين ومائة من الانصار من أصحاب **الرسول ·· يسأل احدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترفع الى الاول ·· وفى رواية ما منهم من يحدث بحديث الا ود اخاه كفاه اياه، ولا يستفتى عن شىء الا ود أن أخاه كفاه الفتيا » ··**

ويتفق جمهور الفقهاء على الاخذ بالاجماع ثم **بفتوى** الصحابى على الترتيب كمصدرين للتشريع **الاسلامى** يليان الكتاب والسنة مباشرة ·· فأقوال الصحابة عليهم الرضوان حجة بعد النصوص لقوله سبحانه وتعالى:

« والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » ·

ولقول المصطفى عليه الصلاة والسلام:

« انا امان لاصحابى، وأصحابى أمان لامتى ! ·

« لا تجتمع امتى على ضلالة » ··

ولعل الصحيح فى الاجماع ما ذكره أحد العلماء من أنه لا يبتعد عن الحقيقة من يقول: انه لم يعرف اجماع متفق على وقوعه غير اجماع الصحابة، وهو الذى سلم به الجميع ·· فالاجماع لم يكن ممكنا عملا الا فى عهد الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم قبل أن يتفرقوا فى الاقاليم، ثم اصبح بعد ذلك غير ميسور، ان لم يكن متعذرا، حين تفرق هؤلاء والتابعون فى الامصار والاقطار الاسلامية ·· وقد اسهب ابن القيم فى بيان منزلة آراء الصحابة، وكيف أنها اقرب الى الكتاب والسنة من آراء من جاء بعدهم ·· وفتاواهم حجة علينا لذلك ولاسباب اخرى افاض ابن القيم فى ايضاحها فى كتابه المعروف « اعلام الموقعين » ومن جملة رأيه:

« الفتوى التى يفتى بها الصحابى لا تخرج عن ستة وجوه:

ان يكون سمعها من النبى عليه الصلاة والسلام ·

ان يكون سمعها ممن سمعها ·

أن يكون فهمها من آية فى كتاب الله فهما خفى علينا ·

ان يكون قد اتفق عليه ملؤهم (اجماعهم) ولم ينتقل الينا الا قول المفتى وحده ··

أن يكون رأيه لكمال علمه باللغة ودلالة اللفظ على الوجه الذى انفرد به عنا، او لقرائن حالية اقترنت بالخطاب او لمجموع امور فهمها على طول الزمان من رؤية النبى، ومشاهدة افعاله واحواله، وسيرته وسماع كلامه والعلم بمقاصده، وشهود تنزيل الوحى، ومشاهدة تأويله بالفعل فيكون فهم ما لا نفهمه نحن ·

وعلى هذه التقارير الخمسة تكون فتواه حجة علينا ··

اما الوجه السادس فهو أن يكون فهم ما لم يروه عن النبى عليه الصلاة والسلام، واخطأ فى فهمه ··

وعلى هذا التقدير لا يكون قوله حجة ··

وقد اثر عن الائمة الاربعة انهم كانوا يتبعون اقوال الصحابة بعد الكتاب والسنة، ولا يخرجون عنها، **ويقول الامام ابو حنيفة فى ذلك:**

« ان لم أجد فى كتاب الله تعالى وسنة النبى صلى الله عليه وسلم اخذت بقول اصحابه، آخذ بقول من

شئت ، وأدع من شئت منهم ، ولا اخرج من قولهم الى قول غيرهم » ٠

ولم تقف حركة الاجتهاد والافتاء بانتهاء عهد الصحابة الابرار ٠٠ فقد حمل المشعل من بعدهم نفر من الفقهاء اصحاب الورع والصلاح ، وعمق الفكرة ، وسعة الاطلاع والدراسة من ابرزهم أبو حنيفة **النعمانى ومالك والشافعى واحمد بن حنبل ٠٠ على أكتافهم قامت مذاهب شامخة ، وازدهر الفقه الاسلامى ــ بفضل الاجتهاد والافتاء ــ** ازدهارا كبيرا فى العصر المعروف بعصر التدوين والائمة المجتهدين ، والذى بدأ فى أوائل القرن الثانى للهجرة واستمر الى نحو منتصف القرن الرابع ٠٠ وفيه بدأت حركة تدوين وفتاوى المفتين من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وتصنيفها فى أبواب بحسب موضوعها ٠ ذلك التدوين الذى بدأ بمحاولة فردية فى عهد النبى على يد عبد الله بن عمرو بن العاص الذى كتب عدة صحائف ضمنها بعض احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وفتاويه ، وسميت بالصحيفة الصادقة ٠٠

وقد رجع ائمة هذا العصر فى فتاويهم الى مصادر التشريع الاسلامى المعروفة ، وعلى رأسها الكتاب والسنة والاجماع وفتوى الصحابى ٠٠ يبحثون فيها على الترتيب على حكم الواقعة المستفتى فيها ، ويجتهدون فى استنباط الاحكام الشرعية وتطبيقاتها ، محاولين فى كثير من الاحيان تلمس الاسباب والعلل للاحكام ٠٠ وكان من الطبيعى ان اختلفت آراء هؤلاء الائمة ــ وغيرهم ــ فى بعض فتاويهم بسبب التفرق فى الاقطار ، واختلاف الظروف والاوضاع فى كل منها ، فضلا عن التفاوت فى الاطلاع على الاحاديث وتنوع المعارف لدى كل منهم ٠٠ ولذلك ظهرت مدرسة الرأى فى العراق ، ومدرسة الحديث فى الحجاز ٠٠ وكان من نتاج ذلك المذاهب الفقهية الاربعة المعروفة ٠

والمتتبع لتاريخ الفتوى فى الاسلام يلاحظ أنها سارت دائما مع حركة التشريع عموما ــ باعتبارها احد مصادر نمائه ــ صعودا وهبوطا ٠٠ اصابها ما أصاب التشريع من جمود فى عهد التقليد الذى تلى عصر الائمة المجتهدين ، ولحق بها ما لحق به من نشاط ونهضة فى العصر الحديث نتيجة لدعوة ابن تيمية وغيره من المجتهدين الذين نادوا بدعوته من بعده ، وشجعوا الفقهاء على الاجتهاد ٠٠

وقد كان للمفتى على اختلاف هذه العصور ــ **لخطر وظيفته ــ شروط يلزم توافرها فيه للاضطلاع بمهمة الافتاء ٠٠** منها الورع والتدين ، والعلم باللغة العربية ، والقرآن الكريم ٠٠ ناسخه ومنسوخه ، والعلم بالسنة ومواضع الاجماع ومواضع الخلاف ، فضلا عن معرفة القياس وطرق الاستنباط ومقاصد الاحكام ، مع صحة الفهم وحسن التقدير وصدق النية وسلامة الاعتقاد .. ويلزمه فوق ذلك أن يتعرف على واقعة الاستفتاء ، ونفسية المستفتى والجماعة التى يعيش فيها ، ليعرف أثر الفتوى سلبا وايجابا ٠٠

روى عن الامام احمد بن حنبل قوله :

« لا ينبغى للرجل ان ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال :

أن تكون له نية ، فان لم تكن له نية لم يكن عليه نور ، ولا على كلامه نور ٠٠

أن يكون على علم وحلم ووقار وسكينة ٠

أن يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته ٠

الكفاية ، والا مضغه الناس ٠

معرفة الناس ٠٠

ويقول الامام الصيرفى :

« من قام للناس بأمر دينهم وعلم جمل عموم القرآن وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ، وكذلك السنن والاستنباط فمن بلغ هذه المرتبة سموه بهذا الاسم ، ومن استحقه افتى فيما استفتى » ٠

ويقول النواوى :

« ينبغى أن يكون المفتى ظاهر الورع مشهورا بالديانة الظاهرة والصيانة الباهرة » ثقة ٠٠ مأمونا ٠٠ متنزها ٠٠ فقيه النفس ، سليم الذهن ، رصين الفكر ، صحيح النظر والاستنباط متيقظا ٠

والمفتى هاد ومرشد ٠٠ فتواه مدار لاصلاح الناس ، ولذلك يقول الشاطبى :

« المفتى البالغ ذروة الدرجة هو الذى يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور ، فلا يذهب بهم مذهب الشدة ، ولا يميل بهم الى طرف الانحلال » ٠

ويقول ابن السمعانى :

« المفتى من استكمل فيه ثلاث شرائط : الاجتهاد : والعدالة ، والكف عن الترخيص والتساهل ! ٠

وكما أن التساهل فى الفتوى خطأ ، فان التعنت فيها غير مطلوب ، فباب الرخص مفتوح بين يدى المفتى يعالج به احوال الناس اذا رأى ان الاخذ بالعزائم فيه حرج وعنت والله سبحانه وتعالى يحب ان تؤتى رخصة كما يحب أن تؤتى عزائمه ٠٠ فالاسلام دين رحمة ويسر ٠٠ ينأى بالمؤمنين عن العناء والمشقة ، فيقول تبارك وتعالى : « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** : ويقول نبى الرحمة : « **ان هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين احد الا غلبه : فسددوا وقاربوا** » ٠٠

والمفتى الذى بلغ مرتبة الاجتهاد يفتى بموجب الكتاب والسنة والرأى السليم ، اما اذا كان لم يبلغ هذه الذروة فانه يتخير من أقوال المذاهب اقواها دليلا واصلحها للناس ، على أن يكون فيما يصدر عنه حسن القصد ٠٠ لا يتبع اهواء الناس ، او يمين لارضاء حاكم ، فاذا كانت المسألة خلافية احتاط للشرع ،

واحتاط للمستفتى من غيرخروج ولاشذوذ .. وعليه فى جميع الاحوال ان يعمل بما يفتى به، والا افتقد العدالة ، واختلت الثقة فى فتواه ..

وعناية المفتى بتعليل احكام فتاويه وبيان اسرارها امر مطلوب ومرغوب فيه .. وفى ذلك يقول الامام الغزالى فى المستصفى :

« ان معرفة باعث الشرع ومصلحة الحكم استمالة للقلوب الى الطمأنينة والقبول بالطبع والمسارعة الى التصديق » .

والفتوى كغيرها من أحكام الشرع الاسلامى لها آداب وتقاليد تلزم مراعاتها : فينبغى للمفتى ان يتأنى فى فتواه ولا يتسرع ، لان التفكير والتدبر يقودان الى الصواب .. واذا ما خلص الى فتواه كان عليه ان يبين الجواب للستفتى بيانا يزيل الاشكال ، ويضمن تفهمه له ..

ويتفق الفقهاء على ان رجوع المفتى عن فتواه يلزم المستفتى بالرجوع عنها اذا علم بعدول المفتى قبل العمل بفتواه الاولى ، فاذا كان قد تلقى الفتوى من اكثر من مفت واختلفت الاراء فيها فان الاحتياط يوجب عليه الاخذ بأشدها واصعبها عليه ..

والافتاء .. لاهميته وجلاله وخطره .. معتبر من الفروض الكفائية التى يلزم تعيين الاكفاء لها القادرين عليها ، ولهذا فان الجواب متعين على المستفتى اذا لم يكن فى الناحية غيره ، وكان حائزا لشروط الافتاء ، أهلا له ..

وفى ذلك يقول النووى :

« الافتاء فرض كفاية ، فاذا استفتى وليس فى الناحية غيره تعين عليه الجواب ، فان كان فيها غيره وحضر فالجواب فى حقهما فرض كفاية ..

ويقول ابن القيم :

« من أفتى الناس وليس بأهل للفتوى فهو آثم عاص : ومن أقره من ولاة الامور على ذلك فهو آثم عاص » .

وكان من الطبيعى – وهذه منزلة الفتوى واثرها فى نماء الفقه الاسلامى وازدهاره – ان تنال العناية اللائقة بها .. سدا لحاجات المسلمين ، وارشادا لهم الى سبيل الصلاح والهداية .. فقامت هيئات عديدة لافتاء المستفتين والسائلين ، والرد على استفساراتهم فيما يعرض فى حياتهم من شئون دينهم ودنياهم .. على رأسها دار الافتاء المصرية ولجنة الفتوى بالازهر الشريف .. كما اضطلعت بعض الهيئات الاخرى والاجهزة الاعلامية بجانب من هذا الواجب ، تستعين فيه بالفقهاء المتخصصين المستوفين لشرائط الافتاء .. واخذت حركة تدوين الفتاوى وتبويبها تنشط وتزدهر .. مصدر نماء للثروة الفقهية المأثورة ووصلا لما انقطع من سلسلة البحوث الاسلامية القيمة .

طلائع النصر

من الرباط الى الجزائر ، الى طرابلس وبنى غازى ، الى الخرطوم والقاهرة ، شهد العالم كله أخيرا ، صورا حية متجاورة ، تجاور المرايا ، تتضوأ صفاء وجمالا ، من احتشادات الشعب العربى المتعانقة ، منبعثا بجميع طوائفه وطبقاته ، لاستقبال زعمائه وقادته ومحرريه ، معربا باعلى صوت ، وأجهر رأى ، وأوضح تعبير ، عن خالص حبه لهم وثقته بهم ، معلنا بيعته لهم ، بيعة اجماع صريح ، مجلجل ، على البذل والفداء والصبر ، حتى النصر ، فى معركة الحق والحرية ، والكرامة والمصير ! ..

ويجىء هذا الانبعاث العرم الجياش ، مؤكدا ، مرة أخرى ، المشاعر العربية المتحررة التى كانت قد توهجت واستفاضت على امتداد الوطن العربى كله ، عقب عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ ، انفة وغضبا ، ورفضا للهزيمة ، وتصميما على النضال والتضحية .

فالشعب العربى بعد ثلاثين شهرا يتجلى ، أشد قوة وأوثق وحدة ، وأعمق ايمانا بحقه وواجبه ، لم تنل منه منالا ، المؤامرات الصهيونية والاستعمارية التى حيكت له ، وهومت عليه ، ابتغاء تخذيله ، وتفريق جماعته ، فدل بذلك على سلامة الفطرة ، وصدق الايمان ، ونضوج الوعى ، واتحاد الصف ..

وتلقاءهذا الروح العالى الشجاع ، الذى يمثل التعبئة العربية العامة ، وتحت الضربات الساخنة الموجعة التى تنصب على اسرائيل ، من البر والبحر والجو ، فى فدائية مذهلة ومروعة ، فى هذا الافق المتأجج نارا ، كان طبيعيا ان تظهر على هذه العصابة الافاقة أعراض القلق والاضطراب ، ويخبو فيها زهو البطولة والنصر ، ولكنها تشبثا بالبقاء ، واسترسالا فى الزيف الذى تعيشه وتحياه ، لا تزال تتكلف مظاهر القوة ، بما تقارفه فى عنف وعصبية ، من تصرفات بربرية ، تنكيلا بالعرب فى أرضهم المحتلة ، وعدوانا على دورهم وأموالهم وحرماتهم ، وقد عرض رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بعض الصفحات الدامية من

على طريق الجهاد

الأستاذ أحمد وافي

وحشيتهم ، على [المؤتمر الدولى لنصرة فلسطين] ، وهو المؤتمر الذى عقد فى ديسمبر الماضى ، وحضره مائتا عضو يمثلون مجموعة كبيرة من دول العالم ، فى امريكا واوروبا وآسيا وافريقيا ، فقال : [ان ستة آلاف فلسطينى لقوا مصرعهم منذ حرب يونيه ، نتيجة لقنابل النابالم والتعذيب والمذابح التى تمارسها السلطات الاسرائيلية ضدهم ، وان سته عشر الفا آخرين اعتقلوا ، من بينهم الف وسبعمائة سيدة ! .. الخ ..] ، ذلك بالاضافة الى ما لا يحصى كثرة من فظائع سنة ١٩٤٨ ، وما قبلها وما بعدها ، وكذلك عدوانها المتصل على المساجد والكنائس والاثار والمقدسات الاسلامية والمسيحية ، وقد ثبت هذا كله بالادلة الدامغة فى تحقيق هيئات التحقيق ولجنة حقوق الانسان المنبثقة عن جمعية الامم المتحدة ؟ !

وليس بالامر الغريب ان تفعل اسرائيل ذلك ، وتستن فيه ، حتى وهى فى مثل هذه الظروف الرهيبة المحيطة بها ، فما كانت اسرائيل الا مجتمع السفاحين وشرار اليهود وأعداء البشر ، وقد علمنا من مسيرتهم التاريخية الطويلة ، قديمها وحديثها معا ، انهم يرتكبون الجرائم الانسانية الى أقصى الحدود ، وعلى أقسى وأبشع الصور ، مسوقين اليها بالطبع والغريزة وفساد العقيدة ، يفعلون ذلك فرادى او جماعة ، وضعافا أو أقوياء ، فى الظلام أو النور ، وفى مكامن الارض أو فوق سطحها ! .. فكذلك هم فى كل العصور ، وفى كل الامم ! ..

ولكن الغريب أنها عضو فى هيئة الامم المتحدة ، وموضعها هناك لا يعدو موضع دولة اقحمت اقحاما بلا تاريخ ، ولا قومية ولا اصالة ذاتية نقول ، مع ذلك ، فانها تقف من هذه الهيئة الدولية العظيمة ، موقف التحدى ، متمردة على ما اصدرته من قرارات صريحة بجلائها ، مرددة من لحظة الى أخرى ، بانه لا جلاء ، ولا سلام .

فموقفها هذا — على ضعفها ، وهوان شأنها ، بالقياس الى الهيئة العامة لدول العالم — موقف يبدو غريبا ، واغرب منه ان هذه الهيئة على ما فى سلطتها ودستورها من قوة الردع والتأديب ، لم تتخذ — الى يومنا هذا — ايما اجراء لمعاقبة هذه الدويلة الخارجة عليها ، العابثة بها !!

واسرائيل تعلم ان [المفاوضات المباشرة] مع العرب ، ليس اليها من سبيل ، فذلك مطلب خبيث قد رفضه العرب فور وقوع العدوان ، وما برحوا يرفضونه فى اصرار ، ولا شىء سوى ان تجلو اسرائيل جلاء ناجزا ، ومتكاملا ، عن كل شبر من أرضهم ، فان لم تفعل طواعية واختيارا وتسليما بالحق ، واذعانا لقرارات مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة الواجبة الاحترام ، فانهم مستردون أرضهم — قسرا — بالقوة ، مثلما اغتصبت — غدرا — بالقوة ! .. وانهم لفى سبيل ذلك ، ولا عليهم ان يفعلوا ، بعد ان فشلت كل المحاولات التى بذلت على النطاق الدولى ، لكبح جماح اسرائيل ، وحملها على الجلاء [سلما] ، اجتنابا لاحتمالات [حرب عامة] توشك ان تشعلها الشرارات الصغيرة المتطايرة من العدوان الاسرائيلى على الارض العربية ، وبخاصة فى هذا الوقت الذى يرزح فيه العالم تحت أعباء ثقال من التوتر والاستفزاز واصطراع المنازع والاهواء ! .. ولا يكاد يختلف اليوم اثنان ، فى ان حربا عالمية فى عصر الذرة والقنابل الهيدروجينية ، والصواريخ ذات الرؤوس ، الى آخر مخترعات العلم الحديث ، انما هى الدمار

الساحق ، ممتدا الى كل مكان في الارض ، مخربا كل أثر للحضارة وللحياة الانسانية عامة ! .. ومن يدرى ؟ .. فلعل اسرائيل تريد ذلك عن عمد وقصد ، فيهودها الاشرار يعيشون بحقدهم الاسود الذى أرضعتهم الصهيونية لبانه المسمومة ، بغضا فى العالم بأسره ، وكراهية للناس كافة ، وقد كانوا فى المجتمعات الانسانية التى وسعتهم وأظلتهم ، لا يتورعون عن الكيد لها ، والتآمر عليها ، واشاعة الفساد فيها ، وكتبهم التى يتعبدون بها ، وهى محشوة بالخرافات المدخولة ، تبرر لهم ذلك ، بل وتامرهم به ؟ !

ومع ان هذا الحشو الخرافى فى كتب عبادتهم مخاض عهود قديمة أفرخت فى ظلامها شهوات الوضاع الخبثاء من رؤسائهم الدينيين ، ينفثون به ، مشاعر الحقد فى قلوبهم ، بسبب ما كان قد حل بهم من ذل القتل والشتات والاستعباد ، فقد كان المفروض ، بعد انقراض أجيالهم الاولى ، وذهاب طبقة العصور القديمة ، وانحسار الظلام والجهل عن العقل البشرى .. كان المفروض ان يغيروا هذا الجلد البالى القذر ، ليعيشوا مع الناس بالعقل المستنير ، والفكر المتحرر من الاوهام والاضاليل ، ولكنهم لسوء حظهم ، ولسوء حظ البشرية معهم ، قد ابتلوا بالصهيونية ذات الاطماع المريبة ، والاهداف الشريرة ، تتلقى هذا الميراث ، وتنفخ فيه وتنشره من أكفانه ، ليشيع فيهم عقيدة وسلوكا ، وقد استطاعت أن تجعل ممن سقطوا فى حبالها دولة صهيونية لحما ودما . تسير على ذلك النهج القديم ، حقدا ، وكراهية ، وتخريبا باسم الدين ، ورؤساء الصهيونية يتابعون نشاطهم المستتر ، فى تعزيز هذا النهج والاغراء باتباعه ، بالبروتوكولات والمواثيق والمؤتمرات ، ومنها على سبيل المثال ، قرار المؤتمر الصهيونى الذى انعقد فى بودابست عام ١٩٥٤ [وقد حصلت عليه ونشرته صحيفة « كومن سنس » الامريكية فى ذلك الحين] ، وينص هذا القرار على : [اشعال نيران حرب عالمية ، والقضاء على الاجناس غير الاسرائيلية ... الخ] ..

فليس امرا مستبعدا أن يكون من أهداف اسرائيل ، بمواقفها المتعفنة ، تدمير العالم كله والقضاء على كل من ليس اسرائيليا ! ..

والعرب فى مواجهتهم الخطر الصهيونى بكل احتمالاته ، يحتشدون على طريق الجهاد المقدس ، مدركين ادراكا تاما ، أن أمرهم مع اسرائيل أكبر من مجرد استعادة الاجزاء المحتلة من أرضهم ، وانما هو امر الدفاع الذى لا مهرب منه عن وطنهم الكبير ، وعن مقدساتهم وحرماتهم ، وعن حياتهم بكل حقائقها وقيمها الانسانية ..

وهم يرفضون [المفاوضة] مع اسرائيل ، لانها تعطى معنى « الاستسلام » وتضفى على اسرائيل وجودا لا يقرونه ، وانتصارا لا يعترفون به ، ثم انهم — بعيدا عن هذا المفهوم — خلقاء الا يقبلوا المفاوضة مع قراصنة وجناة ، يتلطخ تاريخهم بالخيانات ونقض العهود ، كفروا بآيات الله ورسالاته ، وقتلوا الانبياء وخانوا المسيح عليه السلام ، ونكثوا عهد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وتآمروا عليه وحاربوه ، وسعوا فى الارض فسادا ، وضاقت بشرورهم ومكائدهم المجتمعات المسيحية والاوروبية على وجه خاص ، فطردتهم انجلترا سنة ١٢٩٠ ، وفرنسا سنة ١٣٩٤ : والنمسا سنة ١٤٢٠ وأسبانيا سنة ١٤٩٢ ، والمانيا سنة ١٥١٩ ، وروسيا سنة ١٧٢٧ ، وفى الحرب العالمية الثانية [١٩٣٩ — ١٩٤٥] ، أعدم هتلر منهم مئات الالوف ! ..

فمن العسير مع هذه الاحداث المتشابهة فى مجتمعات وأزمان مختلفة ، ان يتصورهم العرب أبرياء وصالحين ، وأهلا للثقة والوفاء بالعهود ؟ !

ويذكرنا حديث هذه « المفاوضة » بما قد كان مثلها فى عهد السلطان الناصر صلاح الدين الايوبى خلال حرب المائتى عام [الحرب الصليبية] — وذلك بعد ان استرد بيت المقدس — من السماحة الاسلامية المتطهرة من الغل ، فى معاملة الفرنج ، فسمح لهم بالخروج من المدينة بكل أموالهم ومتاعهم ، على عهد منهم أن يلتزموا السلام ، والا يقفوا منه موقف عداء ، ولكن حدث بعد ذلك ان خانوا عهده ، وجحدوا فضله ، وتجاهلوا انه وهو المنتصر عليهم ، كان فى وسعه ، ومن حقه ، ان يطيح برؤوسهم ، مثلما فعلوا بالمسلمين فى غير حرب من تذبيح وتقتيل وانتهاك حرمات ، فاجتمعوا له فى بعض القلاع الساحلية التى كانت ما تزال بايديهم ، وخاضوا معه معارك شداد كلفته الكثير من التضحيات ، وطارت أخبار انتصاراته وهزائمهم الى غرب اوربا ، فوافتهم على عجل ، الحملة الثالثة فى جيوش جرارة ، على رأسها ملوك المانيا وفرنسا وانجلترا ، فأما ملك المانيا فقد ادركه الموت فى الطريق فتشتتت جيوشه ، وأما ملك فرنسا فقد ضاق صدرا بهذا الغزو المتهوس ، فعاد بجيشه قانعا من الغنيمة بالاياب .. وبقى رتشارد [قلب الاسد] ملك انجلترا ، وكان من أبطال عصره ، ومن أقواهم عزما ، وأدهاهم رأيا ، فنظم الجيوش ، وأعد العدة ، وقاتل المسلمين قتالا صارما ، ولكنه رأى ، آخر الامر ، ان المسلمين قد وجدوا فى صلاح الدين القائد الذى جعل منهم قوة بعد ضعف ، ووحدة بعد تفرق ، وسار بهم على طريق جهاد يجودون فيه بأرواحهم سماحا ، ملا قبل للفرنج بملاقاة هذه القوة التى تقاتلهم من فوق أرضها ، فراح يراسل صلاح الدين موادعا ، وراغبا فى أن يلتقيا معا فى مجلس « مفاوضة » للاتفاق على [الصلح] ، فيأبى صلاح الدين [المفاوضة] ، لانها مساومة غير مشروعة فى حقوق العرب والمسلمين ، ويلح « رتشارد » فى طلبه ، ويعرض أخته للزواج من الملك العادل [أخى صلاح الدين] ، وبعد احداث ومراسلات طويلة ينتهى الامر الى نهايته المحتومة ، فينقلب رتشارد [قلب الاسد] على اعقابه عائدا الى

بلاده ، وقائلا مقالته التى سجلها المؤرخون : [ان هذا السلطان عظيم ، وليس فى أرض المسلمين من هو أكبر وأعظم منه ، وقد هلكت بلادنا ، واحصينا من جاء فى البحر — فقط — فكانوا سبعمائة ألف مقاتل ، فما رجع منهم أكثر من العشرة ، أما الباقون فماتوا قتلا أو غرقا ، أو أسروا .. الخ] .

فمبدأ الدخول فى [مفاوضة] المعتدين مع امتلاك القدرة على طردهم ، مبدأ مرفوض عند العرب المسلمين من نحو ثمانية قرون ! ..

ويحضرنا فى هذا المعنى ، موقف آخر لا يقل جلالا عن مواقف الناصر صلاح الدين ، وهو كما أورده « صبح الاعشى » فى « التعريف بالمصطلح الشريف » :

ان الفرنج بعد تحرير بيت المقدس من احتلالهم ، ظلوا يرقبونه من بعيد ، ويترصدون الفرصة للوثوب عليه ، وكان المسلمون بعد صلاح الدين قد واجهوا مشكلات وخطوبا ، وخاضوا حربا قاسية مع المغول ، فظن الفرنج ان هذه هى فرصتهم ، فتقدموا فى حملة اخرى يريدون بيت المقدس ، ولكنهم وجدوا المسلمين يحيطونه بالقوة التى لا تقهر فى حرب ، فلجأوا الى الحيلة والاغراء ، وأرسلوا الى القاهرة رسلهم [يفاوضون] السلطان فى نزوله لهم عن المدينة المقدسة ، على أن يكون للمسلمين ساحل قيسارية وعسقلان [ويكون للاسلام بهما ولاة .. والبلاد مناصفة .. ومساجد المسلمين قائمه ، وادارات قوامتها دائرة .. ويبذلون له — للسلطان — مائتى الف دينار تعجل وتحمل ، فى كل سنة ، ويطرف — السلطان أيضا — فى كل سنة بغرائب التحف والهدايا ؟] الى آخر هذه العبارات وهى ما سيجىء بعدها منقولة بنصها الاصلى عن « صبح الاعشى » !

وكان ثمة « كتبة » فى مجلس السلطان اظهروا : [استحسانا] لهذا العرض ، فقالوا : [هذا مال جليل .. ثم ماذا عسى ان يكون منهم — اى من الفرنجة — وهم نقطة فى بحر ، وحصاة فى دهناء] . ولكن السلطان ما أن استمع اليهم حتى [حمى غضبه ، وكاد يتضرم عليهم حطبة ، ويتعجل لهم عطبة ! ..] ثم وجه خطابه الى رسل الفرنج ، قائلا :

« والكم — يعنى ويلكم — أنتم عرفتم ما لقيتم نوبة دمياط من عساكر الملك الصالح .. فتحصنوا وتعالوا .. وان لم تجوا — تجيئوا — فنحن نجيكم — نجيئكم — ولو اننا نخوض البحر بالخيل .. ؟ ما لكم ؟ صارت لكم ألسنة تذكرون بها القدس .. والله ما ينال أحد منكم ترابة منه الا ما تسفيه الرياح عليه وهو مصلوب ! ..] .. ثم صرخ فى الرسل صرخة [زعزعت قواهم ، ولم يقرأ لهم كتابا ، ولا رد عليهم سوى هذا جوابا ..]

موقف لا شك بالغ الروعة والحزم ، وانه لموقف العرب والمسلمين اليوم مع عصابة الصهيونيين أذناب الاستعمار وعملائه .

ومن الطلائع المبشرة بالنصر ان مركز القوى العربية قد ازداد قدرة وثباتا بانتصار الارادة الشعبية وتحطيمها قلاع الاستعمار والرجعيه فى ليبيا والسودان ، فى الوقت الذى تفقد فيه اسرائيل ، تباعا ، ما كانت تعتز به من العطف والتأييد ، فى كثير من الدول الكبرى ، وحتى امريكا الدولة الوحيدة الباقية لها ، قد اخذت تترنح ، وتنفجر من داخلها صيحات التحذير من استمرارها فى مناصرة اسرائيل ومعاداة العرب ، وقد اضطرت الى احناء رأسها أمام ثورة ليبيا ، فاستجابت على الفور لطلبها بتصفية قاعدتها الكبرى هناك ، والجلاء عنها ، وكانت تعتمد عليها فى حماية مصالحها الكبيرة فى ليبيا وفى الشرق الاوسط بعامة ، كما كانت منطلقا لحماية اسرائيل من قريب ، فأصبحت اسرائيل بدونها وسط القوى العربية المتلاحمة ، بمبعدة من مصادر الامداد والنجدة ، وبالغة ما بلغت قوة اسرائيل فهى عند امريكا أقل وزنا ونفعا من قاعدة [هويلس] التى أسلمتها الى ليبيا الثورة طواعية واستسلاما ؟ ! ..

وفى حديث « مسز مرجريت ماكاى » النائبة العمالية بمجلس العموم البريطانى ، انها كانت فى سنة ١٩٦٧ تقف وحدها للدفاع عن قضية العرب ضد اسرائيل ، وما كانت تجد سميعا ولا مناصرا قط ، فأصبح معها الان ستون نائبا — بنفس المجلس — يقفون موقفها دفاعا عن العرب ، واستنكارا لعدوان اسرائيل ، وليس هذا فى انجلترا بالذات بالشىء القليل ! ..

فهنا وهناك نبض فكرى محسوس ، ينتشر بين الرأى العام العالمى ، ادراكا للحقيقة التى كان اليهود قد استطاعوا — فى غيبة الاعلام العربى — ان يزيفوها ، وهى : ان اسرائيل قد اغتصبت الارض العربية بالعدوان ، والقت باصحابها فى جحيم الابادة والتشريد ! ..

على أن العرب مع ما توحى به هذه الظواهر من دلالات مشجعة ، ينطلقون على طريق الجهاد ، معتمدين على الله ، وعلى أنفسهم ، وعلى القول المأثور : [ما حك جلدك غير ظفرك .. فتول أنت جميع أمرك] ، وهم أشد ما يكونون ايمانا بقول الله سبحانه وتعالى :

« انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .. صدق الله العظيم

مدرسة الرسول

الأستاذ عبد المنعم حمادة

— ٣ —

تلقى محمد — صلوات الله وسلامه عليه — رسالة ربه يوم تنزل عليه القرآن الكريم على لسان جبريل — عليه السلام — يدعوه فيه سبحانه الى أن يقرأ باسم ربه الذى خلقه وأكرمه ، والذى علمه بالقلم ، والذى علمه مالم يكن يخطر على بال انسان ٠٠ وأخذ محمد — عليه الصلاة والسلام — يفكر — منذ جاءه الوحى الامين — فى أمر هذه الدعوة وفى كنهها ، وفى دلالتها ، وفيما سوف تصل به اليه ٠٠ وكأنما كانت هذه الدعوة صدى لانفعالات نفسه ، وصورة لما يدور فى مخيلته ، فقد كان هو نفسه قد سبق الى التفكير فى ملكوت السموات والارض . وصورة لما يدور فى مخيلته ، فقد كان هو نفسه قد سبق الى التفكير فى ملكوت السموات والارض . وفى هذا الوجود ومن أوجده ، وفى هذه الحياة ومن أودعها سرها ، وفى هذا الذى يحدث من انتقال الروح الى عالم آخر ، وكيف يكون هذا العالم ، ومن الذى يملك هذه القدرة على أن ينتزع الحياة من صاحبها ليوارى بعد ذلك جثة هامدة فى غياهب المجهول ٠٠ وليس من شك فى أن الحق تبارك وتعالى قد أوحى اليه بهذا التفكير كله ليصقل نفسه وحسه لتلقى هذه الرسالة وفى أنه كان يعده بذلك لتحمل أعبائها ، والنهوض بتبعاتها ، وتحقيق ما يأمره به .

ولقد كان الرسول — منذ أن أمر بالدعوة الى التخلى عن الاصنام لعبادة الله وحده لا شريك له ، والى الايمان المطلق بان الله وحده هو القادر على كل شىء ، وهو الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ٠٠ وكان منذ أن أمره بالدعوة الى أنه هو رسوله الهادى الى طريق الحق ، المرشد الى الصواب ، المنذر من عذاب يوم عظيم ٠٠ كان منذ ذلك الوقت يفكر فى اقامة المدرسة التى يعلم فيها الناس كتاب ربه الذى أنزل هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، والتى يشرح لهم فيها ما تضمنه هذا الكتاب من أحكام ، وما نادى به من مبادىء ، وما سنه من تشريعات ، ويعلمهم فيها سنة المبعوث بالهدى والرشاد ٠٠ الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحيه الله سبحانه ، ويعلمهم فيها أصول المعاملات ، وآداب الاسلام ونظمه فى السياسة والحرب والاجتماع .

ولقد وجد الرسول الكريم الوسيلة الى أن يصقل نفسه ، والى أن يعدها الاعداد الذى يمكنها من الوقوف على الجواب لتساؤلاته المختلفة ، واشباع نزعة نفسه الى معرفة الحقيقة ، وجد هذا فى مجاراة العرب فيما اعتادوه من انقطاع مفكريهم للعبادة فترة من الوقت فى كل عام يقضونها بعيدا عن الناس ، متفرغين للتقرب الى آلهتهم بالتعبد والدعاء ، متجهين اليها بقلوب خاشعة يلتمسون عندها الخير والحكمة ، والتوفيق والنجاح فى أمور الدنيا ٠٠ ولم يكن انقطاع محمد للتقرب الى الآلهة التى يتجه اليها العرب بقلوبهم ، وانما كان ينقطع للنظر — كما قلنا — فى ملكوت السموات والارض ، وفى هذه القدرة الخافية عليه ٠٠ ولقد وجد النبى المصطفى فى هذا الانقطاع للتعبد ، أو فى هذا التحنف أو التحنث — حسب ما كان يطلقه عليه العرب — أحسن ما يمكن ، وخير ما يمكن أن تشتغل به نفسه من تفكير وتأمل ومناجاة .. كما وجد فيه الطمأنينة والهدوء والراحة النفسية التى طالما اشتاق اليها فى تأمله وبحثه عن الحقيقة ، وفى تطلعه الى المعرفة ، وفى التماس الوقوف على ما كان يشتد اليه شوقه من الكشف عن أسرار هذا الوجود كله .

واختار محمد — صلوات الله وسلامه عليه — غارا على جبل حراء ، على بعد فرسخين من شمال مكة مكانا مختارا لتعبده وتحنثه ، واعتاد أن يذهب اليه فى شهر رمضان من كل عام — كما يقول الدكتور حسين هيكل « بالقليل من الزاد يحمل اليه ، ممعنا فى التأمل والعبادة ، بعيدا عن ضجة الناس وضوضاء الحياة ، ملتمسا الحق ، والحق وحده .. ولقد كان

يشتد به التأمل ابتغاء الحقيقة حتى لكان ينسى نفسه ، وينسى طعامه ، وينسى كل مافى الحياة ، لان هذا الذى يرى فى حياة الناس مما حوله ليس حقا ٠٠ وهناك كان يقلب فى صفحة ذهنه كل ماوعى فيزداد عما يزاول الناس من الوان الظن رغبة وازورارا » ٠

وهكذا كان غار حراء هو المدرسة الاولى التى تعلم فيها الرسول نفسه الانقطاع الى التامل والتفكير والدراسة ٠٠ التأمل فى هذا الكون الذى يمتد امتدادا لا نهاية له ٠٠ فى السماء كيف رفعت ، والارض كيف سطحت ، والنجوم كيف بعثرت ، والقمر وضيائه ، والشمس وحرارتها ٠٠ والتفكير فى هذا الوجود وما يشمله ويجرى فيه من هذه الاحداث المختلفة ، وما يخبئه من مكنون سره ٠٠ ثم دراسة هذه المظاهر المتباينة المتجددة تجدد الليل والنهار ٠

فى هذه المدرسة الاولى التى لم تكن تضم غيره ، كان تفكيره ينضج رويدا رويدا ، وراحت نفسه تمتلىء شيئا فشيئا بهذا التفكير حتى أخذ عليه حسه ومشاعره .. وراحت نفسه تشتغل بالحقائق العليا حتى اخذت تتراءى له فى نومه رؤى صادقة تظهر من خلالها الحقيقة التى يبحث عنها فى تأمله وتفكيره ودراسته ٠ ويرى معها باطل الحياة وغرورها ، والضلال الذى هوى اليه قومه ، والفساد الذى ضيع حياتهم الروحية فى أوهام الاصنام وما يتصل بها من عقائد فاسدة مضللة ٠

وامتلات نفس محمد وقلبه وعقله بهذا كله حتى تنزل عليه الوحى بالرسالة العظمى التى كانت حدا فاصلا بين الظلام والنور ، بين الضلال والهدى ، بين الباطل والحق ٠٠ وهكذا كان غار حراء هو المدرسة التى مهدت للحقيقة واضحة جلية تشرق على الكون بنور المعرفة والايمان ٠

ولم يكن عجبا ان كان الوحى يتنزل على الرسول منجما ، ـ كما يقول الاستاذ مصطفى صادق الرافعى ـ فربما نزلت الاية المفردة ، وربما نزلت آيات عدة الى عشر ، كما صح عن أهل الحديث فيما انتهى اليهم من طرق الرواية ، وذلك بحسب الحاجة التى تكون سببا فى النزول ، وليثبت به فؤاد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فان آياته كالزلازل الروحية ، ثم ليكون ذلك أشد على العرب وابلغ فى الحجة عليهم ، وأظهر لوجه اعجازه ، وأدعى لان يجرى أمره فى مناقلاتهم ، ويثبت فى السنتهم ، ويتسلسل به القول »

.. ولما ان تم نزوله فى بضع وعشرين سنة كان هو أساس العلم الذى قامت عليه مدرسة الرسول الكريم ، ومادتها الاولى ٠٠ وليس معنى ذلك ان المدرسة لم تباشر عملها حتى تم نزول القرآن ، وانما فتحت أبوابها منذ أن بدأ محمد ـ **عليه الصلاة والسلام** ـ يدعو الى هذا الدين الذى سبق أن أوحى به سبحانه الى جميع أنبيائه ، ومنذ أن بدأت الايات الكريمة تتنزل عليه توضح للبشرية ما يتضمنه من أسس ، وما يقوم عليه من مبادىء ، وما يدعو اليه من تعاليم ٠

من هذا الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، **الكتاب الذى فيه الهدية والخير للناس فى كل زمان ومكان بدليل قوله عز من قائل : « يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »** أى أن الله بعث لنا على لسان رسوله الكريم شريعة كاملة هى نور فى ذاتها يبينها كتاب واضح لا لبس فيه ولا غموض ، وانما هو هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ٠٠ ومن هذه الشريعة الاسلامية السمحة جعل النبى أساس دروسه ، وينبوع توجيهاته والمحور الذى تقوم عليه كل ارشاداته ، وهذا الكتاب الكريم الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها هو الذى جعله مفتاح هذه الدروس والتوجيهات والارشادات ، يغذى بها عقول الذين يطرقون أبواب هذه المدرسة ، والراغبين فى الهداية والرشاد ، والمقبلين على تلبية الدعوة المحمدية ٠

● ● ●

واذا كان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ قد سارع الى الاسلام عند اول ما دعاه الرسول اليه ، فقد كان ذلك لسببين هما ، ان الله فتح صدره لذلك ، وانار بصيرته للحق ، وهدى عقله وتفكيره الى الصواب ، بل الى المنطق السليم فى خلق السموات والارض والقوة المدبرة والمحركة لهذا الوجود ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لتلك الصلة التى جمعت بين محمد وبينه ، والصداقة التى وطدت عراها بين الاثنين ، والمحبة التى ملأت قلبيهما ، وما علمه ابو بكر عن صاحبه بحكم هذا كله من الكمال فى كل شىء ٠٠ فى الصدق الذى لا يعرف الكذب والذى لا يجرى له على لسان ، وفى الوفاء الذى لا يغدر والذى لا يخطر على باله ، وفى الامانة التى لا تخون والتى لا تنزلق عنها نفسه ، واذا كان عمر قد رويت حول اسلامه القصص ، وكثرت الاقاويل وتعددت ، منها ما نسب الى المؤرخين ومنها ما نسب اليه هو نفسه ، فقد تحقق باسلامه دعاء الرسول على كل حال ، واشتد ساعد المسلمين ، وكان اسلامه بداية مرحلة جديدة فى حياة الدعوة الاسلامية .. واما الطريقة التى اسلم بها عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ والعوامل التى أثرت فى نفسه فقادته الى الهدى والرشاد ، ودفعت به الى المثول بين يدى النبى الكريم ليعلن اسلامه ويشهده على هذا الاسلام ، ويأذن له فى الانضمام الى المدرسة المحمدية ليتلقى فيها أصول الدين وقواعده ، ويقف على ما احتواه هذا الدين من أحكام ، وما تضمنه من تشريعات ، وليرى عن قرب ما يقوم به الرسول فى حياته العامة والخاصة لتكون له نبراسا فى حياته ، ومصباحا يهتدى به فى الظلمات ، وسبيلا الى أرضاء الله والفوز بالثواب فى الدنيا والاخرة ٠٠ نقول : ان الدوافع التى أدت باسراع عثمان الى الايمان بالله وبالرسول واعلان

الاسلام ، والدخول في مدرسة الرسول قد يكون فيها ما يلفت النظر ويستحق الحديث .

● ● ●

يقول بعض المؤرخين : « وكان أبو بكر بن أبي قحافة التيمي صديقا حميما لمحمد ، يستريح اليه ، ويعرف فيه النزاهة والامانة والصدق ، لذلك كان هو أول من دعاه الى عبادة الله وحده وترك عبادة الاوثان ، وأول من أفضى اليه بما رأى وبما اوحى اليه ، ولم يتردد أبو بكر في اجابة محمد الى دعوته ، وفي الايمان بها .

« وجعل أبو بكر يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ، فتابعه على الاسلام عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام » .. وتابعهم على نفس الطريق كثيرون ، ولا يزال كثير من الناس يدخلون في الاسلام ، وسوف يدخلونه عاما بعد عام .. وهكذا كان عثمان من الاولين السابقين في الاسلام ، وكان اسلامه سببا في عدوة أهله له حتى لقد أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فاوثقه رباطا وقال له : « تدع دين ابائك الى دين محدث .. والله لا أدعك أبدا حتى تدع ما أنت عليه » .. وكان جواب عثمان ، « والله لا ادعه أبدا ولا أفارقه » .. ورأى عمه صلابته في الحق ، وشدة استمساكه به ، فلم يجد بدا من أرساله . »

هذا هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، القرشي الاموي — المكي ثم المدني — ابو عمرو — ويقال أبو عبد الله ، وابو ليلى كما جاء في تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي واذا نحن تتبعنا هذا النسب وجدنا أنه ينتمي الى بني أمية ، التي كان بينها وبين بني هاشم تنافس شديد يرجع الى عشرات السنين يقول الدكتور حسين هيكل في هذه الاسباب :

« ويرجع التنافس بين بني هاشم وبني أمية الى أكثر من مائة سـنة قبل مولد النبي فقـد اجتمعت مناصب البيت الحرام كلها الى قصي بن كلاب ، واقر أهل مكة بامارته عليهم في النصف الاول من القرن الخامس للميلاد ، وكان لقصي ثلاثة بنين هم عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، فلما كبر قصي وعجز عن الاضطلاع بالامر جعل امارة مكة ومناصب البيت الحرام لعبد الدار أكبر بنيه ، وكان بنو عبد مناف أشرف في قومهم وأعظم مكانة ، وكانوا أربعة هم : عبد شمس ونوفل وهاشم والمطلب ، واغرتهم قوتهم بان اجمعـوا على ان يأخذوا ما بايدي بني عمومتهم .. وانقسمت قريش حلفين : حلف المطيبين ينصر بني عبد مناف ، وحلف الاحلاف ينصر بني عبد الدار ، ثم تداعى القوم الى الصلح ، فجعلوا لبني عبد مناف السقاية والرفادة ، ولبني عبد الدار الحجابة واللواء والندوة ..

« وكان هاشم أكبر اخوته فولي السقاية والرفادة ، فلما تقدمت به السن خيل لابن أخيه أمية بن عبد شمس أنه قدير على منافسته بان يطعم قريشا في موسم الحج مثلما يطعمها هاشم ، لكنه عجز فعيره ناس بعجزه ، فخرج الى الشام فاقام بها عشر سنين ، يقول المقريزي : فكان هذا أول عدواة بني هاشم وبني أمية .

وكانت هناك بعض الاحداث التي تقع بين الفريقين فتؤجج نار هذه العداوة وتزيد لهيبها اشتعالا ، ولذلك استمرت العداوة تلك السنوات الطويلة قبل أن يبعث النبي — صلوات الله وسلامه عليه — يتناقلها الابناء عن الاباء — ولم تخمد جذوتها حتى بعد بعثه ، وكان أشد الناس عداوة له ، وحربا عليه ، وانكارا لدعوته ، هم بنو أمية الذين ينحدر منهم عثمان بن عفان .. غير ان هذه العداوة الضارية ، وهذه الحرب القاسية ، وهذا الانكار الشديد ، لم يمنع اناسا من بني أمية من الانصياع للحق ، والايمان به ، والدفاع عنه بعد الاقتناع الذي يودعه الله في القلوب ، وينير به البصائر مصداقا لقوله سبحانه : « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وكان عثمان بن عفان من هؤلاء الناس الذين أقبلوا على دعوة الاسلام بقلوب متفتحة متعطشة للحق على رغم ما بين بني أمية وبين بني هاشم الذي ينحدر منها الرسول الكريم ، وعلى الرغم من سلطان العقائد ، على النفوس وتمسك كثيرين عن مناقشة ماوجدوا عليه آباؤهم ، ولذلك كان لابد لنا أن نشير الى هذا التنافس لنتبين فضل عثمان في سبقه الى الاسلام ، وفي انضمامه الى مدرسة الرسول ليتلقى فيها أسس الدعوة ومبادىء الدين .. يقول الاستاذ عباس العقاد :

« هذه العجالة عما كان من المنافرة بين بني هاشم وبني أمية في الجاهلية تدخل في سيرة عثمان من مداخل شتى ، وقل أن يمر بنا مبحث في عمل من أعماله أو خلق من أخلاقه الا كانت به عودة الى تلك المنافرة ..

« فمنها نفهم أن فضل عثمان في اسلامه لا يدانيه فضل احد من السابقين المعدودين الى الاسلام . اذ لم يكن منهم من أقامت أسرته بينها وبين النبي هذه الحواجز العريقة من المنافسة والملاحاة ، وكلهم كان بينهم وبين الاسلام ما كان بين القديم عامة والجديد عامة ، ولم تبلغ عدواتهم أن تكون من عصبية اللحم والدم ، أو عصبية البيت كما كانت عدوة الامويين للهاشميين ، وليست هذه العداوة في الجاهلية بالشيء الهين ولا بالعقبة المذللة » وقد روى في سبب اسلامه أن أبا بكر شرح له قواعد الاسلام وهداية الدين الجديد ، وآنس منه خشوعا وتفكيرا فقال له : » ويحك ياعثمان ، والله أنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل ، ما هذه الاوثان التي تعبدهـا وقومك اليست حجارة لا تسمع ولا تبصر ، ولا تضر ولا تنفع ؟ فراجع نفسه وقال ، « بلى والله انها لكذلك »

فدعاه أبو بكر الى لقاء النبى ولقيه فقال له عليه الصلاة والسلام : « ياعثمان ٠٠ أجب الله الى جنته » ، فقال عثمان : « فوالله ما ملكت حين سمعت قوله أن أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ، ثم لم البث أن تزوجت رقيه » ٠٠ ومنذ أسلم أصبح من السابقين الاولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، واحد الستة الذين توفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو عنهم راض ، واحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ولم يشاركه فى ذلك الا المأمون كما يقول ابن عباد ٠

● ● ●

وهكذا كان عثمان بن عفان من الاولين السابقين الى الاسلام ، ومن الاولين المترددين على مدرسة الرسول ، يتلقى فيها علوم الدنيا كما يتلقى علوم الاخرة « لقد أسلم عثمان وقد جاوز الثلاثين قليلا ، ومات وقد جاوز الثمانين قليلا ، أى أنه عاش فى اسلامه نحو خمسين عاما .. ويقول الاستاذ محمود شلبى فى كتابه عن اشتراكية عثمان :

« خمسون عاما عاشها عثمان مسلما ، مؤمنا ، صاحب فيها رسول الله ، وأبا بكر ، وعمر ، حتى آلت اليه الامور ٠

« فهو رجل من رواد الدعوة الاولى ، وحسبه أنه كان أحد ثمانية سبقوا الى هذا الدين العظيم ٠

« وليس كرواد الفكرة أحد من الناس ، احتمل كما احتملوا ، واكتوى بنارها وآلامها كما اكتووا ٠

« ان عثمان بذلك ، وبامتداد حياته فى الاسلام : يعتبر الرجل الذى ادرك من هذا الدين اسراره الكبرى

« فهو تلقى الفكرة عن صاحبها حين سبق الناس اليها ٠

« وعاش مع صاحب الدعوة وهو يطبقها فى حياة الناس ، وفى حياته ٠

« ثم عاش التجربة طول مدة أبى بكر ، فأدرك من تطبيق الصديق ما لم يدركه من قبل

« ثم عاش التجربة طول خلافة عمر ، ورأى الفكرة وعمر يتمدد بها شرقا وغربا فى آفاق الغرب ، ويجلجل بها فى السماء وفى الناس ، فأدرك كذلك ما لم يدرك من قبل ٠

« ثم آلت اليه امارة المؤمنين بعد عمر ، فدخل الى المنصب دخول الخبير المجرب ، الذى انصهر فى الدعوة علما وعملا ، حتى عاش فيها وعاشت فيه ٠ »

ورأينا عثمان يعمل للحياة التى كان يعيشها بين قومه الذين تألبوا عليه منذ اسلامه ، والذين ناصبوه العداء ، وحاولوا ايذاءه والنيل منه ، ولكنه لم يضعف أو يستسلم لنوع من أنواع الضغط التى أحاطت به وتكالبت عليه ٠٠ ونراه يعمل للاخرة وما فيها من نعيم مقيم وعد به الله عباده المخلصين ، لقد كان غضب قومه من اسلامه شديدا قاسيا حتى من أقرب الناس اليه ٠٠ لقد كان عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية يوثقه رباطا ويطالبه بعنف وقسوة أن يرتد عن دينه ، ويفارق محمدا وأتباعه ، ويتنكر للدعوة الجديدة التى تسفه آلهتهم وماوجدوا عليه آباءهم ، ولكنه يصمد ولا يلين رغم الاذى والاعنات ٠٠ ونراه من ناحية اخرى سهلا حانيا على بعض قومه الذين لجأوا اليه خوفا على أنفسهم مما قد يلحقهم بعد أن تصيبهم الهزيمة ٠٠ وهكذا نرى أن المدرسة المحمدية قد أثرت فيه ، فكان أول درس تعلمه من هذه المدرسة العفو والتسامح عند المقدرة .. وفى ذلك يقول الاستاذ العقاد : « **وفى وسعنا أن نتخيل غضب قومه الاقربين من اسلامه ، فقد كان كأشد غضب لحق مسلما من قومه المقيمين على الجاهلية ، ولكنه مع هذا لم يمنع اناسا منهم أن يلوذوا به خوفا على أنفسهم بعد هزيمتهم ، ولم يمنع أن يتشفع لهم عند النبى وصحبه ويسأله العفو عنهم ٠ »**

● ● ●

وتعلم عثمان فى مدرسة الرسول احتمال الاذى ، والتضحية بما يملك ، واحتمال المكاره فى سبيل العقيدة ودفاعا عن الحق ، فقد نشأ عثمان فى نعمة من العيش وسعة نتيجة ما تركه له أبوه ، ونتيجة اشتغاله بالتجارة فى جاهليته وفى اسلامه وما أصابه فيها من رواج بسبب امانته وما تحلى به من حميد الصفات ٠٠ وعلى الرغم من هذه النعمة وهذا العيش الخفيض ، فانه كان أول من هاجر الى الحبشة الهجرتين الاولى والثانية ٠٠ وهكذا هاجر عثمان الى الحبشة مصطحبا معه زوجته رقية بنت أكرم خلق الله وأحبهم اليه سبحانه ، فكانا أول من هاجر الى الله عز وجل بعد ابراهيم ولوط عليهما السلام كما قال المصطفى فى حديث شريف له ٠٠ **هاجر فى خفية مع قليل من المتاع ، واستاق معه حمارا ركبت عليه رقية لجنبها وعورة الطريق ومشقته** .. « وهكذا .. ترك مصالحه ، وماله الكثير ، وتجارته الرائجة الرابحة ، ورفاقه ، وأهله ، وعشيرته ، ووطنه ، وبلده ، وخرج مهاجرا الى الله هو وزوجته » لم يمنعه من ذلك خوف على تجارة تبور ، أو مال يقع غنيمة سهلة فى أيدى قومه الناقمين عليه ٠٠ قد يكون هناك أسباب كثيرة الى هذه الهجرة ، ولكنها كلها لا تمنع من القول بأن ذلك كله كان من تأثير ما تعلمه واستمع اليه من الهادى الامين ٠٠ لقد كان عثمان أحد المترددين الاول على مدرسة الاسلام حيث استمع الى معلم الاسلام الاول وهو يدعو الى احتمال الاذى ، والى التضحية وان أدى ذلك الى التخلى عن الارض والتجارة والمال ٠٠ وحيث استمع الى نبى الاسلام وهو يدعو أتباعه الى الصبر ، والى التحمل ، كما صبر وتحمل أولو العزم من الرسل ، ثم وهو يعلم

أتباعه أن لا يستعجلوا عقاب الكافرين والمنافقين، فانه لن يهلك الا القوم الفاسقون.

● ● ●

وكانت هناك أسباب كثيرة قربت عثمان من قلب النبى الكريم، وحببته اليه، من هذه الاسباب كونه من السابقين الاولين الى الاسلام، كما قلنا، لم يتردد حين عرض عليه أبو بكر الصديق أن يقابل النبى، ولم يتردد حين دعاه الرسول الامين أن يجيب الله الى حقه، ومنها أنه صهر النبى، تزوج ابنته رقية قبل النبوة، فلما ماتت تزوج أختها أم كلثوم التى بقيت عنده وتوفيت فى سنة تسع من الهجرة، وقال العلماء فى ذلك: ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره، ولذلك سمى ذو النورين.. ومن هذه الاسباب سفارته الى قريش عام الحديبية، واحتجاز قريش له فترة من الوقت ظن المسلمون خلالها انه قتل، ووضع كل منهم يده على قبضة سيفه سمة النذير وسمة البطش والغضب، حتى لقد قال النبى: لا نبرح حتى نناجز القوم، وحتى نادى أصحابه ووقف بهم تحت شجرة فى ذلك الوادى فبايعوه جميعا على ألا يفروا حتى الموت، وكانت بيعة الرضوان التى اخرج الترمذى عن أنس قوله عنها: «لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أهل مكة، فبايع الناس، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ان عثمان بن عفان فى حاجة الله وحاجة رسوله، فضرب باحدى يديه على الاخرى، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم».. ولقد استعد المسلمون للقتال من أجل عثمان حتى الموت.. لقد رضى كل فرد منهم أن يستشهد من أجل واحد غاب عنهم وخيل اليهم أن القوم قد غدروا به ونالوه بالسوء.. لم يتخاذل الجميع عن التضحية بأنفسهم، وقبل كل الجسد أن يكون فداء أى عضو مصداقا لقول الرسول الكريم: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى».. ورضى الله عن أصحاب بيعة الرضوان ونزلت الاية الكريمة تعلى من قدر عثمان وتزيد مكانته عند رسول الله قربا، وتملأ قلبه بالمحبة له، فقد قال عز من قائل: «لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا».

وكان عثمان يعرف مكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعلم مقدار حب الرسول له، وتقديره اياه، وثقته فى رأيه، وميله الى حديثه.. كان يعلم كل ذلك، ولكنه على الرغم من هذا كله محببا الى الناس، لم يشمخ بانفه، ولم يتعال على غيره، ولم يباه بثرائه وغناه: ولم يتغن بمكانته وعلو مقداره عند الرسول الكريم، وانما كان شديد الحياء، وكان يهاب **الحديث، وقد روى عن حيائه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أصدق أمتى حياء عثمان..**

وكان حياؤه يدعو الى الحياء منه، وقد روى عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله كان جالسا كاشفا فخذه فاستأذن عليه ابو بكر فاذن له وهو على حاله، واستأذن عليه عمر فأذن له وهو على حاله، ثم استأذن ان الملائكة لتستحى منه».. وفى هيبته للحديث روى قول احدهم ما رأيت احدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتم حديثا ولا أحسن من عثمان الا عثمان فأرخى عليه ثيابه، فلما قاموا قالت عائشة: يا رسول الله، استأذن ابو بكر وعمر فأذنت لهما وانت على حالك، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك.. قال رسول الله: يا عائشة، ألا نستحى من رجل والله ان الملائكة لتستحى منه».. **وفى هيبته للحديث روى ابن سعد فى الطبقات الا أنه كان يهاب الحديث وكان لهيبته الحديث يعاف الحوار وطول الجدل، فاذا التزم رأيا أصر عليه فتعذر صرفه عنه.**

ولا أعتقد أن عثمان سار فى حياته هذه المسيرة الا لانه قد احاط بأسرار الاسلام وما يدعو اليه، الا لانه قد تفهم دروس المدرسة المحمدية التى كان محمد صلى الله عليه وسلم معلمها وشارحها الاول ولقد تعلم من القرآن الكريم، ومن شرح الرسول للكتاب الذى اوحى اليه من ربه ان لا يتبع المرء ما لا علم له به من قول أو فعل، وأن لا يمشى متكبرا مختالا لانه مهما فعل فلن يبلغ شيئا، مصداقا لقول الله عز وجل: «**ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا، ولا تمش فى الارض مرحا أنك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا**».

● ● ●

وكان عثمان ينفق من ماله انفاق من لا يخاف ضياعه، ومن لا يخشى الهلكة من بعد فقده، ذلك لانه تعلم فى مدرسة الرسول ان الاسلام يدعو الى الانفاق فى سبيل الله من مال حلال حصل عليه بعمله مصداقا لقوله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد.**

ومن أمثلة انفاقه فى سبيل الله وسخائه فى هذا الانفاق ما حدث عند التفكير فى غزو الروم.. فقد شهد عثمان رسول الله وهو يدعو المسلمين الى الاستعداد للغزو، وسمع قول الله وهو يحض أهل الغنى على النفقة، فسخا عثمان سخاء لا حد له، وانفق انفاقا بلا قيد، وروى فى ذلك أنه جاء بألف دينار فى ثوبه فصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم حين جهز جيش العسرة، وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «ما على عثمان ما فعل بعد اليوم».. وقال الكرمانى انه جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا وخمسين فرسا، وقالوا ان سخاءه وجوده فى سبيل الله لم يقفا عند هذا الحد فى هذه الغزوة التى كانت تمحيصا للايمان، وامتحانا للعزائم، فقد ورد أنه أصاب الناس فيها مجاعة فآووا الى كنف عثمان، فوسعهم، واشترى لهم طعاما

أشبع الجيش كله .. وكان ذلك مما تعلمه فى مدرسة الرسول الكريم .. تلك المدرسة التى تدرس فيها تعاليم الاسلام وما يدعو اليه هذا الدين القيم فى قول الله عز وجل : « **ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله أنه غفور شكور** » .. ولذلك كان النبى المصطفى يدعو له ويقول : « **غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت ، وما أخفيت ، وما هو كائن يوم القيامة ، ما يبالى عثمان ما فعل بعدها** » .

● ● ●

وتعلم عثمان فى مدرسة رسول الله العفو والتسامح ، فحينما ثار المسلمون فى الامصار الاسلامية ضد سياسته ، وكثرت الدعايات السيئة ضد هذه السياسة ، رأى أن يبعث فى طلب ولاته فى موسم الحج عام ٣٤ هـ ليصارحوه عن أسباب الفتنة ، أخذ كل من هؤلاء الولاة يدلى برأيه ، ويشير عليه بما يرى أنه السبيل الى اخماد نار الثورة التى تكاد تندلع ، وعاد الى المدينة وعقد مجلسا آخر حيث كثر النقاش والجدل ، واضطر عثمان الى أن يدعو المسلمين الى صلاة جامعة ، حيث وقف خطيبا يفند الاتهامات ويدافع عن نفسه ، «واستمع المسلمون الذين شهدوا هذا الاجتماع بالمسجد الى دفاع عثمان عن سياسته ، ورأوا أن يقتل عثمان كل من رفع لواء العصيان والثورة ، غير أن عثمان آثر العفو عنهم ليعودوا الى بلادهم ، ولا غرو ، فقد كان العفو والتسامح من أبرز صفات عثمان » .

ولم تخمد نيران الفتنة وانما عادت تلتهب من جديد. ويشدد الثائرون الحصار على عثمان فى داره ، ويهددونه بالقتل ان لم يتنازل عن الخلافه مما جعله يقول : « ولم يقتلوننى وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحل دم امرىء مسلم الا فى احدى ثلاث : رجل كفر بعد ايمانه : أو زنى بعد احصانه ، أو قتل نفسا بغير نفس ، فوالله ما زنيت فى جاهلية ولا فى اسلام قط ، ولا تمنيت ان لى بدينى بديلا مذ هدانى الله ، ولا قتلت نفسا ، ففيم يقتلوننى » .. ومع ذلك فقد هاجمه الثوار وهو يصلى ، وتكاثروا عليه ، يمسك أحدهم بلحيته ، وآخر يطعنه بسهم ذى نصل عريض ، وثالث يضربه بالسيف فى جنبه ، وهو لا يفعل شيئا الا أن يستنصر الله عليهم ، ويستعين به ، حتى خر صريعا فى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة النبوية الشريفة .

وهكذا انتقل الى الرفيق الاعلى واحد من الاولين السابقين فى الاسلام كان رفيقا لرسول الله بدليل قوله : « لكل نبى رفيق ، ورفيقى فى الجنة عثمان » . وأنه لشرف عظيم لثالث الخلفاء الذين لا ينتهى عنهم الحديث والحديث عن عثمان وعن الدروس المستفادة من مدرسة الرسول يطول ، وجوانبه المشرقة متعددة ، رحمه الله بقدر ايمانه وتقواه .

البنك الأهلى المصرى

يضع أوعيته الادخارية فى خدمتكم

صندوق التوفير

يقبل الودائع من ٢٥ قرشا - بفائدة ٣ ½ ٪ سنويا

شهادات الاستثمار
بانواعها الثلاثة

• ذات القيمة المتزايدة مجموعة "ا" • ذات العائد الجارى مجموعة "ب" • ذات الجوائز مجموعة "ج"

ودائع لأجل

بفائدة تصل إلى ٤٪ سنويا

بنك المدرسة
لطلبة المدارس

يقبل الودائع من ٢٠ مليما

البنك الأهلى المصرى

خبرة الا عاما فى كافة الأعمال المصرفية

الصوفية في إلهامهم

الإشتغال بالله تعالى

الأستاذ حسن كامل الملطاوي

قد كان ما كان ، واستدار الزمان ، وظهر ماءان ، ولم يتغير الزمان ، فان فطنت الى الامر رجوت ربك ، له الشان ، وكل يوم هو فى شان ، فمالك الناس ، عليك برب الناس ، يبعد عنك الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس ، فلا يعتريك فى سيرك باس ولا باس ، ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل الناس بغير علم ، فلا تعبأ بهم ، وكن مقبلا على الله حيثما كنت .

السر كل السر فى معاملة الله الذى يوجه القلوب الى الخير ، واذا سرت فى هذا المبدأ فلا تغيره ، فان التغيير يضيع بل يهدم ما بنيته ، فاذا عدت اليه تحتاج الى وقت طويل لاعادة البناء بعد التشويش على الروح لاختلاف المشارب .

جاءت تلك العظات النافعة فى رسالة بعث بها شيخى وسيدى عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه لتلميذه المبارك الصديق العزيز السيد / سالم جمعة حفظه الله ورعاه ، وهى ترشدنا الى بذل المجهود فى طلب الله المعبود ، والتعلق بالخالق ، وترك الاشتغال بالخلائق ، لان السر كل السر فى معاملة الله الذى يوجه القلوب الى الخير اذا انست به سبحانه واستوحشت مما سواه ، وذلك هو أساس التربية الصوفية الحقة .

ولذلك المبدأ شواهد من الكتاب والسنة ، فقد مدح الله تعالى اهل الصفة من الصحابة الكرام فقال تعالى فى الوصاية بهم [واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا] وفى الصحيح عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره أن يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار »

ويقول الامام الصوفى الكبير سيدى محمد بن على الترمذى فى ضرورة التعلق بالله تعالى : اجعل مراقبتك لمن لا يغيب عن نظره اليك ، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك ، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .

ويفصل ذلك رضى الله عنه فيقول : « بذكر الله يرطب القلب ويلين ، وبذكر الشهوات واللذات يقسو القلب وييبس ، فاذا شغل القلب عن ذكر الله بذكر الشهوات كان بمنزلة شجرة ، انما رطوبتها ولينها من الماء ، فاذا منعت الماء يبست عروقها وذبلت اغصانها ، واذا منعت السقى واصابها حر القبظ يبست الاغصان ، فاذا مددت غصنا منها انكسر ، فلا يصلح الا للقطع فيصير وقود النار ، فكذلك القلب اذا يبس وخلا من ذكر الله فاصابته حرارة النفس ونار الشهوة ، وامتنعت الاركان من الطاعة فاذا مددتها انكسرت فلا تصلح الا أن تكون حطبا للنار ، وانما يرطب القلب بالرحمة ، وما من نور فى القلب الا ومعه رحمة من الله بقدر ذلك ، فهذا هو الاصل .

فالعبد مادام فى الذكر فالرحمة دائمة عليه كالمطر ، فاذا قحط فالصدر فى ذلك الوقت كالسنة الجدباء اليابسة .

ويقول كذلك رضى الله عنه فى فضل الصلاة : « دعا الله الموحدين الى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم ، وهيأ لهم فيها أنواع العبادة لينال العبد من كل قول وفعل شيئا من عطاياه والافعال كالاطعمة ، والاقوال كالاشربة ، فهى غرس الموحدين ، هيأها رب العالمين لاهل رحمته فى كل يوم خمس مرات ، حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار »

ويقول سيدى أبو يزيد البسطامى : « الحب لله على أربعة فنون ، فن منه وهو منته ، وفن منك وهو ودك ، وفن له وهو ذكرك له ، وفن بينكما وهو العشق »

ولا يظن ظان ان السادة الصوفية حين ينهون عن الاشتغال بالناس يقصدون بذلك اعتزال الناس كلهم ، وعدم الاجتماع بهم وانما هم يقصدون به اجتناب أهل الغفلة الذين يصدون عن ذكر الله وعن الطاعات ، كما يقصدون به التحذير من اغتياب الخلق ، والوقوع فى أعراضهم ، فذلك مما نهى الله عنه وحذر منه ، أما الاجتماع بأهل الصلاح ، فمحمود عندهم لان اهل الصلاح يذكرون بالله ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فيزداد الذاكر بهم خيرا كثيرا ، لانهم أولياء الله فمن أحبهم فقد أحب الله ، وقد سأل رجل سيدى ذا النون المصرى : من أجالس ؟ فقال : « جالس من الناس من تقهرك هيبته وتخوفك فى السر والعلانية رؤيته ، ويخبرك عن نفسك بالذى هو أعلم به منك »

ويقول سيدى ابراهيم الخواص رضى الله عنه : « دواء القلب فى خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين »

ويقول رضى الله عنه : « على قدر اعزاز المؤمن لامر الله ، يلبسه الله من عزه ، ويقيم له العز فى قلوب المؤمنين ، وذلك قوله تعالى [ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين] »

ويقول سيدى بلال بن سعد رضى الله عنه : اخ لك كلما لقيك ذكرك بحظك من الله خير لك من أخ كلما لقيك وضع فى كفك دينارا ، ويقول رضى الله عنه فى روعة من الوعظ : أربع

فصال جاريات عليكم من الرحمن مع ظلمكم أنفسكم وخطاياكم ؟ اما رزقه فدار عليكم ، واما رحمته فغير محجوبة عنكم ، وأما ستره فسابغ عليكم ، واما عقابه فلم يعجل لكم ، ثم أنتم على ذلك لاهون تجترئون على الهكم ، أنتم تتكلمون ويوشك الله تعالى ان يتكلم وتسكتون ، ثم يثور من أعمالكم دخان تسود منه الوجوه [واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون] عباد الرحمن ، لو غفرت لكم خطاياكم الماضية لكان فيما تستقبلون شغل ، ولو عملتم بما تعلمون لكنتم عباد الله حقا .

ويرى السادة الصوفية أن هوى النفس هو الذى يحجب العبد عن ربه ، ويقول سيدى أبو محمد الجريرى فى ذلك : من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حكم الشهوات ، محصورا فى سجن الهوى ، وحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ كلام الله ، ولا يستحليه وان كثر ترداده على لسانه لانه تعالى يقول [ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق] أى حتى لا يفهمونه ولا يجدون له لذة ، لانهم تكبروا باحوال النفس والخلق والدنيا ، فصرف الله عن قلوبهم فهم مخاطباته ، وأغلق عليهم سبيل فهم كتابه ، وسلبهم الانتفاع بالمواعظ ، وحبسهم فى عقولهم وآرائهم ، فلا يعرفون طريق الحق ، ولا يسلكون سبيله .

اقول وقد جعل الله تعالى التأثر بكلام الله دليلا على خشيته تعالى فقال سبحانه [الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد]

ويعجب السادة الصوفية من عبد لا يجاهد نفسه فى مرضاة ربه حتى يكتفى به عما سواه ، ويقول سيدى محمد بن الفضل البلخى فى ذلك : العجب ممن يقطع الاودية والقفار والمفاوز حتى يصل الى بيته وحرمه لان فيه آثار انبيائه ، كيف لا يقطع نفسه وهواه حتى يصل الى قلبه فان فيه آثار مولاه ؟

وقد سئل شيخى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه أن ياتى بأبيات من الهامه الفورى فى وصف النفس على وزن البيت التالى وقافيته :

عجبا لها تهوى الذى تهوى به
دون الذى تعلو بها فى ذاتها

فكان مما قال ونقلناه عنه :

عجبا لها تهوى الذى تهوى به
كم عالم قد زل من نزعاتها
تناى عن الاصلاح طول حياتها
وتواصل الاقبال فى شهواتها
وقفت على الدينار حسن بلائها
فامالها عن هديها وهداتها
قد رحبت بالسيئات مريضة
وتضج ان دعيت الى حسناتها
والنفس اعدى صاحب تبلى به
قد ادخلتنا النار من رغباتها
ان انت تنصحها تضل طريقها
واذا تركت غرقت فى حسراتها
جهلت طريق الخير وادعت الهدى
كم تكثر الدعوى على قرباتها
ضحكت على جهالها فتوهموا
ان العلا والفوز فى نزواتها
فانصح لنفسك فى الامور لعلها
قد ترزق الانوار فى سبحاتها
ترضى تسفلها لكل نقيصة
دون الذى تعلو به فى ذاتها

ويقول السادة الصوفية : نفسك كالدابة ان ركبتها حملتك وان ركبتك قتلتك ، كما يقولون : من ملك نفسه عز ومن ملكته نفسه ذل ، ويقولون : لولا ميادين النفوس ما تفاضل المؤمنون ، ويقولون : الموفق من لا يخاف غير الله ، ولا يرجو غيره ، فيؤثر رضاه على هوى نفسه ، ويقولون : من علت همته على الاكوان وصل الى مكونها ، ويقولون : من صبر على مخالفة نفسه أوصله الله الى مقام انسه .

ويقوم التصوف فى أساسه على مخالفة هوى النفس ، وقد قال رجل للامام المرتعش : ان فلانا يمشى على الماء فقال : عندى ان من مكنه الله من مخالفة هواه ، فهو أعظم من المشى على الماء وفى الهواء .

ومع اجتهاد السادة الصوفية فى فعل المأمورات وترك المنهيات بجهاد لايعرف الملل نراهم يعتمدون على فضل الله تعالى ولايركنون الى أعمالهم ومجاهداتهم ، وفى هذا المقام يقول الامام المرتعش رضى الله عنه : من ظن أن أفعاله تنجيه من النار أو تبلغه الرضوان فقد جعل لنفسه ولفعله خطرا ، ومن اعتمد على فضل الله بلغه الله الى أقصى منازل الرضوان ، قال الله تعالى [قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) ويعلل رضى الله عنه ذلك فيقول : السكون الى الاسباب يقطع القلوب عن الاعتماد على المسبب ، وقد سأله رجل : أى الاعمال افضل فقال : رؤية فضل الله وانشا يقول :

ان المقادير اذا ساعدت
الحقت العاجز بالحازم

وحين قال له رجل : أوصنى قال : اذهب الى من هو خير لك منى ، ودعنى الى من هو خير لى منك .

وقد وضح لنا الامام المرتعش فى أقواله المتقدمة معنى ماقاله سيدى الشيخ عبد السلام : فمالك والناس وعليك برب الناس ، لان الخالق سبحانه اقرب اليك من خلقه ، أما الوسواس الخناس الذى اشار اليه الشيخ فى نصيحته فوسواس يحول بينك وبين ربك فيثبط همتك فى طاعته تعالى أو يجعلك ساخطا على مقدوره أو يائسا من رحمته ومغفرته ، وعلاج ذلك الوسواس انما يكون بكثرة ذكر الله تعالى ومجالسة الصالحين من أهل اليقين ، لان مجالستهم تكسب المؤمن الثقة بالله وحسن التوكل عليه والركون اليه فلا يعترى الانسان فى سيره ياس ولا بأس كما قال سيدى الشيخ عبد السلام ، طيب الله ثراه .

لذلك نرى شيخى وسيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه راكنا الى ربه ، طامعا فى عفوه فيقول فى الهامه المشرق مخاطبا مولاه جل وعلا :

اذا رابنى ذنبى دعتنى محبتى
اليه وما تثنى الذنوب عن الحب
فيارب ان زادت عيوبى فاننى
وثقت بان الفضل أوسع من عيبى
اضاء الهدى قلبى ونقى سريرتى
فلست كبعض الناس أنسب للترب
تركت الورى دونى وجئتك مفردا
فلم يك غير الله فى السمع والقلب
وطهرت فى نجواك سر جوانحى
فخلصتها من عالم البعد والحجب
رضاء الفتى بالله يشرح صدره
فلن يتاذى بالحوادث والخطب
وما لذتى الا التجائى لوجهكم
فوجهكمو دون العوالم لى قطبى

ويقول سيدى سمنون رضى الله عنه فى حبه لله وتعلقه به سبحانه :

وكان فؤادى خاليا قبل حبكم
وكان بذكر الخلق يلهو ويمزح
فلما دعا قلبى هواك أجابه
فلست أراه عن فنائك يبرح
رميت ببين منك ان كنت كاذبا
وان كنت فى الدنيا بغيرك افرح
فان شئت واصلنى وان شئت لاتصل
فلست ارى قلبى لغيرك يصلح

وقد كتب الامام الجنيد رضى الله عنه الى بعض احبابه يقول : من أشار الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله تعالى وحجب ذكره عن قلبه ، وأجراه على لسانه ، فان انتبه وانقطع ممن سكن اليه كشف الله ما به من المحن والبلوى ، وان دام على سكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه والبس لباس الطمع فتزداد مطالبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم ، فتصير حياته عجزا ، وموته كمدا ، ومعاده أسفا ، ونحن نعوذ بالله من السكون الى غير الله .

أقول وقد جعل الله سبحانه التوكل على الله من علامات الايمان به تعالى فقال عز وجل (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين] ويعبر السادة الصوفية عن شدة ثقتهم فى الله تعالى وتدبير أرزاقهم فيقولون : لو ان العبد سال الله الا يرزقه لم يستجب له ولقال له : ياجاهل انا خلقتك ولابد من أن أرزقك أبدا .

وقد سئل الامام سهل بن عبد الله عن القوت فقال : هو الحى الذى لايموت ، فقالوا : انما سألناك عن القوام ، فقال : القوام هو العلم ، قيل : سألناك عن الغذاء ، فقال ، الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد فقال : مالك وللجسد : دع من تولاه أولا يتولاه آخرا .. اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه أما رأيت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها ؟

وكان سيدى معروف الكرخى رضى الله عنه يقول : انما أنا ضيف فى دارمولاى : ان اطعمنى أكلت متى اطعمنى وأن اجاعنى صبرت حتى يطعمنى ، ويقول سيدى بشر بن الحارث رضى الله عنه : ان العبد ليقرأ [اياك نعبد واياك نستعين] فيقول الله تعالى : كذبت ما اياى تعبد ، لو كنت تعبد اياى لم تؤثر هواك على رضاى ، ولو كنت بى تستعين لم تسكن الى حولك ولا قوتك ولا الى مالك ونفسك .

وينصح سيدى الشيخ عبد السلام رضى الله عنه تلميذه باستمرار الطاعة ودوام معاملة الله الذى يوجه القلوب الى الخير ويحذره من تغييرهذا المبدأ ويبين له أن التغيير يهدم ما بناه ، واعادة البناء تحتاج الى وقت طويل لاختلاف المشارب، وسيدى الشيخ يريد الا نتردد على كثير من المرشدين خشية أن تختلف مناهج الارشاد فتتردد الروح بين هذا المشرب وذاك وتشتغل بالمفاضلة بين الشيوخ فيعوقها ذلك عن السير قدما فى طريق الحق دون التواء عن الصراط المستقيم .

ويقول الامام السهروردى فى ذلك المقام : قد ينفسد المريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما ينفسد بأهل الفساد ، ووجه ذلك أن أهل الفساد يعلم فسادهم ويأخذ حذره منهم ، وأهل الصلاح يغره صلاحهم فيميل اليهم بجنسية الصلاحية ، ثم يحصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية تحول بين المريد وبين حقيقة الصحبة لله تعالى ، ويكسب من طريقهم الفتور فى الطلب والتخلف عن بلوغ الارب فليتنبه المريد الصادق .

وانى اذكر فى هذه المناسبة ان سيدى الشيخ عبد السلام رضى الله عنه زار مرة مريدا له فى مرضه فوقع فى قلبه أنه يذكر اسما لم يلقنه له فسأله الشيخ عن الاسم الذى يذكره فصرح له به فقال : من لقنك هذا الاسم قال فلان ، فقال له عد الى الاسماء التى لقنتك أياها ولا تأخذ عن غير مرشدك لانه ادرى الناس بحالك واستعدادك فلما اطاع الشيخ برىء من مرضه ، وتعلم من تلك التجربة الا ياخذ الا بمشرب شيخه وارشاده ،

وقد لاحظت من خلال مشاهداتى الكثيرة أن المترددين بين الشيوخ العديدين والطرق المختلفة لا يتقدمون فى التربية الصوفية وذلك أمر طبيعى لان مؤدى التردد أن ينظر لكل واحد من شيوخه نظرة النقص فلا يلتزمه وحده ولا يراه كافيا للاخذ عنه ، ومن هنا يقل بل ينعدم انتفاعه به ، وحسبك دليلا واضحا أن أبا جهل لم ينتفع من صحبة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظر اليه على أنه يتيم أبى طالب ولم ير فيه اكرم الرسل على الله تعالى ، صلى الله عليه وسلم ، بينما أسعدت العناية الربانية سيدنا سلمان الفارسى بصحبته صلى الله عليه وسلم حتى الحقه بآل بيته مع انه فارسى وأبو جهل قرشى ، مما يفيد أن صلة القلوب أكبر أثرا فى التربية الروحية من قرابة اللحم والدم .

ولقد أضلت الظواهر ابليس فلم ير من جوهر آدم الا الماء والطين ولم ير فيه المخلوق الذى أراد الله تكريمه فأمر الملائكة أن تسجد له ، فوقع ابليس فى المعصية عن اصرار وعناد وقال [أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين] فحقت عليه لعنة الله الى يوم الدين ، ونعوذ بالله منه .

ولولا أن للشيخ مدخلا فى تربية المريد فى جنب الله ما جوزوا ان يتخذه المريد رفيقا فى طريق الله ، لان من مبادىء الصوفية قولهم : ان استطعت الا يسبقك أحد الى مولاك فافعل ، ولاتؤثر على مولاك شيئا ، والشيخ يد الله وعونه للمريد الصادق ، لذلك يقول عز وجل [وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون] كما يقول سبحانه [وتعاونوا على البر والتقوى] والشيخ انما يعطى مريده ثمرة تجاربه الطويلةالشاقة حسبة لوجه الله لا يسأله عليها أجرا ولذلك قالوا ان المريد يبدأ حيث انتهى شيخه ، وحسبه هذه الغنيمة .

ولهذا يجب أن يعتنى المريد باختيار الشيخ الذى يأخذ عنه ، لانه يسلم للشيخ روحه وهى أعز مايملك ، واذا كان المرء يدقق فى اختيار اطباء جسده ويسأل عنهم قبل أن يأتيهم للتداوى فأولى به أن يدقق فى اختيار طبيب الروح ويسأل الله العون فى الاستدلال عليه ، ويسترشد فى اختياره بأهل الرشد والصلاح والتجربة الذين يرجى منهم حسن اختيار شيوخهم ، ومن أقوى الادلة على الشيخ المربى : ظهور الصلاح والبركة فى اتباعه ، كما يجب أن يتوافر فيه علم صحيح وذوق صريح وهمة عالية وحالة مرضية وبصيرة نافذة .

ويقول سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله عنه : وشيخك هو الذى أمات نفسك قبل أن تموت وجال بك فى عالم الملكوت ، وشيخك هو الذى أخذ منك وكشف عنك ، وشيخك هو الذى حمل عنك المشقات ، وأنزلك منازل القربات ، وشيخك هو الذى دلك على حالك لا من أخذ من مالك .

وقد قص الله علينا القصة الرائعة التى كانت بين سيدنا موسى عليه السلام وبين سيدنا الخضر عليه السلام فى سورة الكهف فأرانا كيف حرص كليم الله وصاحب التوراة على أن يصحب عبدا من عباد الله آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما وقال له فى أدب رفيع [هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا . قال انك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا] وقد بينت القصة بعد ذلك أمورا خفيت حكمتها الشرعية على سيدنا موسى عليه السلام فاعترض عليها ثم بين له سيدنا الخضر عليه السلام الوجه الشرعى فى كل أمر منها ، فأيقن عيانا ان الخضر عليه السلام على علم من علم الله لا يعلمه صاحب التوراة عليه السلام وصاحب التوراة على علم من علم الله لا يعلمه الخضر عليه السلام وسبحان من يختص برحمته من يشاء بما شاء وكما شاء .

وكفانا عظة ما كان من سيدنا موسى عليه السلام فى بحثه عن العلماء الربانيين الصادقين ، فقد سافر فى طلبهم والانتفاع بعلمهم سفرا طويلا لقى منه نصبا وذلك من عزم الامور ، فجزى الله عن مشايخنا خيرا كثيرا لقاء توجيههم وارشادهم [ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم]

فى رحاب القرآن العظيم

كيفية تلاوة القرآن الكريم

فضيلة الشيخ محمود خليل الحصرى

اتفق علماء القراءة وائمة الاداء على ان تلاوة القرآن الكريم لها كيفية مخصوصة يجب على القارىء شرعا أن يلاحظها أثناء تلاوته ليحرز الاجر الذى وعد الله به القارئين ـ فاذا أهملها أو قصر فى مراعاتها كان من الاثمين .

وهذه الكيفية هى تجويد كلماته وتقويم حروفه وتحسين أدائه باعطاء كل حرف حقه ، ومنحه مستحقه من الاجادة والاتقان والترتيل والاحسان ولا يكون ذلك الا بتصحيح اخراج كل حرف من مخرجه الاصلى المختص به تصحيحا يمتاز به عن مقاربه ، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه ، مع تيسير النطقبه على حال صفته ،وكمال هيئته ، من غير تشدق ولا اسراف ولا تصنع ولا اعتاف ، ومع العناية بابانة الحروف ، وتمييز بعضها عن بعض ، واظهار التشديدات وتوفية الغنات واتمام الحركات ومع تفخيم ما يجب تفخيمه وترقيق ما يجب ترقيقه ، وقصر ماينبغى قصره وما يتعين مده مع ملاحظة الجائز من الوقوف والممنوع منها ، فيوقف على ما يصح الوقف عليه ويوصل ما لا يصح الوقوف عليه الى غير ذلك من الاحكام والقواعد التى وضعها ائمة القرآن .

قال الامام المحقق ابن الجزرى فى كتابه (النشر « ولاشك ان الامة كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن واقامة حدوده ـ متعبدون بتصحيح ألفاظه واقامة حروفه على الصفة المتلقاة من العربية التى لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها الى غيرها وتلك الكيفية هى التى نزل بها القرآن الكريم . وهى المرادة من الترتيل الذى أمر الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : **(ورتل القرآن ترتيلا)** .

قال ابن عباس : أى بينة . وقال مجاهد : تأن فيه وقال الضحاك ، انبذه حرفا حرفا وافصل الحرف من الحرف الذى بعده . وجاءه عن على رضى الله عنه انه قال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف . وقال بعضهم :أى تثبت فى قراءتك وتمهل فيها .

ولم يقتصر سبحانه على الامر بالفعل حتى أكده بالمصدر اهتماما به وتعظيما له ليكون ذلك عونا على تدبر القرآن وتفهمه ، وهكذا كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم : **كانت غاية فى الترتيل والتؤدة وآية فى الاتقان والجودة ، لم تكن هذا ولا عجلة ، بل كانت مفسرة كلمة كلمة مبينة حرفا حرفا .**

وقد روى عن زيد بن ثابت أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل » أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه . **وعن أم سلمة انها سئلت عن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا أخرجه الترمذى . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة حتى تكون اطول من اطول منها . وسئل أنس بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مدا ، ثم قرأ أنس بسم الله الرحمن الرحيم ، بمد الله ، وبمد الرحمن وبمد الرحيم . وعن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يقطع قراءته فيقول ، الحمد لله رب العالمين ، ثم يقف ، الرحمن الرحيم ، ثم يقف ، مالك يوم الدين وهكذا . رواه الترمذى وأبو داود قال القرطبى : « قال علماؤنا : قول أم سلمة : كان يقطع قراءته » يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه من القرآن ، وانما ذكرت فاتحة الكتاب لتبين صفة التقطيع ، أو لانها أم القرآن فيغني ذكرها عن ذكر ما بعدها . فالتقطيع عام لجميع القراءة لظاهر الحديث .**

وذكر الزهرى أن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت آية آية .. وهذا هو الافضل ، وهو الموقوف على رؤوس الاى وان تعلقت بما بعدها فان تعلقت بما بعدها كان الوقوف على ما يتم به الكلام افضل ولكن اتباع هدى الرسول وسنته أولى . وممن ذكر ذلك البيهقى فى شعب الايمان ورجح الوقف على رؤوس الاى وان تعلقت بما بعدها .

وقد اختلف العلماء هل الافضل الترتيل مع قلة القراءة أو السرعة مع كثرتها ؟

ذهب فريق الى أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها . وهذا مذهب ابن عباس وابن مسعود وغيرهما . وقد احتجوا لهذا المذهب بأدلة :

الاول : ان المقصود من قراءة القرآن فهمه وتدبره والتفقه فيه والعمل به وما تلاوته وحفظه الا وسيلة الى معانيه ، فقد قال السلف ، نزل القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملا ، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمين به العاملين بما فيه . وان لم يحفظوه عن ظهر قلب . وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به فليس من أهله وان جود كلماته واتقن حروفه .

الثانى ، ان الايمان هو افضل الاعمال على الاطلاق ، وفهم القرآن وتدبره هو الذى يثمر الايمان ، وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر فيفعلها البر والفاجر والمؤمن والمنافق ، فمن أوتى تدبرا وفهما فى التلاوة أفضل ممن أوتى كثرة قراءة وسرعة بلا تدبر .

الثالث : أنه كان من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم انه كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها وثبت عنه أنه قام بآية واحدة فى الليل وأخذ يرددها حتى الصباح وهى (**ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم**) رواه النسائى وابن ماجه .

وقال أبو حمزة لابن عباس : انى رجل سريع القراءة وربما قرأت القرآن كله مرة واحدة فى الليلة فقال له ابن عباس لان أقرأ سورة واحدة ارتلها وأتدبرها أحب الى من أن أفعل الذى تفعل فان كنت فاعلا لابد فاقرأ قراءة تسمعها أذنك ويعيها قلبك . رواه البخارى .

وقال ابن مسعود : لا تهذوا بالقرآن هذ الشعر . ولا تنثروه نثر الدقل ، وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . والهذ : الاسراع ، أى لا تسرعوا فى القراءة واسرعوا بالشعر . والدقل بفتح الدال والقاف أردا التمر والمعنى النهى عن عدم العناية باتقان القراءة بالاسراع فيها وعدم رعاية حدودها .

وقال ابن مسعود أيضا : اذا سمعت الله تعالى يقول : (**يا أيها الذين آمنوا**) فاصغ لها سمعك فانه خير تؤمر به او شر تنهى عنه » وجاءه رجل فقال له : انى أقرأ المفصل فى ركعة فقال : أهذا كهذ الشعر ؟ وسئل مجاهد عن رجلين أحدهما قرأ البقرة والاخر قرأ البقرة وآل عمران فى الصلاة وركوعها وسجودها واحد . فقال الذى قرأ البقرة أفضل .

وعن محمد بن كعب القرظى أنه قال : لان أقرأ فى ليلتى حتى اصبح سورتى الزلزلة والقارعة لا ازيد عليها ، وأتردد فيهما وأتفكر أحب الى من أن أهذ القرآن هذا وانثره نثرا » .

وعن عائشة رضى الله عنها ان أناسا يقرأون القرآن مرة أو مرتين فقالت : أولئك قوم قرأوا ولم يقرأوا ، كنت اقوم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة التمام ، فكان يقرأ البقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية تخويف الا دعا الله واستعاذ . ولا يمر بآية فيها استبشار الا دعا الله ورغب اليه رواه أحمد .

قال ابن كثير : وفى الحديث دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها ، من غير هذرمة ولا بسرعة مفرطة ، بل بتأمل وتفكر ، قال تعالى (**كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب**) والهذرمة : الاسراع فى القراءة .

وقال الغزالى : ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان الاعجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة الترتيل والتؤدة ، بل لان ذلك اقرب الى توقير القرآن واحترامه وأشد تأثيرا فى القلب من السرعة والاستعجال .

وذهب فريق منهم - ومنهم أصحاب الشافعى - الى أن كثرة القراءة أفضل ، واحتجوا لذلك بحديث ابن مسعود : « **ومن قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول « (الم) حرف ولكن الف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف** » أخرجه الترمزى وقد تقدم .

قالوا : ولان عثمان بن عفان رضى الله عنه قرأ القرآن فى ركعة وذكروا آثارا عن كثير من السلف فى كثرة القراءة .

وقال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد : « والصواب فى المسألة أن يقال : ان ثواب القراءة الترتيل والتدبر أجل وارفع قدرا ، وثواب كثرة القراءة أكثر عددا . فالاول كمن تصدق بجوهرة عظيمة جدا او اعتق عبدا قيمته نفيسة جدا . والثانى كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم أو أعتق عددا من العبيد قيمتهم رخيصة .

التصوف في الإسلام

التفكر والتأمل في صنع الله وآياته

الأستاذ طه رياض سيف النصر

ان التفكر والتامل هما خير العبادات التى توصلنا الى أعلى درجات التصوف والعلم والمعرفة .. ومن حقائق تاريخنا ان التصوف كان دائما الافق الاعلى للفكرة الاسلامية والروح المضىء لحضارتها والوجه الاكمل لاخلاقها .

وكان التصوف الاسلامى ولايزال مقتبسا من روح القرآن ، وحياة الرسول ومحبة الله .. ويعمل على رفع القيم الخلقية وتطهير النفوس لان حياة البشر لا تتسم بالحياة المادية فقط بل يجب ايضا ان تتغلغل فى ثناياها النواحى الروحية حتى يصبح المجتمع البشرى اخوة متحابة . خلافا لما يجرى الان فى هذا الزمان ؟

ولما كانت هذه القيم والمبادىء الروحية أساسها التفكر والتأمل والتدبر والنظر فيما يدور فى ملك الله .. من جلال وكمال وقدرة وقوة وعظمة .. الخ

ورسول الله سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام كان اول من وضح لنا خطة « التأمل والتفكير فى ملكوت السموات والارض وعظمة الله . فقد كان الى جانب عمله المادى يعبد ربه ويناجيه فى خلوته فى غار حراء قبل نزول الوحى عليه .. ومن اعلى الجبل الاشم حيث كانت عبادته قاصرة على التفكر والتأمل فى صنع الله جل شانه وعظمته .

كما يحدثنا القرآن الكريم فى كثير من آياته بما يحثنا على التفكر والتأمل فى ملك الله .

مثل قوله « وفى انفسكم أفلا تبصرون » سورة الذاريات

« فلينظر الانسان مم خلق »

«قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق» العنكبوت

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناهـا وما لها مـن فروج » ق وما فى قـوله تعالى « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض » اى فيما ابدع فيهما ليدفعهم ذلك الى قدرة الصانع ويعرفوا ان لها صانعا ومدبرا وحكيما .

وقال ابن عباس رضى الله عنه الفكرة او « التفكر » تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع ثم قال ايضا ان قوما تفكروا فى الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم **« تفكروا فى خلق الله ولاتفكروا فى الله لانكم لن تقدروا قدره » .**

وعن عطاء قال انطلقت انا وعبيد بن عمير الى عائشة رضى الله عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت ياعبيد مايمنعك من زيارتنا قال قول النبى صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فأخبرينا بأعجب مارأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت فقالت كل أمره كان عجبا أتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى اتعبد لربى تعالى فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع الى جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال بلال يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال ويحك يابلال ومايمنعنى ان ابكى وقد انزل الله على فى هذه الليلة **« ان فى خلق السموات والارض**

واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب » ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها

وقال الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة

وقال الفضيل الفكر مرآة يريك حسناتك وسيئاتك وماطال فكر امرىء قط الا فهم وما فهم الا علم وما علم الا عمل

وقال بشر الحافى لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى لما عصوه وقال يوسف بن أسباط ان الدنيا لم تخلق لينظر اليها بل لينظر بها الى الاخره

وكان سفيان رضى الله عنه يقول الفكر نور والغفلة ظلمة والجهالة ضلالة والسعيد من وعظ بغيره .

وقد ورد فى القرآن الحث على التبصر والتفكر فى مخلوقات الله عز وجل قال الله تعالى « **ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب** » الاية وقال الله تعالى اولم ينظروا فى ملكوت **السموات الارض وماخلق الله من شىء** » أى وينظروا ما خلق الله فيها من شىء ليستدلوا على وحدانيته فليتفكر الانسان فى السماء وعظمتها وكواكبها وشمسها وقمرها ومافيها كوكب الا ولله فيه حكمه فى لونه وشكله وموضعه فانظر الى كثرة الكواكب والى السماء والى احاطة عينيك بذلك مع صغرها . وليتفكر الانسان ايضا فى نفسه فان فى خلقه من العجائب الدالة على عظمة الله وقدرته ما تنقضى الاعمار فى الوقوف على عشر عشرة وهو غافل عن ذلك وقد امر الله بالتدبر فى نفسه فقال : **وفى انفسكم افلا تبصرون ...** فاذا تفكر الانسان فى كل ذلك ازداد يقينا ومعرفة فى انعام الله عليه طبقا لقوله تعالى : « **وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها** »

فاذا تفكر الانسان فى هذه النعم الجزيلة يزيد فى محبة الله وشكره وقال فى هذا المعنى الامام ابو حامد الغزالى رحمه الله وأعلم انك لم تعص الله تعالى بجوارحك وهى نعمة انعم الله عليك والاستعانة بنعمة الله على معصية غاية الكفران ومنها ان يتفكر فى زوال الدنيا وتقلبها بأهلها ولا ينظر الى سعة عيش أهلها بل الى شر منقلبهم فاذا حقق العبد ماذكرناه هانت عليه دنياه وجد فى طاعة مولاه ومنها ان يتفكر فى الموت وسكراته وفى حالة من مضى من اخوانه وأقاربه وأقرانه وكيف كانوا ؟ والى اين صاروا وانه صائر الى ماصاروا اليه وقادم على ماقدموا عليه فان التفكر فى ذلك يحمل على الخوف والخشية وقصر الامال والمبادرة الى التوبة والى صالح الاعمال .

وفى قوله تعالى : ان فى فى خلق السموات والارض وأختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وماانزل الله من السماء من **من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة** وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون » ذكر الله السموات بلفظ الجمع والارض بلفظ الواحد لانها ليست كلها من جنس واحد والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب ثم قوله تعالى **واختلاف الليل والنهار** اى تعاقبهما فى الذهاب والمجىء والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس الاية تعنى تسخيرها وجريانها على وجه الماء بما ينفع الناس يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارة والمكاسب .

وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض قيل اراد بالسماء السحاب فخلق الله ماء فى السحاب ثم ينزل وقيل أراد بالسماء المعروفة يخلق الله الماء فى السماء ثم ينزله منها الى السحاب ثم من السحاب الى الارض .. فاحيا به الارض بعد موتها اى بعد يبسها وجدبها قال الشعبى كل ما فى الارض فمن السماء انزله الله قال الله تعالى « **الم تر أن الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض** » قوله وبث فيها اى وفرق فيها من كل دابة **وتصريف الرياح** تصريفها انها تتصرف ألى الشمال والجنوب والقبول والدبور والنكباء وقيل تصريفها انها تارة تكون لينة وتارة تكون عاصفة وتارة تكون باردة وتارة تكون حارة قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس وقيل الريح ثمانية **اربعة للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات واربعة للعذاب العقيم والصرصر فى البر والعاصف والقاصف فى البحر .**

وروى ابو داود والنسائى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الريح من روح الله تاتى بالرحمة وتاتى بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسالوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها .

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسالك خيرها ومأرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ما أرسلت به

وقوله تعالى « **والسحاب المسخر بين السماء والارض** » أى الغيم الذى سمى سحابا لانه ينسحب اى يسير فى سرعة كانه يسحب اى يجرى بين السماء

والارض لايات لقوم يعقلون أى يعلمون أن لهذه الاشياء خالقا وصانعا •

وفى قوله تعالى « **وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين** » الفرث هو ما فى الكرش من الثقل فاذا خرج منه لايسمى فرثا لبنا خالصا من الدم والفرث ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث سائغا للشاربين •

وقوله تعالى : « **يخرج من بطونها شراب مختلف الوانهفيهشفاءللناس** » وقيل ان النحل تأكل الازهار والاوراق المعطرة فيستحيل فى باطنها عسلا ثم تقيه ادخارا للشتاء وقيل انها تلتقط بأفواهها اجزاء حلوة سغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا للشتاء فاذا اجتمع شىء كثير منها كان العسل وعلى هذا القول يكون المراد بالبطون الافواه •

ثم قول الله سبحانه وتعالى « **ونزلنا من السماء ماء مباركا** » . ثم قوله تعالى ايضا « **يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم !** يعنى أباكم آدم من تراب ثم من نطفة يعنى ذريته ثم من علقة بمعنى الدم المتجمد ثم من مضغة وهى لحمة قليلة مثل ما يمضغ مخلقة وغير مخلقه قال ابن عباس ضى الله عنهما وقتاده مخلقة اى تامة الخلقة (الخلق) وغير مخلقة اى غير تامة اى ناقصة الخلق •

والخلاصة أن المؤمن المخلص الصادق •• يرى عظمة الله سبحانه وتعالى فى أعماق نفسه • وفى اعماق قلبه وتحت ضلوعه •• وبعين بصيرته •

وفى السموات والارض •• وفى الابحار والجبال والانهار •• والصخور •• الخ • ولله رجال لم تلههم تجارة ولا بيع ولا شراء عن ذكره أمدهم بتوفيقه وشرح صدورهم بنوره فشاهدوا مافوق ذلك من عجائب القدرة اذ قد أطلق الله فى حقهم كل ذرة فى السموات والارض بقدرته وعظمته التى انطق بهما كل شىء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان طلق تكلمهم بلا صوت ولا حرف لايسمعه الذين هم عن السمع محرومون فكل ذرة فى العلم مع ارباب القلوب مناجاة وذلك من سر كلام الله. تعالى الذى لا نهاية له . كما قال تعالى « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** » الاية فهكذا أبدا يناجى الله تعالى ارباب القلوب باسرار الملكوت ولكن افشاء سره لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط أمينا على سر الملك نادى على ملأ من الاشهاد ولو جاز افشاء سر لما قال عليه الصلاة والسلام لو علمتم ماأعلم لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا ولما نهى عن سر القدر ولما قال اذا ذكرت النجوم فامسكوا **واذا ذكر القضاء فامسكوا** •

فما احوجنا الى الاتجاه الى الله بقلوب عامرة بالايمان حتى يتم النصر لامة العرب والاسلام •

« على كل مسلم صدقة »

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ،حدثنا أبو اسامة ، عن شعبة ، عن سعيد بن أبى بردة ، عن أبيهعن جده ، عن النبى [صلى الله عليه وسلم]

قال : « على كل مسلم صدقة »
قيل له : أرأيت أن لم يجد ؟
قال : « يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق »
قيل له : ارأيت ان لم يستطع ؟
قال « يعين ذا الحاجة الملهوف »
قيل : أرأيت ان لم يستطع ؟
قال : « يأمر بالمعروف أو الخير »
قيل : أرأيت ان لم يفعل ؟
قال : « يمسك عن الشر فانهاصدقة »

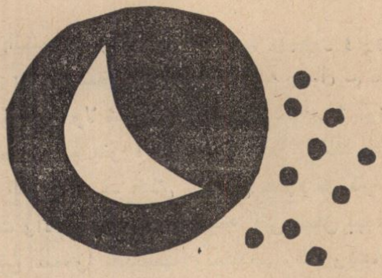

الليالي العشر

فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقي

قال تعالى : والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر ٠

فى هذه الايات من كتاب الله عز وجل ٠ يقسم سبحانه بالفجر حين يخرج على الدنيا بنوره مبددا ظلام الليل بجحافله حيث يتنفس الصبح بضيائه وينشق النهار فينتشر الناس والحيوان والطير والوحش ، يبتغى الكل رزقا من الله وفضلا ٠

الى جانب ما ينتظم من أفعال جليلة القدر وامكنة عظيمة الشأن كتلك التى تكون فى فجر يوم النحر وليلته التى هى ليلة عرفة وما فيهما من النسك الذى تتمثل فيه العبودية المحضة لله عز وجل والذل والخضوع لجلاله وعظمته ٠

والليالى العشر المراد بها عشر ذى الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف ، وقد ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس مرفوعا « **ما من أيام العمل الصالح أحب الى الله فيهن من هذه الايام يعنى عشر ذى الحجة قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء » ٠**

وفى رواية جابر رضى الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم « ما من أيام عند الله افضل من عشر ذى الحجة ٠ فقال رجل هن أفضل أم عدتهن جهادا فى سبيل الله قال هن أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله ، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فيباهى بأهل الارض أهل السماء فيقول انظروا الى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى فلم ير يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة » رواه ابو ليلى والبزار وابن خزيمة وابن حبان واللفظ له .

وروى أحمد والنسائى بسندهما الى حفصة رضى الله عنها قالت « **اربع لم يكن يدعهن رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام عاشوراء والعشر وثلاثة ايام من كل شهر والركعتين قبل الغداة** » .

وقوله سبحانه « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » فى موقع جواب القسم أى ليقعن هؤلاء الكفار ومن على شاكلتهم فى قبضة القوى القادر ٠ وليعذبنهم عذابا شديدا كما عذب غيرهم من الامم التى عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبها حسابا شديدا وعذبها عذابا نكرا ، كما كان من أمر عاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وغيرهم حينما كذبوا بآيات الله ورسله فاذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ٠

والحديث عن عشر ذى الحجة يسوقنا الى الحديث عن بعض المشاهد كزمزم والاكثار من الشرب منها والصفا والمروة والسعى بينهما ومنى ومتى يتوجه اليها وما يصنع فيها وعرفة وما يلزم الحاج فى يومها ويوم النحر وما يقوم به الحاج من أعمال فيه .

فأما زمزم روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هاجر لما اشرفت على المروة حين أصابها وولدها العطش سمعت صوتا فقالت صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت ايضا . فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا تغترف من الماء فى سقائها ، وهو يفور بعدما تغترف ، قال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغترف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت

وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مثل الرابية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب من ماء زمزم وأنه قال : انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم وان جبريل غسل قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائها ليلة الاسراء وماؤه خير ماء على الارض فقد روى الطبرانى فى الكبير وابن حبان عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « **خير ماء على وجه الارض ماء زمزم فيه طعام الطعم وشفاء السقم** » كما قال : « ماء زمزم لما شربله ان شربته تستشفى شفاك الله وان شربته لشبعك أشبعك الله ، وان شربته لقطع ظمئك قطعهالله وهى هزمة جبرائيل وسقيا الله اسماعيل رواه الدار قطنى والحاكم وزاد وان شربته مستعيذا أعاذكالله ، وكانابن عباس رضى الله عنهما اذا شرب من ماء زمزم قال : **اللهم انى أسالك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء .**

وهناك **الصفا والمروة والسعى بينهما** ، وفى أصل مشروعيته روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء ابراهيم بهاجر وبابنها اسماعيل عليه السلام وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فوضعهما تحتها وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب ؟ وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شىء فقالت له ذلك مرارا فجعل لا يلتفت اليها فقالت آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم. قالتاذن لايضيعنا وفى رواية قالت له الى من تتركنا ؟ قال الى الله فقالت قد رضيت ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال :« **ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » .

وقعدت ام اسماعيل تحت الدوحة ، ووضعت ابنها الى جنبها وعلقت شنها تشرب منه وترضع ابنها ، حتى فنى ما فى شنها فانقطع درها واشتد جوع ابنها حتى نظرت اليه يتشحط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فقامت على الصفا وهواقرب جبليليها ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى انسان مجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت المروة فقامت عليها ، ونظرت هل ترى احدا ؟ فلم تر أحدا . ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما وكان السعى كما روى عن مالك والشافعى وأحمد فى احدى روايتيه ركنا واستدلوا لمذهبهم بما رواه البخارى عن الزهرى قال عروة سألت عائشة رضى الله عنها فقلت لها : **ارأيت قول الله تعالى « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو أعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » فوالله ما على أحد جناح الا يطوف** بالصفا والمروة قالت بئس ما قلت يالبن أخى **ان هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه الا يطوف بهما ولكنها انزلت فى الانصار** كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التى كانوا يعبدونها فكان من أهل يتحرج ان يطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى « **ان الصفا والمروة من شعائر الله الاية قالت عائشة رضى الله عنها لقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس** لاحد أن يترك الطواف بينهما وذهب ابو حنيفة **والثورى والحسن الى أنه واجب وليس بركن يبطل الحج بتركه** .

أما الحديث عن منى فيذكرنا باليوم الثامن من ذى الحجة وهو المسمى بيوم التروية لان الحجيجيرتوون فيه بالماء ويجمعونه فى منى قال الامام الغزالى واذا وصل (أى الحاج) قبل ذلك أى قبل عرفة بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما اليوم السابع من ذى الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها ،والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال ويتحقق به الركن عند الشافعى ومذهب غير الشافعية يوجب الوقوف الى ما بعد الغروب .

فاذا اتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فثمضرب رسول اللهقبته ونمره هىبطن عرفه دون الموقف ودون عرفة ، فاذا زالت الشمس خطب والامام فى الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالآذان الامام خطبة وجيزة وقعد واخذ المؤذن فى الاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذانين واقامتين وقصر الصلاة ، وراح الى الموقف فليقف بعرفة ، والافضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة ولا يقطع التلبية يوم عرفة ، بل الاحب أن يلبى تارة ويكب على الدعاء أخرى .

فاذا افاض منعرفة بعد غروبالشمس واذا وصل الى المزدلفة جمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة فى وقت العشاء قاصرا له ، بأذان واقامتين ليس بينهما الفريضتين ، ومن خرج منها فى النصف الاول من

البقية ص ٧٧

الأسرة العالمية الكبرى

فضيلة الشيخ حسن صالح

فيما نعلم مما علم الله البشرية ويدركه علماء الوحدة وأهل البصائر وذوو الجباه العالية والفكر الحر الطليق من براثن الموضوعات الصهيونية وضلالات الفكر الصهيونى ماحدثنا به كتاب الحق ودستور الحياة وكشف به المستور من حقد هؤلاء الغادرين المارقين فى قوله جل شأنه ، « **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين . ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون** » ٩٩ من سورة البقرة فعداوة الفكر الصهيونى لكل ما يدعو الى الوحدة من رسالة ربانية أو من يعملون لها ويجاهدون فى سبيلها **من رسل وحواريين ودعاة اصلاح على أساس من العقيدة الوضيئة والفهم العميق الساطع بأضوائها لا تخفى وقد أستعلنت فى صفحات الماضى وعبر مسيرة التاريخ .**

ولا تزال عداوته تتجلى فى صور متعددة فى العصور الحديثة حينما أفرخ الغرس الصهيونى منذ أزمان وصلب العود وأينعت الثمار وحان القطاف واطمأن الى جنده وأعوانه وركائزه فى المجتمعات البشرية ومستعمراته الفكرية فى الغرب ومتخلفات آثاره فى الفكر العام وأعماق التوجيه اللاشعورى للناس وانك لتشهد فى غمرة الصراع بينه وبين الوحدة العربية والاسلامية انه لم ينس كتاب الوجود من محاولات هدمه وزعزعة الثقة فيه بطبع المصاحف المحرفة فى هجمات مجنونة وبشكل يخيل اليه انه بالغ منه ما يريد وكان قد حاول ذلك فى الجناح الغربى للعروبة أثناء استعماره ثم منذ بضع سنوات بعد أن تحررت كثير من دول افريقيا وآسيا وتنبهت ثورتنا المباركة والازهر المعمور فوأدت المحاولة فى مهدها وأمدت البلاد الاسلامية بالمصاحف والمصحف المرتل

ونبهت البعثات الاسلامية الى خطر محاولات الصهيونية ولم تنس العروبة ذلك النشيد الذى كانت توحى به الفكرة الصهيونية وتعلمه شباب المستعمرين من اوروبا فى غزواتهم للبلاد العربية والاسلامية « لا تحزنى يا أمى ولا تجزعى فانى ذاهب لمحو القرآن وهدم الكعبة » .

ولا تجاوز الحقيقة او تعدو الواقع ان قلت بملء فيك ان ما يجرى على الرقعة العربية من صراع بين الاستعمار الصهيونى الاستيطانى وبين القومية العربية فصل من فصول الدرامة العنيفة يدير مناظرها الفكر الصهيونى كحلقة من حلقات المد والجزر بينه وبين العقيدة والوحدة العربية والاسلامية ثم العالمية يحاول جهده فى كل جولاته أن يثبت أركان الدولة الصهيونية الحاكمة بأمرها فى العالم كله بعد ازالة معالم الوحدة ومقوماتها من عقيدة وخلق وآثار نبوات ومنهج علوى لسلوك البشرية وتحديد علاقات اممها وافرادها فى تراحم وود وتعاون .

وقد وضع العلى القدير للناس اول بيت بمكة ووحد الاتجاه اليه كعلم دولى لدولة الاسرة العالمية الكبرى وعظم منازل الوحى ومنابت الانبياء من بيت ابراهيم ومن قبله من رسل الله الى الانسانية بمنهاجها الواحد طريقا الى وحدتها وسعادتها بها .

ثم أرسل به خاتم النبيين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام على فترة منهم هاديا وسراجا منيرا يكشف به محاولات الفكر الصهيونى طمس حقيقة النبوات ورسالة البشرية وتضليلها عن هدى ربها وابقاءها فى ظلمات الخرافة والجهل فتفقد سر قوتها بالعقيدة والوحدة وبعد أن أتم الفصل الاول من

مرامته وانتهى من معاركه الاولى مع رسل الله وقادة الانسانية بالتكذيب والتقتيل والتجريح (**كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون**) وشوه صورهم الربانية ووضعهم فى ملكه وغيرهم وغيرهم وذلك كله لزحزحتهم عن مكان القيادة فى ركب البشرية الربانى ثم لم يكتف بهذا بل ضيع وحى السماء وأبدل الناس به قصصا منمقا فى بدء الخليقة والغيبيات وجنة ادم والطوفان وحول بعضها الى اغان ومزامير وصدع الناس بقصص عن بنى اسرائيل وأيامهم وملوكهم وقضاتهم ولم يترك للبشرية مرجعا تعرف منه حقيقة ما جرى على وجه الارض الا ما وضعه هو وزيفه عليها وزور فيه تاريخها وحيرها فى مسيرتها ومعتقداتها ورسلها وكتبها ومناهج ربها التى أنارت الطريق أمامها .

فلما انتهى من معاركه تلك وحقق الغرض الاول جاء دور عيسى عليه السلام فلم يهادن رسالته ولم يتركه وما بعثه به ربه يهدى به الناس ويخرجهم من الظلمات الى النور ويخلصهم من قبضة كهنة الهيكل وترهات الفكر الصهيونى ومالك به على الناس كل شئون حياتهم وجعلهم سوائم فى قبضته بما سن من تشريعات اعطت القياد له فى شخص هيكله وكهنته وجعل الدين متجرا وشرع مالم يأذن به الله .

فأعلنها حربا شعواء عليه ولاحقه منذ مولده (**وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما**) فنسبه الى يوسف النجار واتبع أمه البتول الحصان بالشائعات حتى اضطرت الى الخروج به من ذلك الجو العفن الى ربوة ذات قرار ومعين فرد الله عنها وعنه كيد اليهود ومكرهم بهما ثم رجعت به الى فلسطين حيث بدأ مهمته وصراعه مع الفكر اليهودى وسدنته ومن غرر بهم من الدهماء يكشف بنور الله وكلمات ربه ومواعظه حقيقة المنهاج الربانى وما حرفوه من توراة موسى وأعلى الله به كلمة الحق والمؤمنين به فوق الذين كفروا واجتمع الناس على الهدى وما أنزل الله عليه من انجيل (**فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين**) وحاولوا اغراء بيلاطس به يريدون اغتياله رسميا فلما لم يفلحوا لجأوا الى رشوة يهوذا وارادوا الفتك به بعيدا عن الرسميات وقيود المحاكمة فلما نجاه الله من المؤامرة وحجبه عن أعين الرقباء ومن تربصوا له قتلوا المرتشى بعد تعذيبه وأشاعوا فى الناس أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله (**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما**) ودفنوا القتيل ليلا بعد أن لبسوا على الناس الامر فيه ولما خافوا افتضاح أمر المؤامرة نقلوه سرا الى مكان آخر ثم أذاعوا انه رفع الى السماء وقد كان يتراءى لحوارييه فى فترة اللغط وجو الذائعات وهم متأثرون بالدعاية الكاذبة فلا يصدقون انه هو بعينيه وقالوا مع القائلين والمرجفين بما الح اليهود على نشره وتثبيته حتى ظنه الناس حقا واقعا واستمرت آثار تلك الواقعة حينا ولكن الحق أبلج فما مات أحد من أهل الكتاب ممن عاصروا الفتنة الا وكان قد انكشف له نور الحقيقة قبل موته وتجلى له خداع اليهود وآمن به رسولا حفظه الله من كيد أعدائه ومحاولة قتله وبدأت دعوته تؤتى ثمارها فى قلوب المؤمنين واجتمع بها وعليها الناس يبشرون بها ويدعون اليها نقية طاهرة ويكتب كل منهم ما سمعه من فم عيسى عليه السلام من مواعظ وأناجيل وما كان نبراسا هاديا للبشرية لو سلم من اليهود وقدر له البقاء — ولكن هؤلاء حاصروا الدعوة والدعاة فجمعوا كل مواعظ المؤمنين وأناجيلهم وحملوا عليهم جملة وتتبعوهم افناء وتقتيلا فى حروب الابادة على يد ذى نواس باليمن فى واقعة الاخدود وفى عصر الشهداء واستخفى من بقى منهم على دين الحق فى صوامع انقطع بها عن الناس فرارا بدينه يعبد الله على دين الحنيفيه وهو دين عيسى والانبياء قبله ودين موسى نفسه ولكن الفكر اليهودى حوله الى دين عنصرى يستعلى بهم دون سائر البشر فوقهم شعبا خيارا مملكا عليهم وجعلها ديانة يهودية واخترع التوراة الشفوية ثم ضم اليها اقوال الحاخامات وجمعوها فيما يسمى بالمشنا والجمارا .

كما أوغل فى دين المسيح عليه السلام مسخا وتحريفا واستعمر - بما وضع من اسفار وما ابتدع من طقوس أله بها البشر — عقل البيئة الاوربية واستولى به زمنا على السلطة الدينية والزمنية فيها وتمكن من رقاب العباد وأموالهم وحرياتهم وجعل نفسه بين البشر وخالقهم واسطة لا يدخل أحد منهم الجنه الا باذنه فباع قراريطها فى صكوك الغفران وكل هذا باسم المسيحيه متسترا خلفها مخدرا بها الشعوب مستغلا لغريزة التدين الفطرية فى الناس وحارب العلم باسم الدين وتحرر الفكر باسم الهرطقه وبذر بذور الفتن بين شعوبها فلما أيقن الناس هناك باثار جرائم الفكر اليهودى تفلت الناس من قيوده وتنادوا باصلاح الكنيسة وانصرفوا الى العلم والبحث بعد أن بهرهم ضياء الاسلام وفتحت به ابواب المعرفة فركضوا ينهلون من عبابها فى مكتبات الاندلس وما حملوه اثناء حملاتهم الصليبية على الشرق وكان السبب الاول فى نهضة أوربا الحديثة .

وقد فضح كتاب الحق دس الفكر الصهيونى فى المسيحية الاوربية ووسيلته فى استعمار عقلها عن طريق دينها المصنوع الذى فتحت به أبواب الجدل

ومذهبت به الطوائف بين أهل دين المسيح عليه السلام فاختلفوا بالفتنة بين اليعقوبيين والملكانيين فى طبيعة المسيح ثم اللوثرية بعد أن اضلهم وباعد بينهم وبين دين السماء الذى جاء به عيسى عليه السلام والانبياء قبله كما فعل من قبل بدين موسى وهارون ٠

فقال جل شأنه : (**لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار ٠ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ٠ أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ٠ ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم أنظر أنى يؤفكون ٠ قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ٠ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل**) ٠

وهكذا طمس معالم دين السماء وشقق صف المؤمنين وأججها سعيرا بين اتباعه فى العيسوية وصور الدين عدوا للعلم وفصل بينه وبين السياسة فحصره فى الاديرة والكنائس وابعده عن واقع حياة الناس فلم يتأس بتعاليم السيد المسيح أحد فيما أمر به من الرحمة والاخاء والود والمساواة حتى انتفضت الثورة الفرنسية تعلنها ولكن فى دموية اطاحت برءوس كثيرة مما افرخ فيها الفكر الصهيونى وتعاملوا به فى تفرقة عنصرية واستعلاء بين الكونتات والدوقات وعبيد الارض فى القرون الوسطى ٠

وكان من غرسه الاستعمار والجرى وراء الذهب وكنوز الارض واستعباد الشعوب والاستئثار بخيرات أوطانها دون أصحابها وابادتهم ان استطاع لانهم كما قال (**ليس علينا فى الاميين سبيل**) سوائم خلقوا ليكونوا عبيدا وهم السادة يملكونهم وما بأيديهم ويتصرفون فيهم كعنصر متميز بالجنس واللون فأقام فى أمريكا مستعمرة المستعمرات من دول أوربا التى ذللها وطوعها فأصبحت صهيونية لحما ودما وسلوكا وان توشحت المسيحية وأين هى من دين عيسى عليه السلام ، وقد كفرت بتعاليمه وخرجت على دعوته فى المحبة والسلام والاخاء وها هى ذى تحالفه ـ وقد رباها وتعهدها ـ فى معركة المصير بينه وبين رسالات السماء فى ارض السلام ووحى الهدى وشريعة البشرية ولا تستحى دول الغرب ان تدعى المسيحية وأنها تسعى الى السلام فى أرض العروبة وهى التى أقامت دولته فى أقدس مكان وأطهره واعزه على المسلمين والمسيحيين جميعا وعلى سائر البشرية فمنه درجت منذ نعومة أظفارها بعد الطوفان الطبقى الذى عم هذه الديار من جبال طوروس الى نجد وتهامة وجبال اليمن فأتى على الحياة وكانت عامرة مزدهرة فى منبت البشرية الاول أم القرى وما حولها حيث خلق آدم وحواء وبث الله منهما رجالا كثيرا ونساء ٠

وتعاقبت أجيال وتتابعت عصور وهى لا تعرف الا هذه المغانى ولا تلتف الا حول علمها فيها بيت آدم ومسجده ومتعبده وآثاره فى عرفات وجبل الرحمة وذكريات معركته مع ابليس فى الجمرات ثم ذكريات ابراهيم واسماعيل وهاجر حين قال (**ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**) (**واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ٠ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ٠ ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم** ٠

فأقام الغرب الاستعمارى المستعمر ـ بالفكر الصهيونى بزعامة امريكا متحالفا مع الصهيونية العالمية ـ وهى الجسد الحى للفكر اليهودى ـ هذا الكيان الدخيل جسما غريبا فى قلب بلاد العروبة ومهد الرسالة وبيت ابراهيم ومدرج الانبياء وموطن عيسى ومريم حاجزا مانعا يحول دون وحدة العرب وتمزيقا للوحدة الاسلامية وللقضاء على ما بقى للبشرية من معالم الطريق فى كتاب الحق تبارك وتعالى الذى تكفل الله بحفظه (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) ٠٠

وليست هذه هى المحاولة الاولى للفكر الصهيونى فى هدم الوحدة العربية والاسلامية والحيلولة دون وحدة الاسرة العالمية الكبرى فقد وعى التاريخ انهيار الوحدة بفعله عدة مرات ولن تكون الاخيرة فليع الناس مضمون كلمة القائد الملهم انها معركة الوجود نكون أو لا نكون ٠ والوحدة حتمية ويجب أن تكون هدفا أول كما يجب اطراح رواسب ومخلفات القرون البائدة وما تركت بصمات الفكر الصهيونى فينا وشقق به صفوف العرب والمسلمين ثم الاعتماد على الله وخوض المعركة فان الله هو مولانا وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ٠

الجُنَّة في شرح عقيدة أهل الجَنَّة

فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

ومن يقلْ ولم يجن سقطا
تكليفه فانه قد سقطا
وانه شر من الكفار
وماله الا خلود النار

قال الامام الجنيد رضى الله عنه : الطرق كلها مسدودة الا على من اقتفى أثر النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال أيضا لرجل ذكر المعرفة وقال أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله عز وجل : ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهو عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا (لانه عاص بزناه وسرقته ، وهذا القول كفر) فان العارفين بالله تعالى أخذوا الاعمال عن الله تعالى واليه رجعوا فيها ، ولو بقيت الف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بىَ دونها . وقال وقد قال له رجل وفى يده سبحة ، أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة فقال : طريق به وصلت الى ربى لا أفارقه . وكان يدخل حانوته كل يوم ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة ، ثم يعود الى بيته . وقال الغزالى : لو زعم زاعم أن بينه وبين الله حالة أسقطت عنه التكاليف فلا شك فى كفره وقتله أفضل عند الله من قتل سبعين كافرا لانه يغر الناس بظاهره ، انتهى .. وقال المحقق الامير فى رسالته ، والداهية الطامة انهم اذا نهوا قالوا لا تعترض وهذا أدهى وأمر حيث يجعلون تعليم السنة المحمدية اعتراضا ينهى عنه وماخالفها اسلاما وانقيادا ، وهذا أمر يخشى منه الكفر والردة . أهـ

وقال الشيخ طاهر الجزائرى : لا يصل العبد مادام عاقلا بالغا الى حيث يسقط عنه الامر والنهى ويباح له ماشاء ومن زعم ذلك فقد كفر وقال ابو السعيد الخراز **كل باطن خلافه الظاهر فهو باطل : وقالوا علامة صحة الاحوال استقامة الافعال قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له اوصنى :** قل آمنت بالله ثم استقم وقال سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه : اياكم والدعاوى التى لا يشهد لها كتاب ولا سنة فانها سبب طردكم من حضرة ربكم ، وقال ايضا : طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة فمن أحدث فيه ماليس فى الكتاب والسنة فليس هو منا ولا من اخواننا ونحن بريئون منه فى الدنيا والاخرة ، ولو انتسب الينا بدعواه ، وقال الشيخ أحمد أبو شرقاوى ، مادام الشخص ثابت العقل مختارا فهو مخاطب بالشريعة لا تسقط عنه فى حال من الاحوال ، فان ادعى ذلك فهو زنديق ، وهذا امام المرسلين وسيد العارفين قام حتى تورمت قدماه فقيل له كيف تفعل هذا وقد غفرلك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلى الله عليه وسلم : أفلا أكون عبدا شكورا . وأكمل الناس فى المحبة والاخلاص الانبياء ولا سيما سيدهم صلى الله عليه وسلم مع أن التكاليف فى حقهم أتم وأكمل ، حتى يعاتبوا بأدنى ذلة بل بترك الافضل . والحاصل ان الصوفى يضع الاشياء فى مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم ، ويقيم أمر الحق مقامه ، ويستر ما ينبغى أن يستر ، ويظهر ما ينبغى أن يظهر ويأتى بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص والله الموفق .

وقد قدمت لك قريبا أن الشيطان يستولى على المتعبدين بغير الشريعة المختلين للذكر بأسماء ولم تتوفر لهم شروط الخلوة ، ويحملهم بما يزين لهم على خلع ربقة الاسلام وانكار الحلال والحرام والاحكام

السمعيات :

وكل ما جاء عن المعتقد
فى الذكر او نقل الثقاة اعتقد
مثل سؤال القبر والعذاب
والحشر والمعاد للحساب

وجب عليك أيها المكلف أن تعتقد كل ما جاء عن المعتقد وهو النبى صلى الله عليه وسلم فى الكتاب

الكريم والسنة الصحيحة وذلك كسؤال الملكين منكر ونكير للمقبور قال صلى الله عليه وسلم : **ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ماكنت تقول فى هذا النبى محمد ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدرى . رواه الشيخان ، وفى رواية لابى داود فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك وما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول المؤمن : ربى الله ، ودينى الاسلام ، والرجل المبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول الكافر فى الثلاث لا ادرى وفى رواية للترمذى يقال لاحدهما المنكر ، والاخر النكير . ونقل الجلال السيوطى عن ابن يونس ان ملكى المؤمن مبشر وبشير**

عذاب القبر ونعيمه :

ووجب أن نعتقد أن عذاب القبر ونعيمه حق . قال صلى الله عليه وسلم عذاب القبر حق ، ومر على قبرين فقال انهما ليعذبان رواهما الشيخان وقال صلى الله عليه وسلم : **القبر اما روضة من رياض الجنه أو حفرة من حفر النار .** قال الشيخ طاهر الجزائرى فى كتابه « الجواهر الكلامية » ما حاصله : أعتقد أن الميت اذا وضع فى قبره تعاد روحه الى جسده بقدر ما يفهم الخطاب ، ويرد الجواب ، ثم يأتيه ملكان فيسألانه عن ربه ونبيه ، وعن دينه الذى كان عليه وعن الفرائض التى كان الله أمره بأدائها فان كان الميت من الذين آمنوا وعملوا الصالحات أجاب عن السؤال بتوفيق الله أحسن جواب من غير خوف منهما ولااضطراب فيكشف الله عن بصره ويفتح له بابا من أبواب الجنة فيحظى بالنعيم العظيم ، ويقال له : هذا جزاء من كان فى دنياه على الصراط المستقيم ، وان كان الميت كافرا أو منافقا يدهش ولا يدرى مايقول فى الجواب فيعذبانه حينئذ أشد العذاب ، ويكشف عن بصره ويفتح له باب من أبواب جهنم ،ويتنوع له العذاب والالم ، ويقولان له ، هذا جزاء من كفر بمولاه ، واتبع نفسه وهواه . ثم لا فرق بين من دفن فى القبر أو صار فى بطن السبع أو قعر البحر فان قيل اذا كان الميت تعاد اليه روحه ويسأل ثم يعذب أو ينعم فلاى شىء لا يرى الناس شيئا من ذلك فالجواب أن الله يحجب أبصارهم عن ذلك امتحانا لهم ليظهر من يؤمن بالغيب ، ومن لا يؤمن به من ذوى الشك والريب ، ولو رأى الناس ذلك لامنوا كلهم ، ولم يتميز الخبيث من الطيب ، ويوضح هذا أن النائم قد يرى أشياء يسر بها أو يحزن ، ولا يشعر مجاوره بذلك . وكذلك الميت يسأل فى قبره ويجيب أو يتألم ولا يدرى به أحد من الاحياء ولا يعلم . أهـ

وقال الشيخ حسين الجسر : والمعذب اما أن يدوم عذابه الى يوم القيامة ، واما أن ينقطع كما فى بعض عصاة المؤمنين

والحشر : بأن يحى الله الخلق بعد فنائهم ويجمعهم للعرض والحساب

والمعاد : أى عود الجسم بعد الاعدام بأجزائه وعوارضه كما كان قال الله تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) (واذا الوحوش حشرت) (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) .

والحساب : هو محاسبة الله الناس كل واحد وتقريره على ما فعل من خير أو شر وتشهد على الجاحدين جوارحهم وتقوم الحجة عليهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره صراطه ميزانه والرؤية ثابتة والحوض والشفاعة

الصراط حق ، وهو كما فى حديث مسلم : جسر ممدود على ظهر جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف ، ففى الصحيح : يضرب الصراط بين ظهرى جهنم ، ويمر المؤمنون عليه فأولهم كالبرق ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وأشد الرجال حتى يجىء الرجل ولا يستطيع يسير الا زحفا وفى حافتيه كلا ليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه فمخدوش ناج ومكدوس فى النار .

ميزانه : الميزان حق وله لسان وكفتان تعرف به مقادير الاعمال بأن توزن صحفها به قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين »وروى الترمذى وحسنه حديث « يصاح برجل من أمتى على رءوس الخلائق وينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول : لا يارب فيقول : بلى ان لك عندنا حسنة وانه لاظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهدان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال : انك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شىء .

قال الامام السيوطى فى اتمام الدراية : ولايكون الميزان فى حق كل أحد فالسبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا . وقال الشيخ طاهر : بعد أن يحاسب الله تعالى الناس ويقررهم على أفعالهم توزن اعمالهم لينكشف لكل واحد مقدار عمله . فمن رجح خيره على شره اعطى كتابه بيمينه ، وفاز فوزا عظيما ، ومن رجح شره على خيره أعطى كتابه بشماله وخسر خسرانا مبينا .

. **والرؤية الثابتة :** أى رؤية المؤمنين ربهم قبل دخول الجنة وبعده حق قال تعالى : **« وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » وفى الصحيحين أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا يارسول الله قال: فانكم ترونه**

كذلك . وفيه أن ذلك قبل دخول الجنة ، وروى مسلم حديث اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى اتريدون شيئا ازيدكم ؟ فيقولون الم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ، فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم ، وفى رواية ثم تلا هذه الاية : « للذين احسنوا الحسنى وزيادة » أى فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر اليه تعالى يحصل بأن ينكشف انكشافا تاما منزها عن المقابلة والجهة اليه تعالى .

واما الكفار : فلا يرونه لقوله تعالى : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » وهذا لهم زيادة فى الحسرة والندامة .

والحوض حق ثابت قال الامام السيوطى : قال القرطبى هو حوضان الاول قبل الصراط وقبل الميزان على الاصح فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيردونه قبل الميزان والصراط ، والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثرا . روى مسلم عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله ؟ قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ : « انا أعطيناك الكوثر » ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ـ قال فانه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء يختلج العبد منهم فاقول يارب انه من امتى فيقال : ماتدرى ما أحدث بعدك « وفى الصحيح حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من الورق (الفضة) وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعده ابدا . وروى ابن ماجة حديث : الكوثر نهر فى الجنة ، حافتاه الذهب ، مجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك ، وأشد بياضا من الثلج .

والشفاعة : حق ، وهى أنواع أعظمها الشفاعة فى فصل القضاء والاراحة من طول الموقف : وهى مختصة بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد تردد الخلق الى نبى بعد نبى .

الثانية : الشفاعة فى ادخال قوم الجنة بغير حساب . قال النووى وهى مختصة به .

الثالثة : الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها . قال القاضى عياض ليست مختصة به .

الرابعة : الشفاعة فى اخراج من أدخل النار من الموحدين ، ويشترك فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون .

الخامسة : الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها . وجوز النووى اختصاصها به .

السادسة : الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار كما فى حق أبى طالب . وفى الصحيح أنا اول شافع واول مشفع ، وانه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : لعله تنفعه شفاعتى فيجعل فى ضحضاح من نار . وروى البيهقى حديث ، خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة ، فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكفى . أترونها للمتقين ؟ ؟ لا : ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم .

بقية مقال « الليالى العشر »

الليل ولم يبت فعليه دم ، فاذا انتصف الليل أخذ فى التأهب للرحيل ويجمع الحصى منها وهى سبعون حصاة ، فاذا انتهى الى المشعر الحرام وقف ودعا الى الاسفار ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى الى موضع يقال له وادى محسر فيسرع حتى ينتهى الى جمرة العقبة وهى على يمين مستقبل القبلة فيرميها بسبع حصيات فى يوم النحر مكبرا مع كل حصاة ، فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا ما كان عقيب الصلوات من ظهر يوم النحر الى صبح اليوم الرابع .

وليذبح الهدى بعد ذلك قال صلى الله عليه وسلم : « خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسمراء » اخرجه أبو داود . ثم ليحلق والمراة تقصر الشعر ، ويرمى جمرة العقبة وبذلك يحل له كل شىء ما عدا النساء والصيد . ثم يفيض الى مكة فى نفس اليوم ليطوف الطواف الركن ويسمى طواف الزيارة ، فاذا طاف حل له كل شىء حتى النساء والصيد ولم يبق أمامه الا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى ، فاذا فرغ من الطواف عاد الى منى فيبيت فيها ، فاذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس رمى الجمرات الثلاث الاولى والثانية والثالثة ويعود للمبيت بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هذا اليوم كاليوم قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العودة الى مكة ، فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شىء عليه وان تأخر الليل لزمه المبيت حتى يرمى يوم النفر الثانى واحدا وعشرين حجرا . وتنتهى مناسك حجة وبعد فهذه بعض

وعشرين حجرا . وتنتهى مناسك حجة .

وبعد فهذه بعض مواقف فى الحج اضعها بين يدى القراء راجيا الله سبحانه ان يمتعنا بزيارة بيته وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول ويتبعون احسنه وصلى الله على سيدنا محمد الذى كان من تمام النعمة عليه وعلى امته ما نزل فى يوم عرفة من قول الله عز وجل « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

تكريم الله وتأييده لعباده المخلصين

فضيلة الشيخ محمد وهيب

عن ابى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله ، الامام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : انى أخاف الله ، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .

يروى لنا أبو هريرة رضى الله عنه ، عمن لا ينطق عن الهوى أمام الانبياء والمرسلين ، وقائد مواكب الفتح محمد نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم . يعدد لنا اصنافا من عباد الله المؤمنين ، خصهم الله تعالى بالوان من التكريم فى أخراهم ، كما اختصهم بالرضا والفوز فى دنياهم ، فكانوا بذلك سعداء الدنيا والاخرة — وفى اليوم المشهود ، يوم يقوم الناس للحساب : يوم القيامة ، يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد — فى هذا اليوم العظيم ، يوم يتجلى الله سبحانه على عباده المؤمنين بالنظر الى وجهه الكريم ، وينظر اليهم بنظرة الرضا والرحمة والقبول ، كما ينظر الى غيرهم من أهل المعاصى ، والجاحدين به بنظرة الغضب والمقت والسخط — فى هذا اليوم تدنو الشمس من الرؤوس حتى أنه قيل أن المسافة تكون بينها وبين راس كل انسان قدر رمح فقط — لذا يشتد الكرب وتذل الاقدام ، ويتمنى كل انسان ان ينصرف من هذا الموقف الرهيب — وهنا يتفضل سبحانه وتعالى على بعض العباد واصناف منهم اتصفت بصفات احبها الخالق العظيم وأرادها سبحانه منهم وجاءت على لسان نبيه ومصطفاه فى هذا الحديث الشريف فيظلهم بظل عرشه حيث لا يكون هناك ظلال سوى ظله — ولا ريب ان هذا شىء كبير ، وفضل عظيم .

وبدأ الاصناف السبعة فى الحديث بالامام العادل ، والمقصود به الرئيس المتصرف فى مرءوسيه بما يوافق امر الله تعالى فيضع كل شىء فى موضعه — وكان الابتداء بالامام العادل لان العدل اساس الملك — وقد يراد بالامام هنا الامام الاعظم خليفة المسلمين وقائد الامة ، ويلحق به كذلك كل من ولى شيئا من امور المسلمين وكان الابتداء به كذلك لان القيادة امر عظيم لها خطرها وآثارها

« يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى » . وبالعمل يستقر النظام ، ويتحقق التعاون ، وتكون الوحدة الشاملة والنصر المرتقب ، ويستقيم حال الافراد والجماعات .

وقد أمر الله بالعدل فى جميع الشرائع والاديان ، وكلف به الامم والافراد فى جميع العصور والازمان « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » . وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم « يوم من أمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة ، وحد يقام فى الارض بحقه ازكى من مطر اربعين صباحا » كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم » .

وشاب نشا نشأة فى عبادة ربه ، لان عبادته فى ثورة شهوته وغرائزه ، وكثرة الدواعى لطاعة الهوى والشيطان أشق واعنف فى هذا الحال . فكان اجره اكبر واعظم — لذلك كان تهذيب هذه الغرائز وترويضها وكبح جماح الشهوات أمرا شاقا على النفوس وعملا كبيرا خاصة من الشباب يستحق الاجر العظيم والمثوبة الكبرى — وهو امر مقرر ومفروض ودور العلم والتعليم ، والثقافة والارشاد وغيرها تؤدى دورها ، وتقوم بواجبها اليوم فى توجيه الشباب الوجهة الصالحة ، وتحول هذه الطاقات الى العمل الجسمانى والعقلى والفكرى الخلاق .

وصنف ثالث من العباد رجل قلبه معلق بالمساجد ومحب لها ينتظر اوقات الصلاة فيها ويشغل قلبه بها — فهو اما فى المسجد بجسمه وقلبه او بقلبه فقط فهو متعلق دائما ببيوت الله ويحبها — وان من ابر الاعمال واعظمها منزلة عند الله سبحانه وتعالى بناء المساجد وتعمير بيوته « فى بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

وفى المساجد تتوثق الصلة بين العبد وربه ، وكذا بين أهل الارض وأهل السماء جند الله الذين لا يغلبون ـ ونحن اليوم بحاجة الى ان نوثق صلتنا برب الارض والسماء ليمدنا بجنده ـ جند السماء الذى لا يغلب ، وجيشه الذى لا يقهر .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » . وان أول عمل عمله الرسول الكريم بالمدينة المنورة ـ بناء مسجده الشريف بها ـ فاشترى مكانه وكان لغلامين ، وحمل مواد البناء بنفسه ، وفى المساجد تكون الاخلاق وتربى النفوس وتهذب الارواح ،وتلقى المواعظ ، وتؤخذ الحكم والنصائح وتدرس العلوم .

ورجلان تحابا فى الله جمع بينهما الحب فى الدنيا فاحب كل منهما صاحبه لا لغرض من اغراض الدنيا ولا من اجل متاع من متاعها الفانى وانما كان حب كل لصاحبه لمعنى يرضى الله سبحانه وتعالى ـ والحب هو ميل القلب لانسان ما ، او لشىء ما . وهو مملوك لله عز وجل ، فهو مالك القلوب والابصار ـ وقد جاء على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم : « اللهم ان هذا قسمى فيما املك ، فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك » وكان قد مال قلبه الى احدى زوجاته السيدة عائشة رضى الله عنها حيث كانت صغرى نسائه وكريمة الصديق رضى الله عنه ـ والحب اساس التعاون والاتحاد وصنائع المعروف وسبيل المكرمات ـ وتفرقا عليه ـ فرق الموت بينهما وهما على هذا الحب الذى يرضى الله تعالى فكان جزاؤهما ان يظل الله تعالى كلا منهما تحت ظل عرشه يوم القيامة لقاء هذا الحب فى الله الذى تفرقا عليه .

ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ، وكذا امرأة طلبها ذو منصب وجمال فقالت انى أخاف الله ـ رجل طلبت اليه امرأة صاحبة اصل وشرف او مال وحسن أن يصنع معها الفاحشة فقال لها بلسانه زجرا لها وبعدا عن الفاحشة والخنا ، او قال بقلبه زجرا لنفسه ، وصدا لها انى أخاف الله ـ دل بذلك على كمال ايمانه وعلو منزلته وتمام مروءته : وخوفه من ذى الجلال ، ومثله المرأة كذلك اذا طلب اليها صاحب هذه الاوصاف وقالت انى أخاف الله بلسانها او بقلبها وامتنعت ، كلاهما استحق ان يظل تحت ظلال عرشه تعالى حيث حارب كل هذه الدوافع والمغريات ؟ طمعا فى مرضاة الهه وخالقه العظيم الذى لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء .

ورجل تصدق اخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه والشمال واليمين أداة التصدق عادة مبالغة منه فى اخفاء صدقة التطوع وسترا منه للمتصدق عليه . بحيث لو قدر ان شماله واعنى يده اليسرى تعقل لما علمت بما دفعت يمينه ـ وهذا غاية فى السر والطواعية فى رضاء الله تعالى ، والبعد عن الرياء الذى كثيرا ما يفسد الاعمال الصالحة ـ لذا كانت صدقة السر اكبر ثوابا عند الله تعالى لبعدها عن التظاهر والرياء وفعل الشيطان استحق صاحبها ان يظل بظل العرش فى يوم الحساب .

ورجل ذكر الله بلسانه او بقلبه فى خلوته منفردا وبعيدا عن الناس ، حيث يكون اقرب فى الاخلاص ، وابعد عن الرياء ففاضت عيناه من الدمع لرقة قلبه ، وشدة خوفه من عظمته وجلا له ، او لمزيد شوقه واشتياقه لجمال ربه ان هذا الصنف من العباد رجل أو امرأة يظل تحت ظل العرش فى يوم القيامة والحساب .

وجميع الاصناف تدخل فيها النساء ما عدا الامامة العظمى ، وملازمة المساجد ـ وقد وردت الاحاديث الكثيرة فى من يظل تحت ظل عرش الله تعالى يوم لا ظل الا ظله من غير الاصناف التى جاء بها هذا الحديث الشريف ومنهم : من انظر معسرا الى ميسرة ، وكذا من تنازل عن دين له قبل غيره ابتغاء مرضاته تعالى لسوء حال المدين او فقره وكذا التاجر الصدوق الذى لا يكذب ، ولا يطفف ، ولا يغش ، وكذا المجاهد فى سبيل الله والمقاتل لاعداء الوطن والدين .

كل هؤلاء كذلك يظلون بظلال العرش يوم القيامة . نسأله سبحانه وتعالى ان يجعلنا جميعا ممن يظلون بظلال العرش فى هذا اليوم العصيب .

ونضرع اليه تعالى ،وقد لاحت أعلام النصر على الوطن العربى فى ليبيا والسودان أن يجعل من مؤتمر القمة للملوك العرب والرؤساء لدول المواجهة بداية موفقة وأن يؤلف بين قلوبهم ، ويجمع كلمتهم على الحق والعدل ، وازالة آثار العدوان حتى نمحو بايدينا وصمة العار ، ونسجل آيات النصر والفخار فى ظل القائد الذى دائما يستمد العون من الله ، ويستظل به ، ويلجأ اليه وحده فى ساحاته وبيوته المقدسة السيد الرئيس جمال عبد الناصر انك على على ما تشاء قدير يا نعم المولى ويا نعم النصير .

الجهاد والجندية

سماحة الأستاذ مبشر الطرازى الحسينى

« شجاعة محمد صلى الله عليه وسلم

نأتى هنا بأمثلة عملية تاريخية من شجاعة محمد صلى الله عليه وسلم فى الغزوات والحروب (كما وعدنا به) بعد أن اتينا بأمثلة عملية تأريخية من شجاعته فى غيرها، وذلك لمزيد الافادة للقراء الاعزاء .

١ ــ لما وصل استعداد قريش وحلفائهم من الاحابيش وغيرهم وأنهم اقتربوا من المدينة ، وكان وصول هذا الخبر بكتاب بعثه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس بن عبد المطلب ، جمع أصحابه وأخبرهم الخبر وقال بطريق المشاورة « ان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا (وكانوا نزلوا مقابل المدينة بذى الحليفة) فان هم أقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم » .

فكان شيوخ المهاجرين والانصار مع رأيه صلى الله عليه وسلم ، أما الاحداث وخصوصا من لم يشهد غزوة بدر منهم فقد أشاروا عليه بالخروج . وأصروا فى رأيهم حتى أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم رأيهم ، ذلك لانهم الاكثرون عددا والاقوون جلدا ، فصلى صلاة الجمعة بالناس فى عشر خلون من شوال سنة ٣ من الهجرة وحضهم فى الخطبة على الثبات والصبر وقال لهم فيما قال « **لكم النصر ما صبرتم** » .

ثم دخل حجرته ولبس عدته وتقلد السيف والقى الترس وراء ظهره وخرج الى الناس وهو مستعد للمعركة مع المشركين ، ولما رأى أصحاب الرأى من الانصار أن الاحداث ألجأوا الرسول صلى الله عليه وسلم للخروج لامورهم وقالوا ردوا الامر لرسول الله فما أمر ائتمرنا به . فقال الاحداث : يا رسول الله نتبع رأيك ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أبى الا الخروج وقال « **ما كان لنبى لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين اعدائه** » .

وأخذ يعقد الالوية ويسلمها لرجال الجيش ، مع ان عدد جيش المشركين كان يزيد على ثلاثة آلاف بأكمل استعداد حربى ، اما جيش المسلمين فلم يكن يزيد عدده على ألف ، بسبب أن غزوة أحد هذه انما وقعت سنة ثلاث من الهجرة على قلة عدد المسلمين .

أقول : ولا يخفى ما فى هذه القصة من شجاعة محمد صلى الله عليه وسلم وقوة عزمه .

٢ ــ وفى هذه الغزوة أقبل أبى بن خلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله ، فأخذ الحربة ممن كانوا معه من أصحابه ليضرب بها ذلك المشرك الشقى ، وأبى أن يقبل تطوعهم فى ذلك حيث قال « **خلوا طريقه** » فلما قرب من أبى ضربه ضربة كانت سبب هلاكه ، هذا . وقد جاء فى رواية الامام البيهقى وعبد الرزاق وابن سعد أن ابى بن خلف لما عاد الى قومه وهو مجروح ، قال « قتلنى محمد » فقال القوم « لا بأس عليك » فقال لهم « لو كان معى جميع الناس لقتلوا على يده ، ألم يقل محمد أنا اقتلك ؟ ثم قال : والله لو ألقى على ريق فمه لقتلنى .

أقول : لقد اعترف العدو أبى بن خلف فى هذه القصة بشجاعة محمد صلى الله عليه وسلم وقوته فوق العادة ، وبنصرة الله له وتأييده الغيبى مما يبشر بالانتصار وظهور دينه الحق .

في تعاليم الإسلام

٣ ــ وجاء فى حديث رواه الامامان البخارى ومسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال: اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع، وكنا اذا أتيناعلى شجرة ظليلة تركناها لرسول الله، فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله معلق بشجرة فأخذ السيف فاخترطه (أى أخرجه من غمده) فقال لرسول الله أتخافنى؟ قال لا! قال فمن يمنعك منى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله يمنعنى»! فغمد السيف وعلقه فى مكانه.

وروى صاحب المرقاة عن الواقدى: ان المشرك لما هم به أصابه داء بصلبه فبدر السيف من يده وسقط على الارض، فأسلم واهتدى به خلق كثير.

وفى رواية أخرى: ولما سقط السيف من يد المشرك أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المشرك «كن خير آخذ» وبهذا الرمز طلب العفو فعفا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم مما كان سبب اسلام المشرك.

٤ ــ وروى الامامان البخارى ومسلم عن انس رضى الله عنه انه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس. ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبى صلى الله عليه وسلم وقد سبق الناس الى الصوت وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا، وهو على فرس لابى طلحة عرى ما عليه سرج وفى عنقه سيف، فقال لقد وجدته (أى الفرس) بحرا».

٥ ــ وقال الامام الغزالى فى «احياء علوم الدين: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمجد الناس وأشجعهم، قال على رضى الله عنه: لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا. وقال ايضا: كنا اذا أحمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه رسلم، فما يكون أحد اقرب الى العدو منه».

٦ ــ لما أنهزم المسلمون يوم حنين سنة ٨ من الهجرة وعددهم اثنا عشر ألف مجاهد، أمام قبيلتى هوازن وثقيف (بعد فتح مكة الاعظم حيث هدمت الاوثان والاصنام وسقطت دولة الوثنية والشرك ودخلت العرب من كل صوب فى دين الله افواجا) الذين قالوا قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل أن يغزونا، فأجمعوا على قتال المسلمين، وقد أخذوا معهم نساءهم وذراريهم وأموالهم من جميع الانواع لكى يقاتلوا مستميتين للدفاع.

أريد أن أقول: انهزم المسلمون فى بدء هذه الغزوة بعد أن كانوا معجبين بكثرتهم حتى قال بعضهم «لن نغلب اليوم من قلة» فقد كان المشركون من هاتين القبيلتين أربعة آلاف، ولكن النصر لم يكن فى الكثرة وانما كان بيد الله العلى القدير، فلم تغن عنهم كثرتهم شيئا وضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى ولو امدبرين

وفى هذه الحالة الحرجة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكن القلب فلم يضطرب حينما اضطرب الناس وانهزموا، فثبت فى ساحة القتال ثبات الطود العظيم بكل شجاعة وهو يقول: أنا النبى لا كذب ــ أنا ابن عبد المطلب!

« شهد العباس بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزم هو وابو سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب رسول الله فلم يفارقاه وهو على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والكفار ولى

المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض ببغلته نحو الكفار والعباس آخذ بلجام البغلة يكفها ارادة أن لا تسرع ، وابو سفيان آخذ بركاب الرسول صلى الله عليه وسلم » (وكان رجلا صيتا) بأمر رسول الله ، وهم يقولون « لبيك لبيك »

ونادى العباس المسلمين ـ بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يجيبون (لبيك لبيك) حتى عادوا بعد الانهزام واجتمعوا واقتتلوا مع الكفار ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته الى قتالهم وقال « **هذا حين حمى الوطيس** » ثم رمى بحصيات وجوه الكفار ، وقال « **انهزموا ورب محمد** » .

ولما خرج المسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم لغزوة حنين غشوا رسول الله فنزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض واستقبل به وجوههم وقال « **شاهت الوجوه** » فما خلق الله منهم انسانا الا ملا عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك . حتى تركوا من ورائهم نساءهم وذراريهم وأموالهم .

أقول : ان غلبة المسلمين بعد الانهزام على الكفار فى هذه الغزوة كانت تستند على أمرين اثنين الاول : شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الطريقة الرائعة التى سجلها التأريخ بكل تجليل والثانى : دعاؤه وقد تقبله الله سبحانه كمعجزة ، حتى نزل عليه وعلى المؤمنين سكينته أى رحمته التى سكنوا بها ، وأنزل جنودا من الملائكة لم يروها ، وفى هذا قال الله تعالى :

« **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين : ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم** » الاية ٢٥ ـ التوبة .

هذه هى القوى المعنوية (فى الجهاد) ومنها الشجاعة وفيها شجاعة محمد صلى الله عليه وسلم فى الغزوات والحروب فى خارجها ، بيناها بكل اختصار فى امثلة معدودة تجنبا للاطالة والاملال .

وهناك من القوى المعنوية أمثال روح الضبط فى نفسية الجندى ، وحسن العقيدة ، والصبر والتجلد ، واجتناب الهون والحزن عندما طرأ الانهزام وذلك بالاستمرار فى الجهاد واعادة الكرة على العدو ومما يستوجبه الايمان بالله العلى القدير ، فقد قال سبحانه « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ، ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس** » الاية ١٣٩ ـ آل عمران .

وسيكون صحبتنا مع القراء الاعزاء فى العدد القادم من مجلة « منبر الاسلام » الغراء فى موضوع « القوى المادية ومن الله التوفيق .

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا

الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى

حتى لا تقوم للناس على الله حجة يوم تأتى كل نفس بما كسبت ويقولون «ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى » ـ آية ١٣٤ سورة طه ـ وحتى يحق العقاب على الذين أشركوا بالله وضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

أرسل الله عز وجل الانبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين . يأمرون الناس بالبر وعمل الصالحات وينهونهم عن المنكر وعمل السيئات

ـ وقد أتى على الانسان حين من الدهر تفرقت فيه أهواء الناس وضلت عقولهم وعميت قلوبهم فعبدوا أربابا متفرقين ، ـ فأقوام أنكروا وجود الله . وسألوا عن صفات الله وقالوا هل هناك اله واحد فقط . وأين هو هذا الاله الذى يدعو اليه هؤلاء الذين يسمون أنفسهم أنبياء ورسلا . وجادلوا بالباطل وماروا فى الحق المبين ، وأناس طغوا وتجبروا وعتوا فى الارض عتوا كبيرا وأنكروا البعث « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » آية ٢٤ سورة الجاثية ـ لهذا أرسل الله النبيين والمرسلين ليهدوا الضالين ويرشدوا الغاوين ويقوموا المفسدين ، ويدعوا الناس الى عبادة رب العالمين . ويقتلعوا من المجتمع الانسانى أشواك الشر ويزرعوا مكانها أزاهير الخير وليدكوا حصون البغى والظلم ويرفعوا عليها قلاع الخير والمحبة وشاء الله عز وجل أن تكون رسالات الانبياء والرسل ثورات دينية ربانية تخمد الاباطيل التى هى من وحى الشيطان . وتهدم الاصنام التى هى من صنع الانسان ـ فبعث نبيه ـ نوحا ـ عليه السلام الى أناس فقدوا كل مقومات الانسانية وأخذتهم العزة بالاثم . وبليت معتقداتهم فاتخذوا آلهة صنعوها بأيديهم وسموها بأسماء من نسج خيالهم ـ ودا . وسواع . ويغوث . ويعوق . ونسرا ـ كل صنم له فئة من الناس تعبده ، فقام نوح عليه السلام يدعوهم الى عبادة الله ـ قال تعالى ـ لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ـ آية ٥٩ سورة الاعراف ، وبعث الله نبيه ـ هودا ـ الى قوم أعمى الالحاد بصائرهم وأتت نار الكفر على ينابيع الخير فى قلوبهم فأكلتها ـ قال الله عز وجل ـ والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون ـ آية ٦٥ سورة الاعراف ، وأهل ثمود . سكنوا فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وعرفوا ما حل بأهلها من العقاب ومع هذا لم يتعظوا ـ قال عز وجل ـ والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب ـ آية ٦١ سورة هود ، وبعث الله نبيه ابراهيم ـ عليه السلام .

وسط قوم انطمست معالم الفطرة السليمة فى نفوسهم فنحتوا أصناما وسجدوا لها فقام فيهم — ابراهيم عليه السلام — يدعوهم الى عبادة رب كل شىء . ويهديهم الى الدين الحنيف — قال تعالى — وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه — آية ١٦ ،١٧ سورة العنكبوت — ، وقوم لوط — لما فسقوا وابتدعوا فاحشة ما سبقهم اليها أحد من الناس . قام فيهم نبى الله — لوط — يدعوهم الى الفضيلة وترك الرذيلة . وطاعة الله وعبادته — قال عز وجل — اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون — آية ١٦١ ، ١٦٢ سورة الشعراء ، ونبى الله يوسف دعا الى عبادة رب واحد . قال تعالى على لسان نبيه يوسف — يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم — آية ٣٩ ، ٤٠ سورة يوسف ، وأهل مدين . كانوا كفرة فجرة قساة غلاظا ظلمة ، دستورهم الحرام وشريعتهم الربا ومجتمعهم يقوم على الزور والبهتان وأكل أموال الناس بالباطل . فقام فيهم نبى الله — شعيب — يرشدهم الى طريق الخير ويبين لهم الحلال والحرام ويسدى لهم النصح — قال تعالى — والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين — آية ٨٥ سورة الاعراف ، ولما طغى فرعون وتجبر وسام بنى اسرائيل العذاب وسقاهم الهوان ونسى أن الله أكبر وأعظم . أرسل الله نبيه — موسى — عليه السلام . يدعو فرعون وملاه الى عبادة الله والاذعان لداعى الحق والخير — قال تعالى — ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين . فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون — آية ٤٦ ، ٤٧ سورة الزخرف ، وبنو اسرائيل الذين انغمسوا فى ترف الدنيا واعتدوا على الانبياء والمصلحين بالقتل والتعذيب ، بعث الله فيهم — عيسى — عليه السلام . يدعوهم الى عبادة الله ، قال تعالى — واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين — آية ٦ سورة الصف . ، ثم تجىء رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسالات لانها احتوتها جميعا . وعملت جاهدة على تطهير النبوات والرسالات السماوية من أكاذيب أهل الكتاب. ، جاءت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة للنبوات جميعا . وقام عليه الصلاة والسلام يدعو الى عبادة الله . فى وقت لم يكن يبقى فيه من الديانتين السماويتين اليهودية والنصرانية الا رسوما بالية وأهواء ضالة وقوانين جائرة ابتدعها الاحبار والكهان ليأكلوا الدنيا باسم الدين وعجزت عقول أعداء الاديان فى كل زمان أن تفهم شخصية الداعى وكان موقف قريش هو صد الداعى عن هذه الدعوة التى تسوى بين السيد والمسود ، وظل يكافح ويناضل حتى أتم الله نوره ودخل الناس فى دين الله أفواجا وشهدوا . أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله —

كان هدف الانبياء والمرسلين أن لا يبقى على وجه الارض جمود ولا جحود . وأن يعبد الناس رب العالمين . ويقروا بأنه لا معبود ولا مقصود ولا نافع ولا ضار الا الله وأن تتطهر نفوس الخلائق من أدران الشرك —

وتعاقبت الرسالات السماوية على البشرية . منذ خلق الله الارض وما عليها . أمة بعد أمة . وجيلا بعد جيل . وكان هدف الدين دائما فى كل عصر نزل فيه هو توجيه الانسان وارشاده الى طريق الكمال ، وكانت أصول الرسالات السماوية واحدة . كلها تدعو الى هدف واحد وتوصى بفكرة واحدة. قال الله تعالى فى قرآنه الكريم — شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى . أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه — آية ١٢ سورة الشورى — وذكر الله عز وجل هؤلاء الانبياء بالذكر لانهم أصحاب الرسالات الكبرى التى جاءت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . متممة لها . ويقول النبى صلى الله عليه وسلم — مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه وأجمله الا موضع لبنة فى زاوية من زواياه . فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له . ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة . فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين — وأراد الله عز وجل بقوله — وأن أقيموا الدين — هو توحيد الله والدعوة الى عبادته وطاعته والايمان بكتبه ورسله واليوم الاخر واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وليس المراد الشرائع والاحكام والمصالح الدنيوية ، لان الخبير العليم . جعل لكل أمة سبيلا وطريقا . يسلكونه حسب مقتضيات الاحوال . قال الله تعالى — لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا — آية ٤٨ سورة المائدة — تعهدت العناية الالهية بالانسان ورعته فأرسلت اليه الانبياء بقوانين وشرائع وكتب سماوية . كانت الشريعة الاسلامية وما زالت هى أوفى الشرائع بمتطلبات الانسان فى كل زمان ومكان . من شرائع دينية وقوانين دنيوية ، وأنزل الله القرآن . هدى ونورا ومنافع للناس — وكان من رحمة الله بالعباد أن يبعث فى كل أمة رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيات الله عز وجل ويعلمهم ويرشدهم — ولقد قص الله تعالى ذلك فى قرآنه الكريم . فقال تعالى — انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك — آية ١٦٣ ، ١٦٤ سورة النساء — ولحاجة الناس الى الانبياءوالرسل كانت دعوة الخليل ابراهيم — عليه السلام لذريته وأمنيته التى تمناها وطلبها من الله هى ارسال الرسل وبعث الانبياء منهم ليدعوهم الى عبادة الله ويرشدوهم الى الاصابة فى العمل والقول — قال تعالى على لسان نبيه ابراهيم — ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم — آية ١٢٩ سورة البقرة .

ويوم القيامة يجمع الله الخلائق . ويجمع الرسل ويقول لهم ماذا اجابكم أممكم حين بلغتموهم رسالاتى واعلمتموهم شرائعى وبينتم لهم أوامرى ونواهى . — قال تعالى فى قرآنه الكريم — يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب — يعنى لا علم لنا كعلمكفيهم لانك تعلم ما أضمروا وما أظهروا . ونحن لا نعلم الا ما أظهروا فعلمك فيهم أنفذ وأبلغ من علمنا — وذكر الامام فخر الرازى فى تفسيره لهذه الاية . أن الرسل عليهم السلام . لما علموا أن الله تعالى عالم لا يجهل وحليم عادل لا يظلم عنده أحد . علموا أن قولهم لا يفيد خيرا . ولا شرا يدفع ، فرأوا أن الادب فى السكوت وفى تفويض الامر لله —

كانت قلوب الانبياء والمرسلين جميعا مملوءة هداية وطهرا . وخيرا . فجاهدوا لكى تمتلىء دنيا الناس وحياتهم بالخير وأن تعم رسالة التوحيد فى الارض ، وصبروا على الجهال وتحملوا الاذى فى سبيل اصلاح الناس . وتمسكوا بايصال الحقيقة الى البشر . وبينوا للخلائق سماحة القوانين السماوية التى تضمن للانسان مجتمعا عادلا واقامة سعيدة فى الدنيا وعيشة راضية فى الاخرة .

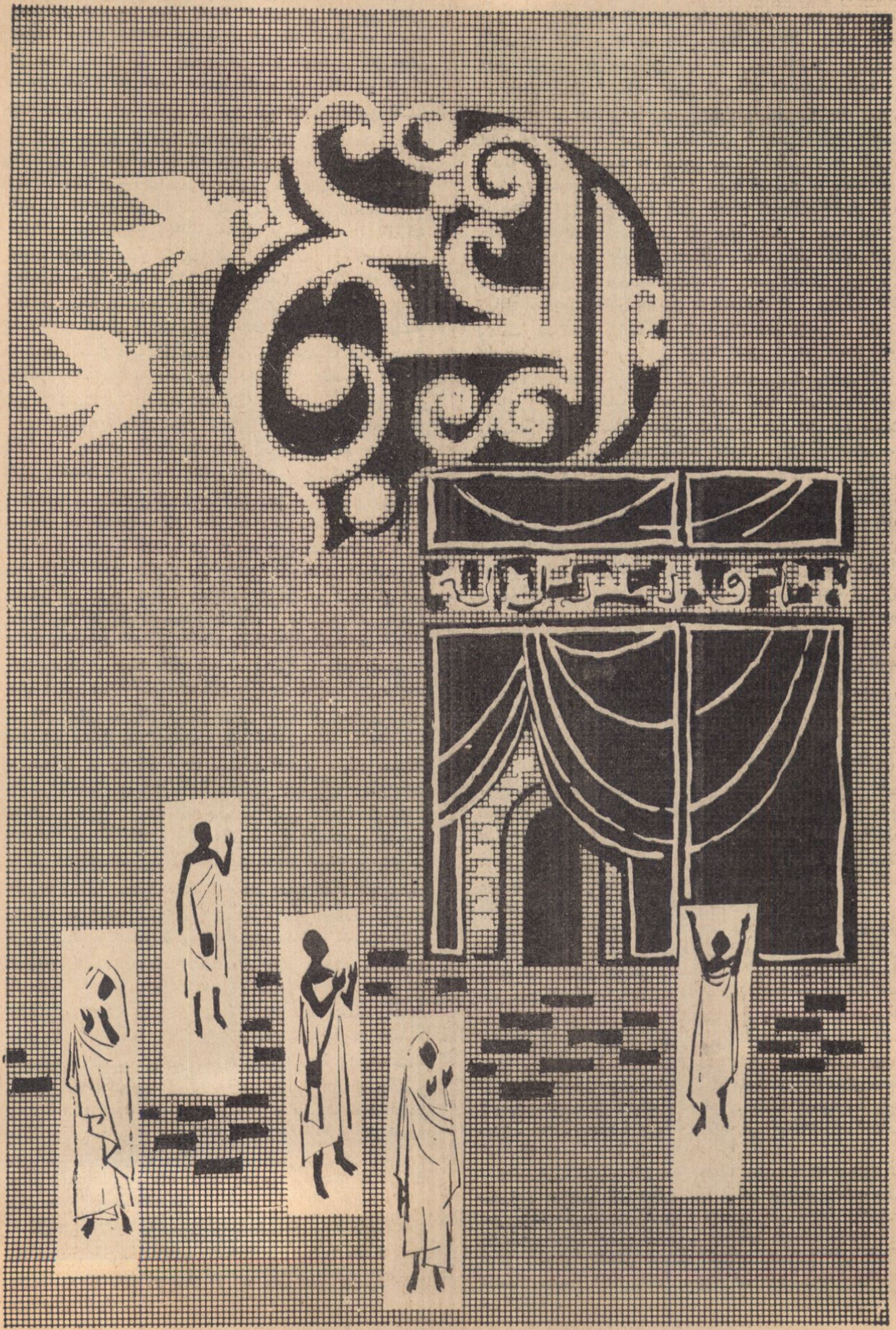

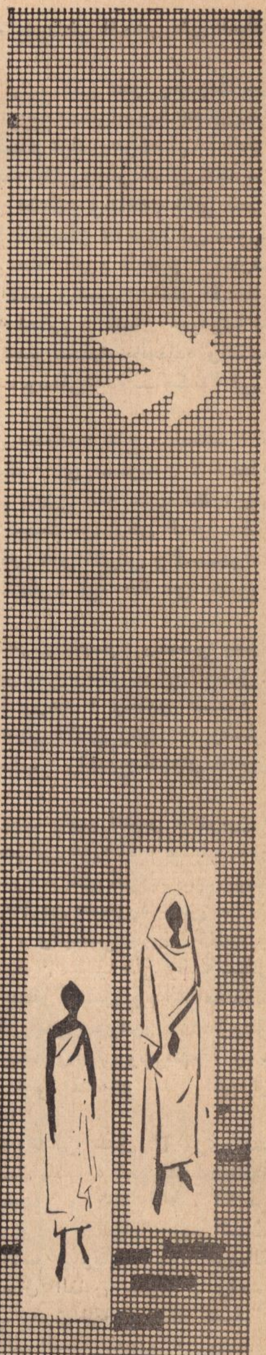

"الحج عرفة"

فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى

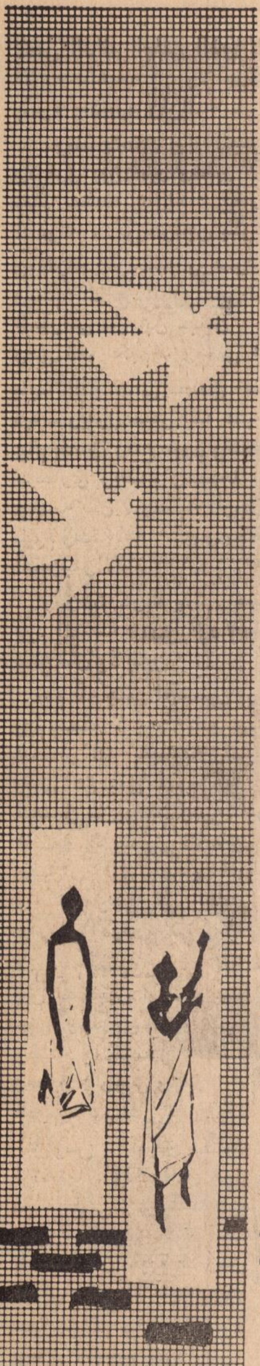

بهذا الحديث الشريف الذى أخرجه الحاكم والبيهقى والامام أحمد رحمهم الله تعالى عن عبد الرحمن بن يعمر رضى الله عنه .. يبين لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم أن المقصود الاعظم من الحج . هو موقف عرفة العظيم ـ فاذا لم يصل الحاج الى مكة المكرمة . ويقف على عرفة قبل فوات وقتها .. وهو من زوال شمس التاسع الى فجر العاشر .. فقد فاته الحج . أما اذا أدرك الوقوف على عرفة ولو لحظة يسيرة من بعد زوال شمس التاسع الى ما قبل فجر العاشر . فقد أدرك الحج ...

والافضل أن يجمع فى الوقوف بين الليل والنهار . أى نهار التاسع وليل العاشر ـ وبعض العلماء يوجب ذلك ويحتمه ..

والتاسع هو يوم عرفة . والعاشر هو يوم العيد ، أى عيد الاضحى . سمى بذلك لانه تذبح فيه الضحايا تقربا الى الله تعالى . وأحياء لسنة ابراهيم الخليل عليه السلام . وليلته تسمى ليلة المزدلفة . لان المبيت فيه بالمزدلفة واجب .. ويتحقق المبيت بالوجود فيها . ولو لحظة يسيرة من نصف الليل الثانى ـ وتسمى أيضا ليلة الجمع . لان الصلاة تجمع فيها بالمزدلفة ..

وموقف عرفة موقف رائع عظيم .. يقفه المسلمون من كل مكان . من مشارق الارض ومغاربها . عراة الرءوس والاجساد . ظاهرين للشمس . فى ثياب العبودية والمسكنة . ضارعين خاشعين . ملبين ملك الملوك . صاحب القوة والجبروت (لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك) ..

هناك تتجلى العبودية لله عز وجل بأسمى معانيها . ويتم الاعتراف القولى والفعلى بربوبيته سبحانه وتعالى بأجل مظاهره .. وأنه وحده هو القهار . صاحب الحول والطول . والملك والملكوت .

الحى الدائم الباقى الذى لا يموت • لا حول ولا قوة الا به سبحانه •• ولا حركة ولا سكون فى ملكه الا بأمره وتدبيره وارادته •••

موقف يتحقق فيه الاخاء والمساواة بين المسلمين. ولا فرق بين أمير وحقير • وكبير وصغير • بل الكل أمام عظمته سواء • يضرعون اليه • ويستجيبون لدعوته .. ويعترفون بألوهيته. ويطمعون فى عفوه ومغفرته • وفضله ورضوانه • يقول صلى الله عليه وسلم **(الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة)** اخرجه الطبرانى عن ابن عباس • وأخرجه الحاكم عن جابر رضى الله عنهم – ومعنى المبرور اى المقبول • الذى يقبله الله تعالى لصدق النية • وعدم اقتراف الاثام فيه – ويقول صلى الله عليه وسلم **(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)**– أخرجه الشيخان البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى – والرفث كلمة جامعة لكل مايتطلبه الرجل من المراة.. ومعنى رجع كيوم ولدته أمه • أى رجع مغفورا له • طاهرا نقيا من الذنوب والاثام •••

وموقف عرفة يذكر المسلمين بيوم الحشر العظيم يوم القيامة **(يوم يقوم الناس لرب العالمين) (يوم لا ينفع مال ولا بنون • الا من أتى الله بقلب سليم)** •

نعم أنه يذكر المسلمين بيوم الحشر • وما أدراك ما يوم الحشر ؟ •••• انه يوم رائع عظيم شديد الهول – ذلك أن الله سبحانه وتعالى بعد أن يميت الناس – يعنى من بقى منهم حيا – بالنفخة الاولى – نفخة الصعق – يبعث جميع الموتى الى الحياة بالنفخة الثانية. ثم يسوق الخلائق جميعا من ملك وانس وجن وحيوان الى أرض الموقف – يقول الله تبارك وتعالى « **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون** » **آية ٦٨ من سورة الزمر** – روى أن بين النفختين أربعون سنة – ومعنى قيام ينظرون أى على أرجلهم ينظرون الى البعث وهم فى غاية الخوف والذلة والانكسار والاستكانة . لافرق بين عظيم وحقير • وغنى وفقير •• بل ان ملوك الارض فى ذلك اليوم . هم اذل اهل الموقف – وتقبل الوحوش منكسة الرءوس . ذليلة مختلطة بالخلائق من غير خطيئة ارتكبتها . ولكنها من هول الصعقة مأخوذة . . فذلك قوله تعالى « **واذا الوحوش حشرت** » **آية رقم ٥ من سورة التكوير** – ثم أقبلت الشياطين والمردة مذعنة خاشعة من هيبة العرض على الجبار • فذلك قوله تعالى « **فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا** » **آية رقم ٦٨ من سورة مريم** – ثم يساق الجميع الى أرض المحشر حفاة عراة – أخرج البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنه قال **(قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال – ايها الناس • انكم محشورون الى الله حفاة عراة عزلا • كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين)** وعزلا جمع أعزل . وهو الاقلف • يعنى ان المرء يعود فى المحشر على الحالة التى كان عليها •••

ويحشر مع الكفار آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله – قال تعالى « **ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل • قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا** » **الايتان ١٧، ١٨ من سورة الفرقان** •• وهكذا فى هذا اليوم العظيم • يعترف المعبودون من الملائكة والانس والجن •• حتى الاصنام والجمادات ينطقها الله تعالى . فتعلن عبوديتها له سبحانه • وتقر بأنه وحده الحقيق بالعبادة والتألية والتقديس دون غيره – ومعنى قوله – وكانوا قوما بورا • أى هالكين •••

وأرض المحشر أرض بيضاء • قاع صفصف • لا ترى فيها عوجا ولا أمتا • أى مستوية • لا ارتفاع فيها ولا انخفاض . لم يعص الله عليها قط ، ولم يسفك عليها دم • لانها ليست من أرض الدنيا – قال تعالى « **يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار** » **آية ٤٨ من سورة ابراهيم** ••

وتذهب الشمس والقمر والنجوم وتتمحى بقدرة الله تعالى. ويشتد الهول. وترتطم أمواج الخلائق. وتمتلىء نفوسهم فزعا ورعبا • وتنشق السماء • ويدوى صوت انشقاقها فى الاذان رهيبا •• وتصير كالمهل وهو النحاس المذاب • وتصبح الجبال كالعهن أى الصوف •

وفى هذا الجو الرهيب يكون الناس مذهولين • حفاة عراة لا ينظر احدهم الى عورة أخيه بسبب ماهو فيه يقول جل ذكره « **لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه** » **آية رقم ٣٧ من سورة عبس** • وبعضهم يكون راكبا . والبعض يكون ماشيا على قدميه . والبعض يكون ماشيا على وجهه – قال صلى الله عليه وسلم **(يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف • ركبانا ومشاة وعلى وجوههم – فقال رجل يارسول الله • وكيف يمشون على وجوههم ؟ ••• فقال • الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم)** ••

ثم ان المولى سبحانه وتعالى يسأل كل امرىء عما قدمت يداه – يقول جل ذكره « **فوربك لنسألنهم أجمعين • عما كانوا يعملون** » **الايتان ٩٢ ، ٩٣ من سورة الحجر** • فيسأل أولا • الانبياء عليهم السلام لتأدية الشهادة على الامم • وأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الامانة • ثم يسأل الناس جميعا • واحدا واحدا – وبعد الحساب يكون الناس ثلاثة أقسام • قسم لا سيئة له • فهم الى الجنة منعمون •• وينادى عليه سعادة لا شقاوة بعدها – وقسم لا حسنة له • فهم الى النار مخلدون .. وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها •• أما القسم الثالث • وهو القسم الاكبر . وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا– فينصب لهم الميزان • ويتجلى عفو الرحمن سبحانه

وتعالى ـ فمن زادت حسناته فهو الى الجنة ـ ومن زادت سيئاته • فاما أن تقبل فيه الشفاعة • ويدخل الجنة • واما أن يعذب حتى يتطهر من المعاصى ـ ثم يدخل الجنة • حيث النعيم الخالد المقيم •• أحسن الله حالنا • وجعلنا من أهل سعادته ورضوانه •

ومتعنا بفضلـه واحسـانه وادخلنا الجنـة مع المقربين •••

وجدير بنا أن نتذكر دائما يوم الحشر العظيم •• وأن نعمل له ، وأن نأخذ له العدة • بالعمل الصالح والسلوك الطيب • فان الذكرى تنفع المؤمنين ـ واذا لم يكن ليوم عرفة من فضل وخير وبركة • الا انه يذكرنا بيوم الحشر الاكبر يوم القيامة ••• لكفاه شرفا وعلو قدر •• منحنا الله الهداية والتوفيق •

● ● ●

وقد وقف المصطفى صلى الله عليه وسلم على عرفة فى حجة الوداع • وكانت فى السنة العاشرة من الهجرة . وكان اليوم يوم جمعة ••• وخطب بمنى خطبته المشهورة البليغة الجامعة ••• التى بين فيها الحلال والحرام • وفصل الحقوق والاحكام • وأعلن عدالةالاسلام . وذكر اسمه واصوله وقواعـده . فقال ان دماءكم وأموالكم واعراضكم بينكم حرام . كحرمة يومكم هذا وبلدكم هذا . الا هل بلغت اللهم أشهد ـ وعلم الناس مناسك الحج • وأمرهم أن يأخذوها عنه فقال • خذوا عنى مناسككم ـ وحثهم على الايمان بالله • والثبات عليه • والتمسك بمبادىء الاسلام . وتحقيق اهدافه العليا . وقال « لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم اعناق بعض . وأمـر بالدعوة الى الله • ونشر العلم بين الناس وقال •• « فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع » واعلن تلك الكلمة الخالدة والمقياس الالهى العـادل . الذى لايعترف بالتفرقة بين الناس . لانسابهم او الوانهم او اجناسهم او اموالهم ـ انما يضع مبدأ المساواة • ويعطى كل امرىء قدره ومنزلته عند الله وعند الناس ـ فقال • كلكم لادم • وآدم من تراب • لا فضل لعربى على عجمى • ولا لابيض على أسود الا بالتقوى • أكرمكم عند الله أتقاكم •• ألا هل بلغت اللهم أشهد • وقال اسمعوا منى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا •• وهكذا ودع أصحابه • فسميت هذه الحجة حجة الوداع ••

وقد فتح الله سبحانه وتعالى له صلى الله عليه وسلم القلوب والاسماع • فسمعه كل من كان معه على عرفة فى هذا اليوم العظيم • صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ••

● ● ●

وقوله صلى الله عليه وسلم (الحج عرفة) يبين لنا أيضا أن الحج لا يقع فى العام الا مرة واحدة •• لان له زمانا محددا • ووقتا معلوما ـ أما العمرة فانها ليس لها زمان محدد •• فيصح الاحرام بها فى جميع السنة • **فالمرء يستطيع أن يأتى فى العام الواحد بعمرات كثيرة ـ بل فى اليوم الواحد يستطيع ان يأتى بأكثر من عمرة • ومعلوم أن العمرة من فرائض** الاسلام عند فريق من العلماء • **وسنة عند الباقين ـ ومن قال بوجوبها • قال لا تجب فى العمرة الا مرة** واحدة • شأنها فى ذلك شأن الحج • **وعلى كل فثواب العمرة عظيم وهى من النعم التى أنعم الله بها على القاطنين فى حرمه الامين • زاده الله تشريفا وتعظيما ومهابة وقدرا ـ ذلك لانهم يستطيعون فى أى وقت الاتيان بها •• واذا أدى المرء حجة الاسلام • وعمرة الاسلام ثم نذرهما على نفسه كانا واجبين باتفـاق العلماء • لان كلا منهما قربة وطاعة يتقرب بها الى الله تعالى ••**

وعرفات جمع عرفة • سميت بذلك • وان كانت بقعة واحدة . لان كل موضـع من تلك المواضـع عرفة •• فسمى مجموع تلك المواضع عرفات ـ وقيل ان اسم الموضع عرفات : واسم اليوم عرفة ـ قال عطاء رحمة الله فى سبب التسمية ـ ان جبريل عليه السلام . كان يرى ابراهيم عليه السلام المناسك ويقول له عرفت .. فيقول عرفت . فسمى ذلك المكان عرفات • وسمى اليوم عرفة ـ وقال الضحاك رحمه الله ـ ان آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة نزل بالهند • وحواء نزلت بجدة • وأخذ كل منهما يطلب صاحبه • فاجتمعا بعرفات فى يوم عرفة • فتعارفا فسمى الموضع عرفات • واليوم عرفة •••

« وبعد »

فهنيئا لمن كتب الله له الحج الى بيته الكريم • وكعبته المشرفة • وكان من الواقفين على عرفات فى هذا اليوم العظيم •• وهنيئا لمن أفاض الله عليه خلع المحبة والرضوان والقبول •• ففاز الفوز الكبير •• وهنيئا لمن عاهد الله تعالى فى هذه الاماكن الطاهرة المقدسة • على أن يسير فى سبيل الخير • وأن يسلك صراطه المستقيم •• بعد أن طهره الله تعالى وجعله نظيفا خالصا من الذنوب يوم ولدته أمه • فيعود الى بلده غانما سالما تائبا الى ربه عز وجل • ملازما للطاعة . الى ان يلقى الله تعالى . فيكون من أهل النعيم الخالد المقيم •••

أما أولئك الذين لم يكتب لهم الحج • فليستقبلوا يوم عرفة بالاعزاز والتقدير والتوبة الخالصة الى الله تعالى من سائر الذنوب • وليتذكروا يوم الحشر الاكبر يوم القيامة • وليصوموا يوم عرفة تقربا الى الله تعالى •• فقد أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بصيامه . وحث عليه . ورغب فيه فقال **(صيام يوم عرفة انى احتسب على الله ان يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده) وهـو حـديث صـحيح رواه الترمذى رحمه الله تعالى عن أبى قتادة رضى الله عنه ـ ومعنى احتسب على الله • أى أرجو من الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده ولا حرج على فضل الله •••**

وفقنا الله لحسن طاعته • وهدانا سواء السبيل •

حجة البلاغ

الأستاذ عبد الحكيم النجار

عندما أتذكر الرحلة التاريخية الروحية الى بطاح مكة .. والوقوف بعرفة يخفق القلب وتتعلق الروح بالتسابيح .. ويتوه الشعور والوجدان فى الملأ الاعلى .. ويفقد الجسم احاسيسه المادية .. ويعيش الوجدان فى هذا الجو الالهى المملوء بالحب والعظمة والصفاء والسلطان .. على هذه الصورة المشرقة يعيش الانسان فى ذكريات هذه الرحلة التى مزجت بالعبادة الروحية .. فمن سفر واحرام وطواف وسعى لمنى والمزدلفة .. رحلات منظمة وأعمال منسجمة لا نظير لها ببقعة فى عالمنا الواسع الشاسع .. هناك فى هذا المتسع الروحى الرحب بجوار سيد البشرية جمعاء .. تمتلىء القلوب المؤمنة بمزيد من الايمان والثقة والطمأنينة والفداء ..، على هذه الارض الطاهرة الذى يسبح من فوقها كل شىء فى وقت واحد بهذا النداء الخالد خلود الزمن، تلبية .. وتنقية .. وتهجدا .. من فوق جبل النور ترتفع الحناجر بكلمات تترجمها الالسن والشفاه الى قاهر السموات والاراضين .. هناك .. لا يستطيع الانسان أن يعبر عما يجيش بقلبه بهذا الشعور وهو متعلق بأستار الكعبة .. وبذلك الحنين الذى يشوقه ويثير اعماقه فى العودة الى رحاب مكة وزيارة الروضة الشريفة بمدينة الحياة والروح .. مرة ومرات .. بكل هذا ندعوك يارب .. أن تملأ قلوبنا ايمانا وثباتا .. وأن تنال أمة الاسلام شفاعة نبيك وحبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم، وها هى نبضات قلوب ملايين البشر متوجهة اليك فى موكب بنداء الذلة والمسكنة اليك .. بأن تكتب لامة الاسلام والعروبة نصرا عزيزا متوجا بعزتك وجبروتك لاسترداد الارض السليبة .. وتطهير بيت المقدس، وان تكتب لابناء فلسطين عودة حميدة الى ديارهم تكون عيدا آخر لامتنا العربية المظفرة .. وقد تحررت الارض الطيبة .. من غاصبيها والمدنسين لها ..

يارب الارباب، ومهىء الاسباب، وفاتح الابواب، وهازم الاحزاب، انا قد سعينا الى رحابك، وتوجهنا الى بابك فتقبل منا انك أنت السميع العليم .. هىء لنا قوة العزم، وصلابة الهمة، ووحدة الكلمة ما نرد به العدوان، وندفع أخطاره ونزيل آثاره، ونطهر بلادنا من الرجس والعار الذى لحق بأمة العرب بفضل الاسلام وهديه .

ركب المؤمنين

فى وسط هذا الخشوع بين الجموع المتجردة الا من انسانيتها وايمانها بربها المعز المذل، تطوف بى الذكرى الى الطواف بمكة عند بيتك الحرام، والوقوف بعرفة يوم عيدنا الاكبر .. الذى يذكرنا (**بحجة الوداع**) لانها الحجة الواحدة التى حجها الرسول القائد بالمسلمين منذ بعث رسولا الى أن لقى ربه .. وكان قد مضى على هجرته عشر سنين حاول فى السنة **السادسة منها ان يدخل مكة معتمرا مسالما**: بعد ان استثارت الجموع الهادرة من المدينة المنورة ومن قراها .. وجاءت بعض القبائل العربية من أواسط الجزيرة وأطرافها للسير مع الرسول الحبيب، يحدوها نور الايمان، جاءت هذه الجموع الهائلة من كل بقعة من البلاد العربية بقيادة الامين المصطفى على ناقته «القصواء» رافعين راية الحق متوجهين الى البيت العتيق، حتى اذا لم يبق بينه وبين أم القرى الا تسعة أميال، تصدت له قريش ومن معه من ركب المؤمنين عن المسجد الحرام .. وأبت عليهم أن يدخلوا مكة الا أن يقاتلوا وما جاءوا لقتال ولكن .. ليعلنوا أن البيت العتيق قد أصبح بحمد الله يخضع لتعاليم السماء التى جاء بها سيدنا محمد من ربه، وتطهير

هذا البيت من جاهلية العرب ٠٠ وبعد أن نكثت قريش العهد ونقضت عقد الحديبية ٠٠٠ !!!

هنا ارتفعت الاصوات بالتلبية .. لبيك اللهم لبيك ٠٠ فرد الجميع الهتاف خاشعين وعلى طوال الطريق ما بين دار الهجرة وأم القرى كان الهتاف يملا الفضاء الرحب ٠٠ لبيك اللهم لبيك ٠٠ فينحنى الكون اجلالا ٠٠ ويظهر النور ما بين الارض والسماء ٠٠ وفى ليلة الرابع من ذى الحجة ٠٠ بلغ موكب النبى العظيم مشارف مكة ٠٠ ودخلها فى الصباح بين مظاهر التشريف والتكريم ٠٠ حتى اذا شارف الحرم ٠٠ رفع يديه الى السماء ودعا مبتهلا ٠٠ اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة.. وزد من عظمه ممن حجه واعتمره تشريفا وتكريما ومهابة وبرا ٠٠

وبدأ فطاف بالبيت سبعا، منها أربع مشيا وثلاث هرول فيهن ٠٠ من الحجر الى الحجر ٠٠ وبين الحجر والركن اليمانى ٠٠ وكان النبى الكريم يقبل الحجر الاسود ٠٠ ثم تلا من كلمات الله المنزلة عليه : **«ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار»** وخلع نعليه ، ودخل البيت فصلى ركعتين ، وتعالت فى أرجاء مكة لبيك اللهم لبيك ٠٠ لبيك لا شريك لك لبيك ٠٠ ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ٠٠ ثم سعى بين الصفا والمروة ، سبعا ، حيث سعت (هاجر) أم اسماعيل العدنانية ، وقصد صلوات الله عليه وسلامه الى منزله فما كادت زوجته السيدة عائشة تراه حتى أحست كأنه مكتئب فسألته : ما لك يا رسول الله ٠٠ قال الحبيب العظيم فعلت اليوم أمرا ليتنى لم أكن فعلته دخلت البيت (الكعبة) ولعل الرجل من أمتى لا يقدر أن يدخله فينصرف وفى نفسه حزازة وانما أمرنا بالطواف ولم يأمرنا بالدخول ٠٠

عظمة محمد عليه السلام)

سبحانك اللهم ٠٠ هذا عبدك ونبيك الحبيب ، يسعى الى بيتك الحرام ، كأحد أتباعه ومواليه فى ازار ورداء ، وما فى الدنيا وقتئذ من يدانيه عزة ومجدا ولا بين العرب من لا يؤمن به وبرسالته ، وان عظمته ومهابته لتحتقر كبرياء الملوك ، وجاه الاباطرة وأبهة ملك الاكاسرة ، وبعد أن تهاوت أمامه صروح الوثنية وانهارت الاصنام حطاما ، وعلت كلمة التوحيد ملء الفضاء ٠٠ وأن جلاله ليزرى بكل ما عرف التاريخ من عظمة القادة وامجاد الابطال ٠٠ هذا هو الحبيب المحبوب يلوذ ببيتك خاشعا ويدعو ٠٠ ملبيا ضارعا مستشفعا ٠٠ ويدخل الكعبة حافيا متعبدا ٠٠ فيود صلوات الله وسلامه عليه ، ويراجع نفسه لو انه لم يكن قد فعل كى لا تجد أمته غضاضة اذا لم يدخلوا البيت العتيق ، ويذكر ان الله قد أمر عباده بالطواف به ولم يأمرهم بالدخول فيه ٠٠

(طريق الله ٠٠)

سبحانك اللهم ٠٠ هذا عبدك ونبيك المصطفى ، يخرج يوم التروية سائرا على قدميه وصاحبه بلال الحبشى الى جانبه يحاول أن يظله من وقدة الشمس بثوب خشن رفعه على عود كان بيده ، ويبيت صلوات الله عليه وسلامه ليلته بمنى عابدا متهجدا ،ثم يذهب الى عرفات فيقف بأعلى مكان منه داعيا ربه الى مغرب الشمس .. وقبل أن يترك عرفات يتلقى من وحى رب العزة والجبروت ..

« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون » .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

فما يزال يتلوها حتى بلغ المزدلفة فيصلى المغرب والعشاء ، ويتهجد الى مطلع الفجر ٠٠ ويظل يلبى حتى يرمى حجار العقبة وبعد أن يتم مناسكه ، ينحر الهدى . . ويدعو من يحلق له شعر رأسه . .

(خطبة الرسول الجامعة)

ويوم الاضحى الذى يرمز حتى يومنا هذا الى معنى التضحية والجهاد والبذل والمكابدة يخطب الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ٠٠ قائلا .. فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد على هذا بهذا الموقف أبدا .. ويسألهم عن يومهم وشهرهم وبلدهم .. فلما أجابوا قال ٠٠ **فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ٠٠ كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ٠٠ وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا تعودون بعد ضلالا ٠٠ ألا هل بلغت ٠٠ الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ٠٠ فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه الا وانى قد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ٠٠ أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه ٠٠ الا هل بلغت ٠٠ أجابوا جميعا نعم يا رسول الله ٠٠ فقال اللهم فاشهد ٠٠ اللهم فاشهد ٠٠**

ثم طاف الرسول بالبيت طواف الوداع قبل الفجر يوم الرابع عشر من ذى الحجة ورجع الى دار هجرته بعد أن قضى حجه وأدى الناس مناسكهم فكانت (حجة الوداع) وبعضهم يقول (حجة الاسلام) وغيرهم (حجة البلاغ) وهى فى الحقيقة ذلك كله ٠٠ نظرا لاهميتها الكبرى فى تاريخ الاسلام عبر التاريخ ٠٠ وقد نزلت فيها (سورة النصر) ٠٠ فكانت آخر ما نزل من القرآن الكريم ٠٠ كتاب الاسلام الخالد ومعجزة المصطفى رسولنا العظيم لآخر رسالات الله جلت قدرته وعظمت ارادته ٠٠ وسوف تظل هذه الرسالة باقية ما بقى الدهر مضيئة قوية فى العالمين ٠٠

وأخيرا ٠٠

فان الحج منحة ربانية طاهرة سامية ٠٠ يدفعها الخالق الينا فى سماحة لتطهير مسوح أرواحنا من أدران النفس الامارة بالسوء انها فترة (تربية الهية) رفيعة ٠٠ رقيقة ٠٠ رشيقة يعود المرء منها الى الطريق السوى ٠٠ طريق الله ٠٠٠

فى حج بيت الله

الأستاذ حسن الشيخة

قال تعالى فى سورة الحج [وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها ، واطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق ..

هذه آية تضمنت الكثير من أعمال الحج ، ومناسكه ، وقد روى الامام الزمخشرى فى تفسيره رواية تتعلق بالامام أبى حنيفة لما أدى فريضة الحج . قال الزمخشرى مانصه :

« .. وعن أبى حنيفة رحمه الله أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج ، فلما حج فضل الحج على العبادات كلها ، لما شاهد من تلك الخصائص » .

وليس بالقليل على فريضة الحج أن يفضلها على العبادات كلها المجتهد الاول من أئمة المسلمين ، أبو حنيفة النعمان ، والواقع أن الحج كله خصائص ، اختص بها من بين أركان الاسلام ، هذه الخصائص تلازمه من مبدئه ، وهو الاحرام ، الى منتهاه ، حيث يتحلل المحرم من احرامه .

أولى هذه الخصائص ان العبادات أما بدنية روحية كالصلاة ، والصوم ، واما مالية كالزكاة ، واما قلبية كشهادة أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واما بدنية وروحية ومالية كالحج ، ولهذا اشترطت فيه الاستطاعة الكاملة من الطرفين ، طرف وجود المال الفائض عن الحاجة ، وطرف صحة البدن من الاسقام والعلل ، بحيث تستطيع أن تقوم به ، ولذلك قال تعالى [.. ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا] ، أى فى المال والصحة معا .

ان هذه الفريضة التى لاتقوم الا على المال وعلى صحة البدن لها حكم أصيلة مشتقة من أعمالها الكثيرة ، التى يقوم بها الحاج ، فهى فريضة العمل ، وحركة الجسم الدائبة من مبدئها الى منتهاها وانى ذاكر بعض مايعن لى من هذه الحكم والخصائص ، غير ماتقدم .

من ذلك انها مؤتمر للمسلمين فى جميع أقطار الارض ، وهذا المؤتمر أكبر مناسبة للتعارف بين المسلمين المتنائى الديار ، المتباعدى الاقطار ، ومتى تم التعارف كانت المشورة وأخذ الاراء ، فى الصالح العام المشترك بين الجميع ، فقد بدأ ظهور الاسلام فى جزيرة العرب بالسرايا والغزوات لمن لم يؤمنوا الا بالقوة ، وبالطواعية والرضا لمن آمنوا بدعوة نبى الاسلام ، ولمن هداهم الله فتسابقوا الى الايمان ، ولا ريب أن الجزيرة العربية تحتوى على مواضع هى مواضع الشورى وأخذ الرأى ، كما كانت دار الندوة بمكة من قبل أن يفرض الحج فى الاسلام ، وقد كانت لقريش خاصة ، يبحثون فيها كل شأن ، ويدبرون فيها كل أمر ، واذن هناك فارق اجتماعى بين فريضة الحج ، وبين دار الندوة ، الاولى للمسلمين جميعا ، والثانية كانت لقريش خاصة .

ومن ذلك انها توحى الى الحاج بالتوبة النصوح ، لان الحاج فى حال احرامه يتذلل للمعبود باظهار الشعث ، والبعد عن أسباب التزين ، ويصور نفسه بصورة عبد يتضرع الى مولاه ، فهو يرجو رحمته ورضاه ، وكذلك الحال فى وقوفه بجبل عرفات ، انه يكون بمنزلة عبد عصى مولاه فوقف بين يديه متضرعا ، حامدا له ، مثنيا عليه ، مستغفرا لزلاته ، ملتمسا الصفح عن عثراته ، وكذلك الحال بالطواف حول البيت ، انه بذلك يلازم المكان المنسوب الى ربه ، وهو والحالة هذه بمنزلة عبد معتكف على باب مولاه ، لائذ بجنابه ، طالبا رضاه ، ولا ريب أن كل هذه الاعمال والمواقف وغيرها من أعمال الحج ومناسكه هى من صميم التوبة النصوح ، التى يرجوها الحاج من حجه . لاسيما اذا كان قد حفظ أو سمع حديثه صلوات الله عليه [من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه]

والخلاصة ان نية التوبة النصوح تبذر بذورها فى نفس الحاج من أول يوم انتوى فيه اداء هذه الفريضة ، فاذا ماأتم الله عليه نعمة أدائها تراه قد تاب ، وأناب الى الله ، وليس مجرد الحج دون نية التوبة النصوح بكاف فى هذه التوبة ، فقد يكون الحج للتفاخر ، وقد يكون بالتقليد ، وهو تقليد الناس فى كل مايقومون به من أعمال ، أو أقوال ، تقليدا مجردا عن البواعث والاسباب .

ومن خصائص الحج وحكمه مايتعلق منها بالتاريخ ، تاريخ الارض الصحراوية ، الجبلية ، التى خرج منها دين الاسلام ، وكانت منطلق رسول الاسلام فى دعوته الى هذا الدين الجديد ، هو وخلفاؤه ، وصحابته ، ومن قبلهم أسلافه فى هذا الدين الحنيف ، كأبى الانبياء ابراهيم ، وولده اسماعيل عليهما السلام فمن الامثلة التاريخية فى الحج الصلاة فى مقام ابراهيم ،

وهى حجارة كان يقوم عليها الخليل ابراهيم حين نزوله وركوبه الابل ، لما كان يجيىء الى مكة لزيارة زوجه هاجر ، وولدها اسماعيل ، والقصة من أصلها رواها القرآن فى قوله [ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات ..]

ومن الامثلة الوقوف بعرفة ، وهو أحد ركنى الحج عندالحنفية لانه هو اليوم الذى اتم الله فيه النعمة على المسلمين ، وأنزل على نبيه صلوات الله عليه [اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا ..] فتذكارا لهذه النعمة الجليلة جعل ذلك اليوم مجتمعا عاما ، هذا ولانه صح عند الفقهاء والمؤرخين ان آدم وحواء تعارفا فيه ، ولذلك شرع الوقوف به ، بل وجعل ركنا من أركان الحج .

ومن الامثلة الرمل ، وهو الاسراع فى السير ، وقد شرع فى الاشواط الاولى من الطواف بالبيت ، لاظهار التجلد والقوة أمام المشركين ، ولاظهار النشاط والهمة فى العبادة ، وقد روى أن رسول الله صلوات الله عليه دخل هو وأصحابه مكة ، وكفار قريش قد صفت عند باب الندوة ، ينظرون الى النبى وأصحابه، ويستضعفونهم ، ويقولون : أوهنتهم حمى يثرب ، فلما دخل النبى المسجد اضطبع وقال : رحم الله امرأ ابدى من نفسه جلدا ، [اضطبع اعنى اخذ رداءه من تحت يمينه ووضعه على كتفه الايسر] .

ومن الامثلة التاريخية السعى بين الصفا والمروة ، وقد اختلف المؤرخون فى سبب مشروعية هذا السعى ، فمنهم من يقول ان السيدة هاجر أم سيدنا اسماعيل قد عطش ولدها ، فصارت حائرة ، تسعى بين الصفا والمروة ، لتجد ماء تسقيه فجاء جبريل فحفر موضعا فى الارض فصار حفرة ، هى بئر زمزم ، الذى قال فيه النبى : انه خير ماء على وجه الارض، ماء زمزم ، ومنهم من يقول ان الصفا سمى بهذا الاسم لانه جلس عليه آدم صفى الله ، وسميت المروة بهذا الاسم لانه جلست عليه امرأته حواء .

ومن الامثلة الوقوف بمزدلفة صبيحة يوم النحر ، بعد أن يصلى الفجر وقت الغلس ، لان هذا الموضع هو المراد بقوله تعالى [فاذكروا الله عند المشعر الحرام ..] ويقال انهمهبط آدم عليه السلام ، وازدلافه الى امرأته حواء .

ومن الامثلة رمى الجمار ، وهو من مناسك الحج ، وأصله فعل سيدنا ابراهيم عليه السلام لما عرض له الشيطان لاغوائه ، فرماه بالحصى لاهانته ورد كيده ، وقد روى عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس مابال الجمار ترمى من وقت الخليل عليه السلام ، ولم تصر هضابا تسد الافق ؟ فقال لى اما علمت أن من يقبل حجه يرفع حصاه .. أى أن الحصا يرفع من علىوجه الارض ، ولا يبقى عليها .

ومن الامثلة استلام الحجر الاسود ، الذى قال فيه الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه « والله انى لاعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ، ولولا انى رأيت رسول الله قبلك ماقبلتك » ويبدو أنه لما كان مبدأ للطواف بالبيت الشريف فقد أعطى شيئا من شرف البيت ، ولا ريب فى أن المبدأ يعطى بعضا من صفات المنتهى ، والمقدمة يكون لها بعض ماللنتيجة من الاحترام .

وختاما لماذا خصص الحج بالاشهر المعلومات . وهىشوال، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة ؟ هذا التخصيص : ذكروا له سببا ، فقالوا ان الله حقن فيه الدم الطاهر ، دم اسماعيل، أو اسحاق ، ولذلك جعل طرفى هذه الاشهر عيدين ، فالاول فى أول شوال وهو عيد الفطر ، والثانى فى عشر ذى الحجة ، وهو عيد الاضحى .

« من الأدعية المأثورة »
فى يوم عرفة

« اسألك اللهم مسألة المسكين ، وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وادعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعت لكرقبته ، وفاضتلكعبرته ، وذل لك جسده ، ورغم لك انفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين ، واكرم المعطين، .. الهى من مدح لك نفسه فانى لائم نفسى .. الهى اخرست المعاصى لسانى ، فمالى وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل .. الهى انى اعلم ان ذنوبى لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين ، . الهى انلم اكناهلا أن ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل أن تبلغنى ، وأن رحمتك وسعت كل شىء وأنا شىء ، . الهى ان ذنوبى وان كانت عظاما ولكنها صفارا فى جنبعفوك فاغفرها لى ياكريم،. الهىانت انت وأنا أنا: انا العواد الى الذنوب وأنت العواد الى المغفرة ، . الهى ان كنت لاترحم الا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون ؟ الهىتجنبت عن طاعتك عمدا ، وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما أعظم حجتك على وأكرم عفوك عنى فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتى عنك وفقرى اليك وغناك عنى الا غفرت لى »

الحج وروحانياته

الأستاذ أحمد عمر هاشم

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور .

هكذا يبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه منزلة هذه الفريضة الجليلة بين الاعمال الفاضلة فى الدين . فلئن كان افضل الاعمال « الايمان بالله ورسوله » ـ وهو يعنى التصديق والعمل بكل ما أمر به الله ورسوله ومن بينها الجهاد والحج ـ فانه حين يسأل عما يلى ذلك من عمل فى الافضلية يشير الى الجهاد فى سبيل الله ثم الحج المبرور ، وذلك لمزيد العناية بهما ، ولتوجيه النظر الى ما ينطوى عليه كل من الجهاد والحج من فضل عظيم ، ومثوبة كريمة ، وجزاء أوفى عند الله سبحانه وتعالى .

والحج المبرور : هو المقبول الذى وفيت أحكامه ووقع على الوجه الاكمل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فيه . قال تعالى : الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب ! .

وفى الحج المبرور صفاء روحى ، وبراءة من الذنوب صغيرها وكبيرها لان المسلم فى أدائه لتلك المناسك يتخلص من شهوته ، ويتجرد من زينته ، ويهرول الى ساحة الغفران والرضوان بنفس طاهرة ، وقلب منيب ، يتوب الى ربه التوبة النصوح ، وتشرق فى روحه ومضات الايمان الصادق فيستشعر اللذة الروحية ، ويحس الامل فى الله ، والرجاء العظيم فى الله فى جناب رحمته .

فحين ترتعش شفتاه الضارعتان على دقات قلبه الطاهر الخفاق فينتفض كل احساس فيه بمناجاة عذبة ، ونداء دافىء برىء يصيح ملء روحه : « لبيك اللهم لبيك .. » مستجيبا لله ولرسوله اذا دعاه لما يحييه حين يصل المسلم الى تلك الدرجة من الصفاء الروحى لا يبقى على جسده اثم ولا على حياته قشاوة لانه انغمس فى طهارة قدسية وتجاوبت أصداء روحه مع نسمات الايمان الكامل فكانه مولود جديد لا ذنب يدنسه ولا عيب يلتصق به :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه . وفريضة الحج هى احدى أركان الاسلام الخمسة تجب على من توافرت له شروط الاستطاعة قال تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ويشترط لتحقق هذه الاستطاعة : أن يكون المسلم سليم البدن غير مريض وألا تكون لديه موانع حسية ، وأن يكون ما لديه من مال فائضا عن حاجاته الاصلية وأن يكون ما يحج به من مال فائضا عن نفقة من تلزمه نفقتهم مدة ذهابه وايابه ويشترط أيضا أن يكون الطريق مأمونا .

واشترط الاحناف والحنابلة زيادة على ذلك . ـ بالنسبة للمرأة ـ أن يكون معها زوج أو محرم بالغ عاقل اذا كان بينها وبين مكة مسافة سفر لما رواه أبو هريرة رضى الله عنه من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تسافر مسيرة يوم الا ومعها ذو محرم . ويقول ابن عباس : سمعت رسول الله يقول : « لا يخلو رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم ولا تسافر أمرأة الا ومعها ذو محرم فقام رجل فقال : يا رسول الله انى كنت فى غزوة كذا وانطلقت امرأتى حاجة ، فقال النبى : انطلق فاحجج مع امرأتك . وحيث تتحق هذه الشروط فليس للمسلم أن يتراخى عن آداء هذه الفريضة الجليلة بل يجب عليه أن يعجل بها لانه لا يضمن عمره ، قال عليه الصلاة والسلام : « من أراد الحج فليعجل فانه قد يمرض المريض وتضل الضالة وتعرض الحاجة » .

واذا ما استجاب المسلمون المستطيعون لنداء ربهم سبحانه وهبوا لاداء هذه الفريضة راحلين الى بقاعها المقدسة تاركين الاهل والديار ، والوطن والاحباب فهم وفود الله سبحانه وزواره وأضيافه يسيرون فى عنايته ، وتحدوهم رعايته ، وهم فى حمى الله وأمانه فى حلهم وترحالهم ، مضمون على الله ان قبض واحدا منهم أن يدخله جنته ، وان رده الى أهله رده باجر وغنيمة .

روى بن جريج عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله أن قبضه أن يدخله الجنة ، وان رده الى أهله رده بأجر وغنيمة » .

وهؤلاء الوفود الابرار جعل الله سبحانه دعاءهم مقبولا لا يرد استغفارهم يصعد الى السماء فيغفر الله لهم ، ويتوب عليهم وتتجاوب مع أصداء أنفاسهم الطاهرة المبرورة ومضات الاشراق والطهر فى عالم القداسة والنور ، وتتفتح لدعواتهم البريئة ، وضراعاتهم المنيبه أبواب السماء ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه أجابهم وان استغفروه غفر لهم » كما جعل سبحانه وتعالى جزاء الحج المقبول جنته عن بريدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة »

وقال عليه الصلاة والسلام : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » والبيت الحرام الذى يقصده المسلمون استجابة لنداء ربهم سبحانه هو أول بيت وضع للناس كما حدده القرآن الكريم زمانا ، ومكة كما حدده أيضا مكانا يفيه من عظيم الايات والهدى ما يجعل من دخله آمنا مطمئنا وتيسيرا من الله لعباده لم يوجبه الا على المستطيع كما لم يجعله الا مرة واحدة فى العمر بها يسقط عن المكلف الفرض اما من جحد الحج ولم يؤمن بفريضته تلك الفريضة فان الله غنى عنه قال تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . ومن كفر فان الله غنى عن العالمين . » ولمكانة هذا البيت العظيمة أناط الله سبحانه بزواره عزا فى الدنيا والاخرة انه يمهد لاسباب الرزق ويفتح أبواب الخير فينفى الفقر والذنوب عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجه المبرورة ثواب الى الجنة » رواه الترمذى وصححه ، كما جعل النفقة فى الحج مثل النفقة فى سبيل الله عن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله الدرهم بسبعمائة ضعف » .

ولتلك الاسرار الكريمة ، والمثوبة البالغة التى تتضمنها تلك الفريضة كان على المسلم أن يتحرى بكل دقة وأمانة المال الحلال الذى لا تشوبه أدنى شائبة ، أو أقل شبهة حتى يكون مقبولا . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله فى الفرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور ، واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الفرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام ، وحجك مأزور غير مأجور » .

ومن خلال مناسك الحج تنبثق الروحانيات الكريمة التى تشع فى قلب المؤمن معانى سامية ، واشراقات تبعث الراحة والامان ، والطمأنينة والانشراح انه من أول لحظة يحرم فيها ويصبح ملبيا ربه سبحانه فقد دخل فى المناجاه الطيبة واستجاب بتلبيته الى نداء ربه سبحانه اذ يقول : « واذن فى الناس بالحج » فهو يتجرد من لباس الدنيا وزينة الحياة وزخرفها ، ويلبس ازاره ورداءه وينتظم تلك الصفوف من المسلمين الذين أرتدوا جميعا هذا اللباس الواحد فى هيئة بيضاء واحدة لا فرق بين غنى او فقير ولا بين رئيس أو مرءوس فالكل سواء ضمتهم وحدة دينهم فى مظهرهم وفى مخبرهم وفى صرخات قلوبهم وهى تجار بنداء واحد فى وقت واحد لرب واحد سبحانه وتعالى ..

وفى طوافهم بالبيت يتشبهون بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين برحمته ومغفرته ، فهو حين يستلم البيت ، يبايع خالقه سبحانه واضعا يده على الحجر الاسود فهو يمين الله يصافح بها خلقه ليفى حق الوفاء بتلك المبايعة متعلقا بأستار الكعبة تعلق المذنب بثياب من أذنب اليه راجيا منه العفو طالبا منه الرحمة والرضوان .

وفى السعى بين الصفا والمروة تذكر وتدبر لما ينعم به الله سبحانه على عباده من فرج ويسر بعد ضيق وعسر ، كما أنه رجاء مخلص يصعده صاحبه راجيا أن ينظر اليه ربه بعين الرحمة ، والسعى هذا من شعائر الله قال تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم »

قال الامام الغزالى رحمه الله : وأما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت فانه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذهابا مرة بعد أخرى ، اظهارا للخلوص فى الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة ، كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدرى ما الذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية ان لم يرحمه فى الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة ، وليمثل الصفا بكفة الحسنات ، والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران .

أما الوقوف بعرفة فهو أهم ركن فى هذه الفريضة كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، « الحج عرفه » ، وفى يوم عرفة تخنس كل وساوس الشيطان ، وتنطفىء هواجسه ، فيرى حقيرا ومدحورا . قال صلى الله عليه وسلم : « ما رئى الشيطان فى يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة » .

وانه لموقف ضخم فى يوم مشهود يقف فيه الناس جميعا لا فرق بين انسان وانسان مظهر واحد ومكان واحد يدعون ربا واحدا ، فينتظم دعاؤهم الحار المصعد الى السماء فى نشيد روحى عذب يهتفون به فى نفس واحد ملبين ومستغفرين ، وراجين رحمة ربهم فيستشعرونها تتنزل عليهم من عند ربهم سبحانه وتعالى . ويتذوقون حلاوة المناجاه فى طهارة وبراءة حيث ارتفعت الاصوات ، على اختلاف اللغات ترتعش بالرجاء وتتماوج بالامل ، وانهم ليتذكرون فى هذا الموقف موقفهم يوم القيامة واجتماعهم بانبيائهم وائمتهم واقتفاء كل أمة بنبيها طمعا فى الشفاعة ورغبة فى فضل الله رب العالمين .

وأما رمى الجمار ففيه طرح لوساوس النفس ومقاومة منتصرة لنزعات الشيطان رجما له وارغام أنفه بامتثال أمر الله تلبية وتعظيما استجابة لامره دون أن يكون للنفس أو العقل حظ فيه ويقول أبو حامد الغزالى فى هذا الموقف : القصد منه الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ، ويبين أيضا القصد برمى الجمار قائلا : التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنة الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فامره الله عز وجل ان يرميه بالحجارة طردا وقطعا لامله .

وهكذا نرى أن ما تعطيه مناسك الحج من قيم ، وما تنطوى عليه من أسرار وروحانيات نرى كل هذا جديرا بالوقوف عليه والاعتبار به والسير على هديه القويم . فان هذا اللقاء الروحى الكبير يشكل أعظم مؤتمر اسلامى عالمى أعضاءه وفود الله وزواره ، وضيوف بيته وعماره ، « وحق على المزور أن يكرم زائره » وفيه تتلاقى القلوب على المحجة البيضاء ، يشع صفاء الاخوة بينها فتعمل جاهدة لصالح العباد والبلاد « ليشهدوا منافع لهم .. » فى أمر دينهم وفى أمر دنياهم . وفى هذا تحقيق للنصر الكبير على عدو البلاد بالجهاد فى سبيل الله ، وتحقيقا للنصر الاكبر على النفس بجهادها ، والنصر فى كل أبعاده ، وشتى مجاليه لا يكون الا انبثاقا من الدين ، وانطلاقا من الايمان الصادق الذى به يتحقق وعد الله سبحانه : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »

فريضة الحج.. وأثرها في وحدة المسلمين

الأستاذ محمد الدسوقي

١ – ان العرب الذين سكنوا الجزيرة العربية قبيل ظهور الاسلام لم يكن يتوقع منهم أن يخرجوا من وطنهم وقد حملوا أرواحهم على أكفهم لا يهابون قوة الفرس أو غيرهم : لانهم عاشوا حياة طابعها البداوة والقبلية والعصبية ، واراقة الدماء لاوهى الاسباب وأتفه العلل ٠

هؤلاء العرب الجفاة الغلاظ الذين عبدوا الاوثان والاصنام قد خلقهم الاسلام خلقا آخر ، فأصبحوا به أعزة أقوياء ، أصبحوا أمة ذات حضارة انسانية رائعة ٠

٢ – ومرد ذلك كله الى أن الاسلام دين وحدة لا تعرف التفرق أو التشاحن ، وحدة فى العقيدة ، ووحدة فى المشاعر والاحاسيس ووحده فى الكلمة « ان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » « وان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

وفرائض الاسلام كلها تؤكد هذه الوحدة وتحض عليها ، وما أصيب المسلمون فى تاريخهم القديم والحديث بما أصيبوا من محن وفتن الا حين وهت معانى هذه الوحدة فى نفوسهم ، وتفرقت الكلمة بينهم فنال عدوهم ما نال منهم ٠

٣ – والحج – وهو فريضة كتبت على القادر المستطيع – يبرز لنا هذه الحقيقة الخالدة بروزا جليا ، ويرشد المسلمين الى مايجب الحفاظ عليه دائما ليقوموا بأداء الرسالة التى ناطها الله بهم ، ومن اجلها فضلوا على سواهم من الامم « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فهؤلاء المسلمون الذين يؤمون بيت الله العتيق من كل فج عميق ، قد اختلفت السنتهم والوانهم وديارهم ، ولكن الذى جعلهم يتركون ديارهم وأموالهم وأهليهم ليلتقوا فى مكان واحد انما هو الايمان الذى وحد مشاعرهم وعواطفهم ، وألغى فيما بينهم الفوارق أيا كان مصدرها ولونها ، فهم جميعا مربوبون لرب واحد خلقهم من نفس واحدة ، وجعل معيار التفاضل بينهم التقوى والعمل الصالح لا أى شىء آخر من عرض هذه الحياة الدنيا « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » ٠

٤ – والحج بمناسكه وشعائره وآدابه يرفع المؤمن درجة في سلم الترقى نحو الملا الاعلى ، وقد جاء فى بعض الاثار ان المؤمن يرجع من حجه وكأنه طفل وليد ، طاهرة سريرته ، نقية صفحته ، قد غفر الله له ما تقدم من أوزاره ، وما ذلك الا ان الحج رحلة تطهير ومناجاة ، ورحلة تآلف وتناصر وتعاون على الخير والبر والمعروف ٠

ان الحج فريضة جهاد وتطهر ، فهى تخلص النفس من نزعات الشيطان وتقوى فيها معانى السمو الروحى فتحيا فوق المادة ، ولا تكون أسيرة لها فتضل طريق النجاة فى الدنيا والاخرة ٠

ليس الغرض من الحج اذن الحصول على لقب أو مغنم مادى ولكن الغرض السامى منه الانخلاع من ماض مشوب بالاثم والباطل والشر ، وتجديد العهد مع الله على استئناف حياة جديدة مستقيمة ٠

٥ – والحج بعد هذا يرشد المسلمين الى الوحدة فى أوسع معانيها وأكرم غاياتها ، فهو بمناسكه يحقق معنى الوحدة الاسلامية ففيه يتساوى كل الناس : وتمحى الفروق بين الاجناس ، واذا فرقت الالوان فقد تساوت الوجوه أمام الرحمن ، واذا فرقت الثياب فقد سوى لباس الحج بين المؤمنين ، ففى الحج الاخوة الجامعة والمساواة الموحدة ، والوحدة التى تجتمع فيها المعانى الانسانية وتختفى فيها كل مظاهر الاقليمية وكل مظاهر الاختلاف الماديه

ان الحج هو المذكر الدائم للمسلمين بانهم أمة واحدة لهم ولايه واحده . فهم يلتقون فى المشعر الحرام ويصعدون الى عرفات ويجتمعون فى تلك البقاع الطاهرة المقدسه للتعارف والتآلف وتبادل الافكار فيما يوحد كلمتهم ويجمع شملهم ليظلوا كالجسد الواحد او كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . وليحققوا لانفسهم الحياة العزيزة الكريمة التى لايرضى بغيرها المؤمنون « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ٠

٦ – ان الحج جهاد لا لانه مقاومة لشهوات النفس فحسب ، ولكن لانه كذلك يحقق الوحدة الاسلامية ويحميها ويدفع عنها الاذى وذلك هو مقصد الجهاد وغايته فليس الجهاد فى الاسلام للاسيطره والتحكم وانتهاب خيرات الشعوب ولكنه لحماية الحق ونصرته وردع كل من تسول له نفسه أن يعتدى على المسلمين أو ينال منهم .

البقية ص ٩٧

الحج

الأستاذ توفيق على وهبة

[وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق] ..

الحج – بفتح الحاء وكسرها – لغة : القصد ، وشرعا : قصد البيت الحرام لممارسة شعائر الحج ونسكه . وهو ركن من أركان الاسلام ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة لقوله سبحانه وتعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » [آل عمران ٩٧] . وقوله جل وعلا [وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب . الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب . ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب . واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون] [البقرة ١٩٦ – ٢٠٣] .

أما ثبوت فرض الحج بالسنة الشريفة فقوله صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله. وأن محمدا رسول الله . واقام الصلاة وايتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « العمرة الى العمرة كفارة مابينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » ولقد سئل النبى عليه أفضل الصلاة وازكى السلام » أى العمل أفضل قال : ايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » .

والحج فرض مرة واحدة فى العمر على كل مسلم بالغ عاقل هر مستطيع . ولقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد فرض الحج على المسلمين الا مرة واحدة وان كان قد حج قبل أن يفرض عدة مرات ، وفى بعض الاقوال انه كان يحج كل عام مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة .

متى فرض الحج ؟

قيل ان الحج فرض فى السنة السادسة للهجرة ، وقيل فرض فى السنة التاسعة وهذا هو الارجح فى جملة هذه الاقوال لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يذهب فى السنة السادسة الى البيت الحرام حاجا بل معتمرا وكان هذا هو دليل القائلين بفرضيته فى السنة السادسة للهجرة .

أركانه :

للحج أركان معلومة يجب أن تؤدى . واذا ترك ركن منها كان ذلك من عوامل بطلانه ولا يصح الحج وأركان الحج هى :

الاحرام مع النية ، الوقوف بعرفة ، طواف الافاضة ، السعى بين الصفا والمروة ولننظر الى كل ركن من هذه الاركان لنوضحه ونستخلص العبرة منه : –

الركن الأول – الاحرام : للاحرام ميقات زمانى وآخر مكانى

أما ميقاته الزمانى فيبدأ من أول يوم من شوال الى طلوع فجر يوم النحر .

وأما ميقاته المكانى . فيختلف باختلاف الجهات . فأهل مصر والشام والمغرب وبلاد الاندلس ميقاتهم « رابغ » .

وميقات اهل الكويت وأهل نجد قرن المنازل وهو مكان

وميقات أهل العراق « ذات عرق » موضع فى الشمال الشرقى من مكة .

وميقات أهل المدينة « ذو الحليفة » – آبار على – قريب من المكان المسمى الان بـ « السيل » .

وميقات أهل اليمن والهند [يلملم] وهو جبل جنوب مكة

ولقد حدد النبى صلى الله عليه وسلم هذه المواقيت لاصحابها البلاد التى ذكرناها وعلى من يمر بهذه البلاد – حاجا أو معتمرا – بطريق البر أو البحر أو الجو أن يحرم ولا يجوز له أن يتجاوز هذه البلاد بدون احرام .

ويلاحظ أن أهل هذه المواقيت اذا توجهوا أولا لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أداء فريضة الحج كان احرامهم من آبار على .

والاحرام هو : التجرد من الملابس المعتادة المخيطة حيث لا يستتر الحاج الا بالرداء والازار . وربما الاصل فى هذا أن يتجرد الانسان مما اعتاد أن يلبسه من ثياب الدنيا ويخلص الوقوف لله تعالى بثياب طاهرة ثم فيه أيضا تقديس للبيت الحرام .

الركن الثانى : الوقوف بعرفة : والمراد به حضور المحرم

الحج لحظات بعد زوال الشمس يوم عرفة . وهو اليوم التاسع من ذى الحجة الى فجر يوم النحر وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم فى خطبة له « أما بعد .. فان هذا اليوم هوالحج الاكبر ألا وان أهل الشرك والاوثان كانوا يدفعون فى هذا اليوم قبل أن تغيب الشمس . اذا كانت الشمس على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال . وانا ندفع قبل أن تطلع مخالفا هدينا هدى أهل الشرك » . أى أن المصطفى صلى الله عليه وسلم جعل النزول من عرفات من بعد غروب شمس التاسع من ذى الحجة الى قبيل طلوع الشمس وسمى هذا الجبل بعرفات لما روى من أن جبريل عليه السلام حينما انتهى بسيدنا ابراهيم عليه السلام الى هذا المكان حيث كان يعلمه مناسك الحج - قال له سيدنا ابراهيم : الان عرفت .. عرفت .. ومنذ ذلك الوقت اطلق على هذا الجبل اسم عرفات .

وفى الجاهلية - قبل البعثة المحمدية - كانوا يقفون بعرفات الى قبل غروب شمس اليوم التاسع من ذى الحجة عندما تصبح الشمس على رؤوس الجبال كعمائم الرجال . فلما جاء الاسلام غير هذا الموعد وجعل النزول من عرفات بعد غروب شمس التاسع من ذى الحجة الى طلوع الفجر كما هو مبين بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق ذكره .

وعلى من يقف بعرفة أن يتمثل فى دعائه حين يدعو بحديث النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول « خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ماقلت أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » . كما يقول الرسول أيضا « مامن يوم أكثر من ان يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة . وانه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول : ماذا أراد هؤلاء ؟ » وللحاج أن يدعو أيضا بما شاء من الادعية المأثورة عن النبى وهى مبسوطة فى كتب السنة .

الركن الثالث : الطواف بالبيت : وهو أن يطوف الحاج بالبيت الحرام سبع مرات مبتدئا بالحجر الاسود يرمل فى ثلاث منها . ويمشى فى الاربعة الباقية ويبدأ فى كل دورة بالحجر الاسود ويختم به جاعلا البيت عن يساره .

ولقد كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت الحرام ويقدسونه. كما يطوف به المسلمون الان .. وكان من عادتهم أن يطوفوا عراة متخلصين من ملابسهم التى يرتكبون بها المعاصى والوثنية ثم جاء الاسلام ليقرر ارتداء الازار وستر العورة فى الطواف .

ويبدأ الحجاج فى طوافهم بالحجر الاسود . كما يسن تقبيله. وليس فى هذا تشبها بأعمال الجاهلية فى تقديس الحجر وعبادته بل هو من شعائر الحج التى أوضحها النبى صلى الله عليه وسلم للصحابة فى حجه وقد روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقبل الحجر ويقول : انى أعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتك. وكما روى مسلم واحمد عن ابى الطفيل انه قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويستلم الركن بمحجن معه ويقبل المحجن . وكان صلى الله عليه وسلم يقول بين الركن اليمانى وحجر : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

الركن الرابع : السعى بين الصفا والمروة : وشروط السعى بين الصفا والمروة أن يكون سبعة أشواط تبدأ بالصفا وتختم بالمروة . ويعتبر السعى من الصفا الى المروة شوطا والعودة من المروة الى الصفا شوطا وهكذا حتى تنتهى الاشواط السبعة. ويجوز أن يستريح بين الاشواط وعلى المسلم بعد أن يتم السعى أن يدعو الله بما يشاء . فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : انه لما فرغ من طوافه اتى الصفا فعلا عليه حتى نظر الى البيت ورفع يديه وجعل يدعو الله ماشاء أن يدعو .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا قرأ (ان الصفا والمروة من شعائر الله) أبدأ بما بدأ به الله . فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده » ثم دعا بعد ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة حتى انصبت قدماه فى بطن الوادى حتى اذا صعدتا مشى حتى اتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا .

والسعى بين الصفا والمروة تخليد لذكرى السيدة هاجر عندما كانت تجرى بين الصفا والمروة صاعدة على كل منهما لعلها ترى مكان ماء تسقى ولدها حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها وفجر لها زمزم تحت قدم ولدها اسماعيل . فالساعى بين الصفا والمروة ينبغى له أن يستحضر فقره وذله لله وحاجته اليه لهداية قلبه وصلاح نفسه وغفران ذنبه وان يلتجىء الى الله تعالى وحده لتفريج مابه من الشدائد والكروب والنقائص . وأن يهديه الى الصراط المستقيم وغير ذلك من الادعية التى ينبغى أن يستحضرها فى قلبه وهو يسعى .

وقد وردفى فضل ماء زمزم قوله صلى الله عليه وسلم « خير ماء على وجه الارض ماء زمزم فيه طعام الطعم وشفاء السقم »

وكان ابن عباس رضى الله عنه اذا شرب من ماء زمزم يقول: « اللهم انى اسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء»

الرمى :

ورمى الجمرات هو ذكرى انتصار سيدنا ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام على الشيطان الذى أراد أن يضلهما بأن يمنع ابراهيم من تحقيق أمر ربه بذبح حبيبه اسماعيل ووسوسته لاسماعيل ليعصى والده . ولكن الله نصرهما على الشيطان اللعين وحققا أمر ربهما .

ويصور القرآن الكريم هذا الموقف العظيم الذى يقدم فيه ابراهيم الخليل ابنه قربانا الى الله سبحانه وتعالى « يا بنى انى أرى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى » . فماذا كان موقف الابن البار اسماعيل ؟.. لم يخف . ولم يجزع ولم يهرب من أمر الله لعلمه ان رؤيا أبيه حق . وما كان اسماعيل ابنا عاقا ولكنه كان نعم الابن المطيع .. ماكان منه صلى الله عليه وسلم الا أن قال كما يصور القرآن الكريم : « يا أبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » .. لقد كان فعلا من الصابرين ... وجزاه الله ووالده أحسن الجزاء ففدى سبحانه وتعالى اسماعيل بذبح عظيم نزل به الامين جبريل عليه السلام من السماء ليذبح فداء لاسماعيل : [وناديناه أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا] ويكون رمى الجمرة الاولى قبل النحر ، لما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه « ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحلاق خذ وأشار الى جانبه الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع

الى متى تمكث بها ليالى ايام التشريق يرمى الجمرة اذا زالت الشمس كل جمرة سبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عند الاولى وعند الثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمى الثالثة لايقف عندها » .

الهدى :

وهو تخليد ذكرى الفداء العظيم الذى افتدى به سيدنا اسماعيل « وفديناه بذبح عظيم » ومنذ هذا اليوم والاحتفال كل عام فى صباح العاشر من ذى الحجة بالتقرب الى الله بنحر الذبائح بعد الانتهاء من صلاة العيد . وتوزيعها على فقراء المسلمين بالنسبةلغير الحجاج فيكون النحر قبل التحلل من الاحرام وبعد رمى الجمرةالاولى .. انجاة سيدنا اسماعيل عليه السلام هو نجاة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه من احفاد سيدنا اسماعيل . والاحتفال بهذا الفداء هو احتفال ايضابسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام واحتفال بنجاة العرب من نسل اسماعيل عليه السلام .

ملابس الاحرام :

كانت عادة أهل الجاهلية أن يطوفوا بالبيت الحرام عرايا كيوم ولدتهم أمهاتهم ولكن الاسلام ابطل هذه العادة لقوله صلى الله عليه وسلم «لايطوف بالبيت عريان» فيتجرد الحجاج من ملابسهم العادية ويأتزرون بالازار . وفى هذا تحقيق للوحدة بين المسلمين فيرتدى غنيهم وفقيرهم لباسا واحدا لايعرف هذا من ذاك فكلهم عبيد الله يطلبون منه العفو والغفران . لافرق بين عربى واعجمى ولا بين ابيض واسود كلهم أبناء آدم . وآدم من تراب .

بعد أن ينتهى الحاج من اتمام مناسك الحج يتوجه الى المدينة المنورة لزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم . وزيارة مسجد النبى سنة قبل الحج وبعده لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » وقوله « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى » .

وعندما يقف الحجاج بالمسجد النبوى وعند طوافهم بالمسجد الحرام لابد لهم أن يتذكروا ثالثهم : المسجد الاقصى حيث يحتله الصهيونيون ويدنسون أرضه وينتهكون حرمته . ولابد لهم أن يذكروا اخوانا لهم يعيشون فى ظروف قاسية مروعة تحت الاحتلال الصهيونى أو مشردين بسبب عدوان اسرائيل .وليدعوا ربهم من أجل هؤلاء عسى الله أن يقبل منهم وينصرنا على أعدائنا ويردهم على اعقابهم فلا ينالوا خيرا . انه نعم المولى ونعم النصير .

بقية مقال « فريضة الحج وأثرها فى وحدة المسلمين »

والمسلمون فى تاريخهم الطويل لم ينتصروا على أعدائهم الا بفضل تلك الوحدة الجامعة ، وكانوا حين يتفرقون ويختلفون تضعف قوتهم ويطمع أعداؤهم فيهم ، وأحداث الحروب الصليبية خير شاهد وبرهان ، كما أن انهيار الحياة الاسلامية فى الاندلس والقضاء على الحضارة العربية فى تلك البقعة من أوربا انما كان بسبب التفرق والاختلاف .

٧ ـ والمسلمون فى العصر الحديث فى أمس الحاجة الى وحدة تحمى حقوقهم وترد الطامعين عنهم فقد عدت عليهم الصهيونية النازية بأحلامها العريضة تشد أزرها قوى الاحتكار والاستغلال وسياسة الاستعمار والارهاب ، ولا سبيل أمامهم لرد العدوان وحماية الحياة الكريمة العزيزة التى خلقوا لها وأمروا بالشهادة دونها سوى وحدة لا تعرف التفرق والاختلاف ، وهى وحدة العقيدة التى أمر بها دينهم وأكدتها فرائض شريعتهم ، ومنها الحج الى بيت الله الحرام « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » « **انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم** » .

ان الصهيونية العالمية تكيد للاسلام كيدا خطيرا فى هذه الايام وفرض على المسلمين جميعا أن يهبوا ليدفعوا هذا الكيد بكل ما لديهم من وسائل ، وفى مقدمة هذه الوسائل الوحدة الجامعة التى تتسامى فوق الرغبات والاهواء وبريق الحكم والسلطان واذا كان كيد الصهيونية يصل أذاه الى بعض المسلمين دون بعض فان المسلمين على تباعد أقطارهم أمة واحدة وهم جميعا تحت ولاية واحدة « **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** » وهذه الوحدة تتقاضى المؤمنين التعاون فى السراء والضراء ، وان يهتم كل فرد منهم بمصلحة الجماعة الاسلامية ، لان من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

٨ ـ وبعد فان الذئاب الجائعة من الصهيونيين وسادتهم تتربص بنا وعلى المسلمين ان يوحدوا كلمتهم ويطرحوا كل عوامل الشقاق بينهم ، فالامر جد لا هزل فيه والخطر ماثل لا يدفعه الا تضافر القوى واتحاد الكلمة اتحادا نابعا من الايمان والعقيدة ، اتحادا حقيقيا يتجاوز المظاهر والاقوال الى الحقائق والافعال ، وفى مؤتمر الحجيج الاعظم صورة الوحدة الجامعة التى يجب ان تسود بين المسلمين ، ليسودوا فى الحياة وليكونوا بجدارة خير أمة أخرجت للناس .

أسرار الحج

فضيلة الشيخ محمد أنيس عبادة

العبادات : هى أقصى غاية الخضوع والتذلل ٠

وتستعمل العبادة بمعنى الطاعة ومنه قوله تعالى؟ ألا تعبدوا الشيطان ! ٠ كما تستعمل بمعنى الدعاء ومنه قوله تعالى « ان الذين يستكبرون عن عبادتى ! ٠ وبمعنى التوحيد ومنه قوله تعالى ؟ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » والانسان بامتثاله لاوامر الشارع وعمله بما فرضه الله من أحكام عابد لله تعالى بهذه المعانى كلها ٠ فهو مطيع للامر ٠ وهو بعبادته داع لمولاه ومستجيب لندائه واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » ٠ وهو كذلك موحد لخالقه ٠ والعبد فى أشد الحاجة الى عبادة الرب تحقيقا لحكمة المولى فى خلقه ٠ وقد قرن الامر بالعبادة بذكر النعم العديدة التى أضفاها المولى عليه ٠

ولهذا كان من اعظم ما دعا به ابراهيم ربه ان يجعله مخلصا له فى عبادته ومنقادا لامره ٠ وطلب من الله أن يعلمه المناسك والشعائر التى تقربه منه وتدنيه من رحمته ٠

كذلك كان أمر الله لمحمد صلى الله عليه وسلم **« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » ٠ وقال الخليل رب اجعلنى مقيم الصلاة » ٠**

وذلك لانها العهد الذى أخذه الله على الناس حين خلقهم وأشهدهم على أنفسهم بربوبيته فكانت حقه على عباده ٠

وأما ثمرات العبادات : فهى مما لا يدرك كنهه من فضل الله ورحمته وفى حديث ابن عباس « احفظ الله يحفظك واحفظ الله تجده تجاهك » الحديث ٠ وهى لذلك معراج يصعد به العباد الى شرف نيل مقصودهم من الله بحفظهم وتحقيق مصالحهم ودفع الضر عنهم ٠ ولقد هدى الله خلقه الى كيفية عبادته ٠ فبين لهم الشعائر والمناسك وحدودها. وليس لعبد أن يزيد فيها مبتدعا أو ينقص منها مفرطا ٠ فكل الناس ضال الا من هداه الله ٠ ومن سعة رحمته ووافر نعمه أن جعل فى كل فعل يأتى به العبد عبادة مع حسن النية ٠ وقصد الامتثال . حتى اللقمة يأكلها تقوية على العبادة ٠ أو يضعها فى فم امرأته ليغنيها عن الناس فهى للعبد صدقة ٠

وكذلك صارت العبادات ميزانا يحقق المساواة بين الناس امتثالا وأداء فى زمن واحد وبفعل واحد لا فرق بين جنس وآخر أو لون أو غنى وفقر أو قوة وضعف ٠ هم كذلك فى صلاتهم وصومهم وحجهم وصدقاتهم ٠ الله أكبر نداء تتحطم بقوته الاحوال العارضة والحظوظ الفانية ٠

وبذلك تتحقق الحرية · والعزة الاسلامية · فلا سلطان لاحد · ولا واسطة بين الناس وخالقهم ولا وصاية على متعبد · ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق · لان الله وحده هو النافع الضار وهو وحده مصدر القوة والحول والعزة فله وحده تسجد السموات والارض طوعا وكرها واليه وحده تعنو الجباه « **وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما** »

هكذا وحد بين الناس مفهوم الايمان والاسلام والاحسان · كما وحدت بينهم رسالات السماء المتحدة فى مصدرها وجوهرها ·

فلذلك كانت افعال العبادات فى حقيقتها شكرا لله على نعمه قال تعالى « **فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** » ·

وأخيرا فان العبادات هى التربية الدينية الالهية لتطهير النفوس وترقية الضمير وتربية الاحساس والارادة · ولذلك تنعكس على معاملات الناس تعاونا على البر والتقوى وتكافلا فى السراء والضراء وتبادلا للمبرات وتناصحا وتعاطفا فتصير الجماعة الاسلامية فى اطار التعبد لله كما أخبر الصادق « **كالجسم الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى** » ، « **والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » ·

وأحكام العبادات تعبدية محضة · فلا قياس فيها ولا تعليل لالحاق شىء بها · لان الحكمة العامة لشرعية أحكامها هى الانقياد لله واظهار الرق والعبودية لجلال الله وقدسيته **وقد قسم الغزالى المشروعات الى اقسام ثلاثة :**

الاول منها تعبد محض كالصلاة والصوم · فيؤدى الواجب فيها على الصورة التى طلبها الشارع من غير تغيير · فلا يحل التسبيح محل التكبير فى افتتاح الصلاة ·

والحج على الخصوص قصد التعبد ملحوظ فيه. ولهذا جاءت مشاعره ومناسكه مما لاحظ للنفس أو الطبع فيه · فهو ابتلاء بالتعبد بما لا يعقل العقل معناه · فافعاله على العموم شعائر للايمان واستحضار لذكر الله فى القلوب وقطع لشوائب الجحود بما تسامى عن ادراك العقل لاختيار المؤمن لمعرفة درجته فى الامتثال ووفائه بالعهد المأخوذ عليه « ألست بربكم » ؟ قالوا : بلى ·

قال الغزالى : انه لا وصول الى الله الا بترك كل محبوب من اللذات والشهوات · لان توحيده معناه انفراده بحب القلب · وهذا يستلزم التجرد له فى جميع ما يفعل ويترك بجهاد النفس حتى تخلص لحامدها · وجنة الله هى ثواب العباد وهى محفوفة بالمكاره · وكان لله تعالى قسيسين ورهبانا فى الامم السابقة ألزموا انفسهم بالمجاهدات الشاقة فتركوا حظوظ النفس طمعا فيما عند الله ؟ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ! وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم فى زمن أقبل الناس فيه على الشهوات وهجروا التجرد للعبادة وفتروا عنها · فكانت دعوته لاحياء الاقبال على الله واصلاح شأن الناس فى الدنيا ·

وقد أبدل الله الامة الاسلامية عن الرهبانية بالحج كما قال صلى الله عليه وسلم « أبدلناالله بها الجهاد والتكبير على كل شرف » يعنى الحج ·

وقد شرف الله البيت الحرام فنسبه اليه مع أن كل شىء خلقه وملكه · ونصبه مقصدا لنا وجعل ما حوله حرما آمنا وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه · وأكد حرمة المكان بتحريم الصيد والشجر · وأمر ابراهيم فنادى وأذن فى الناس بالحج فندبنا لزيارته من كل فج شعثا غبرا تواضعا واستكانة لرب البيت مع كمال تنزيهه عن المكان وذلك أبلغ فى العبودية وأتم فى الانقياد . فجاءت افعال الحج مما تسمو على العقول · اذ فى الصوم كسر شهوة النفس وفى الزكاة معاونة وفى الصلاة سجود وتواضع وتعظيم · وهذه أمور يعقلها العقل وتأنس بها النفس أما رمى الجمار والتردد بين الصفا والمروة واستلام الحجر وتقبيله فهو مما لا تأنس به النفوس ولا حظ للطبع فيها · ولا اهتداء للعقل فى فهم معانيها · فهى حين تفعل انما تفعل لمجرد التعظيم للامر · وفى ذلك كمال الرق والعبودية لله · ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى احرامه « **لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا** » ·

الشوق الى الله : وباضافة البيت الى الله والامر بزيارته تكون الرحلة الى البيت قصدا الى رب البيت وزيارة له · وقد ضرب للزيارة موعدا هو أشهر الحج فاجابة الدعوة فى خصوص الموعد المحدد حسن فى الاجابة والامتثال ونظر العين فى الدنيا قاصر لفناء الحياة وتغير أحوالها فتقصر العيون بذلك عن الاستعداد لقبول نور النظر الى وجه الله الكريم لانها لا تطيقه · أما فى الاخرة فان دوام البقاء فيها وعدم التغير قوة ومدد يجعل نظر المؤمن مستعدا لنعيم

النظر الى وجه الله • ومقصود العباد الاسمى هو النظر الى وجهه الكريم فى دار الخلود ومشاهدة النور الاسنى •

وقصد البيت هو قصد لربه وبه يستحق العبد لقاء الله بوعده الكريم • والشوق الى الله يشوق الى الاسباب التى توصل اليه والمحب مشوق دائما الى كل ما يتصل بمحبوبه •

العزم على الحج : وبذلك يكون العزم الى الحج عزما الى مفارقة الاهل والمال والولد والوطن والشهوات متجردا الى الله وبذلك يخلص العمل لله ويتطهر الحاج من الرياء والله تعالى طيب لايقبل الا طيبا •

فيقطع الحاج كل علاقة له مع الناس ويرد المظالم ويتوب عن المعاصى لئلا تكون حائلا بينه وبين ربه • فيتوجه الى الله بقلبه كما سيتوجه الى البيت بظاهره • فيكتب وصيته ويقدر عدم عوده • وليتذكر بقطع العلائق فى سفر الحج قطع العلائق فى سفر الاخرة فانه قريب فما يقدمه فى سفر الحج هو أمل فى تيسير سفر الاخرة وهو المستقر واليه المصير •

الزاد : وليتذكر أن سفر الاخرة أطول وأن زاده التقوى • وهى زاد لا يفارقه ولا يخونه •

الراحلة : وعند صعوده الى الباخرة أو الطائرة يجب عليه أن يحمد الله الذى سخرها له • وأن يتذكر أن مركبه الى الاخرة الجنازة التى تحمله وهو أمر مقطوع به والاول مظنون لاحتمال موته فتكون عنايته بالسفر المقطوع به أهم من عنايته بالمظنون •

ثوب الاحرام : قماش يلفه لزيارة البيت • والكفن ثوب يلفه ليلقى الله • وكلاهما يشبه الاخر فى مخالفة أثواب الدنيا • فاذا أخرج من بلده فهو ذاهب الى ربه متسليا بلقاء البيت • وليكن على ثقة من القبول حتى لو مات فى الطريق فانه قد لقى الله وافدا اليه قال تعالى « **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله !** » •

مواقيت الاحرام : أماكن الاحرام هى الاماكن التى يتعين على كل مسافر للحج ألا يغادرها الا محرما • فليتذكر المحرم بمشاهدة العقبات ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الاهوال • فاذا تخيل قطاع الطريق فليتذكر سؤال الملكين فى القبر • وليتذكر بسباع الصحراء عقارب القبر وديدانه وبانفراده عن الاهل والولد والوطن وحشة القبر ووحدته وليكن فى هذه المخاوف متزودا لمخاوف القبر •

والاحرام والتلبية : مناجاة واجابة للدعوة فليكن بين الرجاء والخوف مترددا • ووقت التلبية هو أول الخطر لان من حج بغير حل ينادى عليه : « **لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يديك !** » • وحشر الناس بالتلبية اجابة لنداء الله « **واذن فى الناس بالحج** » • هو مذكر بحشر الخلق بعد النداء بنفخ الصور وحشرهم من القبور مزدحمين فى عرصات القيامة مجيبين منقسمين الى مقربين وممقوتين •

فاذا دخل مكة فقد انتهى الى الحرم الامن • وفيه رجاء الامن من العقاب • وليكن الحاج دائما فى رجاء القبول فان الكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم والزائر مرعى •

نظر البيت : ووقوع البصر على البيت يوحى بعظمة نعمة الله بمقدار عظمة البيت عند رب البيت فكأنه يشاهد ربه وفى ذلك أمل فى النظر الى وجه الله كما رزقه النظر الى بيته وتلك رتبة تستحق الشكر • وتذكر بتدافع الناس يوم القيامة الى جهة الجنة آملين دخولها كافة ثم انقسامهم الى مأذونين ومصروفين كانقسام الحجاج الى مقبولين ومردودين •

قال الغزالى : ولا تغفل عن أمور الاخرة فى كل ما تراه فان كل افعال الحج مذكرة بالاخرة ثم انتقل على مثال نهجه السابق الى أفعال الحج ومناسكه فحللها تحليلا صوفيا وربطها بالاخرة •

الطواف : هو صلاة يلزم فيه ما يلزم فيها وقال انك بالطواف متشبه بالملائكة الحافين حول العرش والمقصود فى الطواف القلب لا الجسم . والطواف طواف بالقلب فى حضرة الربوبية • والبيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب • وعالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب • والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بأن البيت المعمور فى السموات بازاء الكعبة • فان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت • ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم •

استلام الحجر : واستلامه كأنه مبايعة لله عز وجل على الطاعة وعزيمة على الوفاء بالبيعة فمن غدر فى البيعة استحق المقت • روى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **الحجر الاسود يمين الله عز وجل فى الارض**

يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه ! • وهو من المناسك التى يتجلى فيها الانقياد • ولهذا قال عمر رضى الله عنه • **أللهم انى أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك** •

التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم • طلب للقرب حبا وشوقا لرب البيت والتبرك بالمماسة ورجاء التحصن عن النار فى كل جزء من بدنك لاقى البيت • والتعلق بالستر الحاح فى طلب المغفرة كمن يتعلق بأثواب من أذنب فى حقه المتضرع اليه المظهر له الا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا كرمه وعفوه وأنه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن فى المستقبل •

السعى : وهو يضاهى تردد العبد مرة ومرة رجاء الرحمة ان لم يرحم فى الاولى يرحم فى الثانية • وليتذكر بتردده بين الصفا والمروة تردده فى الميزان بين كفتيه يوم القيامة . يمثل الصفا كفة الحسنات . والمروة بكفة السيئات مترددا بين الرجحان والنقصان وبين العذاب والغفران •

الوقوف بعرفة : ازدحام واصوات وفرق ولغات مع أئمتهم مترددين يسيرون بسيرهم فيذكر ذلك بعرصات القيامة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة • واقتفاء كل أمة نبيها والطمع فى الشفاعة والتحير من القبول والرد • فالزم قلبك الضراعة والابتهال لتكون مع الفائزين وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق • فاذا اجتمعت الهمم للضراعة والابتهال وارتفعت الايدى الى الاعناق وشخصت الابصار الى السماء بهمة واحدة على طلب الرحمة فالله لا يخيب الامال ولذا قيل : ان من أعظم الذنوب أن يحضر الرجل عرفة ويظن الا يغفر له •

فكان مقصود الحج وسره اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الصالحين وهو طريق استدرار الرحمة منه تعالى •

ورمى الجمار : اظهار للعبودية وانقياد للامر من غير حظ للنفس والعقل • وهو تشبه بابراهيم عليه السلام حين عرض له ابليس لعنه الله فى هذا الموضع ليدخل على حجه شبهة • أو يبغض اليه تنفيذ أمر الله فى رؤياه أنه يذبح ولده • فأمره الله بأن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فى فتنة المخلصين .

قال الامام الغزالى ، واجتهد أن تدفع عن نفسك وساوس الشيطان فى أن هذا عمل لا فائدة فيه والحقيقة فى الرمى أنك تدحر الشيطان ولا يحصل ارغامه الا بامتثال أمر الله لمجرد الامر تعظيما .

الهدى : تقرب الى الله بحكم الامتثال • وهو على رجاء أن يعتق الله بكل جزء منه جزءا من المهدى من النار . وكلما كان الهدى اكبر واجراؤه اوفر كان فداء صاحبه اعظم •

زيارة المدينة : وهى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم التى اختارها الله لهجرته وتشريع دينه وجهاد عدوه واظهار دينه • وفيها مقامه وتربة وزيريه وأهل الحق بعده • وليتذكر الزائر لها مواضع اقدام. الرسول صلى الله عليه وسلم • فليكن الزائر على سكينة ووجل ويتذكر مشيه وخطوه وخشوعه • وما استودعه الله من علم وحكمة ورفعة ذكر قرنه به وأنه أحبط عمل من خالفه أو عارضه أو رفع صوته له •

ثم فضل الصحابة ونعمة الله عليهم بمصاحبة رسوله ونظرهم اليه واستماعهم لصوته وكلامه • وليظهر الاسف على أنه لم ينل هذه الرتبة معه أو مع أصحابه • ويجب أن يحرص على شريعته فلا يتركها • ويعظم رجاءه فى أنه سيلقاه يوم القيامة جزاء سفره لزيارته لمحض حبه وشوقه الى آثاره وحائط قبره •

وفى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم يتذكر أنه المكان الذى اختاره الله له ولاصحابه جمع أفضل الخلق فليدخل الزائر خاشعا معظما كأن الرسول حى . لا يمشى ولا يقبل .. ويعلم انه عالم بحضوره وزيارته ويبلغه السلام والصلاة ، ويتمثل صورته الكريمة ويستحضر عظيم رتبته فى القلب • وأنه سبحانه قد وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من الامة وأمام المنبر يستحضر فى ذهنه صعود الرسول صلى الله عليه وسلم ويمثل فى قلبهطلعتهالبهية كأنها على المنبروقد التف حولها المهاجرون والانصار رضى الله عنهم وهو يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته • ويسأل الله عز وجل الا يفارق بينه وبينه يوم القيامة •

فهذا كله وظيفة القلب فى أعمال الحج •

فاذا انتهى من المناسك كلها • كان عليه أن يؤمل فى وجه الله وكرمه قبول عمله • ويعرف ذلك بقلبه بأن يزداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الخلود ويزن أعماله بميزان الشرع • والله يقبل من أحبه • ومن أحبه تولاه وأظهر آثار محبته عليه وكف عنه سطوة عدو الله • فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول برحمة الله وفضله ومنه وكرمه هذه هى الصورة الدقيقة المؤثرة فى تصوير مناسك الحج وفهم أسرارها كما بينها الغزالى رضى الله عنه فى كتابه الاحياء . وقد اقتبسناها منهمختصرة. نسأل الله أن ينفعنا بعلمه وان يهدينا الى مرضاته بطاعته وأن يجزل الثواب لزوار بيته من الطائفين والعاكفين والركع السجود •

من وحي عرفة

الدكتور مصطفى الرافعي

على منبسط شاسع من الرمال وبين سلاسل متعانقة من الجبال والتلال وعلى مسيرة ساعة من مكة البلد الحرام ، يمتد سهل عرفة ، مبتدئا بجامع نمره حيث كان الرسول عليه السلام يجمع صلاتي النهار ، ومنتهيا بجبل الرحمة ، حيث يقف الحجيج فى ضراعة للواحد القهار .

لا يكاد يلتئم شمل الحجاج فى مكة ، وتكتظ بوفد الله ربوع ام القرى ، مع انبلاج الصباح من يوم التروية فى الثامن من ذى الحجة ، حتى تندفع امواج البشر فى زحفها الصاخب الى منى ، حيث تصيب طمأنينة يوم ، وبركة صلوات خمس ، فى مسجد الخيف ، ثم تتراكض فى هرج ومرج الى موقف الحج الاكبر فى عرفات ، تعنق الروح بهم ، اذ يسعون الى مواطن المغفرة ، نورهم بين ايديهم وتخشع قلوبهم لمرآهم ، وقد تجردوا الا من ثياب الاحرام عليهم ، وتتشبث الانظار فى مواكبهم وسحائب الرحمة والرضوان تواكبهم وتثمل الاسماع لنشيدهم وهم يلبون بملء حماستهم ومشاعرهم :

لبيك اللهم لبيك .. لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك

لهم فى ذلك القدوة الحسنة والمثل الاعلى بأشرف الخلق رسول الله ، الذى لا يكاد يبلغ عرفات الا وقد ملكه مزيد الفزع من جلال الحق سبحانه وأخذت عليه بهجة العيش المخافة المتجددة من عظمته وجبروته جل شأنه ، ويترجم عن ذلك كله فى دعائه المأثور يوم عرفة « **اللهم انك ترى مكانى . وتسمع كلامى ، وتعلم سرى وعلانيتى ، ولا يخفى عليك شىء من أمرى ، انا البائس الفقير ، المستغيث المستجير المشفق الوجل المقر بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وادعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته ، وزلت لك جبهته ، وفاضت لك عبرته ، ورغم لك انفه ، لا تجعلنى ربى بدعائك شقيا ، وكن بى رؤوفا رحيما .**

لم هذا الاستغراق فى الدعاء يوم عرفة ! وما سبب الذهول عن النفس والمال ، عند التلبية حول نمرة ؟ وما السر الكامن فى انخلاع القلوب بذل الضراعة على جبل الرحمة ؟

تفرقوا لغة واستجمعوا هدفا
تضمهم رحمة المولى اذا ازدحموا
يستصرخون به كل على وجل
كالطفل من خشية الرحمن منهزم
ولا يميل به الافصاح من عرب
عما تلعثم فى رطن به العجم
يوم هو الحشر فى الدنيافكل أب
عن ابنه بالذى يعنيه منقسم

هذا هو السر المضاعف من الرجاء ، وسبب المزيد من الفزع عند الدعاء ، يوم يصور الحشر فى تلاطم جموعه ، ويعرض للحجيج صورة من يوم المآب ، فى هوله وخشوعه ، من كل أمة قبيل ، ومن كل لون فريق ، ومن كل جنس فئة ، ومن كل لغة جماعة ، الالسنة لاتحسن التخاطب ولكن القلوب فصيحة المناجاة والوجوه لم يسبق لها التعارف ولكن تؤلف بينهم الدموع المزجاة . لو فقد والد ولده ، لشغله الضجيج عن تفقده ، ولو ضلت مرضعة عن صغيرها، لاذهلها الجلال عن تعقبه ، ولو أخطأ الحاج طريق مخيمه لم يجد الوسيلة التى ترده عليه ، ولو شرد الواقف عن زاده وشرابه ، لاستغرق بخطر الموقف عن السعى اليه .

عندئذ يحى فى النفوس عقيدة التوحيد ، وتصرخ فى الاعماق صيحات الحاجة الى العزيز المجيد ، ويستيقن الجميع الا منجى لهم الا بمن هو أقرب اليهم من حبل الوريد .

بل يذكر كل انسان كيف انقطع فى هذه الصحارى عن أهله وعشيرته ، وكيف أفرد فى هذه الابعاد النائية عن جواره وقرابته ، من يسقيه اذا غلبه الظمأ ولا ماء فى قربته ؟ من يطعمه اذا عضه الجوع وقد نفذ الطعام من مزودته ؟ من يسعفه اذا ألم به المرض وهو فارغ اليد من الدواء ؟ من يكفيه حر الهجير اذا لفحته بحرها الرمضاء ؟

فهل فقه المسلمون الحكمة من جمعهم الكبير فى رحاب عرفة ، وحشدهم سحابة يوم كامل فى رقعة من الارض واحدة ؟ هل أدركوا انه المؤتمر الجامع الذى يجب أن يدرسوا فيه قضاياهم الهامة ؟ وانه اللقاء السنوى الذى يتبادلون فيه منافعهم الخاصة والعامة ؟

هل أدركوا ذلك فعملوا به راشدين ، واغتنموها فرصة يخرجون منها متعاونين متساندين متحدين

أيها المسلمون فى كل مكان :

ما فاتكم بالامس فمن الآن فتداركوه ، وما أخطأتم من فضل عرفه من قبل فدونكم اليوم فاغتنموه ، وأنتم أحوج ما تكونون الى الوحدة ، والاحداث التى تقرع أسماعكم تدعو المتخاصمين الى التعاطف وجمع الكلمة ، والدماء التى تسفك كل صباح ومساء تلزمكم الزاما بالعروج فى سماء الايثار والتضحية ، وتناديكم من الاعماق ، أن هلموا الى غسل السخائم والضغينة ، وعودوا الى التآلف الصادق ، فأنتم اليه محتاجون ، واعتصموا بحبل الله جميعا فبه وحدة تنجون وتسلمون « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

الأستاذ محمد دياب

ونحن نخوض أروع معارك الفداء
نظرة الى اقتصاديات الاضاحى

ها هى ذى تعود تلك الايام ..

وأيام ذى الحجة ليست مثل كل الايام .. وشهره ليس مثل كل الشهور .. انه معزف لانبل الذكريات وأروع المعانى وأعظم المبادىء فى تاريخ الانسان ..

فى ذى الحجة عيد التضحية والفداء .. وفى هذا العيد - فى السنة التاسعة للهجرة - أعلنت كلمة الفصل فى علاقة الشرك بالارض العربية المقدسة ، واندحر الطغيان ، وتغيرت الموازين .. وفى السنة العاشرة اكتمل الاسلام تشريعا وبناء وأمة ومجدا : وحدثت التصفية النهائية لطواغيت العدوان ، وتحول موقع المشركين من تدبير للعدوان ومواصلة للعدوان ، الى احباط للعدوان ويأس من العدوان ..

وفى ذى الحجة أيضا ربيع القلوب ومسراها الى الحج .. وفى الحج تجرد له وسعى وهجرة اليه بالجسد والروح، وفى الهجرة المؤمنة الى الله تحول من الضعف الى القوة ، ومن الفرقة الى الوحدة : طريقا وفكرا وهدفا ونضالا ..

وفى العيد كما فى الحج .. تتصاعد الى الله من قلوبنا الصلوات والتلبيات والتكبيرات ، تعبيرا عن تخصيص الله وحده بالعبادة والولاء دون ما سواه ، وطلبا للنصرمن الله العزيز الذى صدق وعده، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده .

مواكب زاخرة بالايمان والتوحيد .. ومهرجان حافل بالتجرد والبذل والاخلاص والصدق ..

ولكننا فى روعة هذه المواكب المؤمنة - بل ومن أجل أن تكتمل روعتها - يجب أن نذكر فى كل لحظة أننا فى معركة مع أعداء الله .. أعداء دينه وكتبه ومقدساته وبيوته وأنبيائه .. وأنه لابديل أمامنا لهذه المعركة ، طريقا لتطهير أرضنا ومقدساتنا من هذا الاستيطان العنصرى ، الذى تريد الامبريالية والاستعمار غرزه فى قلب الامة الاسلامية والعربية بالحديد والنار ..

علينا أن نتذكر ذلك واقعا ماثلا فى كل خطرة وفكرة ..

على أن التذكر وحده لا يكفى .. لابد من تذكر يدفع الى التفكر .. ومن تفكر يدعو الى التدبر .. ومن تدبر يدفع الى مزيد من الدعم المادى لجهودنا الحربية فى هذه المعركة المصيرية المقدسة .. والا كان استحضارنا للمعركة فى مواكب ذى الحجة المؤمنة ، مجرد تجليات وابتهالات ونوايا طيبة لا تجدى وحدها فى صد الخطر الذى يتكتل علينا بشراسة ، ويحشد لنا - بميزان الارقام - كل وسائل الحرب والابادة .. والله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نعد للاعداء كل ما نستطيع من وسائل القوة المادية والمعنوية .

فما هى الفكرة التى يمكن أن نطرحها ونلتقى حولها فى تصورنا لمعنى الفداء فى عيدنا الاضحى وفى الحج ؟

لقد شرعت الاضحية فى السنة الثانية من الهجرة، عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى

المصلى ، فأدى صلاة العيد وخطب فى الناس ، ثم رجع فضحى بكبشين قائلا : **اللهم ان هذا منك واليك ..** وقد ضحى الرسول بأحد الكبشين عن نفسه وأهله ، وبالثانى عن أمته ومنذ ذلك اليوم ظلت الاضحية سنة فى المسلمين ، اقتداء برسول الله ، وتخفيفا عن النفس المؤمنة ، وتذكارا لنعمة الله على ابراهيم عليه السلام بفداء ولده اسماعيل « **وفديناه بذبح عظيم** » .

وكل الامم تقدم القرابين « **لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه** » .. ولكن القربان — الاضحية — فى الاسلام له معنى يختلف عن القرابين فى سائر الامم .. فالاضحية تأكل النار بمعنى أنها تفدى صاحبها يوم القيامة ، وقربان الامم تأكله النار .. وأصحاب القرابين فى الامم الاخرى يطلبون بها أن تفتديهم الحياة ، أما قربان الفداء الذى قبله الله من ابراهيم عن ذبح ولده اسماعيل ، فقد كان قربانا عن الانسان الذى قبل أن يفتدى الحياة ولم يطلب أن تفتديه الحياة ..

ذلك هو معنى الاضحية الذى يستلهم قداسته من ايمان ابراهيم واسماعيل فى الموقف الفاصل العظيم ..

ومن هذه النظرة الاسلامية الى الاضحية .. ومن روح التفكير الاسلامى فى معنى الفداء .. يجب أن يكون تفكيرنا وأن تكون نظرتنا الى الفداء ونحن نخوض أروع معارك الفداء فى هذا العصر ..

لقد كتبت أكثر من مرة — ومنذ عدوان يونيو عام ١٩٦٧ — داعيا الى أهمية التفكير فى ضرورة توجيه جانب من اقتصاديات الاضاحى — والشعائر الدينية عامة — الى المعركة .. فلا ينبغى صرف كل هذه الاقتصاديات لاحياء سنة التضحية ، والغفلة عن توجيه بعضها لاداء فرض ، هو فرض الجهاد المقدس ودعم أسبابه وأدواته بمختلف وسائل الدعم ..

ان الجهاد فى مثل هذه المعركة التى نخوضها اليوم هو فرض عين على كل انسان .. ومن لم يستطع أن يقدم للجهاد روحه ودمه ، فلا أقل من أن يقدم له بعض أموال الاضحية .. وليس هذا افتئاتا على حق الفقراء والمحتاجين فيها ، بل هو فى حقيقته اسهام فى الدفاع عن حقوق الفقراء وغير الفقراء فى الارض والوطن والعدل والامن .. والانسان لايمكن ابدا ان يبخل بقطعة من لحم الاضاحى ، بينما وطنه — بكل ثرواته وحرياته — يهدده الاعداء ..

ان المعنى الذى يجب أن نستحضره ونجسده بأضاحى الفداء اليوم ، هو أن الفداء قائم بالفعل على **خطوط النار وفى جبهات القتال ، وان جنودنا وفدائيينا يفعمون صفحات التاريخ بملاحم البطولة والايمان والتضحية ، وأن طلقة أو بندقية أو قنبلة نضعها فى يد جندى أو فدائى ، معناها أننا نفتديه ليخوض من أجلنا مزيدا من المعارك ، ويحقق لنا مزيدا من الصمود والانتصار ..**

اننا نستطيع أن نفدى الكثيرين من أبطال الجهاد على أرضنا العربية ، اذا نحن خصصنا — ولو نصف قيمة الاضاحى — للتسليح ، فالدعم الحربى — على سبيل المثال — يستطيع أن يكسب حوالى مليونين من الجنيهات من بلد اسلامى واحد ، اذا خصص له نصف قيمة مليون ونصف مليون ذبيحة يستهلكها ذلك البلد فى العيد .. ولنا أن نتصور ماذا يمكن أن يكسبه المجهود الحربى من الاضاحى فى كل البلاد الاسلامية !

وأرجو ألا يتبادر الى ذهن أحد ، أننى أنادى بالغاء شعيرة الاضحية ، وذلك لسبب بسيط وواضح ، وهو أن ما أطلب به هنا لا يمكن أن يتحقق الا ببقاء هذه الشعيرة الاسلامية وممارستها . وما أطلبه — لكى نوفر جانبا من أموالها للحرب — هو أن يشترك أكثر من مسلم واحد فى الاضحية الواحدة ، وهذا لا ينافى أحكام الفقه الاسلامى نفسه ، فالامام أبو حنيفة يرى أنه يجوز أن يشترك فى الاضحية أكثر من شخص واحد وأنها تجزى عنهم جميعا .

وفى هذا الصدد ، أذكر أن المؤتمر الثانى لعلماء المسلمين الذى عقد بالقاهرة منذ عدة سنوات ، كان قد أوصى بانشاء مصانع خاصة لتعبئة لحوم الاضاحى فى الحج ، على أن تكون هذه اللحوم صدقة للفقراء أو سلعة تباع بسعر التكلفة .. ولاشك أن هذه توصية حكيمة .. ومن الممكن أن تكون أكثر حكمة ، لو خصصنا نصف دخل هذه المصانع لمتطلبات المعركة فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الامة العربية والاسلامية ..

اننا سنظل بعيدين عن حكمة مشروعية أضاحى الفداء ، ما لم نبادر بتوجيه جانب من اقتصادياتها لدعم المجهود الحربى والعمل الفدائى الفلسطينى ، اسهاما فى انقاذ أرض الرسالات ومهبط الاديان من أعداء الرسالات والاديان ..

اننا سنظل بعيدين عن استلهام المعنى الحقيقى لقصة الذبح العظيم وموقف ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، اذا نحن لم نتق الله فى فهم التقدير السليم لمتطلبات الموقف وأولويات المعركة ..

وصدق الله تعالى اذ يقول فى كتابه العزيز :

« لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم » .

هجرة أقامت البيت وأسست أمة التوحيد

الأستاذ محمد حسن عبد العزيز

الامة الاسلامية أمة واحدة تعبد الها واحدا وتتجه الى قبلة الخير والتقوى التى اكتسبت من قدسية المكان ما جعلها دائما رمزا للامة الواحدة والدعوة المستمرة للوحدة الاسلامية ٠

والكعبة كانت منذ خلق الله الانسان ولا تزال تحتل فى قلوب الناس تقديسا واحتراما يتوارثونه من قديم الزمن على اختلاف دياناتهم وعقائدهم ٠

ومع حلول شهر ذى الحجة ٠ جلست الى مائدة الرحمن مع القرآن الكريم استجلى منه معانى تلك الهجرة العظيمة التى اقامت البيت وأسست أمة التوحيد ٠

وبهرتنى الاية الكريمة « ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ٠

بهذا الدعاء توجه خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ربه بعد أن ترك وديعته فى رعايته

وكفالته حيث لا راع ولا رفيق ولا انيس فى تلك الصحراء الجدباء القاحلة ٠

ولم يحدثنا القرآن الكريم عن سبب تلك الهجرة ولكن الايام اثبتت فيما بعد حكمتها وهدفها وأن تقوم فى هذه الارض امة يبعث فيهم خاتم الانبياء وسيد المرسلين مكملا لدين ابيه ابراهيم ٠

فقد صدر الامر الالهى لابراهيم أن يرتحل بزوجه هاجر وولدها اسماعيل من أرض الشام الغنية بالبساتين والنخيل والحب والاعناب الكثيرة العيون المتدفقة المياه الى واد غير ذى زرع عند البيت المحرم الذى اقامه أول الناس ادم ، ارتحل من تلك الارض الى مكةذلك الوطن القفرالمجهول الذى لايمسك الماء على الرغم من غزارة الامطار ، ولا تقع عين المرء فيها على نبت أو شجر ، وقد أكسبها موقعها الجغرافى « ٢١ من خطوط العرض شمالا و ٤٠ من خطوط الطول شرقا » حرقة وقيظا ، وقد امتهن اهلها التجارة تأتى بها ابلهم كل عام فى رحلتين من الشرق والغرب شتاء وصيفا ولا حياة لهذا البلد الا بتلك الرحلات المستمرة ٠

كانت الهجرة اذن وحيا من الله

وبعض المصادر قد ذكرت اسبابا كثيرة منها ان السيدة سارة كانت عاقرا ولما ولدت السيدة هاجر اسماعيل اجتاحت قلبها الغيرة وأصرت على خروجها : وان السيدة هاجر كانت من جواريها اللائى أصابهن الخليل مما أصاب من الغنى فى أرض مصر ٠ ومنها ايضا ان السيدتين ولدتا فى آن واحد اسحاق واسماعيل : ولما شب الغلامان تسابقا يوما فسبق اسماعيل اخاه ٠ فاخذه ابوه وأجلسه على حجره واخذ اسحاق الى جواره ٠٠ فغضبت سارة لتفضيل ولد الامة على ولدها : لتغيرن خلقها وتشوهها مما اضطر ابراهيم الى نقل ولده الى أرض الحجاز ٠

وكل هذه الاراء لا سند لها من الحقيقة ، وانما الهجرة كانت بامر من الله ، كذلك فان اسماعيل كان ولا يزال طفلا رضيعا ٠ وكان من البديهى لو كان الامر لعلاج الغيرة لجعل الرجل زوجه وولده فى مكان قريب منه بارض الشام ليطمئن على فلذة كبده بدلا من ذلك الارتحال الكبير حيث واد غير ذى زرع ٠

وارتحل ابراهيم حتى حل بالارض المقدسة تاركا فيها قرة عينه عائدا الى الشام وتذهب اليه زوجه تسأله « اتذهب وتتركنا فى هذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شىء ؟

والرجل لايستطيع الاجابة أو لعله لم يؤمر باجابة ، وزوجه تكرر عليه السؤال ٠ ولما لاحظت عليه عدم الاجابة أحست وكان ذلك امر الله لا يستطيع رده ٠ فقالت « آلله امرك بهذا » ٠

قال : نعم ٠ قالت « اذن لن يضيعنا ، حقا لن يضيعكما الله ايها الضعيفان ٠

وما اقسى الوداع ، وما أغلى الوديعة ، يتركها الرجل حيث لا انيس ولا رفيق ، ولكنه اطمأن بذلك الدعاء وعاد الى أرض الشام ٠

واقامت الام عريشا يحميهما من تقلبات الجو ، ويأويهما من وحشة الصحراء • وما هى الا ايام قلائل حتى نفذ ما معها من زاد وماء وجف در الام ، واشتد الجوع بالطفل وارتفع صوته بالبكاء ، والام حائرة تكادتذهب رأسها شفقة وعجزا، وبدأ الطفل يتشحط وكأنه يموت • فكبر عليها ان ترى موته أمام عينها • فانطلقت تسعى بين الصفا والمروة ثم تعود لترى الطفل لا يزال حيا يتشحط ، فتعود الى سعيها مرة أخرى تخلصا من رؤية موته • وتكرر ذلك سبع مرات • فاذا عادت فى المرة الاخيرة وجدت المعجزة قد حدثت وعناية الله لم تتخل عنها • واذا بعين ماء عذبة قد تفجرت بجوار وليدها فى تلك الارض : الجدباء فشربت وعاد غذاء الطفل يتدفق فى درها • وغدا هذا السعى شعيرة من شعائر الحج « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » .

ولم يكن ذلك السعى كما يقال من ان السيدة هاجر كانت تبحث عن الماء لانها تعلم ان المكان جف لا ماء فيه •وتدفق الماء سر الحياة الخالد ، وبدأت الطيور تحلق فوقها كعادتها ، فاذا مرت قبيلة جرهم شاهدوا الطيور فعلموا انفى الامر شيئا، فاذا أتوا رأوا الماء فسألوا هاجر ، لمن هذا ؟ فلما علموا انه لها ، استأذنوها فى النزول الى جوارها فاذنت لهم وارسلوا الى من كان وراءهم من أهليهم يخبرونهم خبر الماء ، فاتوا واقاموا معهما يؤنسون وحدتهما ويطعمونهما معهم •

وقد أجاب الله دعاء الخليل ، وهذه الافئدة من الناس قد جاءت لتعمر المكان وتؤنس فلذة كبده وأمه وتحميهما مما يحمون منه انفسهم •

وشب الطفل بينهم وتعلم لغتهم ، ولا شك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يزور ولده بين وقت وآخر •

ومرت السنين واسماعيل يزداد كل يوم قوة وشبابا ، والقبائل العربية تتوافد حيث الماء وأصبح المكان مضرب خيام القوافل التجارية .

وجاء أمر الله الى ابراهيم فى رؤية منامية أن يذبح ولده ، وما ان افضى برؤياه الى اسماعيل يسأله الامر ، قال « يا ابت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » •

وكان ذلك امتحانا من الله لابراهيم واسماعيل يذبح الاول ولده تنفيذا لامر الله ويصبر الثانى مضحيا بحياته فى سبيل الله • وقال اسماعيل « يا ابتاه •• اذا أردت ذبحى فاشدد وثاقى لئلا يصيبك شىء من دمى فينقص أجرى وان الموت لشديد ، ولا آمن ان اضطرب عنده اذا وجدت مسه ، فاشحذ شفرتك حتى تجهز على ، فان انت أضجعتنى لتذبحنى فاكفينى على وجهى ولا تضجعنى لجنبى فاننى أخشى أن أنت نظرت الى وجهى أن تدركك الرقة فتحول بينى وبين أمر ربك فى ، وان رأيت ان ترد قميصى الى أمى فانه عسى أن يكون اسلى لها عنى فافعل « قال ابراهيم « نعم العون يا بنى انت على أمر الله ، وشد كتاف الغلام ، وما أن هم بذبحه نودى ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وافتدى الغلام بكبش عظيم وجده ابراهيم على مقربة منه فذبحه •

وفى احدى زيارات الاب لولده صدر الامر ببناء البيت ، فعكف ابراهيم على البناء واسماعيل يناوله الحجارة وهما لا يكفان عن الدعاء : « **ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم** » •

فاذا جاء مكان الحجر الاسود نزل به جبريل من السماء فوضعه ابراهيم فى الركن الاقرب الى الباب ليكون أول حدود البيت بلونه المميز ، ومنه يبدأ الطواف • فاذا تم البناء نادى ربه يدعوه « رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر » •

ثم أمره الله تعالى ان يؤذن فى الناس بالحج : **« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »** ومن يومها والبيت للناس مثابة وامنا ، يذكرون فى رحاب قداسته اسم الله ، ويشهدون عظمته وآلاءه على ما يلقون من مشقة وصعاب فى سبيله ، فلا تلبث ان تتحول الى سعادة وهناء ، ولا يزال نظام الحج كما هو • حتى انتشرت عبادة الاصنام وبدل الناس فيه •

وجاء موعد الارتحال فرفع ابراهيم أكفه للسماء الى الله ان يبارك فى اسرته الصغيرة التى ستكون على مر الايام أمة عظيمة يأتى منها خاتم الانبياء وسيد المرسلين :

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » •

وعاد ابراهيم الى أرض الشام تاركا اسماعيل أمام مسئوليته الكبيرة يهىء البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود •

وتتابعت الايام وبدل الناس فى دين ابراهيم • وشاعت عبادة الاصنام التى شادوها فى حظيرة الكعبة ، وتوجهوا اليها واستعانوا بها من دون الله : وذبحوا لها وذكروا اسمها على ما يذبحون ، وطافوا بالبيت عرايا ، وترفع بعضهم عن الوقوف مع الناس بعرفه • وغيروا فى نظام الحج فجعلوا التلبية التى أوحى بها الى ابراهيم : « لبيك اللهم لبيك • لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه ولا يملك »

وبعث محمد صلى الله عليه وسلم يعيد من جديد خطوات جده ابراهيم على تلك الارض المقدسة ويحقق أمله وامنيته • فتم على يديه تطهير البيت من الاصنام • ورأت قريش أصنامها لا تملك لنفسها نفعا، واذن بلال فوق الكعبة وصلى النبى صلى الله عليه وسلم بالناس اماما• وتساوى الناس جميعافى موسم الحج ما داموا فى موقف العبادة أمام الله الواحد القهار • ووقف ارباب العظمة الزائفة مع الناس فى عرفات وافاضوا معهم من حيث افاضوا ، « ان أولى الناس بابراهيم ، للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين •

وهكذا كانت ثمار هجرة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اقامة البيت وتأسيس امة التوحيد الذى بعث فيها خاتم الانبياء وسيد المرسلين مجددا لدين ابيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام مكملا رسالات السماء متمما نعمة الله •

وهذه الامة العظيمة التى انتشرت فى بقاع الارض شرقا اوغربا وشمالا وجنوبا تؤكد الامة الواحدة •

وفى الحج تظهر امارات هذه الوحدة فى وحدة المكان الذى تؤدى فيه مناسك الحج ووحدة القبلة التى يتجهون اليها ، ووحدة الزمان الذى تقع فيه كل فرائض العبادات ، ووحدة القول والعمل اللذين يلتزمهما الحاج ، ووحدة المظهر الذى يتحتم على الحاج ان لا يخالفه مهما كانت مكانته الاجتماعية ، فالكل سواء أمام الله رب العالمين •

والحج فرصة يجتمع فيها المسلمون مهما اختلفت جنسياتهم ولغاتهم فى جو من الروحانية الخالصة ، « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله » •

ولا شك ان من بين هذه المنافع ان يتكتل المسلمون ويرصدوا كل طاقاتهم المادية والمعنوية أمام عدوهم الذى امتدت يده الى اقدس مقدسات الاسلام والذى تطاول على كتابهم يحاول تحريفه حتى نكون بحق خير امة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر •

« دعاء الزائر لقبر الرسول » صلى الله عليه وسلم

بعد أن يقف الزائر عند رأس الرسول (صلوات الله عليه) ويستقبل القبلة ، وبعد أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك، وعظم قدرك، وعزجاهك، وجل ثناؤك ، ولا اله غيرك ولا حول ولاقوة الابك يارب العالمين• وبعد أن يكثر من الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول :

« اللهم انك قلت وقولك الحق : (ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) ، اللهم أناقد سمعنا قولك وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتب اللهم علينا ، وشفع نبيك فينا، وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك ، اللهم اغفر للمهاجرين والانصار ، واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لاتجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين » •

عيد الأضحى

ذكرت فى مقال سابق بهذه المجلة الغراء حديث سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، المروى عن أنس . حيث قال ، رضى الله عنه :ـ

« قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد للانصار يومين يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ..فقال: قد أبد لكم الله بهما خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر !

وتناولت فى المقال آنف الذكر الحديث عن عيد الفطر المبارك . وهو ما عرف بالعيد الاصغر رمزا له بهذه النعمة العظمى التى كانت أساسا لبناء دولة الاسلام الموحدة والموحدة . دولة الصفاء الروحى والنقاء الوجدانى .. دولة الحق والعدل والهدى والرشاد .. واليوم نردفه بالحديث عن عيد الاضحى المبارك . يوم الاكمال والاتمام . « **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .. فهو عيد اكمال الدين واتمام النعمة ، نعمة الاسلام وتشريعه المحكم وهدايته النيرة التى تملا القلوب ايمانا وقصدا وثقة وعزيمة .

يقبل عيد الاضحى المبارك فى اليوم العاشر من شهر ذى الحجة حاملا معه ذكرياته المجيدة وعبره الخالدة التى تلقى المسلمون الاوائل دروسها فكانت سببا فى اعزاز دينهم ومدعاة الى قوتهم وتركيز سلطانهم .

يشرق ذلك العيد ، هذا العام ، ونحن على اعتاب معركة ضارية بيننا وبين فئة باغية عاتية فنستلهم قوله تعالى : « **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون .**

هذه الاية الكريمة التى تضع حدا لبغى الطغاة وعناد المشركين الذى امتد وطال .. استخدم فيه الطغاة كل ماتفتقت عنه أذهانهم من أساليب الشر وكل مالقى به الشيطان فى روعهم من وسائل الغدر .. فتارة عن طريق الدس والوقيعة .. وحينا عن طريق الكيد والخديعة وآونة عن طريق الشعارات وشن الحروب .. ولم يكن ذلك ليفت فى عضد المسلمين والعرب أو يوهن من عزيمتهم بل قابلوهم بالصمود وجابهوهم بالكفاح والنضال حتى تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

هذا بعض ما يذكرنا به عيدنا الاكبر . ذكريات تملأ النفس أملا وتثير فى القلب بواعث المجد والعظمة فتدفعنا الى العمل الجاد الحازم من أجل تصفية آثار العدوان الغاشم الاثم .

واذا كان لنا ان نستشعر هذه الذكريات وما توحى به من معان جليلة وقيم رفيعة لهذا العيد فلابد ان نشير هنا الى ان قلة من المسلمين لا ينتبهون الى شىء من هذه المعانى التى قصدها الاسلام وأراد منهم ان يفقهوها ويدركوا مراميها ويعملوا على غايتها وهدفها فيحصلوا على خيرها وينعموا بفضلها وثمارها فى انفسهم .

اقول ان هذه القلة لا تدرك شيئا من تلك المعانى سوى الانطلاق والحرية فى المأكل والمشرب يتزاحمون فى الاسواق ويتدافعون بالمناكب امام الحوانيت يبتاعون فيسرفون ويأكلون فيملئون البطون .. حتى أصبح العيد فى تصورهم لا يحمل سوى هذا المعنى المادى . . ونسوا أو تناسوا المعانى الجوهرية التى ربطها الاسلام بهذا اليوم حين اتخذه عيدا للمسلمين ، والتى ترجع فى حقيقتها ومضمونها الى عوامل التقويم الخلقى والتركيز الجماعى فى الاخذ بأسباب بناء الامة ونهضتها والسير بها فى طريق التقدم ، الذى يوحى به استحضار تلك المعانى وانفعال النفوس بها ومعرفة آثارها الماضية .

اقول ان انحراف البعض عن لب الشريعة الاسلامية هو الذى حال بينهم وبين هذه المعانى السامية التى ربطها الله بهذه الشرائع وتلك التكاليف ونستطيع ان ندرك هذا او بعضه من قوله تعالى :

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .. »

ومن قوله عز وجل

« والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوابالصبر

واخيرا من قوله سبحانه وتعالى :

ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا :

والدين الاسلامى لا يتعارض فى كل أحكامه وشرائعه مع الفطرة الانسانية فهو لايلزم الناس ان يتجردوا من طبيعتهم او يكرهوا أنفسهم على غيرها وانما يريد بأحكامه وشرائعه تنظيم هذه الفطرة والسير بها فى طريق الاعتدال الذى يحفظ للعقل البشرى كرامته ويحفظ للروح متعتها وللجسم متعته

هباتك

اقترن كلَ منهما فى كلّ عام بأداء ركن منَ اركان الدين له أثره فى تقويم الخلق وتهذيب النفوس وارتباط القلوب ٠

وإذا كنا قد تحدثنا عن الذكريات المجيدة التى تقترن به بيوم الاضحى ومايبنغى للمسلمين ان يتمثلوه من معانيها السامية ثم اردفنا القول بفطرية الاسلام التى لا تتصادم مع فطرة الانسان » فقد بقى علينا ان نشير الى جملة الشعائر العقيدية التى تصاحب عيد الاضحى ٠

من هذه الشعائر ما هو خاص ببيت الله وما يتبعه من الاماكن المقدسة وهو الحج . فاذا ماحانت الفريضة الكبرى ، فريضة الحج ازدادت رغبة المسلمين فى التوبة فيتجردون من ملابسهم ويغتسلون ويلبسون مايشبه أكفانهم ليشعروا أنهم تجردوا من الدنيا ودخلوا بابا من أبواب الاخرة وينخلعون من أنسابهم وأحسابهم وأموالهم والقابهم ويهرعون الى جناب خالقهم والى مثوبة ربهم والى مشاهد النبوة ومدارك الرسالة ومنازل الوحى . الى حرم الله الآمن بعيدا عن لغوب الدنيا الى واد لازرع فيه يبعث الطمأنينة ولا مفاتن تغرى ٠٠ وانما هو قطعة جرداء كيوم القيامة عندما تتجرد الدنيا من زينتها وزخرفها ومن كل شىء الا من الخلائق فى يوم رهيب بين مالك الملك

ويطوف الحجيج بالكعبة ويقبلون الحجر الاسود ٠٠ وقديما قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانه قد سجل قبلاته الطاهرة ليتبادلها مع مسلمى الارض حتى تقوم الساعة ٠٠ فيضع المسلم شفتيه على الحجر كأنما يتحسس ويلتمس موضع شفتى خاتم النبيين فتكون قبلة وبيعة

ويمضى المسلمون فى مناسكهم وأدعيتهم « **اللهم ان هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذاالامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار فأعذنى من النار ! ٠**

ثم يأتى المسلم مقام ابراهيم وزمزم ويسعى بين الصفا والمروة على مسرح القصة الخالدة قصة الطاعة والايمان والتسليم ٠

قصة القضاء على خرافة تقديم الانسان كقربان للالهة وقد كانت متبعة من قديم ، وطالما اريقت دماء انسانية زكية للاوثان تلبية لهذه العقيدة فجعل الله

المستشار عبد الستار آدم

وبذلك تتم للانسان السعادة من جهاته الثلاث: عقله وروحه وجسمه وهذه هى اسمى أنواع السعادة ٠

وقد عرف الناس الاعياد منذ عرفوا الاجتماع ٠٠ ومامن أمة ، متدينة او غير متدينة متحضرة او غير متحضرة ، الا كان لها بمقتضى تلك السنة عيد أو أعياد تتخفف فيها من أعباء الحياة وتلهو وتلعب بما يناسب تصورها ويلائم هواها ٠

هكذا كان شأن الاسلام فى مشروعية العيد فلم يكد النبى صلى الله عليه وسلم يستقر بالمدينة حتى وجد الانصار يلعبون فى يومين ورثوا اتخاذهما عيدين فقال لهم ـ حسبما تقدم ـ « قد أبدلكما الله بهما خيرا منهما عيد الاضحى وعيد الفطر » فالنبى الكريم أقرهم على اصل الفكرة استجابة لسنة الفطرة ولكنه ، صلوات الله وسلامه عليه ، أبطل يومى الجاهلية كراهية للتنويه بشعائرهم التىكانت مظهرا من مظاهر الانحراف العقلى فيهم ، وعين لهم يومين

سبحانه القضاء على هذه العقيدة الفاسدة على يد الخليل عليه السلام . . وترمز قصة الفداء الى ان الانسان يفدى دمه بدم الحيوان فجزى الله الخليل عن البشرية كلها أحسن الجزاء .

ومن شعائر عيد الاضحى ماهو عام يقوم به المسلمون فى امصارهم المختلفة وبأجناسهم المتباينة : ذلكم التكبير الذى يصدحون به من فجر يوم عرفة الى رابع يوم العيد وفيه يعلنون عقيدتهم فى الله بصفه جماعية جهرية يقررون به أنه اعظم من كل عظيم واكبر من كل كبير فيعظم سلطانهم ولا يجدون امامهم من كبير أو قوى يحول بينهم وبين العزة والسلطان .

وهذه الصلاة الجامعة التى تعرف بصلاة العيد يجتمع لها أهل البلد الواحد ويفتتحون بها يومهم على ذكر الله والوقوف بين يديه ومناجاته واستشعار عظمته ويتخذونها أساسا لعيدهم كيلا ينحرف بهم الفرج الى مايسخط ولا يرضى .

ثم يذبح المسلم اضحيته والاضاحى التى يتقرب بها المسلمون الى الله تعالى صبيحة عيد الاضحى من شعائر الاسلام ثبتت مشروعيتها بالكتاب والسنة والاجماع .. قال تعالى فى سورة الكوثر :

« انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر »

وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال :

« ضحى النبى صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر !

وقد اجمع المسلمون على مشروعيتها .

والتقرب الى الله فيها انما هو باراقة الدماء تخليدا لذلك الحدث . حدث الفداء الذى قبله الله من ابراهيم عليه السلام عن ولده الذى صمم على ذبحه امتثالا وتلبية لامر ربه .. وبها يذكرون ان ماحصل عليه المسلمون من فتح مكة واذعان المشركين وذيوع الاسلام وانتشاره لم يكن سبيله الا عظمة التضحية بالنفس والمال والولد ، وذلك شأن المؤمنين وديدنهم ان أرادوا ان يكونوا مؤمنين أقوياء أعزاء .

واذا كان الاسلام قد بنى عيدى المسلمين على معانى القوة والمجد والسمو والسلطان فانه لم يقته الجانب المادى فى الانسان فيعطيه فى يوم عيده الحق فى التمتع بالجديد من الملابس والشهى من المآكل واجاز له ان يمرح ويلهو بحيث لا يخدش عرضا ولا يقتحم كرامة ولا يمس حرمة .

فهذا عيدنا الاكبر وهذا هو العيد فى الاسلام .. عيد فرح وزينة وشكر وعباده يجمع فيه الانسان بين حظه فى الدنيا والاخرة .. ويذكرنا بالماضى المشرق ويدفعنا الى المستقبل المؤمل .

اعاد الله هذا العيد على المسلمين والعرب بالخير والرفاهية وقد تطهرت ارضنا من رجس الصهيونية والله سبحانه وتعالى هو الموفق

نظرة الإسلام

لو نظرنا نظرة فاحصة الى حقيقة العيدين : الاضحى والفطر ، والحكمة السامية منهما ، لوجدنا أنهما شرعا لغايات نبيلة ، وأهداف جليلة ، فهما ترويح عن نفوس المسلمين ، وشعار لفرحة النصر بعد معركة الجهاد ضد الهوى والنفس ، وتقوية لرابطة الاخوة الاسلامية ، وتحقيق لمبدأ التكافل والاشتراكية ، وتخليص من الخصومات ، وتعزيز للعلاقات والصداقات ، وهما فى الوقت نفسه استمرار لما تعود عليه العرب قبل الاسلام من اقامة الاعياد ، والاحتفال بها فى أيام معينة من كل عام ، حتى لا يشعر المسلم بأن الاسلام قد سلبه حقه فى الترويح عن نفسه ، والاسلام حريص كل الحرص على ابعاد المسلم عن كل ما يصيب نفسه بالسآمة والملل ، والنفور والضجر ، ولذلك فضل الطاعة القليلة التى ترغب صاحبها للاستمرار فيها ، والمداومة عليها ، على الطاعه الكثيرة المبالغ فيها ، والتى لا يستطيع فاعلها المداومة عليها ، ولقد بين لنا سيد المرسلين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا المبدأ الخالد فى قوله : « خير العمل أدومه وان قل » .

فالاسلام جاء والعرب يحتفلون بأعياد كانت لهم فى الجاهلية ، فحرم منها من كان وثيق الصلة بالجاهلية الوثنية ، وشرع لابنائه عيدين من أجمل الاعياد وأمجدها حدد أحدهما بيوم الفطر ، وسمى « العيد الاصغر » ، وحدد ثانيهما بيوم الاضحى ، وسمى « العيد الاكبر » .

يحدثنا انس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قدم المدينة ، فوجد للانصار يومين يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال الرسول : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما : يوم الاضحى ويوم الفطر » .

وبتأمل وتبصر فى تحديد موعد العيدين من كل عام هجرى ، نجد أنهما يعقبان أشق فريضتين من فرائض الاسلام ، فالاسلام ـ كما نعلم ـ مشيد على خمسة

إلى العيدين

الأستاذ مهدي عبد الحميد مصطفى

أعمدة ، ومقام على خمسة أركان ، كما بين ذلك سيد البشرية ـ عليه صلاة الله وسلامه ـ فى اجابته على سؤال أمين الوحى جبريل حين سأله : **ما الاسلام ؟ قال : أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا »** .

فهذه الاركان الخمسة التى شيد عليها صرح الاسلام الخالد لو قارنا بينها ، لوجدنا أن فريضتى الصيام والحج ـ اللذان يعقبهما العيدان ـ أشقها على النفس ، وأحوجها الى الثبات والصبر ، والجلد والصمود ، والتضحية بالمال بجانب الجهد البدنى ، فالشهادتان ـ مثلا ـ عبارتان ينطق بهما اللسان ، ويصدق بمفهومهما القلب ، ويؤمن بمضمونهما وحقيقتهما ، فلا يحتاج هذا الركن الى مشقة جسمانية ، أو تضحية مادية ، وان كان يعتبر هو الاساس الاول للاسلام ، والصلاة ركن يقوم على المشقة الجسمانية فقط ، والزكاة ركن يعتمد على التضحية المادية فحسب ، أما الصوم والحج فيجمعان بين المشقة الجسمانية ، والتضحية المادية ، ولعل القارىء العزيز يتساءل عن التضحية المادية فى الصوم ، فأجيبه : بأن الصوم من مكملاته البذل والصدقة ، بل ان الصوم لا يرفع الى الله الا باخراج زكاة الفطر ، مصداقا لقول خاتم الانبياء والمرسلين : « صوم رمضان معلق بين السماء والارض ، لا يرفع الا بزكاة الفطر » . ومن يعجز عن الصوم أو يهمل فيه ، فانه يكفر عن عجزه أو اهماله بالبذل ، وكلنا يعلم ان المال محبب الى النفس ، آسر لها ، بدليل ان الانسان يسخر جسمه ، ويرهق فكره فى سبيل الحصول على المال ، بل ويعرض نفسه ـ أحيانا ـ للاخطار والمهالك من أجله ، وصدق رب العالمين : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا** » ، وصدق سيد المرسلين : « **لو أن لابن آدم واديا من ذهب ، لتمنى أن يكون له ثان ، ولو كان له ثان لتمنى** أن يكون له ثالث ، ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب ، **ويتوب الله على من تاب** » .

فعبادة تحتاج الى جهد جسمانى ، وبذل مادى ، لا يقوى عليها ، ولا يستطيع الصمود والثبات فى أدائها الا من رزقه الله ايمانا قويا ، وعزيمة صادقة ، وضميرا حيا متيقظا ، وعلى هذا فليس بعجيب أن يكون الانتهاء من هاتين العبادتين عيدا يحتفل به المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ، فهو عنوان النصر ، ودليل الفوز فى اقسى معركة حربية بين الانسان ونفسه .

ومحاربة الانسان لنفسه ، وتغلبه على هواه ، وتحكمه فى عواطفه ، وكبح جماح شهواته ، هو الجهاد الاكبر الذى أخبر عنه أشرف الخلق ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حين قال لاصحابه بعد أن عادوا من احدى الغزوات : « **رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر** » فقالوا : « **وما الجهاد الاكبر يا رسول الله** ؟ قال : « **جهاد النفس والهوى** » .

وما أمتع الترويح عن النفس بعد العناء والتعب ، وما احلى الفرحة بالنصر على الهوى والنفس وكما سبق أن قلنا : ان من أعظم الغايات لمشروعية العيدين ، تقوية رابطة الاخوة الاسلامية ، وتحقيق مبدأ التكافل الاسلامى ، وتعزيز الصداقات ، وتخليص العلاقات من الخصومات ، وهذه الاهداف والغايات نلمس مظاهرها فى العيد ، ففى أول أيامه يجتمع المسلمون فى صلاة جامعة ، يرددون نداء واحدا ، ويدعون ربا واحدا : الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . لا اله الا الله . الله أكبر . الله أكبر ولله الحمد . الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، لا اله الا الله ، وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده ، لا اله الا الله ، ولا نعبد الا اياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . وكلهم فى

مظهر نظيف ، وسمت حسن ، وهذا أدعى الى الالفة والترابط والمحبة ، حيث يتلاقى المسلمون مهنئين ، يعلو البشر وجوههم ، ويعمر السرور قلوبهم ، ولاشك أن ذلك مظهر يحبه الاسلام ، ويحث عليه ، ويدعو له .

كما أن المسلم مطالب باخراج زكاة الفطر فى عيد الفطر ، وباخراج حق الفقراء فى الاضحية فى عيد الاضحى ، واعتبرت الاضحية التى لا يأخذ الفقراء منها حقهم غير مجزئة ، ولا تستحق أن تسمى بالاضحية ، وفى اخراج زكاة الفطر فى عيد الفطر وتوزيع حق الفقراء عليهم فى الاضحية ، تحقيق للتكافل الاجتماعى ، وتنفيذ لمبدأ الاشتراكية الاسلامية ، حيث تصير الفرحة بالعيد عامة بين جميع المسلمين ، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، فالكل مسرور ، والكل موسع عليه ، والفرحة شاملة تملأ كل قلب وتعم كل بيت .

وقد أوصى رسولنا الكريم بالفقراء خيرا فى هذا اليوم العظيم ، فقال : « **اكفوهم – أى الفقراء – ذل السؤال فى ذلك اليوم** » – يعنى يوم العيد – وهنا تظهر أسمى معانى الاشتراكية ، وأرقى أنواع التكافل الاجتماعى ، حيث تجمع الفرحة بالعيد بين الموسر والفقير ، فلم يستأثر بها الموسرون وحدهم ، وانما يشاركهم فيها اخوانهم الفقراء بما آتاهم الله من فضله ، مما فرضه على القادرين لهم فى ذلك اليوم .

ومن مظاهر العيد أيضا التزاور ، والبعد عن المشاحنات ، وفض المنازعات والخصومات ، وتقديم الطعام والشراب للزائرين والمهنئين فى أيام العيد ، ولذلك حرم صوم يومى العيدين ، لتكون الفرحة أكمل ، والمشاركة فى السرور أعم وأشمل .

وعلى هذا فالاعياد الاسلامية رموز حية لمعان حية ، لا مظاهر جوفاء كما يفهمها الكثير من الناس ، فما عيد الفطر الا رمز لمكافأة ربانية ، سيقت للصائمين الصادقين الذين لم يشب صيامهم كذب ولا ضلال ، ورمز لانتصار عظيم فى معركة النفس حول مطالب العيش ، وأغلال المادة ، فهو هدية سماوية يمنحها الاله العظيم لعباده الذين صاموا رمضان كما يريد ، وقاموا بين يديه كما يريد .

وما عيد الاضحى الا رمز لمكافأة ربانية سيقت لمن لبى آذان الخليل ابراهيم ، واستجاب لدعوة العلى الكريم ، وأدى فريضة الحج كما يجب وكما ينبغى ، فغسلت ذنوبه ، وكفرت سيئاته ، وفرح بهذا النصر الكبير ، فعيد الاضحى هدية سماوية يمنحها رب العالمين لزوار بيته الحرام الذين تحملوا مشقة السفر ، ووحشه الغربة ، وتركوا ديارهم وأهلهم وأوطانهم فى سبيل الله ، فاستحقوا الفرحة ، وفازوا بالبشرى ، ورجعوا خالصين من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، وما استحق المسلون هذه المنحة الا لقيامهم بواجب عظيم ، وانتصار روحى كبير .

ويجمل بنا أن نذكر أن بعض الناس لا يفهمون حقيقة الاعياد ، فيظنون أنها انطلاق للنفس بعد تقييدها ، ويحاولون أن يعوضوا ما فاتهم ، فيقبلون على ارتكاب الذنوب ،وفعل المحرمات ، بحجة أن أيام الاعياد أيام فرح ومرح وسرور ، وهؤلاء لم يفهموا للعيد معناه ، ولا للدين مغزاه ، فلم يكن فرح المسلمين بأعيادهم فرح لهو وعبث ، تقتحم فيه الحرمات ، وتنتهك فيه الاعراض ، وتشرب فيه المسكرات والمخدرات ، وتشرد فيه العقول بل وتسلب ، وانما هو فرح زينة وعبادة ، يجمع بين حظى الجسم والروح . ويبقى على أسمى المعانى ، وأجمل الفضائل التى اكتسبها الانسان من صيامه أو حجه ، فترفعه الى أسمى ما ينبغى أن تتجه اليه الانسانية الفاضلة ، واكمل ما يجب أن تحققه الادمية المكرمة ، وانه لما يندى له الجبين ان نرى البعض يستبيحون لانفسهم المحرمات فى أيام الاعياد ظنا منهم أو جهلا أنها عنصر من عناصر البهجة والفرح . أولئك هم الاخسرون أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

نسأل المولى جل علاه أن يجعلنا من الذين يستمعون القول – او يقرأونه – فيتبعون احسنه ،**وان يهدينا الى طريق الرشد والصواب ، وأن يجعل كل أيامنا أعيادا باسمة ، وأفراحا دائمة ، انه سميع الدعاء .**

التاريخ الإسلامى

ماذا تعرف عن العالم الإسلامى

دوله وشعوبه

الاسلام والمسلمون فى جزر الفلبين

الدكتورة عنايات الطحاوى

تقع جزر الفلبين فى جنوب شرقى آسيا وهى عبارة عن عدة جزر تبلغ حوالى ١٧٥٠ جزيرة. ويبلغ عدد المسلمين بالفلبين نحو مليونى نسمة من مجموع السكان الذى يبلغ ٣١ مليون نسمة .

وتمتد جزر الفيلبين من جنوب فرموزا عند خط عرض ٢٠ درجة شمالا فى الاتجاه الجنوبى حتى جزائر سولو عند خط عرض ٥ درجة شمالا تقريبا فى غرب المحيط الهادى .

وتبلغ مساحتها ١١٤٫٤٠٠ ميل مربع تقريبا واكبر الجزر جزيرة لوزون وتبلغ مساحتها حوالى ٤٠٫٨١٤ ميلا ويلى لوزون فى المساحة جزر مندناو وتبلغ مساحتها ٣٦٫٩٠٦ ميلا . وهناك تسع جزر أخرى تلى لوزون ومنداناو فى الاهمية وهى جزر سلمار ، مندورو ، نجروس ، بالون ، باناى ، ليت ، سيبو ، بوهول واخيرا جزيرة ماسبات .

أهم مظاهر السطح

جزر الفلبين عبارة عن سلاسل التوائية تعتبر الحافة النهائية الشرقية للقارة الاسيوية - وتمتد من الشمال للجنوب فهى عبارة عن جبال التوائية وانكسارية وبركانية .

وتنتشر البراكين الثائرة فى الفلبين ومن اعظم براكين العالم مايون فى جزيرة لوزون وبركان (ابو) فى جزر مندناو وارتفاعه قد يصل الى اكثر من ٩٤٥٠ قدم فوق سطح البحر .وسواء كانت البراكين ثائرة او خامدة فهى أهم مظاهر السطح السائدة فى الجزر الفيليبينية . وكثيرا ما تتعرض الجزر التى تثور فيها البراكين لاخطار شديدة فقد تدمر القرى .

وبعض جزر الفلبين عبارة عن جزر بركانية وكثيرا ما تتأثر أيضا بالزلازل .

وقد نتج من انتشار المواد البركانية تربة بركانية خصبة أثرت تأثيرا جيدا فى اقتصاد الفلبين الزراعى .

وفى الناحية الجنوبية الشرقية من جزر الفلبين بالقرب من السواحل الجنوبية الشرقية توجد أعمق منطقة فى المحيط الهادى فالمنطقة التى تجاور ساحل مندناو يصل عمقها الى ٣٥٫٤١٠ قدم تحت مستوى سطح البحر .

الاحوال المناخية

تقع جزر الفلبين فى النطاق الموسمى الاسيوى ويمكن تقسيمها الى الاقاليم المناخية الاتية .

١ - المناطق الغربية ويتميز فيها فصل ممطر من ١٥ يونيه حتى أوائل ديسمبر بسبب الرياح الموسمية وتسقط الامطار الغزيرة على سفوح الجبال . ثم يبدأ الفصل الجاف ويستمر تدريجيا مع ارتفاع فى درجة الحرارة التى تصل فى المتوسط الى ٧٠ درجة او ٨٠

درجة فهرنهيت . ولكن الارتفاع وتأثير البحار يجعل الطقس لطيفا ملائما للسكنى .

٢ ـ المناطق الشرقية وتمتاز بسقوط الامطار طول العام ولكن مع زيادة واضحة بين شهرى ديسمبر ومايو .

٣ ـ المناطق الوسطى وهى فى الواقع منطقة انتقالية بين الاجزاء الغربية والشرقية من الجزر . والوديان الداخلية اقل مطرا من الجهات الساحلية .

وأهم ظاهرة مناخية أعاصير التيفون فليس هناك جزء فى قارة آسيا كلها يتعرض للتيفون كما تتعرض جزر الفلبين لها . وتقاس الاجزاء الوسطى والشمالية كثيرا من تلك العواصف المدمرة التى تهب فى الفترة من أبريل الى ديسمبر .

وتظهر هذه الرياح اولا فوق جزائر كارولين ومارشال ثم تتحرك الى جزر الفلبين وتواصل طريقها الى الصين واليابان .

وتسقط الامطار الغزيرة وتدمر المزارع خصوصا مزارع قصب السكر وأشجار جوز الهند وتدمر المشاريع القائمة فى حقول الارز كما أنها تسبب آثارا سيئة فى الملاحة البحرية .

وتنمو الغابات الاستوائية على سفوح الجبال التى تسقط أمطارها طول العام وهى عبارة عن أشجار الابنوس وخشب الورد والكابلى والنخيل وأشجار الفاكهة كالموز والاناناس .

وفى الجهات التى يزيد فيها المطر فى الصيف تنمو الغابات الموسمية واهمها التك والغاب والصندل والكافور وأشجار الفاكهة وجوز الهند والخيزران .

أما المناطق القليلة المطر فتنمو بها الحشائش بينما تظهر الاشجار بالقرب من مجارى الانهار .

اقتصاديات الفلبين

اولا ـ الانتاج الزراعى

أهم المناطق الزراعية وسط وجنوب لوزون وجنوب بناى وغرب نجرو وليث . وتعتمد الزراعة على الامطار فى جهات كثيرة ولكن بعض الاراضى تروى وتزرع محصولين فى السنة فى نحو ٨ فى المائة من مساحة الاراضى الزراعية أما بقية الاراضى الزراعية فتزرع مرة واحدة .

ا ـ والارز : أهم محصول فى جزر الفلبين ويتوقف على نجاح زراعته حياة ملايين من السكان . وأرز السهول أهم من أرز المرتفعات الذى يزرع على المدرجات ويغل محصولا أقل من محصول ارز السهول الذى يعتمد على الرى او المطر او الاثنين معا .

ويعتبر الارز فى مقدمة المحاصيل الغذائية حيث لا يتعرض للتلف عند تخزينه ويلائم الظروف الطبيعية السائدة ويعمل على تحسين التربة . ويحتل الارز نصف المساحة المزروعة فى الفلبين .

وهناك مجهودات تبذل لزيادة محصول الارز عن طريق زيادة مساحته والعناية بزراعته وتستخدم اربعة طرق لزراعته .

١ ـ طريقة الشتل وعندما يصبح النبات طوله نصف قدم ينقل للحقل بعد ذلك .

٢ ـ طريقة بذر الحب فى الحقول المغمورة بالمياه .

٣ ـ أرز المرتفعات ويزرع على سفوح الجبال فى مدرجات .

٤ ـ يزرع الارز فى الاراضى التى أزيلت غاباتها بعد حرقها وتقوم زراعته بعد ذلك .

ب ـ القنب : ويسمى قنب مانيلا وهو اعظم محصول نقدى وتصنع منه الحبال القوية لمتانة اليافه وينقسم الى نوعين :

القنب الناعم .   والقنب الخشن .

والقنب الخشن له أهمية خاصة فى تجارة الفلبين الخارجية ويحصل على اليافه من لحاء الاوراق الضخمة . وينمو عادة على سفوح الجبال والمنحدرات العالية حيث الامطار غزيرة ومستمرة لمدة طويلة .

وبعد أن ينضج نبات القنب يقطع ويوضع فى الماء لعدة أيام لازالة المادة اللزجة العالقة فى الالياف وتنزع قشرته وتحتاج هذه العملية لمهارة ودقة فاذا طالت المدة أو قصرت اثرت على نقاوة الالياف .

وأهم مناطق زراعته جزر مندناو .

جـ ـ جوز الهند : ويزرع فى وسط الجزر وشرقها ولا يزرع مطلقا فى الاجزاء الشمالية لانها تتعرض لاعاصير التيفون التى تساعد على نمو شجرة جوز الهند فتدمرها ويسقط ثمارها قبل نضجها ـ كذلك يزرع فى السهول ذات الصرف الجيد مثل السفوح

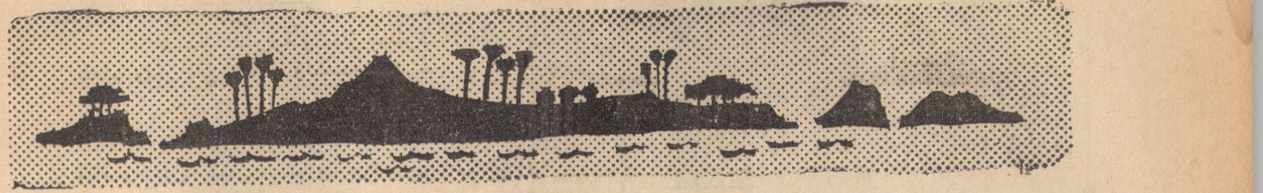

المنخفضة لجبل بانهاو ويصل ارتفاع الشجرة حوالى ٣٣ قدم وتبدأ فى الانتاج بعد ست سنوات وتستمر لمدة ٣٠ أو ٤٠ سنة • وجوز الهند من أهم صادرات جزر الفلبين وتعتبر الثانية بعد أندونيسا فى تصدير زيت جوز الهند المجفف • وقد زاد الطلب عليه وتستورد الولايات المتحدة معظم انتاجها لصناعة الصابون والنباتين والجلسرين والشحم •

د ـ قصب السكر : يزرع قصب السكر فى نجرو ووسط لوزون حيث التربة البركانية الخصبية كذلك لوجود فصل جفاف وتستخدم الفلبين المعاصر الحديثة لانتاج السكر •

وقد بلغ انتاج قصب السكر حدا كبيرا فبعد ان كان انتاج الفلبين منه حوالى ٢ فى المائة من الانتاج العالمى نجده ارتفع الان ووصل الى ١٦ فى المائة من الانتاج العالمى • ويصدر للولايات المتحدة منه ٩٠٠٠٠٠ طن مترى سنويا •

هـ ـ التبغ : ويزرع فى شمال لوزون ويعتبر الان المحصول الثانى بعد الارز وجوز الهند وقصب السكر ويستهلك منه كميات ضخمة ويصدر الباقى •

ثانيا ـ الانتاج المعدنى :

يوجد بجزر الفلبين مناجم ذهب وصل انتاجها حدا كبيرا وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية • كذلك تنتج كميات كبيرة من الفضة من مناجم شمال لوزون •

كما توجد مناجم الحديد فى شرق لوزون وجزيرة سامار وشرق مندناو ووصل انتاج الحديد الى ١ر٦٠٠٠٠٠ طن مترى وبلغ انتاج الفحم حوالى ١٢٧ر١٧٨ طن مترى •

أما النحاس فبلغ انتاجها منه أيضا حوالى ٣٢ر٦٤٩ طن متر وذلك تبعا لاحصائية (عام ١٩٥٧) .

ويوجد بالفليبين بترول ولا يعرف بالضبط كمياته ولكن معظمه يوجد حول مدينة داقاو وتشمل حقوله مساحة تقدر بحوالى ١٧٠٠ كيلو متر مربع • ويقدر أن باطن الفيلبين يشتمل على كميات ضخمة من البترول •

ثالثا ـ الانتاج الصناعى :

لا تزال توجد مجموعة من الحرف التقليدية تمارس فى جزر الفلبين مثل صناعة السلال وأنواع عديدة من الحصير والقبعات والغزل وشباك الصيد والقوارب وبعض الآلات والأدوات المعدنية ومن المنتجات المشهورة انواع الحلى والزينة المحلية •

واكثر من نصف مليون من السكان يشتغل بالحرف اليدوية والميتجات اليدوية .

والى جانب ما تقدم تصنع مجموعة كبيرة من المنتجات الغذائية • والمنسوجات والاسمنت والزجاج والاثاث والصابون وادوات التجميل والمنتجات المعدنية •

سكان جزر الفلبين

يبلغ عدد السكان فى الفلبين ٣١ مليون نسمة ومعظم السكان الاصليين من المغول وثقافتهم ملاوية • ويتكلمون بما لايقل عن ٨٧ لغة مختلفة • ولكن اللغة الانجليزية هى اللغة الرئيسية وتدرس فى جميع المراحل التعليمية وكذلك نجد اللغة الاسبانية هذا فضلا عن اللغات المحلية المتعددة •

وتوجد أقلية من الصينيين واليابانيين فى جزر الفلبين •

ويبلغ عدد سكان مانيلا وهى العاصمة اكثر من مليون نسمة • وهى مركز صناعى وتجارى ويقوم نشاطها على اكتاف الصينين •

المسلمون فى الفلبين

١ ـ دخل الاسلام الى جزر الفلبين فى أواخر القرن الرابع عشر على يد الدعاة العرب والايرانيين والهنود والملاويين والتجار والرحالة •

٢ ـ وعندما قهرت أسبانيا الفلبين فى القرن السادس عشر كان الاسلام قد انتشر الى حد أن معظم الطبقة الحاكمة فى مئات السلطنات والامارات والجماعات القبلية كانوا مسلمين •

٣ ـ جاءت أسبانيا سنة ١٥٢١ وبدأت فى غزو المنطقة وفرض المسيحية فى آن واحد • وقد سقطت المناطق التى لم يكن الاسلام قد تأصل فيها فريسة سهلة أمام قوة أسبانيا الا أن المسلمين فى المناطق التى كان الاسلام قد استقر فيها واصلوا مقاومتهم حتى نهاية القرن التاسع عشر حين آتت الولايات المتحدة فطردت أسبانيا •

٤ ـ ولما اضطلعت أمريكا بالامر من بعد أسبانيا كانت المساحة غير المغلوبة من الفلبين تشتمل على

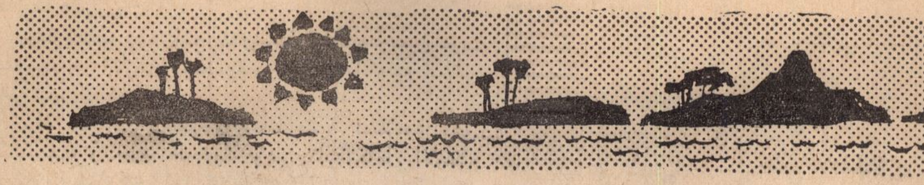

سلطنة سولو ونحو نصف جزيرة ماندناو حيث احتمى حوالى مليون ونصف مليون من السكان الذين عانوا كثيرا وقاسوا مرارة الحياة نتيجة لقتال مستمر دام ثلاثة قرون مع الغزاة الاجانب ٠

٥ ـ استمرت المقاومة فى عهد الامريكيين ولكن هؤلاء كانت لهم سياسة مختلفة ولم يفلحوا قط فى ادماج المناطق الاسلامية وشمولها تحت الرقابة الادارية لحكومة الفلبين ٠

والان ٠٠ بعد هذه المقدمة المختصرة عن تاريخ الاستعمار لجزر الفيلبين وأثره على الاسلام نتناول حالة الاسلام من عام ١٩٠٠ حتى عام ١٩٥٠ وما بعدها ٠

١ ـ فى بداية الحكم الامريكى كانت الروح الاسلامية عالية وقوية جدا الا أن الثقافة الغربية والتعليم فى ظل الحكم الامريكى لم يكن بطبيعة الحال مشجعا لنمو الاسلام نموا صحيحا سليما ٠

وكل معرفة او علم بالاسلام كان يكتسب عن طريق المدارس او الكتاتيب الاولية التى عفا عليها الدهر ومضى زمانها ومدرسوها العاجزون القاصرون عن تلقين المعرفة الصحيحة ٠

٢ ـ وفى سنة ١٩٥٠ حدث تحول فى الاتجاه نحو الاسلام وبرز قادة للفكر بين المسلمين وسبب ذلك يرجع الى زيارة قام بها الداعية الهندى مولانا (عبد العليم صديق) والتى حركت المسلمين وأيقظتهم وفتحت اعينهم على اخطار ضياع الاسلام فى بلادهم ٠

وكان من أثر زيارته أن ظهرت أنواع مختلفة من النشاط ٠

كنشاط جمعية المسلمين التى دبت فيها الحياة والمدارس التى انشئت حديثا وفق الاساليب الجديدة والتى غدت اداة قوية لانتشار الاسلام والدفاع عنه ٠

٣ ـ ان روح الدفاع عن الاسلام ونشره بين المسلمين قد اكتسبت حافزا وقوة دافعة محركة بفضل الاتصال الجديد بالعالم الاسلامى عن طريق نشاط جمعية المسلمين بالفلبين ٠

ان العطف الذى لا قوة فى البلاد الاسلامية ولا سيما فى الجمهورية العربية المتحدة التى قدمت كثيرا من المساعدات التى هم فى أشد الحاجة اليها فى صورة منح دراسية فى الازهر الشريف وفى معاهد العلم الاخرى فى القاهرة وأيفاد اساتذة ووعاظ عرب الى الفلبين قد شحذ عزائمهم وزاد وجدد قواهم ٠

كما أن زيارة كبار الشخصيات الاسلامية من مصر قد اضافت المزيد من القوة الدافعة والحافزة الى روح المسلمين العالية ٠

الجهود الحالية لمسلمى الفلبين

ان جهود المسلمين فى الاونة الراهنة من الناحية الدينية تتركز حول مشروعات الجمعية الاسلامية للفلبين وهى هيئة دينية ـ اجتماعية حضرية أسسها فى الاصل الهنود المسلمون المقيمون فى مانيلا عاصمة الفلبين عام ١٩٢٦ ٠ وبعد يقظة مسلمى الفلبين تولى قادة الفكر زعامة هذه الجمعية وجعلوا منها اداتهم الوطنية لنهضتهم الاجتماعية والدينية وفى نفس الوقت انشأت فى كل المناطق الاسلامية عددا من المنظمات المحلية ٠

ومن أهم المراكز الاسلامية فى الفلبين المركز الثقافى فى مانيلا ويرجع الفضل فى دفعه وتشجيعه ليرى النور الى الجمهورية العربية المتحدة ويشتمل المركز على مسجد ومكتبة وقاعة للمحاضرات ومدرسة ٠ وسيكون المركز مصدر الهام روحى واشعاع ينشر الثقافة الاسلامية الصحيحة ٠ والبحوث والافكار الرشيدة لا فى الفلبين فحسب بل وفى جميع أنحاء جنوب شرقى اسيا وتدخل فى ذلك اليابان وكوريا ٠

وتعتزم الجمعية أيضا انشاء مركز للطباعة والنشر فى مانيلا مزود بجهاز طباعة بالحروف العربية والانجليزية لطبع المجلات والكتب وغير ذلك من الموضوعات الاسلامية مع ترجمتها الى اللغات واللهجات المحلية وتقوم الجمعية فى الوقت الراهن باصدار مجلة اسبوعية اسمها « مجلة الهلال » ٠

ونظرا لحاجة الشباب المسلم فى الفلبين الى الاستزادة من مناهل العلوم والثقافة الاسلامية قبلت جامعة الازهر بالتعاون مع المؤتمر الاسلامى بعض الطلاب الفلبيين وقدمت اليهم منحا دراسية خاصة ٠

ويبلغ عدد الطلاب الفلبيين بجامعات الجمهورية العربية المتحدة حوالى المائتين والثمانين وقدمت لهم منح دراسية من المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

قدرها عشرون .

وقد أعقب هذه المنح الدراسية ايفاد مدرسين عرب بعضهم من الازهر وبعضهم من وزارة التعليم العالى الى جزر الفلبين .

وقد انشأت الجميعة أيضا كلية اسلامية وفق الاساليب والطرق الحديثة وهى كلية كامل الاسلام وذلك فى سنة ١٩٥٥ .

ويدرس الدين الاسلامى بها كما تدرس اللغة العربية . وقد بدأت بمائة وستين طالبا واضحى عدد الطلاب اليوم حوالى الفى طالب وقد منحت كليات كامل الاسلام الدرجات العلمية فى الاداب والفنون والفلسفة والعلوم الانسانية من أصول الدين والفقه الاسلامى والتاريخ واللغة العربية وآدابها كمواد اساسية وحصلت على اعتراف الحكومة بذلك .

والمسلمون اليوم فى حزر الفلبين فى ازدياد مضطرد اذ يتراوح عددهم بين المليونين والثلاثة ملايين من المجموع الكلى للسكان البالغ حوالى ٣١ مليونا .

ويغلب على مسلمى الفلبين المذهب الشافعى وهم ينتشرون فى كوناباتو ، دافوا ، ، سولو ، وزامبونجا .

والمسلمون فى جزر الفلبين حريصون كل الحرص على أن تبعث اليهم الجمهورية العربية المتحدة بمن يقومون بتفقيه وتعليم اللغة العربية لابنائهم فى المدارس والمعاهد الاسلامية التى حرص الفلبيون على اقامتها كى ينشأ صغارهم على مبادىء وقيم الدين الاسلامى الحنيف .

ويعتز المسلمون فى الفيلبين بدينهم اعتزازا ظاهرا .

ويفخرون به يظهر ذلك جليا فى كل المناسبات الاسلامية فهم يحرصون على اقامة حفل كبير بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج كما يقيمون حفلا آخر يوم عاشوراء .

أما الاحتفال الكبير الذى يعدون له العدة كل عام فهو احتفالهم بالمولد النبوى الشريف فهم يبذلون قصارى جهدهم فى تنظيمه والارتفاع به الى اعلى مستوى من الاحتفالات اذ يستمر طوال شهر ربيع الاول .

وتوجد فى جزر الفلبين المساجد والمعاهد والجامعات الاسلامية . فهناك من المساجد مسجد كوتاباتو ومسجد دافو ومسجد لانوا ومسجد سولو ومسجد مانيلا ومسجد بارانج وهناك أيضا مسجد مشهور يسمى بمسجد الامام الشافعى .

وتلحق الجمعيات الاسلامية بالمساجد وأهمها جمعية مسلمى الفلبين ويرأسها السيد « احمد النتو » هذا فضلا عن جامعة كامل الاسلام التى تحدثنا عنها ثم معهد الدراسات الاسلامية ـ هذا الى جانب المعاهد التى تقوم بتحفيظ القرآن .

ويزداد عدد المسلمين فى جزر الفلبين يوما بعد يوم وسيجىء اليوم الذى نرى فيه أهالى الفلبين جميعا وقد تدينوا بالدين الحنيف . (انه سميع مجيب) .

قضية فلسطين

تناولنا فى لقائنا السابق « اوجه التشابه » بين اسرائيل وأمريكا من حيث الهدف ومن حيث الاسلوب .. بوصفه حلقة من حلقات الصراع .. فالقوى المعادية للتحرر تتجمع وتنسق بين أساليبها فى العمل على قتل ارادة التحرر لدى الشعوب ..

واذا كانت امريكا قد اصطدمت باحتمال الهزيمة فى فيتنام ، فان اسرائيل باتت تواجه هذا الاحتمال نفسه الان على ارض فلسطين .

وهذا ينقلنا الى الحديث عن شعب فلسطين المناضل .. فى ارض المعركة ، مع الانطلاقات الاولى .. بداية الشرارة التى اندلعت ... والنار التى اوقدتها ثورة شعب ظن العالم انه قد ضاع ، أو تبدد أشتاتا وطويت صفحته واصبح من ذكريات التاريخ ، أو هكذا ـ على الاصح ـ حاولت صحف الغرب وأجهزته الصهيونية أن ترسخ فى أذهان الشعوب .

فكيف حدثت المعجزة ؟ كيف استطاعت الطلائع الثورية للشعب الفلسطينى ان تفرض وجودها على ارض الواقع .. ارض المعركة رغم ظروف بالغة الصعوبة .. ظروف الواقع الفلسطينى نفسه الذى كان قد تحول الى أشتات شعب يعيش معظمه فى مخيمات تعصف بها الرياح العاتية فى الشتاء البارد بعيدا عن أرضه .. ووطنه الذى باتت ترفرف عليه راية الصهيونية ؟ كيف بدأت الخطوة الاولى فى رحلة طويلة .. رحلة شاقة نحو تحرير الوطن الفلسطينى بأيدى ودماء ابنائه ؟؟

كانت مجموعات التنظيم السرى لطلائع الثورة الفلسطينية قد بدأت خلال عام ١٩٦٤ تنتشر فى عدد من مدن وقرى الضفة الغربية .. بدأت العمل فى جو من السرية التامة .. وكان التدريب على السلاح يجرى داخل البيوت وفى أماكن اخرى .. وفى البداية اعتمد الرجال على مقدرتهم الشخصية فى صنع المتفجرات من بقايا الذخائر القديمة ، كما حصلوا على بعض البنادق القديمة والمدافع الرشاشة ... وتمكنوا بصعوبة كبيرة من شراء بعض المسدسات والقنابل اليدوية ، تم تهريبها الى داخل الاردن عبر الحدود بواسطة علب الحلويات وجيوب المعاطف وعلى دفعات صغيرة ..

و « بعد ان استكملت خلايانا السرية تدريباتها العسكرية » ـ والكلام هنا على لسان أحد المسئولين فى العمل الثورى الفلسطينى فى ذكرى مرور خمس سنوات على بداية النضال المتلح ـ « بدأت بالقيام بعمليات استطلاع واسعة لدراسة الارض التى يحتلها العدو والتعرف على طبيعتها وتحديد المواقع الحساسة بالنسبة للعدو والتى من المقرر ان تستهدفها العمليات الاولى ».

- في ذكرى مرور خمس سنوات على بداية النضال الفلسطيني المسلح ..
- البذور الاولى للثورة الفلسطينية ..
- كيف كانت تتم عملية تمويل الحركة السرية؟!
- قصة العملية الاولى .. من ملاحم البطولة..
- « فى انتظار القمر » رسالة بالغة الاهمية ..
- عشرة اهداف تم ضربها فى الليلة الاولى ..
- كيف كانت مشاعر الرجال فى لحظات اختلط فيها الخوف بالامل والشعور بثقل المسئولية؟

من بدايتها الى ذروتها

الأستاذ عثمان عبد السميع العدل

ولعل من أهم التساؤلات الان فى ضوء الظروف الصعبة لبداية التشكيل المسلح للثورة الفلسطينية ، والتى كان لابد لها ان تبدأ فى جو من التكتم الشديد : كيف كانت تتم عملية تمويل الحركة أيام مراحل تكوينها السرى ؟

لم يعد سرا الان ان طبيعة مرحلة ما قبل الانطلاقة المسلحة فرضت على اعضاء الحركة انفسهم أن يتحملوا نفقاتها ، وهو عبء باهظ تحملوه بشجاعة نادرة ، بل هى صفحة من صفحات الجهاد لابد أن يذكرها التاريخ بحروف من نور لهؤلاء الرواد الذين آلوا على انفسهم أن ينتزعوا الامل من براثن اليأس .. وأن يضيئوا ارواحهم شموعا على درب محفوف بصنوف المهالك ..

ولقد تحمل أعضاء الحركة الكثير فى سبيل تأمين احتياجاتها العادية ودفع جميع الاعضاء كافة مدخراتهم الى صندوق الحركة لتتمكن من المضى فى التجهيز للانطلاقة العسكرية بالاضافة الى التزاماتهم نحو أسرهم ..

وذات مساء من شهر ديسمبر ١٩٦٤ وفى بيت متواضع التأم أعضاء قيادة حركة التحرير الفلسطينى فى اهم اجتماع فى تاريخها .. وكان الموضوع الوحيد هو « تحديد موعد تفجير الثورة » .

وفى ذلك الاجتماع الخطير نوقشت كل المخاطر التى تواجه شعب فلسطين وبعضها نابع من واقعه ، والبعض الاخر مرجعه الى تناقضات تفرض نفسها على الامة العربية ، وتضع معوقات خطيرة على الطريق ، كذلك مخاطر ناشئة عن واقع العدو الصهيونى نفسه ..

وعلى الفور كانت الاجابة الوحيدة المقنعة هى ان « الرصاصة فقط هى التى تستطيع ان تذيب كل تناقضات الشعب وتوحده» .

وبعد القرار الحاسم .. انتقل النقاش بين الرجال الى حوار حول اختيار اسم يصبح عنوانا لقوات باتت على ابواب اشعال الثورة الفلسطينية المسلحة ..

ومع الخيوط الاولى من الفجر بزغ على السنة النخبة من طلائع الشعب الفلسطينى اسم « العاصفة » .. وهو اسم اصبح يتردد الان بين آفاق الدنيا بوصفه اكبر تنظيم مسلح للشعب الفلسطينى ..

وقبل ان ينفض الاجتماع الخطير كان موعد الانطلاقة قد تحدد « بفجر الاول من يناير عام ١٩٦٥ » .

وتقرر كذلك ان تقوم عشر مجموعات من قوات العاصفة بتنفيذ عشر عمليات فى ليلة الانطلاقة الاولى تغطى بها مناطق كثيرة من الارض المحتلة وذلك لاحباط اى محاولة من العدو للانكار ..

وقد روعى فى اختيار احد الاهداف ان يكون ضربة مباشرة لمشروعات اسرائيل فى تحويل مجرى نهر الاردن ، ومن ثم تقرر نسف نفق « عيلبون » فى سهل « البطوف » ..

ومن الجدير بالذكر ان الجانب الاعلامى لانطلاق المقاومة المسلحة الفلسطينية لاقى صعوبات شديدة كانت تستلزم من التدبير والتخطيط والجهد ما لا يقل عن التخطيط للعمليات العسكرية نفسها .

وبدأت خطوات التنفيذ وهى فى ملامحها تشبه احدى قصص الملاحم التى يتغنى بها الرواة والشعراء :

فى يوم ٢٥ ديسمبر وصل الى الاردن اثنان من اعضاء القيادة ، وامامهم كانت مهام معقدة ، منها :

- استنفار أعضاء التنظيم ، وتهيئتهم لساعة الصفر .
- نقل بعض الاسلحة والمتفجرات الى المراكز التى تقرر ان تنطلق منها المجموعات .

● تخطى – حواجز الامن ونقط التفتيش دون اثارة اية شبهة ..

● تأمين المصاريف المادية اللازمة لاتخاذ ترتيبات البدء .

وبدأ الافراد يلتقون فى نقطة التجمع ، كل ترك عمله ، وأسرته ، وذهب يحمل شرف الجهاد فى أول وأخطر مهمة طال انتظارها بعض سنوات طويلة من الضياع واليأس ..

وأعقب ذلك نقل الاسلحة من مخابئها المتفرقة الى نقاط التجمع ..

وقد تلقت القيادة رسالة من ثلاث كلمات : « نحن ننتظر القمر » .. وتنفس الجميع الصعداء .. فقد كان القمر فى الرسالة هو فجر اليوم الاول من يناير .. وهذا معناه ان الامور تسير حسب الخطة الموضوعة ..

ولم يعد سرا الان ان المجموعات العشر التى نزلت الى الميدان فى ساعة الصفر لم تكن تضم اكثر من ٨٢ مقاتلا .. وياله من رقم صغير امام مهمة كبيرة ! لكن أطول الرحلات تبدأ دائما بخطوة واحدة كما أن أول الغيث قطر .. وهكذا كان !

كانت كل الاسلحة التى يحملها الرجال مستعملة كما كان جميع الرجال يرتدون ملابسهم المدنية وحمل كل منهم حاجته من الطعام من منزله ..

وقبل يومين من ساعة الصفر صدرت اليهم الاوامر ليتمكن افراد المجموعات من الاستطلاع الاخير لاهدافهم .

ويصف احد افراد المجموعات ظروف العملية الاولى فى اسلوب ينم عن شفافية نفس الفدائى وروحه الوضاءة فيقول :

« على كتف منحنى يقع على الطريق بين بيت لحم والخليل ومع امتداد واد تحتضنه جبال الصنوبر يقوم مخيم العروب الذى كان يخضع دائما لاجراءات أمن مشددة من قبل السلطة .. رغم هذه الاجراءات ومع حلول ظلام ليلة ٣٠ ديسمبر ١٩٦٤ وفى الوقت الذى آوى فيه سكان المخيم الى خيامهم وأكواخهم تسللنا مع الظلام .. كنا اربعة رجال .. سرنا مع ازقة المخيم .. صعدنا مع غابة الصنوبر .. ومررنا من قرية « بيت آمر » .. وبعد قليل وصلنا الى الارض المحتلة .. الى مكان يطل على منطقة الهدف قبل الشروق ... »

وبعد ساعات من الراحة بداوا فى مراقبة منطقة الهدف .. وفى الليلة التالية وصلوا الى ماكينة المياه فى «مستعمرة القطن» والتى تزود المستعمرة والمنطقة المجاورة بالمياه .. وكانت الماكينة هى الهدف المحدد للعملية ..

ودخل اثنان الى المبنى وبقى الاخران خارجه للحراسة .. وبعد استكشاف الموقع وتحديد مكان وضع العبوات الناسفة ، عاد الاربعة الى المكان الذى اختبئوا فيه الليلة الماضية .. وكانت امامهم ساعات انتظار تعادل دهرا .. وان كانت نهارا فى حساب الزمن !

ويقول أحد افراد المجموعة :

« كان البرد شديدا وكان كوب شاى يشكل شيئا عظيما بالنسبة لنا ، اضطررنا الى تناول كمية اضافية من الطعام لمقاومة البرد، وكان أحد الاخوة يحمل تمرا ساعدنا بالفعل على مقاومة البرد.. ساعات الانتظار كانت تبدو قاتلة .. لكننا على اى حال كنا نعى ثقل المسئولية التاريخية » .

وقبل نهاية عام ١٩٦٤ بساعتين كان رجال المجموعة فى مواقع الهدف ... اثنان انتظرا خارج مبنى ماكينة المياه للحراسة ، واثنان دخلا المبنى وبدآ على الفور فى تثبيت العبوات الناسفة الموقوتة.. كانت الساعة الزمنية مثبتة على الدقيقة الاولى من اليوم الاول من يناير ١٩٦٥ ..

فى تلك الدقيقة كانت جماهير الشعب الفلسطينى – اذ هى منثورة اشتاتا خارج ارضها الام – تطبق اجفانها مع النوم على يأس مفجع .. يزداد عمقا مع كل يوم يمضى ، وكل يوم يأتى .. ولا جديد .. لا جديد سوى الضياع والاندحار .. والحسرة ..

وحينما اشرقت شمس اليوم الاول من يناير عام ١٩٦٥ لم تكن جماهير الشعب الفلسطينى قد شعرت بعد ان حدثا فريدا قد اشرق على واقعها المؤلم .. انه الامل الجديد الوليد ..

لكن ثمة رجالا شهدوا لحظة الميلاد وعايشوها .. ونعود الى الرجال الاربعة الذين نفذوا العملية الاولى :

« بعد ان ثبتنا العبوات ابتعدنا عن المبنى وجلسنا ننتظر .. كان القلق يهزنا بعنف .. فالعبوات صنعها احد الاخوة امامنا.. صنعها من خردة الحديد والكبريت والملبن المصنوع من عصير العنب وملح البارود البلدى ... ورغم ثقتنا بالعبوات ظل يعذبنا شعور بانها قد لا تنفجر ... وعندما هز الانفجار الارض من تحت اقدامنا وتطاير البناء وانتصب امامنا عمود ضخم هائل من الدخان ... بدأنا رحلة العودة بهدوء ..

وكانت هذه واحدة من عشر عمليات تمت كلها فى ساعة الصفر .. ساعة ميلاد الثورة الفلسطينية المسلحة ..

وفى بيروت تمت طباعة البلاغ العسكرى رقم (١) ووزع على الصحف بالبريد – وكان صادرا عن « القيادة العامة لقوات العاصفة » .. وقد حمل هذا البلاغ الاول نبأ هاما .. بل هو أهم حدث فى تاريخ شعب فقد كل شىء .. وجاء فى صدر البلاغ هذه العبارة :

« اتكالا منا على الله . وايمانا بحق شعبنا فى الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب وايمانا منا بواجب الجهاد المقدس ... وايمانا منا بموقف العربى الثائر من المحيط الى الخليج وايمانا منا بمؤازرة احرار وشرفاء العالم ... لذلك فقد تحركت اجنحة من القوات الضاربة فى ليلة الجمعة ١٩٦٤/١٢/٣١ وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ضمن الارض المحتلة ... وعادت جميعها الى معسكراتها سالمة .. الخ »

تلك كانت بداية الشرارة .. شرارة الكفاح المسلح الفلسطينى .. أو الخطوة الاولى فى رحلة طويلة على درب محفوف بالمهالك .. ولكن الرجال الذين حملوا الشعلة حددوا أهدافهم بوضوح .. وعقدوا العزم .. ووضعوا ارواحهم على اكفهم يفتدون بها ارضهم المسلوبة ويستنقذون بها وطنا التهمته اطماع الصهيونية الطاغية والاستعمار ..

وفى اليوم الاول من يناير سنة ١٩٧٠ احتفل الشعب الفلسطينى بمرور سنوات خمس على انطلاق الرصاصة الاولى فى نضاله المسلح .. نضاله الدموى على طريق العودة ..

وقطع الكفاح الفلسطينى فى سنواته الخمس الاولى مراحل بالغة الصعوبة – وتحول من السرية الى العلن .. واصبحت له قواعده ومنظماته .. وامتد نشاط المقاومة الفلسطينية ليغطى كل الارض الفلسطينية المحتلة .. وبدأ الكيان الفلسطينى يبزغ من جديد على الصعيد الدولى .. وبدأت قضية فلسطين تكسب اصدقاء من « شرفاء العالم واحراره » تماما كما تنبأ البيان الاول عن عمليات العاصفة منذ خمس سنوات ..

ولكن كيف حدث كل ذلك .. وفى أى ظروف .. انها ملحمة الحياة والموت .. تجرى على حلقات .. تمتزج فيها الدماء العربية الزكية بتراب الارض الطيبة .

فالى لقاء آخر ..

« للبحث بقية »

فكر وفن

أدب • شعر
قصة • مسرحية
فن
إسلامي

سطور عن المسجد الأقصى

الأستاذ سعد عبد السلام حبيب

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله »
صدق الله العظيم

● للقدس فى الاسلام مكانة عظمى .. ففى هذه المدينة المقدسة يوجد الحرم الشريف . وهو اسم يطلق على المسجد الاقصى ومسجد الصخرة وما حولهما من مساحات .. يقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « **ان الجنة لتحن شوقا الى بيت المقدس ، وبيت المقدس من جنة الفردوس** » كما قال عليه الصلاة والسلام عن القدس أيضا : « **أربع من مدائن الجنة : مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس** » ..

وعن هذه المدينة المقدسة يقول سيدنا الامام على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه : « **وسط الارضين أرض بيت المقدس ، وأسمى الارض كلها الى السماء بيت المقدس** » وفى موضع آخر يقول ، رضى الله عنه وأرضاه : **نعم المسكن بيت المقدس ، النائم فيه كالمجاهد فى سبيل الله . وليأتين على الناس زمان يقول بعضهم لبعض : ليتنى تبنة فى لبنة بيت المقدس** »

وفى أوائل عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وقبل ان يفتح المسلمون بيت المقدس كان اسم « **المسجد الاقصى** » يطلق على الحرم القدسى كله ..

ولقد كانت القدس قبلة المسلمين الاولى . فكان النبى ، صلى الله عليه وسلم ، طوال السنة الاولى بعد الهجرة يولى وجهه شطر القدس وهو يصلى ، معتبرا اياها « بيت الله فى أرضه » .فلما عانى من غدر اليهود ومكرهم ما عانى غير قبلته بالكعبة ، وكان ذلك فى السنة الثانية للهجرة .. كما أن مسجدها الاقصى ثالث الحرمين الشريفين . ففى الحديث الشريف : « **لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام . ومسجدى هذا : والمسجد الاقصى** » .**فالمسجد** الاقصى يلى فى الاهمية الدينية مباشرة حرم مكة وحرم المدينة .

لذلك ، فان المسلمين يعتبرون بيت المقدس من أقدس الاماكن الاسلامية فى العالم الاسلامى ..

● ومن المتعارف عليه الان أن « **المسجد الاقصى !** أصبح يطلق على المسجد القائم فى الجهة القبلية من رقعة الحرم الشريف ، وعلى بعد خمسمائة متر بوجه التقريب من مسجد الصخرة الى الجنوب ..

ولقد اقيم المسجد الاقصى فى عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ـ٨٦ هـ) ومن بين المؤرخين من يذهب الى أن الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦ هـ) هو الذى أتم تعميره فى الوقت الذى كان يبنى فيه المسجد الاموى وقصرا للخلافة فى دمشق ومما لاشك فيه أن الوليد هو الذى غطى قبة الاقصى بالنحاس ، كما قد أتى بالفسيفساء من القسطنطينية ليزين بها مساجد الشام ومكة والمدينة والقدس ، ومع تقادم الزمن لم يبق منها سوى النذر اليسير فى قبة مسجد الصخرة وعندما جاء ابو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين أمر بأن تخلع صفائح الذهب والفضة وتضرب دنانير ودراهم للصرف منها على ترميم المسجد وتعميره (١٥٤ هـ) ثم جاء بعده الخليفة المنصور وكان المسجد قد أصابه عطب شديد ، فأمر ببنائه وتجديده (١٦٣ هـ) ..

وفى عهد الفاطميين عمر المسجد وجدده الظاهر لاعزاز دين الله (٤٢٦ هـ) .. كما قد جدد الواجهة الشمالية للمسجد الخليفة المستنصر بالله (٤٥٨ هـ) .

وحينما احتل الصليبيون بيت المقدس غيروا الكثير من معالمه ، واستعملوه لاغراض حربية ..

العرب يعملون فى تعمير سطح المسجد راح اليهود يطلقون عليهم الرصاص من برج الكنيسة المعروفة « بكنيسة نياحة العذراء » . وهناك من آثار طلقات الرصاص ما يزيد على ألف طلقة على سطح القبة من الخارج ، فضلا عما يوجد على القبة من الداخل من آثار لطلقات البنادق ٠٠ !!

● ويقوم المسجد الاقصى الان على ٥٣ عمودا من الرخام و ٤٩ سارية من الحجارة مربعة الشكل ٠٠ ويبلغ طوله ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ مترا ٠٠ والمسجد عبارة عن سبعة أروقة ، ثلاثة من الشرق ، وأخرى من الغرب ، وواحد بينهما فى الوسط ٠٠ وتحت القبة ، وفى اقصى المسجد من القبلة محراب كبير يعرف « بمحراب عمر » وهو الذى جدد بناءه صلاح الدين الايوبى ، والى يمين هذا المحراب منبر جميل مصنوع من الخشب المنقور المرصع بالعاج والابنوس أتى به صلاح الدين من حلب يوم الفتح ١١٨٧ م ٠٠ وفى صدر المسجد من الغرب وفى داخل مقصورة حديدية محراب آخر يسمى « محراب معاوية » ٠٠ وفى داخل المسجد ، عند زاويته القبلية الشرقية ، جامع متصل به ، يسمونه « جامع عمر » وهو مستطيل الشكل ، يقال انه من بقية البناء الذى بناه سيدنا عمر ابن الخطاب يوم الفتح ١٥ هـ والى الشمال من جامع عمر ايوان كبير يطلق عليه « مقام عزيز » أو « مقام الاربعين » ٠٠ والى الشمال من مقام عزيز ايوان صغير جميل فيه « محراب زكريا » ٠٠ وهناك فى الجانب الغربى الى القبلة جامع آخر يسمونه « جامع النساء » ٠٠ وللمسجد أحد عشر بابا . . والمسجد مفروش بالسجاد العجمى الثمين الذى وضع معظمه فى زمن السلطان عبد الحميد الثانى ، كما توجد وسط القبة ثريا ثمينة اهداها للمسجد السلطان نفسه ٠

وتحت المسجد الاقصى دهليز واسع وطويل يطلق عليه « الاقصى القديمة » يؤدى اليه باب ودرج ضيق فى أقصى أرض الحرم من الشرق ٠٠

هذا تعريف موجز بالمسجد الاقصى الذى أحرقته اسرائيل مؤكدة للعالم ان الصهيونية حركة عنصرية لا تحترم المقدسات الدينية ولا القيم الانسانية والخلقية ٠٠

والواقع ، كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر : **انه لم يعد هناك رد او ردع غير ما نستطيع حشده فى ميدان القتال ٠٠ ان العدو لا ينبغى ولا يحق له أن يبقى حيث هو الان ٠٠ سوف نعود الى فلسطين، وسوف تعود فلسطين الينا ٠٠**

وسوف تبقى القدس عربية ، وسوف يبقى المسجد الاقصى رمزا لشعلة الاسلام ٠٠

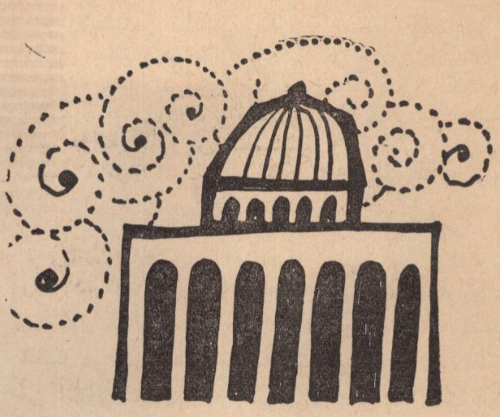

وما ان استرد صلاح الدين الايوبى بيت المقدس من الصليبين سنة ٥٨٣ هـ حتى امر فورا بتعميره ٠٠ فجدد محرابه وغطى قبته بالفسيفساء وبذل كل ما فى وسعه لتحسينه ورصفه ونقشه ٠٠ كما زود المسجد بمنبر خشبى رصع بالعاج ، والابنوس ، وهذا المنبر موجود حاليا بجوار المحراب ٠٠

وتوالت بعد ذلك أعمال التعمير والاصلاح بالمسجد الاقصى فى عهد المماليك ٠٠ فالملك المنصور سيف الدين قلاوون هو الذى عمر سقف المسجد الاقصى من ناحية القبلة سنة ٦٨٦ هـ ٠ وفى زمن ولده الملك الناصر محمد جددت قبة المسجد سنة ٧٢٨ هـ كما اتخذت فى عهده عدة تعميرات أخرى ٠٠ وتوالت أعمال التعمير والتحسين بعد ذلك فى عهد المماليك .

واهتم الاتراك العثمانيون بالمسجد الاقصى ٠ فمن سلاطينهم الذين تولوا ترميم هذا المسجد : السلطان سليمان القانونى (٩٦٩ هـ) والسلطان محمود الثانى (١٢٣٣ هـ) والسلطان عبد المجيد (١٢٥٦ هـ) والسلطان عبد العزيز (١٢٩١ هـ) ٠٠

ومع طول العهد وتقادم الزمن طرأ على المسجد الاقصى من العطب ما جعل المجلس الاسلامى الاعلى برئاسة المفتى الحاج أمين الحسينى يكتب الى أمراء المسلمين وملوكهم للتبرع لتعمير المسجد ، وقد جمع المجلس حوالى ٩٥ ألف جنيه مصرى انفقت على تقوية المسجد وتجديده ، وكان ذلك فى عام ١٩٢٥ م ٠ على أن هذا التعمير ما كاد يتم حتى حدث زلزال سنة ١٩٢٧ اصاب المسجد بسببه ضرر كبير .. فعاود المجلس الاسلامى أعمال الترميم ، وكان ذلك ما بين سنة ١٩٣٨ و ١٩٤٣ م ٠

وفى حرب فلسطين ١٩٤٨ لم يسلم المسجد الاقصى من أذى اليهود ، فكثيرا ما أمطروه بقنابل « الهاون والمورتر » ٠٠ بل وبينما كان المهندسون والعمال

مسئولية الأديب المعاصر

الدكتور عبد الحكيم بلبع

مازال التطور المستمر فى التفكير النقدى المعاصر منذ ظهور الواقعية الاوربية فى القرن التاسع عشر حتى الان ، يضاعف من مسئولية الاديب تجاه واقعه الانسانىفى نطاق مجتمعه ، ثم فىالنطاق العالمى كله ويفرض عليه موقفا ايجابيا يحس فيه بالالتزام نحو قضايا هذا الواقع ثم يوضح الى أى حد اصبح الادب فى كل صورة من صوره وكل جنس من أجناسه وثيق الصلة بالحياة فهو انبثاق من واقعها وانبعاث من احداثها ، ومواكبة لتطورها وتصوير لكل ما يجرى فيها ومايختلف عليها من أحداث ، فلم يعد الادب فى تصور النقد الحديث وسيلة للترفيه، اومتعة النفس أو التعبير عن الاغراض الذاتية الضيقة . ولكنه أصبح طاقة من الطاقات الهائلة التى تقوم بدور الريادة فى توجيه الحياة الانسانية الى نحو أفضل ، فالاديب فى المجتمع المعاصر يواجه كثيرا من التحديات وكثيرا من المسئوليات ، لانه يعيش فى عصر الحيرة والقلق والمخاوف وطغيان الحضارة الصناعيةوالمادية ،وفى الوقت نفسه يعيش فى عصر يتزايد فيه الشعور بالجماعية الانسانية بينما يتقلص فيه الاحساس بالذاتية الفردية تقلصا محسوسا ، ومعنى ذلك ان صلة الفرد بالمجتمع أصبحت صلة عضوية متينة لا يجوز لها ان تنفصم ، وان خطوط الاتصال بين الاديب وقرائه أصبحت فى هذه الاونة على درجة عالية من الحساسية والقوة ، وهذا مما يجعل مركز الاديب المعاصر مكتنفا بالاعباء الجمة والمسئوليات الخطيرة .

والمسئوليات التى يواجهها أديب اليوم كثيرة ومتعددة فهو مسئول أمام نفسه ، ومسئول أمام فنه ، ومسئول أمام مجتمعه ، **أما مسئوليته أمام نفسه فتتمثل فى قدرته على مغالبة الشعور الفردى وتخلصه من الانانية الذاتية ثم الذوبان المطلق فى الكينونة الجماعية .والانفعال بكل ما تعانيه من الوان الصراع فى سبيل انجاز متطلبات للحياة ارفع وأسمى ،** فالاديب الذى لا يكون وجدانه جزءا من وجدان الجماعة التى يعيش بينها ، بحيث يخضع فى تصوره للحياة واحساسه بها لكل ما جرياتها النفسية ، هو أديب ينقصه الوعى بتبعات وظيفته ومركزه كما تنقصه الحاجةالى التكيف الاجتماعى السليم ، وتتمثل مسئوليته أمام نفسه أيضا فىمدى احساسه بالامانة الفنية ، وتقديره لشرف الكلمة ونزاهتها فالاديب الذى لا يسمو بأعماله فوق مستوى الانتهازية الرخيصة ، والتجارية المسفة هو أديب ساقط الاحساس معوق للنهوض الاجتماعى ، فالغايةالنبيلة والهدف الكريم هما أساس بالغ الاهمية فى تقويم العمل الادبى ، وفى الحكم له بالصلاحية والنجاح والقدرة على التأثير . **أما مسئولية الاديب أمام فنه فتتمثل فى أنه يوفر له كل مقومات النجاح من ثقافة خصبة أصيلة شاملة تمتد الى مختلف آفاق المعرفة الانسانية فكل اديب بل وكل مفكر محتاج الى ان يعرف عن زمانه وعصره ماستطاع فثقافة العصر هى التى تمنح الاديب القدرة على تفهم احتياجاته ومشكلاته** وهذا لا يعنى أن تنقطع صلة الاديب بتراثه وثقافة ماضيه ، بل يجب ان تتوطد صلته بهذا التراث ، وان يعمق ايمانه به وثقته فيه بوصفه مصدرا مهما من مصادر المعرفة ، فكل ثقافة حاضرة ليست فى حقيقتها الا امتدادا واستمرارا بصورة ما للثقافة الماضية ، وتلك الحركة الموصولة بين كل ماهو قديم وجديد هى أمر طبيعى فى كل مجال من مجالات النشاط الانسانى . وان نقاد العالم ومفكريه لم يهدروا فى آرائهم وتفكيرهم قيمة الرجوع الى الماضى والاعتماد فى بناء الثقافة الحاضرة ، فهم يقررون أن

الماضى رحم للحاضر والمستقبل وأنه ليس فى مقدورنا ان نفصل بين حلقات هذه السلسلة التى شاء لها عنصر الاستمرار الطبيعى ان تتصل ، وفى هذا المعنى يقول الكاتب الفرنسى « أندريه جيد » « **فجاة اتضح لى انه لو خلا تاريخ الفن الا من أسماء مبدعى الاشكال الجديدة لما كانت هناك حضارة فاللفة تعنى الاستمرار ولذلك فانها تتطلب التلاميذ المريدين والمقلدين والاتباع لكى يكونوا سلسلة حية، أى ليكون منهم موروث** » ويقول **الناقد والشاعر** الانجليزى « اليوت » ان بين الماضى والحاضر تفاعلا **لا محيد عنه فالماضى ليس ماهو ميت بل ماهو مستمر فى الحياة والحاضر يكيف الماضى باستمرار مثلما أن الماضى يكيفه** » .

وهذا كله يجعل من المحتم على الاديب تجاه مسئوليته نحو فنه ان يرتبط عقليا ووجدانيا بتراث ماضيه الثقافى وان يجعله مصدر اثراء لكل ماهو حاضر من ثقافته وتفكيره وقيمه .

أما مسئولية الاديب أمام مجتمعه فتتمثل فى مقدار تفاعله مع الاحداث التى يعيشها هذا المجتمع وفى وعيه الكامل بطبيعة المرحلة التى يجتازها فى مسيرته على طريق الحياة ، وذلك حتى يمكن ان تأخذ أعماله مكانها بين القوى الموجهة الرائدة ، فمما لاشك فيه ان للكلمة الان دورها الحاسم فى رسم المصير الانسانى وفاعليتها فى التاثير على مشاعر الناس ، وتعبئة أفكارهم نحو كل قيمة فاضلة خيرة ترتقى بكيانهم البشرى ، فالالتفات الى الواقع الانسانى بكل مايعج به من أحداث ومشكلات ، ومايختلف عليه من آلام وآمال هو النقطة الاساسية التى تبدأ منها مسئولية الاديب تجاه مجتمعه ، ووعيه بتبعات موقفه كانسان يملك بيديه القوة التى بامكانها ان تخلق الاتزان فى مجال الوجود البشرى فالحياة الانسانية هى المصدر الدائم لكل الهام حقيقى ، والمأساة — كما قال أرسطو — ليست الا تقليدا لفعل الانسان لانها تمثل لحظة من لحظات القلق والتأزم ، والملهاة ليست كذلك الا تقليدا لفعل الانسان لانها تحكى لحظة من لحظات البهجة والسعادة فكلتاهما فى آخر الامر انبثاق من صميم الحياة الانسانية ، ومن أجل هذه الامكانية الخطيرة الكامنة وراء الكلمة نرى ان المفكر الفرنسى « جان بول سارتر » **صاحب نظرية الالتزام الاجتماعى يعلق أهمية كبيرة على دور الادب فى قيادة الحياة الاجتماعية والانسانية بشكل عام : بل انه ليلقى العبء الاكبر فى الالتزام على عاتق الادب وحده : بينما يعفى الفنون الجميلة كالنحت والتصوير والموسيقى من هذا الالتزام ويقرر أن هذه الفنون لا يمكن ان تكون بحال من الاحوال على قدم المساواة مع الادب فى تحمل أعباء الحياة ذلك لان الادوات التى يستخدمها الموسيقى أو الرسام او النحات لاتملك بطبيعتها دلالة خارجية عن كيانها العضوى او بعبارة أخرى ليس فيها قوة الايحاء بمعان يمكن ان تؤثر فى** السلوك الاجتماعى : او تكشف حقيقة من الحقائق او **توحى بموقف من المواقف : ولكن هذه القوة كامنة فى** الاداة التى يستخدمها الاديب وهى الكلمة فهى وحدها التى تملك الدلالة والايحاء والاعراب عن المعانى وتحديد المواقف واكتشاف الحقائق **بطريقة لا يستطيع انسان معها أن يجد لنفسه مخرجا من التبعة** .

ان لكل عمل نوعا من المبررات والدوافع التى تسوق اليه ، ومبررات العمل الادبى ودوافعه لا يمكن ان تكون هى القيم الجمالية الشكلية وحدها ، بل لابد من التزام جانب موضوعى انسانى يدور حوله الفن الادبى ، وهذا الجانب الموضوعى كان مثار اهتمام دائم من قبل الاخلاقيين والنفسيين والجماليين على السواء اذ اتفق هؤلاء جميعا على ضرورة وجود مجموعة من القيم الانسانية تبرر مشروع الاديب فى عمله . وهذه القيم هى فى ذاتها مجال من مجالات التقويم لكل عمل أدبى ، والى جانب هذه القيم الانسانية لابد من وجود الجمال الشكلى الذى يبرر التحاق الادب بمجموعة الفنون الجميلة ، اذ لا مناص من الاعتراف بالشكل الادبى على أنه وسيلة مهمة من وسائل التاثير ، فلم يعد المضمون فى ذاته حقيقة فنية جميلة تكفل وحدها نجاح العمل الادبى اذ لابد من توافر الجانب الفنى فى التعبير ، لان فى الجمال قوة ذاتية تعمل عملها فى النفس الانسانية عن طريق الايحاء .

من كل ماتقدم تتحدد مسئوليات الاديب ويتضح أنه لم يعد من حقه ان يتجاهل الحياة التى يعيشها ، او يغمض عينيه عن مشكلات الواقع الانسانى الذى يحيط به ، لقد أصبح الادب هو الوسيلة الفذة لمضاعفة الحياة واكملها وتطهير أزماتها وأصبحت عظمة العمل الادبى تتجلى فى روعة التعبير عن الواقع ، وفى تجلية القيم الخيرة أمام الوعى البشرى ..

حاجة العالم إلى الإيمان

الدكتور جمال الدين الرمادى

سبحان الذى خلق السموات والارض ، وجعل الخلق فى مشارق الارض ومغاربها تسبح بحمده وتلج بذكره وتشيد بفضله ، وتجعله ملاذها الاول وملجأها الاخير . سبحان الذى أرسل الرسل والانبياء الى الخلق ليهدوهم الى الطريق القويم والصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ولا الضالين ، وسبحان الذى جعل محمدا خاتم الرسل والانبياء ، وشاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وسبحان الذى خلق الاديان للناس لتكون لهم عبرة وليكون لهم من أنبيائهم أسوة ، وليكون لهم من رسلهم قدوة ، فمن عمل صالحا فلنفسه ومن ضل فعليها .

فالناس كلهم يجدون فى الله تعالى موئلهم فى ساحته .. وعفوهم فى رحمته ، وتكفير ذنوبهم فى سماحته ، فهو الاول والاخر ، وهو العادل والقادر وهو غفار الذنوب ومفرج الكروب ومقشع الغمة ومجمع الامة ، ومحق الحق ومزهق الباطل . ان الباطل كان زهوقا .

وان من يرجع الى أقوال النبى صلى الله عليه وسلم والى أقوال الصحابة والسلف الصالح يجد مئات بل آلاف بل ملايين من الاقوال التى تشيد بعظمة الله عز وجل ، وتنطق بقوته وقدرته . ولقد كان النبى الكريم يجد فى رسالة الله تعالت آلاؤه وتجلت صفاته الحق الذى يخرج الناس من الظلمات الى النور ، ومن حلك الكفر الى اشراق الايمان ، فلو وضعوا الشمس فى يمينه والقمر فى يساره على أن يترك هذا الامر ما تركه ! وهو الذى جعل الوليد بن المغيرة وكان من أنهد فتيان قريش وأقواهم بأسا وأشدهم مراسا ، يلين لايات الله الكريمة ويخضع لكلمات الله النورانية ويجد فى القرآن الكريم راحة نفسية كبرى فان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى .

وفى أوربا حيث المدنية تزحف على الدنيا بضوضائها وجلبتها وتعدد مذاهبها وتنوع وسائلها ويغرق الناس فى خضم الملذات وبحر الشهوات ترتفع أصوات دعاة الدين ومحبى السلام : ارجعوا الى الله

وعندما تدور المعارك وتزهق الارواح فى فيتنام وغير فيتنام من أرجاء العالم يرفع اليائسون أصواتهم عالية ان ارجعوا الى الله وامسحوا بيد الرحمة على الانسانية المعذبة وارحموا هذه الدماء السائلة التى تخضب وجه الثرى .. وهذه الاشلاء المتناثرة من المحاربين التى تغمر ساحات القتال .

وفى الولايات المتحدة الامريكية حيث الحضارة الزاخرة بأضوائها البراقة، ولمعاتها الالاقة، وينغمر الناس فى المادية المسرفة وتتلاشى القيم الانسانية الرفيعة ، ويصبح اله الناس هو الدولار .. واليه

يلهثون أناء الليل وأطراف النهار، وتتقطع وشائج الاسر وتتحطم روابط الصداقة، وتهوى صروح الاخاء من أجل البهرج الكاذب والزخرف الخادع والمادية البغيضة نجد من يرفع عقيرته مدوية فى الافاق أن ارجعوا الى الله ٠

والرجوع الى الله ليس أقوالا تقال ولا عبارات تتردد ٠٠ ولا كلمات تتكرر انما هو ايمان وعمل ، وعقيدة واداء . ومراقبة لله فى السر والعلن وفى الخلوة والصحبة ، وفى العزلة والندوة وتقوى الله حق تقاه !

والعجيب اننا نجد من يذكر اسم الله تعالى ولكنه لا يقوم بما يجب أن يقوم به المؤمن الصالح من العمل الصالح وتجنب المنكر الطالح ٠٠ والتآلف والتعاطف ، فان المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ٠

وقد ظهر فى مدينة « **نيويورك** » كتاب جديد لمؤسسة دبلداى بعنوان : **كل المتقدمين اخوان** وهو من تصنيف أحد الكتاب الامريكيين واسمه رونالد جامون جمع فيه كل ما قاله العظماء وكبار رجال العالم فى الله عز وجل والكتاب لا يدعو لدين من الاديان ولكنه يضم مجموعة من الاقوال فى عظمة الله تعالى هل كان لعظمة الله عز وجل دخل فى نجاح الشخص المرموق ، وما الدور الذى لعبه الايمان فى حياة الانسان حتى تغلب على المصاعب ، وقهر المتاعب ورفع رأسه عاليا فوق الخطوب والاحداث ٠

فان العرب على حد أقوال السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى جماهير السودان التى التفت حوله فى الخرطوم لا يريدون الحرب ولكنهم يفرقون بين السلام والاستسلام ويريدون الشرف أولا وقبل كل شىء ٠ ورد الحقوق الى أهلها وانسحاب قوات اسرائيل من المناطق التى احتلتها فى الوطن العربى ٠

وقد ضم الكتاب أقوال « أوثانت » سكرتير عام الامم المتحدة الذى قال : ان شكر الله تعالى عادة قديمة عندى عرفتها منذ الصغر منذ أن لقنتها لى أمى التى لا تزال تعيش فى بورما وأن تأملى فى الصباح والمساء فى عظمة الله تعالى لا يفارقنى كأنه الانفاس التى أتنفسها والهواء الذى أستنشقه ٠

اما عالم الفضاء فيرهر فون برون فانه يقول : انه من الصعب أن أتصور عالما يستحق هذا اللقب ولا يعترف بوجود خالق أعظم لهذا الكون وان العلم على تقدمه ليحنى الرأس لعظمة الخالق جل علاه ٠ وان رحلات رجال الفضاء الى القمر لم تفتح سوى باب صغير نحو عالم عظيم الاسرار ، الذى يؤكد تماما التأكيد الخالق الاعظم .

أما الرئيس السابق للولايات المتحدة الامريكية دوايت ايزنهاور فانه قال : لا يمكن لشخص أن يخوض غمار حرب ضروس لمدة ستة أعوام ويتقلد منصب رئيس الجمهورية مرتين بدون أن يكون لديه ايمان ٠

فان الايمان بالله تعالى يراودنى منذ أن كنت صغيرا ويصبغ حياتى بلون الايمان ٠

أما رئيس جمهورية الهند السابق رادها كريشنان : ان الدين هو الذى نجد فيه وجودنا الحق ، ويجب أن نعمق اعتقادنا فى الله ، ونسلك سبيلا يبعدنا عن العبودية ويقربنا من الروح !

وقد لجأ رونالد جامون الى أخذ آراء مختلف الاجناس ، وشتى الشخصيات فى الايمان بالله تعالى حتى انه أراد أن يعرف رأى أهل الفن فى هذا الموضوع وهل نراهم فقدوا الايمان فى خضم الحياة الغنية ووجد ان بعضهم يشعر بأنه أذنب فى حق الله تعالى كما وجد بعضهم الاخر يعترف بأن نجاحه يرجع الى فضل من الله ٠

ولاشك ان هذا يذكرنا بما يفعله المسلمون من تلاوة القرآن الكريم فى غدوهم ورواحهم وفى حلهم وترحالهم وكم كان كتاب الله العزيز خير زاد للمسافر وخير صديق فى الرحلة . نسأل الله تعالى أن يكون ايماننا ايمانا ثابتا ، قويا راسخا ، لا لغرض من الاغراض ولا لهدف من الاهداف انما لوجه الله تعالى لانه الحق المبين ، ودليل الحائرين ورحم الله رابعة العدوية التى نهضت تعبد الله تعالى وتوجه اليه دعواتها : الهى اذا كنت أعبدك من أجل جنتك فاحرمنى منها واذا كنت أعبدك خشية نارك فاحرقنى بها ، أما اذا كنت أعبدك من أجل وجهك يارب فلا تحرمنى من رؤيته ٠

ورحم الله الزاهد العابد الحسن البصرى الذى قال : ان استغفارنا يحتاج الى استغفار ٠

نسأل الله أن يعمق الايمان فى النفوس ويوطد العقيدة فى القلوب ويهدى الانسانية المعذبة الى سواء السبيل ،وينشر ألوية السلام لا الاستسلام فوق الامم والشعوب » ويجعل أقوال الزعماء فى الله تعالى اقوال صدق وحق . ينقذ الانسانية وينجو بها العالم ٠ وجعل الامة الاسلامية تزداد قربا من الله تعالى ، فانه كلما عمرت القلوب بالايمان ، غمرت العالم بالحجة الدافعة ، والكلمة المقنعة ، وتزودت بالقوة ، فان الايمان قوة لا ضعف ، وقدرة لا عجز ، « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »

وقد استطاع الجيش العربى الباسل أن يتزود أضعاف المرات بالاسلحة والمعدات عما كان عليه من قبل النكسة ٠٠ فما هى الا صيحة حتى يبدل الله من حال الى حال ٠٠ وان ينصركم الله فلا غالب لكم ٠

من المثنوى

قصة الخادمين والأمير

فضيلة الشيخ الصاوى شعلان

قصة اليوم تصور مشكلة اجتماعية كثيرا ماسببت الفرقة والكراهية وهى أيضا تمثل ماتجيش به احقاد النفوس وانتهاز الفرصة للكيد والوقيعة بالزملاء : وهى أخيرا تبرز لنا من قريب او بعيد مايحدثه الحسد من أثر وبيل فى حياة الناس ذلك الحسد الذى أغرى قابيل بهابيل وأخوة يوسف بأخيهم الصديق .

استقدم أحد الامراء غلامين ليقوما على خدمته ، فتوسم فى أحدهما النجابة وحسن الجواب عن كل سؤال يوجه اليه من الامير ، وحرى بالمرء أن يحتاط فى الجواب وألا يطلق لسانه فى كل مجال من القول دون تحفظ ولا وعى لما قد يصيبه من العثرات عند الاسترسال فالمرء مخبوء تحت لسانه والاسان ستار يحجب ماوراء الظواهر من الخفايا فهو ستار على بهو الروح وحين يرفع الستار ينكشفمابداخل الدار

كان هذا الفتى يتفطن لعواقب الكلمات قبل النطق بها وحين تستعين العين وتتعاون اليدان فان الجنان هو معين الاسان فعلى المرء ان يجعل عقله سابقا للسانه ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد السنتهم .

اكتفى الامير من الفتى بهذا القدر من الاختبار فنحاه جانبا وصرفه الى الحمام واستدعى الاخر وكان ذرى المنظر دميم الصورة والقيمة فى حياة الناس هى فى العمل على اصلاحهم دون اهدار ولا احتقار فليس من الحكمة احراق بساط من أجل برغوث قال الاميرمختبرا فتاه ، ايهاالغلام ، لاتعنينى منك صورتك بل سيرتك يخيل لى انك فصيلة من الفتيان فى فتى واحد لما يبدو لى من مهارتك وذكائك على الرغم مما حدثنى به عنك رفيقك .

— وماذا قالَ عنى رفيقى أيها الامير ؟

— أخبرنى انك منحـرف غير مؤتمن وانك سىء السيرة غير مرضى السلوك .

قال الفتى ، — عفوا أيها الامير : لقد عهدته فيما مر بى من صحبته صادق الحديث كريم العشرة ، حريصا على قول الحق وان كان مرا ، ولا أحسب أن كلامه عار عن الصدق فى الكثير مما حدثك به عنى ، انه فيما أعلم نقى السريرة نزيه الحكم فلعله يرى من عيوبى مالااراه ، ان من استطاع ان يرى عيبه قبل عيوب سواه لن يغفل عن اصلاح نفسه والتخلص مما يشينها من العيوب والخطايا . .

ومن العجب أن نرى اكثر الناس مشغولا بعيب سواه وعد الخطايا والسيئات على غيره من العشراء والخلطاء عن نفسه : ولعل مصدر هذا النقص ان المرء لايرى وجهه بل يرى وجوه الاخرين ان الـذى **يرى وجه ذاته يشرق قلبه من الايمان بنور يكفل له الهداية فى الحياة وبعد الحياة .**

قال الامير : لا أيها الغلام دعهذاالتكلفوحدثنى فى صراحة عن عيوب رفيقك باللغة التى افضى لى بها عن شخصيتك وما تنطوىعليه اخلاقكحتى يكونذلك من النصح لى ومصارحتى بما يجب ان احتاط له فى معاملة الخلق وانت بهذا تعد الوفى الامين .

قال الفتى ، مهلا سيدى الامير ، ان كان أمرك المحتوم يأبى الا أن أقدم اليك فى اطار من الذنوب والخطايا فاليك ياسيدى جملة سيئـاته ان كانت السيئات على مثلماسأبينه انعيوبه ويالهامنعيوب ماأجملها وذنوب ماأحسنها . الحب مخلصا الوفاء صادقا ، الرجولة كاملة ، عيوبه الصدق حينيتكلم والامانة حين يعاهد والوفاق حين يعاشر .

ومن عيوبه ياسيدى مروءة لا تتوارى عن حاجات الناس وايثار يجعله قادرا على الجود بنفسه فضلا عن الجود بمـاله اذا نـاداه الواجـب الى الايثار (**والجود بالنفس أسمى غاية الجود والكرم** انما يصدر عن النفس المؤمنة الخيرة وحين تسمو عقيدة المؤمن الى مقام الشهود ، فيرى العوض من الله ماثلا بين عينه فلا يضن بمعروفه عن الناس ، واذا رأيت القائم على شاطىء النهر يبخل بقطرة الماء على الظمآن فاعلم ان عينه لا ترى فى ذلك النهر ماءه العذب الفرات . هذا هو شأن الانسان بين اليقين بالعوض وعدم الثقة بحسن الجزاء والمؤمن الصادق واثق بمثوبه الله حين يقول) **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)** . ان ثقة الغواص باللؤلؤ فى الاصداف تهون عليه اقتحام البحر وخوض اللجة الغامرة .

وقال الفتى : ان رفيقى فوق ذلك يتسامى على العجب والغرور وهو دائم التنقيب عن عيوب نفسه وبينما هو عطوف على اصحابه وعشرائه وجيرانه فانه يقسو على نفسه ويجشمها ماهو فوق الواجب .

فصاح به الامير : حسبك ياهذا لقد غاليت فى مدح رفيقك ويخيل لى أنك تحاول عن هذا الطريق مدح نفسك حين تثنى على رفيقك ليتوهم السامع انك انسان كريم الخلق عف المنطق وانى لن اجعل رأيك فيه حجة له او عليه سأختبره بنفسى لانظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ، وانى اتوقع ماسيصيبك من الخجل حين يظهر الامر فيه على غير مانسجت حوله من حلل المدح والثناء .

قال الغلام ـ لا سيدى فانى اقسم بالله مالك الملك وعالم الغيب والشهادة الذى خلق من التراب أرواحا تفوق الكواكب علوا واشراقا ، والذى خلق النور صافيا بلا نار متفوقا على مافى الكون من أنوار اقسم بقدرة الله الذى وهب ذلك النور القدسى على انبيائه وأوليائه ان مزايا رفيقى كما ذكرت وفوق ماذكرت .

والى هنا حول الامير وجهة كلامه الى الموعظة فقال ايها الفتى الى متى هذا الاغراق فى الحديث عن صاحبك ؟ حدثنى عن نفسك . ماذا تملك وماذا حصلت وأى لؤلؤ مكنون أصبته من بحار العلوم والفنون . لا تغتر بدنياك فانك يوم تفارق هذه الدنيا تكون بحاجة الى النور الذى يكون سراجا لقلبك وحين يملا التراب هاتين الحدقتين مااحوجك يومئذ الى ماينير لك ظلام القبر وحين تنحل عرى اليدين والقدمين فهل لديك اجنحة تحلق بها روحك فى الافاق العالية ، فاذا تحلت أعمالك بحليتها من الاخلاص يصير القليل منها بالغا غايته من الكمال . فالزم الاخلاص والصمت ولا تذبح ظل الشاة لتقدمه قربانا .

قال الغلام : ان للاخلاص قيمته والفكر السليم ينتج العمل السليم ، ألم تكن الديار والقصور فى ذهن المهندس فكرا وخيالا ، ان كل موجود كان أملا وفكرا قبل أن يكون عملا ووجودا .

وبينما هما كذلك عاد الفتى الثانى فدعاه الامير وأدناه وهنأه بما تحلى به من مظهر جميل وزينة شائقة وأمر الاول بالانصراف ثم قال لهذا القادم ماأسعدنى بك لو لم تكن فيك تلك السيرة السيئة التى حدثنى بها عنك رفيقك

قال الفتى للامير : سيدى ماذا قال وبماذا وصفنى ؟ الا تتفضل على بالتلميح ان لم ترد التصريح فتشير ولو بالقليل مما اغتابنى به فى حضرتك ذلك المخلوق التافه الذى تجردت أوصافه من الذمم والامانة .

الامير : ان أولى صفاتك فيما حدثنى به عنك انك منافق ذو لونين ، فى الظاهر دواء ، وفى الباطن داء عياء وسرعان ماهاج الغلام وماج وثارت احقاده وكشف القناع عن نفس واجدة وروح حاقدة وقلب موتور قد أكل الحسد نصفه والحقد اتى على بقيته ثم قال اننا قد تعارفنا لا اعلم عنه غير النهم والشره كذئب مفترس اونمر جائع مسعور .

فلما رأى الامير تتابع انفاسه فى الهجاء كتتابع دقات الاجراس ، القى براحته على شفتى الفتى ليحتبس صوته فى حنجرته وكلماته خلف لسانه وقال له : الان قد تبين الرشد من الغى لقد بان الفرق ورأيت البون الشاسع بينكما ما أنت الا مظهر مليح يختفى وراءه طبع قبيح .

منذ الان ايها الفتى تكون خادما مهينا وتكون لرفيقك الكلمة العليا عليك فى تصرفاتك كلها وماأجدر العاقل بان تكون وجهته التماس الحقائق دون ان تخدعه المظاهر والصور لا تهتم بمنظر الابريق وانظر الى مابداخله من الشراب والى مايحتويه الصدف من اللؤلؤ وعلى ماسيتم به الانسان من حسن السيرة ولو فقد جمال الصورة ففى الحديث (ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (**رواه البخارى فى باب الادب واللفظ لمسلم**)

استراتيجية الجولات العربية الإسرائيلية الثلاث

الأستاذ محيي الدين على عشماوى

مضت ثلاثة وعشرون عاما تقريبا منذ صدور قرار تقسيم فلسطين العربية ٠ الذى كان حجر الزاوية فى انشاء دولة اسرائيل غير الشرعية ٠ ولقد عاش العرب هذه الحقبة من الزمن فى جهاد دام وكفاح مرير وحرب مستمرة ، قاتل خلالها العرب اسرائيل فى ثلاث جولات تواطأت مع اسرائيل فيها الدول الامبريالية التى تساند الصهيونية العالمية ٠

وبالنظرة الفاحصة لهذه الجولات العربية الاسرائيلية الثلاث يتبين لنا حقائق جديرة بالدراسة للتعرف على المخطط الاستراتيجى الصهيونى الامبريالى الذى يهدف الى ارساء قواعد دولة اسرائيل الكبرى ، **التى تمتد من النيل غربا الى الفرات شرقا ٠**

ولقد بدأت الجولة العربية الاسرائيلية الاولى فى صيف عام ١٩٤٨ :

وذلك عندما تكالبت الدول الكبرى ومن يدور فى افلاكها من توابع وأذناب على ممالأة الصهيونية ومؤازرتها فى استلاب فلسطين واغتصابها من أصحابها العرب ٠ وتكاتفت هذه الدول على فرض اسرائيل بالبطش والقوة فى أرض فلسطين العربية ٠ وأمدت العصابات الصهيونية بالمال والسلاح والعتاد والمتطوعين . واستطاعت ان تكون جيشا مقاتلا تعداده حوالى ٧٠ ألف مقاتل اسرائيلى ٠ مسلح بأحدث الاسلحة بالاضافة الى عدد من الطائرات والزوارق البحرية ٠

وقامت سلطات الانتداب البريطانى الضالعة مع الصهيونية بمساعدة المتسللين اليهود وأفراد العصابات الصهيونية على الدخول الى ارض فلسطين من اجل زيادة القدرة البشرية الاسرائيلية التى ستعمل على القضاء على اصحاب البلاد الشرعيين من العرب فى سبيل تحقيق الهدف الاستراتيجى الكبير الا وهو انشاء دولة اسرائيل الصهيونيه الامبريالية ٠ التى تشكل قاعدة الاستعمار الانجليزى والغربى فى قلب الامة العربية ٠

ولقد انبرت الارادة العربية تتصدى للظلم الصارخ لشعب فلسطين العربى ٠ واندفعت الجيوش العربية فى منتصف شهر مايو عام ١٩٤٨ تؤمن فلسطين لاصحابها ٠ واستطاعت هذه الجيوش العربية ان تصل الى مشارف قلب الدولة الغاصبة ٠ وان تهز كيانها وتهدد مصيرها ٠٠ بل وكادت ان تزهق أنفاس وجودها غير الشرعى ٠

ولما وجدت الدول الكبرى الاستعمارية ان ركيزتها اسرائيل توشك ان تنهار ٠ سارعت الى اعلان الهدنة فى مجلس الامن ٠ وفرضت على الجيوش العربية بموجب احكام هذه الهدنة ، ايقاف القتال ٠ ورضخت الارادة العربية لاحكام هذه الهدنة ٠ واستطاعت اسرائيل فى هذه الجولة الاولى ان تحقق هدفها الاستراتيجى بانشاء دولتها الغاصبة واستطاعت العصابات الصهيونية ان تحتل ما يقرب من نيف وعشرين ألف كيلومتر مربع من الارض العربية الفلسطينية بزيادة قدرها ٣٠ فى المائة عن نصيبها من قرار التقسيم الجائر الصادر من الامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ٠ وهكذا انتهت الجولة العربية الاسرائيلية الاولى بتحقيق اول هدف استراتيجى للصهيونية . وفتح الباب امام المخطط الصهيونى الشامل الذى يسعى الى سيادة الصهيونية عالميا ٠ فالصهيونية لم ينته دورها بترسيخ دعائم دولة اسرائيل بل لقد كانت هذه هى البداية ويتضح لنا ذلك من تصريح بن جوريون الصهيونى فى ما قاله عن بعث اسرائيل ومصيرها

● فى ١٣ اغسطس ١٩٤٨ اذ قال « اننى اعتبر المقدمة الكبرى الرئيسية فى صميم تفكيرنا باجمعه : لا بل حركتها بكليتها وساسيتنا ما يلى - بأن الدولة ليست هدفا فى حد ذاتها ، بل هى وسيلة الى هدف ، والهدف هو الصهيونية » وعلى هذا الاساس بدأت الزعامة الصهيونية فى نهاية هذه الجولة الاولى ٠ بناء مخططها الاستراتيجى الصهيونى الكبير معتمدة فى ذلك على مصادر القوة المختلفة التى ساعدتها على الاعداد للجولة الثانية والتى كان منها على سبيل المثال :

١ - انشاء قوات الدفاع الاسرائيلية وحسن تنظيمها وتدريبها وتسليحها ٠

٢ - انشاء النظام الاقتصادى الصهيونى الذى يلائم عملية البناء القومى لدولة اسرائيل ٠

٣ ـ طلب تأييد الحكومات الصديقة والمساعدة ٠

٤ ـ طلب مساعدة يهود العالم ٠

٥ ـ زيادة الهجرة اليهودية الى أرض الدولة الجديدة ٠

وهكذا بدأت الحركة الصهيونية الاستعمارية التوسعية اتخاذ اسرائيل كأداة طيعة لتحقيق اهدافها العالمية عن طريق جولات عسكرية متتابعة تقضى على تيار المد الثورى الزاحف لتطهير ارض العرب من أدران الاستعمار واسرائيل ٠

وجاءت الجولة الثانية فى خريف عام ١٩٥٦ :

وكان دور اسرائيل فيها مخلب قط استخدمته الدول الكبرى والصهيونية العالمية لاخماد انفاس التحرر واعاقة ركب التطور فى ربوع الوطن العربى الكبير ٠ وكبت انتفاضات النمو والازدهار التى بدأت فى الجمهورية العربية المتحدة ٠ والتى كانت ستؤدى بالضرورة الى زيادة ودعم الصمود العربى فى مواجهة أيديولوجية التوسع الامبريالى الصهيونى ٠

فعدوان اسرائيل عام ١٩٥٦ لم يكن انتقاما لتأيم مصرلشركة القناة ٠ بل كان حربا شنتها اسرائيل لتحقيق عدد من الاهداف هى :

١ ـ تكبيد الجيش المصرى اكبر الخسائر والقضاء عليه كلية اذا امكن باعتباره اقوى الجيوش العربية

٢ ـ فرض الصلح بالقوة على مصر وبالتالى على العرب

٣ ـ تأمين الملاحة فى خليج العقبة ٠ والذى سيفتح امام اسرائيل شريان المرور الاقتصادى عن طريق البحر الاحمر والذى سيساعد على تدعيم الوجود الاسرائيلى ونموه ٠

وكانت هذه الاهداف الاستراتيجية لاسرائيل هى السبب الرئيسى والحقيقى للجولة الثانية التى وقعت فى اكتوبر ١٩٥٦ ٠

ولقد كان لصمود الشعب العربى فى مصر لهذه الجولة ٠ ولاعلانه الاصرار على الوقوف فى وجه القوات المعتدية ٠٠ وعدم الاستسلام لقد كان ذلك من اهم الاسباب التى ادت الى فشل اسرائيل فى تحقيق معظم اهدافها الاستراتيجية التى كانت ترمى لتحقيقها فى عدوان ١٩٥٦ ٠ الا انها مع ذلك استطاعت ان تنتزع من اشلاء هزيمتها عام ١٩٥٦ حق الملاحة البحرية والجوية عبر خليج العقبة العربى ٠

وبدأت اسرائيل مرحلة جديدة من مراحل الاعداد للقضاء على العرب وعلى كل انتفاضة عربية فى الشرق الاوسط ٠ وبدأت فى العمل الجاد فى سبيل تنفيذ اهدافها الاستراتيجية من أجل البقاء والتوسع ٠ معتمدة فى ذلك على مبدأ اللا اخلاقية فى العمل والخروج عن كل القيم التى تحكم الاسلوب وتحدد الطريق نحو الهدف ٠ يقينا منها بأن الغاية تبرر الوسيلة ايا كان شكلها ٠ وان الحركة نحو الهدف يجب أن تتجرد عن مقاييس الاخلاق وتتحرر من قيود الاداب العامة ٠ وان المخادعة والتضليل والتزييف والتواطؤ انما هى انماط تحتذى وغايات تنشد ٠

واخذت اسرائيل تعد العدة لجولة ثالثة مع العرب تهدف فيها الى تأمين جديد لوجودها وتأخذ فيها بالمبادأة الاستراتيجية التى تفاجىء فيها العرب بالعدوان المدبر الذى يقضى على انتفاضة القومية العربية ويحقق جزءا من احلام امبراطورية اسرائيل التوسعية ٠ ثم كانت الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة فى صيف عام ١٩٦٧ ٠

فلقد جاء عام ١٩٦٧ وهو يحمل معه تهديدات لكيان اسرائيل وعراقيل فى سبيل تحقيق احلامها المنشودة ٠ فلقد استشرت مع مطلع هذا العام الازمات الداخلية فى اسرائيل وتفشت فى أرجائها البطالة تفشيا هائلا ٠ وهبط معدل استثمار رؤوس الاموال الاجنبية فيها ، وارتفعت نسبة نزوح المهاجرين منها الى الخارج : وفى نفس الوقت توقف تيار الهجرة اليهودية اليها ، فكانت كل هذه نذرا مفزعة وعوامل خطيرة ، هددت وكر الصهيونية العالمية ٠ ودفعتها الى العمل السريع الذى يحفظ لها كيانها ٠

وسارع دافيد بن جوريون فى ١٩ ابريل ١٩٦٧ يدق أجراس الخطر ويعلن على العالم اجمع من تل أبيب « أن مستقبل دولة اسرائيل أصبح غير مضمون » ثم أعلن يوسف كلارمان عضو الهيئة الادارية للوكالة اليهودية فى حيفا يوم ٢١ أبريل ١٩٦٧ ؟ بأنه اذا لم يزد سكان اسرائيل من اليهود بمعدل لا يقل عن ٥٠ ألف نسمة سنويا : واذا لم يوضع حد لتيار الهجرة الجارف منها الى الخارج : فان هناك خطرا داهما فى أن يتحول اليهود فى اسرائيل الى أقلية ضعيفة خلال جيل واحد ٠ وليس من سبيل امام هذا الخطر الداهم سوى خلق ظروف افضل لاستيعاب مهاجرين جدد ٠ وتوطين مزيد من السكان فى مزيد من الاراضى ! ٠

ثم القى آريه بن اليعازر نائب رئيس الكنيست خطابا فى العاشر من مايو ١٩٦٧ امام الكنيست فى مناسبة ذكرى قيام دولة اسرائيل ، جاء فيه « ستحيى اسرائيل مناسبة هذه الذكرى وهناك ٢٥٠ ألف مواطن اسرائيلى اضطروا الى النزوح عن الوطن بسبب عدم توافر العمل امامهم ، ولان الحياة لم تعد تطاق فى بلد يعيشون فيه بلا مورد او دخل ٠ ان على اسرائيل ان تعمل جاهدة لمنع هذا الخطر حتى لا تصبح الاغلبية فى نهاية الامر ومع مرور الزمن ، فى جانب العرب »

وتجمعت غيوم هذه العوامل الخطيرة فى سماء اسرائيل • وكان لا مفر لزعماء اسرائيل من أن يعالجوا هذا الانحلال ، والانكماش ، بسرعة وحسم ، وكان لا مناص من أن تستصرخ الصهيونية العالمية ، وتستجدى الاستعمار الامبريالى ، لبذل العون والمساعدة العاجلة للحفاظ على حياة اسرائيل • واستمرار بقائها قاعدة استعمارية تؤمن مصالح الاستعمار فى منطقة الشرق العربى • وسرعان ما اهتدى الاستعمار الامبريالى وربيبته اسرائيل الى خطة تستجدى عطف الضمير العالمى ، وتستغل اليد العاملة العاطلة • وتجتذب المهاجرين الجدد • وبدأت الاحزاب الاسرائيلية فى شن حملة تعبئة الشعور العالمى والداخلى لتقنين العدوان الاسرائيلى الوشيك الوقوع ، وذلك على زعم انه عمل شرعى لا غنى عنه للرد على اعمال الفدائيين العرب •

بدأت تصريحات الزعماء الصهاينة التى تدعوا لشن الحرب على العرب • فصرح آريه بن اليعاذر فى العاشر من مايو ١٩٦٧ قائلا « ان الفدائيين العرب قد هاجموا اسرائيل ١٥ مرة خلال شهر واحد ، وان على حكومة اسرائيل ان تفصح عما تنوى عمله لتأمين حياة المواطنين ووضع حد لهجمات الاعداء » • وفى نفس الوقت صرح هذا الزعيم الصهيونى بما كشف النقاب عن حقيقة الحرب العدوانية التى ستشنها اسرائيل فقال « ان حزب حيروت لن يتنازل قط ولا فى أى يوم من الايام عن مبدأ ارض اسرائيل الكبرى المعروف تقليدا انها تمتد من النيل الى الفرات » •

وبدأ المخطط الاستراتيجى الصهيونى الامبريالى يأخذ دوره فى التنفيذ • وكان هدفه هذا العام التخلص من الانظمة التحررية التى اشتد ساعدها فى الدول العربية • وعلى راس هذه الانظمة نظام الحكم الوطنى الثورى فى الجمهورية العربية المتحدة • وكذا نظام الحكم فى الجمهورية العربية السورية • وبدأت فى تل أبيب المشاورات السرية من اجل تنفيذ هذا المخطط • فاجتمع فى الفترة ما بين ٩ ، ١٢ مارس ١٩٦٧ كل من « مستر لوشيوس باتل » مساعد وزير الخارجية الامريكية لشئون الشرق الادنى وجنوب آسيا • والمستر « هارولد ساندرز » مستشار الرئيس الامريكى لشئون الشرق الادنى • والمستر « تاونسند والمستر « هوبس » مندوبا وزارة الدفاع الامريكية • اجتمعوا بالمسئولين الاسرائيليين فى تل أبيب والقدس • ثم برئيس حكومة اسرائيل ورئيس الاركان العامة وبنائب وزير الدفاع الاسرائيلى « الدكتور زفى دنيشتاين » • وتدارسوا معا حدود اسرائيل الراهنة مع الدول العربية بشكل عام ، وحالة التوتر السائدة على الحدود السورية الاسرائيلية بوجه خاص •

وتم فى هذه الاجتماعات السرية الاتفاق على قيام اسرائيل بالدور الرئيسى فى الخطة المبيتة للعرب • الا وهى شن هجوم كاسح على سوريا • وخاطف يهدف الى ازاحة نظام الحكم فى سوريا وزعزعة ثقة الشعب السورى بقادته •

ووقف اسحق رابين رئيس الاركان العامة الاسرائيلية يعلن من اذاعة اسرائيل يوم ١٢ مايو ١٩٦٧ « اننا سنشن هجوما خاطفا على سوريا وسنحتل دمشق لنسقط الحكم فيها ، ثم نعود ! •• »

وفوجئت الدوائر الاستعمارية والاسرائيلية بالجمهورية العربية المتحدة تعلن أنها ستقف مع سوريا وانها سوف تتخذ الاجراءات اللازمة الكفيله بردع هذا العدوان • وبدأت هذه الدوائر تعيد تخطيطها بسرعة على أساس الهجوم الشامل على الدول العربية الثلاث وهى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن •

وهكذا بدأت الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ وبدأت تنفيذ الاهداف الاستراتيجية التوسعية لاسرائيل بعد انتصار القوات الاسرائيلية فى بداية هذه الجولة •

ووقف مناحم بجين الوزير الارهابى المعروف يعلن فى مطلع يوليو ١٩٦٧ قائلا « لن يكون هناك سلام لشعب اسرائيل ولا فى أرض اسرائيل : ولن يكون هناك سلام للعرب ولا فى أرض العرب : وسنستمر فى تحرير وطننا وانقاذ ارضه كلها من نير العرب : وستستمر الحرب بيننا وبينهم حتى ولو وقع العرب معنا معاهدة صلح •• » •

ثم تحدث دافيد بن جوريون فى العشرين من اكتوبر ١٩٦٧ قائلا « يجب أن نتخذ من الفتوحات العسكرية أساسا للاستيطان : وواقعا يجبر الجميع على الاعتراف به ، والانحناء امامه » •

وهكذا يتضح أن الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة لم تحدث بسبب دفع خطر الفدائيين العرب •• بل هى وليدة مخطط صهيونى استعمارى مبيت • يهدف الى تحقيق التوسع القومى الصهيونى بجانب تحطيم القيادات العربية التقدمية التى تقف حجر عثرة فى سبيل الاحلام والمطامع الصهيونية •

وبعد فليس هناك أدنى شك فى أن الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة لن تكون نهاية هذا الصراع الدامى : فما زال فى جعبة الامبريالية والصهيونيه الكثير من التطلعات التوسعية الشرهة : والامال الدفينه : لارساء قواعد دولة اسرائيل الكبرى : لتمتد حدودها من النيل غربا الى الفرات شرقا : ولتوفر قاعدة امبريالية عدوانية فى قلب الوطن العربى تفصل مشرقه عن مغربه •

ولكن فانه مما لا شك فيه ايضا ان الامة العربية والاسلامية مازال لديها الكثير من الطاقات المادية والمعنوية التى تكفى لاستخلاص الحق العربى المغتصب ولتمكين العدالة من أن تسود • ولوضع الحق فى نصابه ، والقضاء على الباطل فى مهده •

والله سبحانه وتعالى لنا ناصرا وللحق مؤيدا وللباطل زاهقا •

ركائز النصر ودعامة التحرير

الأستاذ عبد الرحمن السحتري

اذا تلفت الانسان حوله وأراد أن يأخذ دروسا وعبرا مما تقع عليه عيناه . فانه يجد العجب العجاب . يجد الاثر الذى يحدث نتيجة الاجتماع والتكتل لايمكن أن يوجد عند الانفراد والتفرق . وهذا أمر مسلم به فى عالم الماديات والمعنويات . وفى شىء من التفصيل نقول :

ان قطرات الماء اذا تجمعت وتناولها الظمآن فانها تذهب ظمأه وتزيل عطشه . والاشجار الصغيرة على ما بها من ضعف اذا تراصت فانها تهزأ بالعواصف وتسخر من الرياح . والثوب الذى ترتديه ماهو الاخيوط متناثرة واهية ولكنها لما جمعت قويت وسترت ولو تركت على ما كانت عليه من تناثر ووهن لما سترت عورة ولا حفظت جسدا . واللبنة الصغيرة اذا وضعت بجوار أختها وأحسن الانتفاع بها أقيمت منها بيوت وعمارات هذا فى الماديات :

أما فى المعنويات : فاننا نجد أن المعانى الخفية فى أعماق النفس لايمكن التعرف عليها ألا عن طريق الكلام المنطوق ولايتكون الكلام الا اذا ضمت كلمة الى اخرى وتحرك بها لسان هنا تتضح المعانى وتاخذ طريقها الىّ العقول وتحدث أثرها فى النفوس والقلوب واللوحة الفنية بما فيها من جمال وجلال لا تعطى الصورة الواضحة الجلية الا اذا ضمت الاجزاء الى بعضها .

وفى اتحاد الجماعة – أى جماعة – نرى وضوحا فى الرأى واشراقا فى الفكر . ووصولا الى ما يقنع العقل ويطمئن النفس ودائما صوت الجماعة أقوى من صوت الفرد – ومكانتها لاتطاولها مكانة – بهذا نطق التاريخ وشهد الزمان واعترف العقلاء ومن هنا أدركت الامم عبر التاريخ – ولا سيما فى عصرها الحاضر – ما فى التجمع من قوة فعقدت ندوات ودعت لمؤتمرات استجابة لنداء الفطرة فيها بأن الانسان اجتماعى بطبعه . والحاحا من وحى الفريزة الانسانية القائل : ان الانسان عاجز عن تحقيق مطالبه وضروراته فى حياته بنفسه ولا بد له من تبادل النفع مع غيره لكى ينتظم سير الحياة . واذا يممنا وجوهنا نحو القوانين الارضية والاديان السماوية وقلنا : هل دين من الاديان كلها أو قانون من القوانين جميعها استجاب لنداء الفطرة المستقيمة وساير الدوافع النبيلة ودعا الى القوة البناءة والتجمع على الخير مثل – ما دعا اليه الاسلام ؟ فالرد بالايجاب يقول : ان البشرية على رغم ما مر بها من قرون لم تظفر بدين أوسع صدرا أو أرحب أفقا وأقوم نهجا وأعدل حكما وأبعد نظرا واسمى غاية مثل دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده دينا حنيفا وشرعا قويما لانه جاء بكل ما يجمع الناس على الخير ويدفعهم الى البر ويقودهم الى السعادة والامن وبر السلام . ولم يظفر بشىء من هذا كله دين ولا قانون سواه . لماذا ؟

لان نبى الاسلام جاء ليقيم على أنقاض الامة العربية المتمزقة والمتفرقة – أمة قوية متجمعة خيرة ويقف محمد صلى الله عليه وسلم يضع أسس الامة الجديدة والمجيدة فيقول :

اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين واربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله لا يجمع أمتى الا على هدى ويقول : يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار وجعل الاسلام الجماعة فى الصلاة أمرا مشروعا ولم يسو بين ثواب الفرد وثواب الجماعة فهذه تعدل تلك بسبع وعشرين درجة ويقول صلى الله عليه وسلم .

صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ [المنفرد] بسبع وعشرين درجة « كما صح أن النبى صلى الله عليه وسلم – هم أن ينيب واحدا ليصلى بالناس ثم يذهب الى بيوت الذين يتركون الجماعة ليحرق عليهم بيوتهم » بل دعا الاسلام المصلى فى الصلاة أن يتكلم بلسان الجماعة فيقول: [اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم] وأمره اذا دعا ربه أن يدعو لغيره كما يدعو لنفسه [والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم) وصار يوم الجمعة فى الاسلام عيدا للمسلمين فيه يلتئم شملهم وتتوحد صفوفهم وتتضح الغاية أمامهم وتعلو كلمتهم وتسعد جموعهم ويمتاز الاسلام على غيره بانه انسانى النزعة ربانى الغاية فتجده فى الوقت الذى دعا فيه الى التجمع أمر بان يكون التجمع متجها نحو الخير والنفع محث على التآلف والتعارف ليعين القوى الضعيف ويرشد العالم الجاهل ويمد الغنى الفقير

ولعين الشعوب المتقدمة غيرها من الشعوب التى لم تلحق بركابها لتخفف من ويلاتها وترفع العذاب عن كواهل أفرادها ويبين الاسلام ان الميزان الحقيقى الذى يجب ان ترنو اليه الانظار وان يفاخر به الجميع هو ميزان العمل الصالح النافع الذى يقرب من الله فى يوم تنكس فيه الهامات الفاجرة وتعلو فيه الرءوس المؤمنة ، لذا قال :

[يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) وهذا التآلف الخير والتعارف البناء لم يتركه الاسلام بناء لا اساس له او زرعا لا جذور له وانما اقامة على ركائز متينة تمده بعوامل القوة وأسباب الحياة . وأطلق عليها أركان الاسلام الخمسة .

فالشهادتان من آمن بهما ودعا اليهما يجد أنهما تحطمان كبرياء الانسان وظلمه . وغروره وعتوه . وتمنعه كلمة التوحيد من الاستعلاء فى الارض بغير الحق واضعة أمام عينيه انه لا خضوع الا لله ولا تعنو الوجوه لسواه . وبهذا يقضى على الفساد . فلا استغلال لشعب . أو استعمار لامة ولا ظلم لقارة . ولا قرصنة فى بحر ولا مؤامرة فى أرض أو جو . لان الله محاسب ورقيب ولانه عزيز ذو انتقام .

ونجد فى الصلاة تجمعا خيرابناء يجمع القلوب على الايمان بربها والنفوس لمعرفة خالقها ويوقظ الضمائر . ويرهف الاحساس ويقود الطاعة والنظام وراء امام واحد . ونحو قبلة واحدة للخضوع لله الواحد المعبود . وفى الصوم نجد الدروس الجماعية من تدريب للنفس وتطهير للقلب وسمو بالروح وقتل للاثرة وقضاء على النزوات الجامحة ليتطهر المجتمع بعد أن تطهرت الارواح ، ويطمئن المجتمع بالامن بعد أن سكنت القلوب بالايمان .

وفى الزكاة نجد الايدى امتدت بالبر والالسنة انطلقت بالشكر والقلوب خلت من احقادها والمشاكل عرفت الى الحل طريقها . والتحمت الجماهير متعاونة متحابة كونت جبهة متراصة . تتحطم الصخور الجلامد ووحدتها لا تتحطم . لانها ارتبطت بذى القوة المتين .

واذا كانت الاركان الاربعة السابقة تدور بين قول وعمل فقد عدد الاسلام دائرة اوسع وبين غاية انفع . فقال ، (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب] ونراه فى مجال القول يسمو به ويحرم على المسلم أن يتناجى مع غيره ولو بكلمة فيها اثم فيقول : يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون . ويرتقى الاسلام بالكلمة سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة ويبين أبعادها وخطورتها وجزاءها . آمر المسلم أن يتحسس مواضع كلامه كما يتحسس موضع قدميه — لان زلة اللسان اخطر من زلة القدم — وعلى المسلم أن يتخير اللفظ العفيف النظيف فى كلامه فيقول عز من قائل : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ، ويؤكد ذلك فى اصرار فيقول :

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . ويبين للناس انهم محاسبون على ما يقولون بين يدى العليم لخفايا النفوس وطواياها . فيقول : ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فعليهم ان يتمثلوا أمر ربهم (وقولوا للناس حسنا) : ولا قيمة للقول ولا ثواب فيه ولا خير فى العمل الا اذا اخلص القصد لله واتجهت النيه الى الله . وقصد نفع الجميع .

لهذا : [لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما] .

أما فريضة الحج فنجد الامر فيها أوضح بكثير مما سبق فهذه الفريضة التى جعلها الله ركنا أصيلا وأمرا مقررا فى قوله : ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين . نرى النبى صلى الله عليه وسلم ينزلها منزلتها لانها تكاد تحوى فى طياتها الاركان السابقة . ففيها التوحيد الخالص والصوم عن الكثير من شهوات النفس وحظوظها وفيها دفع مال أكثر من الزكاة . وفيها صلاة وصفاء . وهجر للاولاد وترك للاوطان . لهذا جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الحج من أفضل الاعمال التى يتقرب بها العبد الى الله . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل الرسول : أى الاعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم جهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور

ويبين المصطفى صلى الله عليه وسلم جزاء الحج المبرور فيقول هذا البيت دعامة الاسلام : فمن خرج يؤم [يقصد] هذا البيت من حاج أو معتمر . كان مضمونا على الله أن قبضه أن يدخله الجنة . وأن رده . رده بأجر وغنيمة] فهذه الفريضة التى استجابت لها الارواح قديما وقالت : لبيك اللهم لبيك : لو تأملناها لوجدناها تقدم لنا النموذج الكامل للمسلم المثالى الذى يتفجر الاسلام من جوانبه .

فمثلا تطالب هذه الفريضة المؤدى لها ان يكون سلما مع نفسه فلا يحلق شعره ولا يقصره ويحفظ لسانه ولا يلوثه . ويكف يده ولا يمدها بأذى أو فسوق . ويبتعد عن شهوات النفس ونزواتها [فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج] ودعاه الاسلام فى حرص بالغ ان يكون سلما مع الحيوان كذلك فلا يقتله ولا يطارده الا ماجاء الحديث الشريف باستثنائه لما فيه من أذى وايذاء . وعلى الحاج أن يعيش بجوار النبات فلا يقطع شجرا ولا يتلف زرعا . وأن يكون مع ثيابه مسالما فلا يلبسها مخيطة كأنما يخشى عليها وخز الابر .

كل هذه المعانى تعكس السلام على سلوك المسلم فيجده جاريا فى دمه واعصابه وضميره وخواطره . وليس هذا فحسب . بل يجب أن ينعكس هذا السلام على الامة الاسلامية وغيرها : تسالم الناس وتقدم النفع لهم وفى الوقت نفسه ليس هذا السلام قائما على التفريط فى الحقوق أو الاستسلام أمام قوى الطغيان . وانما لهذه الامة من عزة نفسها وقوة جيشها وتعاون ابنائها واصالة مجدها وايمانها بربها ما يرد كيد العدو ويدفع عدوان المغير . فسلامها لمن يسالمها وعداوتها لمن يعاديها والامر كما قال الله تعالى (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين] .

وكما كرر قائد هذه الامة : نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا . وفى رحاب البيت الحرام يلتقى الاخ بأخيه ويقضى كل نهم بآلامه وآماله افرادا أو جماعات شعوبا وأمما . وعلى مرأى ومسمع من رب البيت يمسح المجبور بيده الحانية على أخيه الكسير لعل الجرح يبرأ والداء يزول . تلتقى هناك الجماعة المسلمة من شرق البلاد وغربها وطولها وعرضها : اختلفت جنسياتهم واتحدت عقيدتهم .

تباعدت أوطانهم وتقاربت قلوبهم . تباينت لغاتهم واتحدت غايتهم . يقفون على عرفات ويقولون بصوت هادر : لبيك اللهم لبيك ، بوحدة العقيدة والقوة آمنا . وعلى وحدة العمل وقوة الوحدة اتفقنا . وعلى نصرة المظلوم اجتمعنا . وبعزتك اعتصمنا لبيك اللهم لبيك : لانمكن لظالم من أرضنا ولا لغاصب من احتلال ديارنا . أو انقاص حقوقنا . يقولون هذا وهم فى رحاب البيت وضيافة الرب . والكل يذكر تضحية ابراهيم . وصبر اسماعيل ويقين هاجر وعزم محمد صلى الله عليه وسلم واصرار أبى بكر وبطولة خالد ، وشجاعة على ، وعبقرية عمر . ووفاء عثمان .

وتصميم بلال . واخلاص سلمان . هاتفين من أعماق قلوبهم رضى الله عنهم اجمعين .

ذاكرين الارض التى دارت فوقها معارك البطولة والصمود بين جند الحق والعدل . وأنصار الباطل والذل مع ادراكهم أن المسلم قديما كان يقف فى ميدان البأس ثابتا غير مزعزع . مقبلا غير مدبر . شجاعا غير جبان عزيمته اقوى من الحديد صلابة . وايمانه أشد من الجبال رسوخا ، فاذا أصابته الضربة القاتلة هتف من أعماق نفسه : فزت ورب الكعبة . كذلك يذكرون الهزيمة التى أصابت المسلمين يوم [أحد] لمخالفتهم أمر القائد محمد صلى الله عليه وسلم . بعد نصر حققوه . ومع ذلك لم تضعف الهزيمة لهم عزما . ولم تخيب فى النصر لهم أملا . ولم تنكس لهم رأسا وكانوا كلما هددهم الاعداء قالوا [حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم .

يقف الحجيج وهم يطوفون بالبيت الامن وترنو انظارهم الى اولى القبلتين وثالث الحرمين . ويذكرونه فى محنته التى نزلت به والنار التى اشتعلت فيه على يد العصابة الغادرة — ابناء صهيون — التى جعلت من المكان الذى بارك الله حوله — مكانا لا أمن فيه ولا حرمة له . ولا كرامة لاهله . ولا كيان لمجاوريه — ويعاهدون رب البيت على اعادة الحق السليب الى أهله . وتحرير القدس المبارك . ليعود صوت التوحيد يدوى على الدنيا من جديد مع الاخذ فى الاسباب . من عده تعد . وجيش يدرب . وامكانيات تحشد وأموال تجمع . وشعوب تترك حياة المجون واللهو . وتسير فى طريق العزة والمجد . حتى لايشمت فى هذه الامة عدو ولا يساء فيها صديق . ويؤدبون حفدة القردة والخنازير . ويقولون لهم بالعمل . ان الظلم مرتعه وخيم . ويضعون نصب اعينهم الجروح الغائرة فى جسم الامة . والدماء التى لاتزال تنزف من جراحاتها .ويذكرون أرواح الشهداء التى أزهقت . وأعراض المسلمات التى هتكت . وحرمات المسلمين التى دنست . فيعملون على تخليصها من عدوها . وهم على الموت أحرص منهم على الحياة على يقينهم بانه لا سبيل لهم الى الحياة الا هذا الطريق بعد أن اتضحت لهم نوايا الغدر . ووضحت أمامهم مخططات الغادر الاثيم . وليس دفع العدوان هو كل ما احتواه الحج وانما : ليشهدوا منافع لهم : نعم : ما أروع القرآن فى تعبيره . وما أوجزه فى بيانه : قال . [منافع] ، أطلقها ولم يقيدها . وأجملها ولم يفصلها . ولكن أهى اقتصادية تنشر الرخاء بين أهلها . وتحقق التكامل الاقتصادى بين شعوبها . وتقوى ظهر الامة التى تقف فى مواجهة اعدائها ؟ أم سياسية تتخذ فى اسلوب الاعلام . وشرح قضايا العرب والمسلمين حتى لا تتضارب الاقوال أو تتعارض الغايات ؟ أم ثقافية لتبادل الخبرات فى شئون الحياة على اختلاف أنواعها حتى لا يخطط لامة الاسلام أعداؤها. ولا ينال من كرامتها خصومها ؟ أم عسكرية تكون بحشد الطاقات وتعبئة الامكانيات فى جدية جادة . واخلاص لله وثيق .

أم روحية يملأ المؤمنون قلوبهم بنسيم الهدى الالهى . والنور الربانى فى شعاع من الامل المحيى للنفوس المؤمنة . والمعيد للحقوق الضائعة .

نقول : كل هذه المنافع وغيرها تدخل تحت قوله . عز من قائل ليشهدوا منافع لهم . وفى هذا الجو الروحى يتدارس المسلمون شئونهم وقضاياهم ويجتهدون فى وضع الحدود الناجحة لها بدافع من الاخلاص والصدق ويصدرون القرارات النابعة من قلوب مؤمنة بربها ووطنها .

وحق الجماهير عليها . لا تعرف الزيف ولا المزايدات . وتعمل للبناء ولا تهدم الا كل باطل . ولا تقضى الا على ما يحطم آمال الانسانية الراشدة . ويعوق تقدمها نحو اهدافها وغاياتها . ويوم يؤدى المؤتمر الاكبر فى الحج مهمته كما يريدها الاسلام فسيكون له صدى عميق . وقوة هائلة . تفوق قوة منظمات دولية . وهيئات عالمية . وبهذا وحده تعود للعرب والمسلمين حقوقهم . وتعلو رايتهم . وتسمع كلمتهم . واخيرا على المسلمين ان يدركوا دينهم . ويقولوا بالقول الصادق والعمل الجاد . لبيك يا قدس لبيك . قريبا نرفع علم الاسلام والتحرير عليك ؟ وقد تقول أيها القارىء متى هو ؟ وأنا أقول لك عسى أن يكون قريبا . وما ذلك على الله بعزيز ..

عبد الرحمن السحترى

« كله جهـاد فى سبيل الله »

يقول الله تعالى : « وقاتلوا فى سـبيل اللـه ، واعلموا ان الله سميع عليم » .

القتال فى سبيل الله هو القتـال لاعلاء كلمته ، وتأمين دينه ، ونشر دعوته ، والدفاع عن حزبه كى لا يغلبوا على حقهم ، ولا يصدوا عن اظهار أمرهم ، فهو أعم من القتال لامر الدين ، لانه يشمل مع الدفاع عن الدين وحماية دعوته ، الدفاع عن الحوزة اذا هم الطامع المهاجم اغتصاب بلادنا والتمتع بخيراتها ، أو أراد العدو الباغى اذلالنا والعدوان على استقلالنا ، ولو لم يكن ذلك لاجـل فتنتنا فى ديننـا ، فهذا الامر مطلق ، كأنه أمر لنا بأن نتحلى بحلية الشـجاعة ، ونتسربل بسرابيل القوة والعـزة ، لتـكون حقوقنا محفوظة ، وكرامتنا مصونة ، فلا نؤخذ من جـانب ديننا ، ولا نغتال من جهة دنيانا ، فالقتـال لحمـاية الحقيقة كالقتال لحماية الحق ، كله جهاد فى سـبيل اللـه .

« واعلموا ان الله سميع عليم » : سميع لما يقول أولو العزة والاباء ، لبعث الجهود وتقوية العزائم ، والهاب عاطفة الحمية والنخوة ، ولما يقوله الجبنـاء لتثبيط الهمم واطفـاء نـار الغضـب ، ووأد الروح المعنوية ، عـليم بمـا يكون من هؤلاء وهؤلاء فيمنح المجاهدين درجات منه ومغفرة ورحمة ، ويذيق الجبناء الهوان والحرمان ولعذاب الاخرة أشـد .

واللـه هو القوى المتين ، بفضـله وقوته ينصر المؤمنين ، ويقضى على المجرمين .

كيف استيقظت روح المقاومة بعد غزوة أحد؟

الاستاذ محمود محمد عمارة

ان الامة اذا صحت على أضواء من النكسة تكشفت لها ما لم تكن تراه .. فواصلت المسير .. واحتفظت بارادتها صلبة تتحدى بها عدوها .. مستعلية بقيمها على شائعاته ودسائسه.. فانها تفوت عليه غرضه الاساسى من عدوانه .. ويصبح احتلال جزء من الارض امرا يمكن تلافيه .

وتاريخنا الاسلامى غنى بهذه المواقف البطولية التى تنقض على العدو اغراضه .

وتثبت فى ذات الوقت ان المسلم اذ يكابر بارادته عدوا غاصبا انما يوضح معنى « النصر » فى التصور الاسلامى وهو :

ان يعود الجندى من معركته.. ومعه نفسه التى لا يكسرها اندحار كما لا يغريها انتصار .. وحينئذ ففرص النصر مازالت قائمة فى وعى نفس يمسكها ايمانها ان تزول .. ويمنحها من لدنه مقاومة عنيدة لا تلين .. ولا تهادن ولنا فى « أحد » شاهد :

لقد انتهزها العدو — فرصة يضرب فيها ضربته الثانية ..

هكذا بينما الحديد ساخن :

اشاعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل .. لينفرط العقد بعد أن ضاعت واسطته .. وقالوا للمسلمين :

« ارجعوا الى دينكم وإخوانكم .. ولو كان محمد نبيا لما قتل » !

ويبدو أن هذه الحملة النفسية قد حققت بعض اغراضها لدى بعض ضعاف النفوس فعادوا الى الكفر ..

حتى المخلصين من المسلمين لم يكونوا بنجوة من هذه الحملة حين شق عليهم استئناف القتال لما دعاهم الرسول اليه !

عند ذلك نزلت الآى تترى..متعقبة هذه الخواطر قبل أن تعشش .. واضعة امام البصائر حقائق لابد من التجاوب معها ليستقيم الميزان ويحسم الموقف :

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس . وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين .. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين . ولقد كنتم تمنون الموت من

قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون • وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » •

ان عظمة الجيش لا تقاس باحرازه نصرا ما •• بقدر ما تقاس بقدرته على الصمود فى ظلمة خطر •• مستلهما ايمانه ومبادئه التى تبقى فى لهب المعركة فصوصا من الماس •• تشع بهاء وضياء ••

فلا مجال للحزن اذن على دماء سالت بالامس •• فتلك سنة الله فى خلقه •• ولا داعى للاحساس بالهوان او الضياع مادمتم قد خرجتم من المعركة بنفوسكم •• فلم تضع هناك تحت سنابك الخيل !

ولحساب من هذا الدمع المسكوب •• فى حين انكم سبقتم بالنصر فى بدر ؟

هكذا الحرب يوم لك •• ويوم عليك ••

والشهداء الذين سقطوا كانوا « قادة » لدرس يجب ان تتعلموا منه صناعة الموت فى سبيل الدين والوطن تعلما يؤكد لكم أن الطريق الى النصر محفوف بالمكاره التى تذوقون اليوم بعضها ••

على أن معركة احد لم تكن مفاجأة لكم •• فقد جاءت تحقيقا لامنيتكم حين قلتم : « **ليت لنا يوما كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه** » **وهأنتم اليوم تواجهون الموت •• فلم تجزعون ؟ الان محمدا قد مات ؟** على أى حال لم يمت محمد القائد •• والواقع الماثل يكذب هذا الزعم •• ولو كان قد مات •• فلن يكون موته امرا غريبا !! فهو كأى نبى قبله يموت •• وتبقى رسالته من بعده ملتقى المؤمنين ••

ويمضى السياق القرآنى فيعرض عليهم صورة من جهاد اخوة لهم سبقوهم بالايمان فما وهنوا •• ولم تجر على لسان واحد منهم كلمة يائسة •• لكنهم عادوا باللائمة على نفوسهم التى عصت ربها فلقيت جزاءها •• « **وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين • وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين** » •

ولقد وعى المسلمون الدرس •• فآتاهم الله ثواب الدنيا اذ أمدهم بروح منه أعادت الى نفوسهم رشدها وسرت فيها روح مقاومة عارمة تتحدى الموت •• وتحبط فى ذات الوقت كل ما أراده سفراء اليهود الى الشرق والغرب من بث للفتنة •• ونشر للاكاذيب ••

وقد اتضحت معالم هذه المقاومة العنيدة عندما اوفد التحالف الباغى بين المشركين والمنافقين •• وزراءه •• ليرموا بآخر سهم فى الجعبة •• ليساوموا محمدا على عقيدته فقالوا له ، « **ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة** » !! وهنا ينهض عمر بن الخطاب باسم المسلمين الذين لم يستسلموا للهزيمة فيستأذن فى ضرب اعناقهم •

وعلى رغم أن الرسول عليه السلام لم يحقق غرضه فى قتلهم •• لكنه سجل فى هذا الموقف صحوة المسلمين وتحديهم لسفراء الدولة الغالبة ! تحديا يزرى بما حققوه من نصر لم يقتنعوا به هم ! والا فما سر هذا التطواف حول القبائل •• من « دولة » الى أخرى •• ومن القاعدة الى القمة ••

ما سر هذه الحملات الدعائية حول النصر المزعوم ؟ •• لا سر هناك •• وكل ما هنالك انهم لم يحسوا للنصر طعما بعد أن استعصت عليهم الجبهة الداخلية فلم ينقضوا منها حجرا ••

وفى هذه اللحظات الحاسمة يلفت الله عز وجل نظر رسوله الى ما ينبغى أن يكون تجاه هذه المساومة المغرضة من قبل العدو فيقول تعالى : **يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما** » •

اتق الله تقوى تمنعك من طاعة هؤلاء •• واولئك •• ولتبق للدولة شخصيتها المستقلة فى زحمة المعارك ••

وبعد :

فما اشبه الليلة بالبارحة ! ان التحالف الباغى بين اليهود وساداتهم ينتصر علينا اليوم فى معركة خاطفة •• وها هى ذى ابواق دعايته تزحم الجو بألوان من الحرب النفسية : « **يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله** » وكلما ازداد اليهود فى حربهم النفسية ضراوة كلما زاد اقتناعنا بما تعلمناه من تاريخنا • انهم لم يتذوقوا طعم النصر •• وماهم يهرفون !

وما بد من أن نعود الى تاريخنا نستلهمه العبرة • واذا كان من مقررات الحروب • اذا انتصر عدوك فلا تترك له الميدان خاليا •• فان من مقرراتها ايضا : اذا انتصر عدوك فلا تسلم له قلبك وارادتك يمرح فيهما كيف شاء •• ذلك بأن تحرير الارض امر يسير المنال •• لكن تحرير الارادة المسلوبة دونه اهوال ثقال •• والملك الذى يبكى عليه أصحابه لايعود •• لكنه يعود عندما يقاتلون من اجله •

الأستاذ
محمود أبو الفيض المنوفي

القرآن الكريم

يقول الله تعالى [الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، الله الذى له مافى السموات وما فى الارض وويل للكافرين من عذاب شديد] سورة ابراهيم آية [١] و [٢] .

ان هذه الايات الكريمة تدل على أن القرآن روح تقوم به الحياة أنزل من الله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة أمين الوحى جبريل عليه السلام . والقرآن وان كان معجزا فى ألفاظه وجمله وتركيبه الامر الذى أدهش العرب وأكبر ما أدهشهم فيه أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد تربى فيهم ولم يعلموا أبدا أنه كان أديبا أو شاعرا من أصحاب المعلقات فاعجزهم بتركيبه الذى لا مشاحة فى أنه أخرس بفصاحته فرسان البلاغة فى العرب وقادة الخطابة وسادة القوافى وملوك البيان كل هذا معلوم .

ولكن أبدع مافيه من الاعجاز أن له روحانية خاصة مؤثرة على النفوس وتلك الروحانية تبين لنا الوجه الحقيقى فى قصور الانس والجن عن الاتيان بمثله وبقائه لليوم معجزة خالدة تتالق من أنوارها المقدسة أضواء العلوم الكونية والمعارف الالهية وروحانية القرآن مضافة الى اعجازه فى جمله وألفاظه كانت السبب الوحيد فى انقطاع الانس والجن عن محاكاة أقصر سورة من سوره وفوق هذا وذاك فان فى القرآن آخر انماط التشريع الانسانى والالهى : الدنيوى والاخروى التى لاتجارى ولا تمارى وهو ينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الابصار والبصائر وهو الطريق الكامل الى الله لانجازه بغيره ولا سبيل الى الحق سواه فمن رام الاطلاع على مقاصد الشريعة وطمع فى ادراك غاياتها وأراد اللحاق بالمقربين الى الله من أهلها اتخذه سميره وأنيسه وجعله على مر الايام والليالى جليسه ودقق فى مضامين آياته نظرا وعملا فمن فعل ذلك ولم يقتصر على ظاهر الالفاظ والوان القراءات فاز بالبغية وظفر بالطلبة فى الدنيا والاخرة ولحق بالسابقين الرعيل الاول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم .

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن على قلب نبيه الامى محمد صلى الله عليه وسلم ونطق بلسانه وكان أول نطقه بالقرآن حينما نزل عليه جبريل وقال له [اقرأ] قال ماأنا بقارىء وكرر القول الى أن قال [اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم] .

وقد أنزل الله القرآن على قلب محمد ولسانه بواسطة الملك جبريل لامرين مهمين أولاهما : اثبات الرسالة الكبرى التى جاء بها نبى الامة المرحومة اثباتها بالتحدى باقصر سورة منه فافحم الفصحاء وأعجز البلغاء عن أن ياتوا بمثله ، وقد أعلن الله ذلك وأنزل على محمد قوله بأن قال له قل أى يامحمد [قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا] .

وقد وجه الخطاب لملوك الكلام الذين كانوا يتصرفون فى سائر وجوهه نثرا وشعرا كما يشاءون ومع ذلك ولوا عنه مدبرين لعجزهم ثم استعانوا بسيوفهم واستهانوا ببذل مهجهم وأرواحهم فى معارضته لا بالقول الفصل ولكن بالسلاح والقوة وواضح أن ذلك شأن العاجز الذى لزمته الحجة فلم يذعن للحق كبرا وعنادا .

هذا ولسنا الان بسبب بيان الاعجاز اللفظى والمعنوى وانما ساقنا اليه التقسيم الذى قسمناه والذى يهمنا الامر الثانى وهو التشريع القرآنى الكامل المبين لكليات الشريعة الخالدة الى يوم الدين والمحدد لاصول مكارم الاخلاق تحديدا بينا وواضحا كما يقول صلى الله عليه وسلم [بعثت لاتمم مكارم الاخلاق] أو كما يقول الله تعالى فى الاية التى بدأنا بها هذا الحديث [كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد] .

وقد امتاز القرآن على جميع ماسبقه من الكتب المنزلة بجمعه بين سياستى الدنيا والاخرة وما يكفل للانسان السعادة فيهما فضلا عن اتصاله بنور الله وعرفان عظمته ومجده القديم الازلى والباقى الخالد .

وقصص القرآن ليس قصصا مجردا كما هى فى غيره من الكتب بل كلها حكم يتناول منها عقل الانسان ووجدانه كامل الاعتبار والادكار والتذكر لاحوال الغابرين بلسان عربى مبين وذلك كما يقول الله تعالى [انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون] .

يعرف ذلك من القرآن من قرأه بتدبر وامعان وتفكير واعتبار. والقرآن مع ذلك فى كل حكمه وأحكامه مبتعد عن طرفى التفريط والافراط متخذا الطريق الامم الذى لايوجب عجزا ولا حرجا أو مبالغة أو شططا وانما الامر كما يقول الله تعالى [وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل] .

فلهذا ولهذا ولاسباب أخرى يطول شرحها كان الاسلام دين الفطرة التى فطر الناس عليها الحاوى لوعد الله ووعيده بالاسلوب الذى يشوق القارىء والسامع الى حب الطاعات وعمل المبرات ويبعده عن الشرور التى توجب الخزى والشقاء فى الدنيا والاخرة.

ثم بين الله لعباده أنه وراء الوعد والوعيد أرحم الراحمين وأكرم الاكرمين وخاطبهم بقوله [قل ياعبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم] .

وبينما بين لهم ذلك يخاطبهم قائلا : [وانيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن ياتيكم العذاب ثم لاتنصرون واتبعوا احسن ماأنزل اليكم من ربكم من قبل أن ياتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون] .

واقتضت حكمة الله تعالى فى خطاب عباده أن يعدهم حتى يجعل الرجاء فى غفرانه أمرا واقعا ثم أوعد حتى ملأ القلوب خوفا ورعبا من المصير وهكذا يظل الانسان بين الخوف والرجاء على الطريق السوى المستقيم الموصل الى رحمة رب العالمين حتى لاييأس الانسان من رحمة ربه ولا يهمل طاعته اتكالا على عفوه ومغفرته وهذا هو مقتضى الايمان الصحيح .

والرجاء فى الله والخوف منه صفتان كفيلتان براحة سائرالامم فى الحياة الدنيا لو تمسكوا بهما ولذا لما لزم المسلمون ذلك الادب سادوا الامم وحسبك فى ذلك وفى تلك السيادة المبنية على التقوى وحسن الخلق قول الله تعالى مخاطبا كل من آمن بالله واليوم الاخر [ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون] [وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ماتفعلون] .

ثم خاطبهم سبحانه فى سورة المؤمنون بقوله [قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أوماملكت ايمانهم فانهم غيرملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون] .

ثم يذكرهم بميثاق الايمان وعهد الاسلام قائلا : [انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون، يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء منْ نسَاء عسَى انْ يكن خَيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون] الى غير ذلك من الايات البينات التى جمعت من مكارم الاخلاق مايقيم الانسان جسدا ونفسا على صراط الله المستقيم .

والاسلام وقد بنى على القرآن مفسرا بسنة سيد المرسلين التى بينت أحكامه وحددت مقاصده وبينت سعة سياسته حتى تناولت الانسانية جميعا قد أصبح لاتخفى على الناس أصوله أو تغمض اغراضه على أصله وعلى غير أهله لاسيما وأن القرآن قد جمع لب ما سبقه من كتب منزلة وفى هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا المسلمين :

[شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه] .

وقد صار للمسلمين الصادقين تقاليد وقيم معقولة تقرها البدائة الكونية وتعترف بها العقول السليمة مما يجعل المسلم غير محتاج الى تقليد غيره من أبناء الشعوب والامم الاخرى فى عاداتهم وتقاليدهم الموروثة أصلا عن الحضارة الاسلامية وعن العلماء المسلمين منذ عهد النهضة الاوروبية ولكن يا للاسف وقد تبدل الامر غيرالامر وأصبحت الحضارة الاوروبية والامريكية ترتكز على مجردالمبادىء الاقتصادية والمادية بلقل والاستعمارية وهى أكبر الغايات لتلك الحضارة التى لايراد بها سوى تفتيت طاقات الشعوب الشرقية وقيمها الخلقية الاصيلة .. فان تعجب فاعجب لشبابنا وفتياننا المتناسين لمجد آبائهم وعظمة أمتهم العربية مع ادعائهم الرقى فى العلم وفى المعرفة لسبب واحد وواحد فقط هو أن بعضهم تعلم فى جامعات أوروبية قد أنشئت قديما على مثال الجامعات العربية الاسلامية مثل جامعة سالرن وغرناطة وأشبيلية ومصر والعراق وغير ذلك .

ولكن شتان بين لون ولون : لون أسود ولون أبيض لون يشير الى النور وآخر يشير الى الظلام ثم لك أن تعجب مرة أخرى .... اذا تأملت فى قول ذلك العالم المحدث الانجليزى الواسع العليم العظيم جونسون ذلك الذى يقول [اننا نرى اخواننا المسلمين مولعين بالوقوف على عاداتنا وأحوالنا ويسعون فى تقليدنا ولكننا نحن فى عرف الحق الذين يجب علينا أن ناخذ عنهم وأن نتعلم منهم فهم أصحاب علوم الالهيات والتشريع ولهم اليد الطولى من قديم فى سائر علومنا ومعارفنا المحدثة وهم باعثوا المساواة فى الحقوق بين الامم بل بين سائر العالم المتمدين ولهم الفضل والصنيع الجميل على تقدم مدنيتنا الغربية مذ كانت تسبح فى ليل من الظلام] .

ويقول العالم الاجتماعى الامريكى الاستاذ فلكس فالورى [ان العقيدة الاسلامية الصافية تعتبر كل فكرة جديدة معقولة تتفق مع التعاليم الجوهرية للاسلام وخصوصا اذا حازت موافقة الاغلبية المسلمة واتفقت مع العلم والعقل .

واسمع أو اقرأ مايقوله العالم الفيلسوف الالمانى الشهير الدكتور هوجو ماركاس [ان الاسلام أحدث الاديان السماوية ثم هو فى الوقت نفسه أرقاها وأعظمها تمشيا مع التقدم وقد امتاز الاسلام بهذا الامر فى تعاليمه الجليلة المستمدة من القرآن حتى صار أعظم الاديان أخذا بأحكام العقل وأشدها تقديرا للترقى وأنه لايرغم معتنقيه على الايمان به ارغاما بل تسليما والتسليم مشتق من اسمه الاسلام .... وفى الحق أن الاسلام يجاهر بان سائر تعاليمه مصدرها الوحى مؤيدا بالتعقل ،وأغرب مافى الامر ان هذا الوحى الرفيع قد أنزل على رجل أمى لايكتب ولا يقرأ وهذا مايؤيد القول بانه من عند الاله] .

العلوم والمعارف في عهد هارون الرشيد

الأستاذ محمود كمال

١ — كانت الامية غالبة على العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام ، كما هو معروف ومعلوم ، وكان يقال لهم : الامة الامية قال تعالى : « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ، فلم يكن لهم حظ يذكر فى العلم ، وكانت قصاراهم اجادة الخطبة ونظم القصيد ، يذهبون فيهما المذاهب فى البلاغة وسهولة اللفظ ، تادية للمقاصد المطلوبة منهما ، فى عبارات جذلة شيقة تماثل بيئتهم وأحوالهم الاجتماعية ، ولكن لقد دخلت عليهم الحضارة بعد أن اتسع بهم العمران ، ومكن لهم فى الارض ، فاصبحوا أهل ملك مشيد ، وسلطان مبسوط على الشعوب التى غزوها فى ارجاء المعمورة .

٢ — وكانت اللغات المحلية فى البلاد التى فتحوها وتغلبوا عليها هى المستعملة والسائدة فى بداية الامر ، فى الدواوين وفى الكتابة والتخاطب وغير ذلك من الاغراض .

وكانت تلك اللغات هى « الفارسية فى المشرق ، واليونانية ، والسريانية فى الشام . واليونانية والقبطية فى مصر » .

ولكنه لم يكن مما يتفق مع طبائع الاشياء ولا مع حتمية تطور اللغات أن تقف اللغة العربية ، وهى لغة الغزاة الفاتحين ، بمعزل من تلك اللغات المحلية ، بل انه لم يكن ثمة مفر من أن تتصل بها اتصالا وثيقا ، وتتفاعل تفاعلا أكيدا ، فتاخذ منها وتعطيها ،

ولم يكن بد ، أيضا ، من أن تؤدى دورها فى سبيل استقرار الدولة الاسلامية ، وتطورها ، وتقوية أواصر الحكم فى أرجائها ولم يكن بد ، كذلك ، من النظر الى تقريب الدواوين ، بادية الذكر ، كوسيلة هامة من الوسائل المؤدية الى تحقيق تلك الاغراض الهادفة .

وكما تقول الدكتورة سيدة اسماعيل الكاشف فان ذلك التعريب بدا ، بصفة فعلية ، فى عهد الخليفة الاموى « عبد الملك بن مروان » .

وكان هذا التعريب أول « عملية ترجمة جبارة » نتج عنها نقل كثير من المصطلحات الفارسية واليونانية والقبطية الى اللغة العربية ، كما نتج عنها أن أصبحت هذه اللغة هى لغة الثقافة والفكر والتخاطب والادارة ، فضلا عن كونها لغة الدين والسياسة

ولم يعد للدولة عندئذ « السيادة السياسية والحربية فحسب ، بل لقد أصبح لها السيادة اللغوية فانتشرت اللغة العربية فى الاقطار المفتوحة » .

٣ — وقد بدأت حركة التعريب فى مصر ، ليس بتعريب الدواوين فقط ، ولكن أيضا بترجمة الانجيل وبعض الكتب الدينية الاخرى ، والمكاتبات بين البطرك وبين الحبشة والنوبة ، وقد قام بتلك الترجمة شماس اسمه « بنيامين » ، وكان القصد منها التعرف على ثقافة المصريين وحضارتهم وطرق تفكيرهم » .

ثم لم يعد الامر مقتصرا على الترجمة بل لقد تعداها الى التاليف باللغة العربية ، حيث كتب البطرك الملكا فى سعيد بن بطريق كتابه فى التاريخ بتلك اللغة ، وحيث ارخ بها زى ساويرس أسقف الاشمونين للبطاركة ، وقام بترجمة الوثائق اليونانية والقبطية من لغاتها الاصلية الى اللغة العربية .

٤ — هذا ويقول الاستاذ عبد الحميد سند الجندى أن الاسلام بحث على طلب العلم ويدعو اليه « وقد أخذت هذه الدعوة سبيلها فى العهد الاموى حتى كان من هؤلاء كثير ممن نقلوا العلوم الى العربية واتقنوها . ونشر ما وصلوا اليه قولا وعملا » ، وكان خالد بن يزيد بن معاوية أول من عنى بنقل علوم الطب والكيمياء الى العربية فدعا جماعة من اليونانيين المقيمين فى مصر وطلب اليهم ان ينقلوا له كثيرا من الكتب اليونانية والقبطية التى تناولت البحث فى صناعة الكيمياء العملية ، وعمل على الحصول على الذهب عن طريق الكيمياء .

وقد صحب « عمر بن عبد العزيز » فى شبابه « عبد الملك ابن ابجر او ابن بحر الكنانى » وكان « طبيبا ماهرا .. يتولى تدريس الطب بمدينة الاسكندرية واستطبه ، وقد تاثر ابن ابجر بعمر فاسلم على يديه ، فلما صار عمر خليفة استعان صاحبه واعتمد عليه فى تفريق علم الطب وتدريسه بانطاكية وحران وغيرهما من البلدان ، فانتقلت بذلك صناعة الطب اليونانى الى بلدان المسلمين ، وكانت لم تزل قوية زاهرة فى الاسكندرية ، « وقد أمر عمر باخراج كتاب فى الطب ، أخرجه ما سرجويه الطبيب البصرى الاسرائيلى ، أخرجه للناس وبثه فى أيديهم » .

وقد جعل عمر ابن الابجر رئيسا للمصلحة الطبية .

ووجد فى العصر الاموى عرب يجيدون اليونانية ، ومنهم صالح ابن عبد الرحمن ، وعبد الله بن عبد الملك .

ولم يكن هؤلاء سوى طلائع الركب الذى بدئت على يديه رحلة العلم فى العهد العباسى ، ولكنها لم تكن فى الواقع ، طلائع ذات بال لان خلفاء بنى أمية كانوا فى شغل شاغل بالحروب الكثيرة التى تشعبت فى عهدهم ، ولان جل همهم كان منصرفا الى تثبيت أقدام دولتهم ، والى احكام السيطرة على البلاد التى فتحوها وتغلبوا عليها .

٥ — واذا انقضى عصر بنى أمية الذى كان قائما على نزعات عربية خالصة بينها وبين الدين اتصال وثيق ، والذى كان مشحونا بالحرب ، ومشغولا بالفتوحات وتثبيت أقدام الملك ، كما تقدم القول ، جاء عصر بنى العباس فى النصف الاول من القرن الثانى للهجرة وكان فى حاجة ماسة الى مختلف العلوم التى كانت لدى الامم الاخرى المتحضرة ، سواء منها ما كان تحت سيطرتهم أو لم يكن ، واخصها علوم السياسة والادارة ، لتسهل أمامهم مهمة رياضة الامم المغلوبة وحكمها .

وقد نهض ، عندئذ ، مترجمون ينقلون ما استطاعوا نقله من تلك العلوم ، سواء فى الطب أو الهندسة أو الرياضيات أو الفلك والنجوم أو المنطق والفلسفة والحكمة ، أو غير هذه كلها .

وقد نقلت هذه العلوم عن الفارسية ، والهندية ، واليونانية ، وغيرها ، ولكن لقد كان النقل قاصرا فى مبدأ الامر على الفارسية والهندية بسبب ما كان بين الدولة العباسية وبين الفرس والهند من روابط وصلات ومخالطة ، ثم أتى النقل عن اليونانية بعد ذلك

[أ] — ومن المعلوم أن الدولة العباسية قامت على اكتاف فارس ، وما بذلوه لها من عون ، مما ادى الى احكام الروابط بين العباسيين وهذه البلاد ، والى اختلاط العنصرين العربى والفارسى وكانت فارس متقدمة فى العلوم والفنون فلا غرابة فى أن يأخذ عنها العرب وينقلون ما لديها من كنوز العلم والثقافة ، ولقد اتجهت ميول خلفاء العباسيين الى معرفة علومهم ، فعنى المنصور كما عنى غيره من بعده ، بترجمة كتبهم ، وقد نقل اليه بعض منها .

وكان من أشهر المترجمين من الفارسية الى العربية حنين بن اسحاق ، ويعقوب الكندى ، وثابت بن قرة الحرانى ، وعمر بن الفرخان الطبرى . .

[ب] — وأما عن الهند فقد ورد فى كتاب أبى الفرج التونسى عن « البيرونى » أن تاثير « الثقافة الهندية فى الثقافة العربية الاسلامية يرجع الى مصدرين ، الاول جاء عن طريق اتصال المسلمين بالهند بسبب الفتح وقيام التجارة بين الفريقين ، والثانى عن طريق الفرس الذين امتزجوا بالهنود قبل الفتوحات الاسلامية ودرسوا الثقافات الهندية »

وقد كان للثقافة الهندية اثر كبير فى التيارات العلمية والادبية العربية والاسلامية ، وقد نبغ علماء هنود من الذين ثقفوا الثقافة العربية منهم « أبو عطاء السندى » من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية ، « وابن الاعرابى » وكان سنديا أيضا ، «وصاحب المغازى أبو معشر نجيح السندى » وكان الطبرى يرجع اليه فى قصص أهل الكتاب ، والتاريخ ، الى زمنه ، لان روايته عن أهل الحجاز فى هذه الموضوعات أوثق من روايات العراق » .

ويقول الجاحظ أن الهنود اشتهروا بالحساب وعلوم النجوم ، وأسرار الطب ، والخراط ، والنجر ، والتصاوير ، والصناعات الكثيرة العجيبة » ، ونضيف الى هذه الاشياء التى عددها الجاحظ الرياضيات ، والادب والفلسفة .

وللفلسفة الهندية طابع يميزها عن الفلسفة اليونانية « فهى تمتزج بالدين امتزاجا قويا ، كما أنها مصطبغة بصبغة شعرية لا علمية .. وترمى الى العمل لخدمة الانسان ، فى حين أن الفلسفة اليونانية تستهدف المعرفة للمعرفة »

وكان من نتيجة هذا الذى بيناه من علاقات بين الهند والمسلمين اثر فى انتشار الثقافة الهندية المختلطة بالعناصر الاسلامية فى المجتمع الاسلامى .

[ج] — ويرى نيكلسون ، كما جاء فى كتاب الدكتور حسن ابراهيم حسن ؟ ان المسلمين استمدوا آراءهم وعلومهم من الثقافة اليونانية التى كانت منذ فتوحات الاسكندر منتشرة فى مصر وسوريا وغربى آسيا » ولقد استفادوا ، أيضا ، من دار العلم فى جنديسابور من أعمال خوزستان ، ومن مراكز الثقافة فى حران .

٦ — وانه وان يكن القصد من هذا المقال هو الكلام على النهضة العلمية والثقافية فى عهد « هارون الرشيد » غير انه يصعب بل يتعذر على الكاتب أو المؤرخ أن يكتب أو يؤرخ لهذا العهد وحده فيما يتعلق بالنهضة العلمية ، مستقلا ومنفصلا عن النهضة الشاملة للعصر العباسى منذ بدايته والى عهد المامون ، لان الكلام على هذه النهضة الشاملة يشمل عهد الرشيد فى جملته وليس الكلام على عهد الرشيد سوى تتمة لهذه النهضة ذاتها ى حيث أن نهضة الرشيد العلمية ، وان كانت قد فاقت غيرها فى عصور الخلفاء الذين تقدموه ، غير أنها ، مع ذلك ، ليست سوى جزء متمم للنهضة الشاملة ، ويجب أن ينظر اليها فى ضوء هذا الاعتبار .

ويبدو لى أن العبارات التى أنقلها الان ، هنا ، عن الاستاذ عبد الحليم الجندى ، والواردة فى كتابه عن « أبى حنيفة » ، معبرة تعبيرا صادقا مؤيدا لما أقوله عن هذه النهضة الشاملة وكيف بدأت ، قال : « واذا كانت دولة بنى أمية قد نشرت ألوية الاسلام بالغزو فقد كان على الدولة الجديدة فى وديان دجلة والفرات ، أو دولة الاندلس ، أو الدولة الناشئة على ضفاف النيل ، وساحل البحر الابيض ، أن تنشر الحضارة الاسلامية بفتوحات الفكر ، وان تبعث بآثارها فى مهاب الرياح الاربع » وقد « انطلقت العقول الاسلامية ظمأى تكاد تموت من الصدى .. بدأت بالترجمة فنقلت الى العربية عن اليونانية » والسريانية والفارسية والقبطية ، والهندية » . ولقد بدأت « رحلة العلم .. فى عهد المنصور .. وأخذ الرشيد يبعث الرسل فى كل مكان ليجيئوه بالكتب ليعربوها ، وجاء المامون بعده يضع أكثر من صنعه »

٧ — على أن الشىء الذى يجب أن أسرع اليه فاذكره قبل الاسترسال فى الحديث عن هذه النهضة الشاملة ، وعن عهد الرشيد ، هو أن العصر العباسى هذا قد شرف بنبوغ أئمة المذاهب الاربعة وانه قد دون فيه مذهب أبى حنيفة ومذهب مالك ، ثم تم فيه ، أيضا ، تدوين الحديث ، واللغة ، والشعر ، والتاريخ وهذا كله قد حدث قبل أن تبدأ حركة النقل من اللغات الاخرى .

هذا وعلة هذا السبق هى أن « الحضارة الاسلامية التى كانت تهتف بها غريزتها أن تخلد نفسها .. فكان طبيعيا أن تندفع مواهب الامة الكبرى نحو أول مقومات الاسلام وهو الشريعة ... وتلت هذه الوثبة الفكرية الوثبة السياسية ... ثم انبعاث تلك الفكرة التى خلدت الحضارة العباسية نفسها بانشاء المدينة التى لم ير مثلها الزمان الى ذلك الزمان .. بغداد »

فانت ترى من هذه العبارة أن المذاهب دونت أولا ، ثم تلتها الحركات السياسية للدولة العباسية عند نشأتها ، ثم بناء مدينة بغداد ، وجاءت بعد هذا كله الحركة الفكرية الشاملة بنقل المصنفات والمراجع من البلاد الاخرى الى اللغة العربية .

أولا — النهضة العلمية الشاملة .

٨ — لما أن اقيمت بغداد وأصبحت مقرا للخلافة العباسية أقبل عليها العلماء وصارت محط رحالهم ، ومقرا للعلوم والفنون ، والثقافات ، حتى لقد بدا أن الناس جميعا من الخليفة الى أقل أفراد العامة شأنا غدوا طلابا للعلم وأنصارا للادب ، وكانت المساجد حلقات لمختلف العلوم كما كان الحال بالازهر الشريف ، وكانت المذاهب الفقهية ، والحديث ، واللغة ، والتاريخ ، قد

دونت ، كما أوضحنا قبلا ، ونهضت ترجمة المراجع والمصنفات فى العلوم المختلفة ، تلك المراجع والمصنفات التى كانت تجلب من الدول الاخرى التى اشرنا اليها ، وكان الخلفاء العباسيون يشجعون هذه النهضة ، ويحثون العلماء والمترجمين على حمل أعبائها ، ويأخذون بناصرهم ، ويكرمون مثواهم ، ويقدمون لهم المنح والعطايا ، ويثيبونهم على مجهوداتهم فى هذا السبيل حتى لقد قيل « ان المأمون كان يعطى حنين بن اسحاق من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية مثلا بمثل » . والواقع أن العلم « لا يزدهر الا فى ظل حاكم يشغف به ويأخذ بأيدى أهله »

كذلك عنى هؤلاء الخلفاء بانشاء خزائن الكتب ، وكان لهذه الخزائن أثر ملموس فى نشر العلم بين الجميع ، وكان العلماء يجتمعون فيها للدرس والمذاكرة .

وكان « ابن أبى الحريش » يقوم بتجليد الكتب التى يراد تجليدها ،

وكان الامراء والوزراء ورجالات الدولة ، وأخصهم البرامكة ، يعنون أكبر عناية بالعلماء ، اقتداء بالخلفاء وترسما لخطاهم ، ويتنافسون فى خدمة العلم والادب ، ويجذلون العطايا والهبات لهؤلاء العلماء والمترجمين ، تشجيعا لهم على المضى فى رسالتهم التى يضطلعون بها من حيث نشر العلم والثقافة والتراجم على أوسع نطاق ، فضلا عن أن هؤلاء الرجال كانوا ينشئون دورا لخزائن الكتب فى بيوتهم وقصورهم ، ومن أشهرهم « بنوموسى ابن شاكر ، محمد وأحمد والحسن ، الذين يقول عنهم ابن خلكان أنه ، كانت لهم همم عالية فى فصل العلوم القديمة ، وكتب الاوائل ... وقد انفذوا الى بلاد الروم من أخرجها لهم » ، وكذلك كان بنو هاشم المنجم « فى منتصف القرن الثالث يشجع على العلم رجالا كحنين بن اسحاق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة ، ويدفعون لهم شهريا خمسماية دينار للترجمة والتعريب»

وكان هناك تنافس بين العرب والروم مداره تقدم العلوم ، كل فى دولته ، اذ كان ملك الروم « قسطنطين الثانى » محبا للعلم مشجعا لاهله ، كما كان خلفاء بنى العباس ورجال دولتهم يفعلون وبداهة فان هذا التنافس كان فى مصلحة انتشار العلم وازدهار الثقافة وذا أثر محمود فى تشجيع العلماء على تأدية رسالتهم فى جلب المعارف من مصادرها ، بعيدة أو قريبة كانت تلك المصادر

وقد وجه الرشيد وابنه المأمون عنايتهما الى العلوم والاداب وشغفا بها ، وقد جمع وترجم فى عهدهما من كتبها ومصنفاتها الكثير فى الهيئة والطبيعيات وتخطيط الاراضى والموسيقى ، وقد أثرت هذه المجهودات وأينعت فوصلت دولة العلم فى عهد المأمون الى أوج قوتها ونالت به أكبر ثروتها ، وكادت بغداد فى عهده مدرسة علمية ، كما كانت دار خلافة ، وكان من شروط صلح المأمون مع ميشيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الاستانة ، وقد فعل .

وقد ألف علماء العرب فى زمنه أرصادا .. فلكية ، حسبوا الكسوف والخسوف ، وذوات الاذناب وغيرها ، ورصدوا الاعتدال الربيعى والخريفى ، وقدروا ميل منطقة فلك البروج ، وقاسوا الدرجة الارضية ، وأصلحوا بأمره غلط بعض الكتب التى ترجمت قبل زمنه .

واكتشف العرب قوانين ثقل الاجسام ، ووضعوا لها جداول فى غاية الدقة والصحة ، واخترعوا البندول للساعة [اخترعه ابن يونس المصرى] والبوصلة البحرية ، وبيت الابرة ، وهم أول من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن ، وأول من أتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض .

٩ — ولهذه النهضة الشاملة بداية منذ أيام الخليفة أبى جعفر المنصور ، ثانى خلفاء العباسيين ، ذلك انه كان أول من اعتنى بالعلوم وتدوينها من الخلفاء العباسيين فاخذ فى انشاء المدارس للطب والشريعة ، وكان مع براعته فى الفقه وفرط شغفه به قد جعل جزءا من وقته خاصا بتعلم العلوم الفلكية ، وترجم فى زمنه كتاب أرقليدس فى الهندسة والهيئة الحسابية .

وكان المنصور قد مرض مرضا خشى معه الموت فاستقدم الطبيب جرجس من دار العلم فى جنديسابور من أعمال خوزستان ، وأراد الله له الشفاء على يديه ، فأحله محلا رفيعا هو وعلماء هذه الدار ، وكان هذا الطبيب أول من ترجم للمنصور واستفاد الطب مما ترجمه له ،

وأمر المنصور ببناء مستشفى للعميان ، ومأوى للمجاذيب ، وملجأ للعجائز فى بغداد ، التى أصبحت من أهم مراكز الثقافة الطبية الاسلامية ، كما نقل له « حنين بن اسحاق » كتب ابقراط وجالينوس فى الطب ، وكما نقل له « ابن المقفع » كتاب كليلة ودمنة من الفهلوية وترجم كتاب « السند هند » .

والى هنا ونتخطى المهدى والهادى لانه لم يكن لهما نصيب فى الاهتمام بالعلم وترجمة المصنفات العلمية يماثل أو حتى يدانى نصيب غيرهما ونصل فورا الى عهد الرشيد .

١٠ — عهد الرشيد :

استمع أولا أيها القارىء الكريم الى الوصف الذى أضفاه ابن طباطبا على هذا الخليفة العظيم ، قال : « كان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفصحائهم ، وعلمائهم وكرمائهم .. الخ »

ولابد أن هذا الوصف الرائع يشعرك ويوحى اليك أن الرشيد كان شغوفا بالعلم ، وانه كان يكرم العلماء لانه يقدر اسهامهم فى نشر العلم والمعارف فى ربوع دولته ، وبث الثقافات فى أوساط رعيته ، حتى لقد عظم شأنها وارتفع قدرها بين الامم ، وانه كان يجزيهم على حسن بلائهم ، وجهادهم فى هذا السبيل ، أحسن جزاء ، ويغدق عليهم ايما اغداق .

وكان الرشيد مطبوعا على الميل الى الادب ، ومعرفة اخبار الامم الماضية ، وكان همه منصرفا الى ترجمة كتب الفلاسفة من اليونانيين وغيرهم ، وكان يأمر التراجمة بتعريب هذه الكتب ثم يعطيهم « زنة الكتاب المعرب ذهبا »

وكان يوفد الرسل للحصول على الاسفار القديمة ، وهم اما من الروم أو من غيرهم ممن يجيدون اللغة العربية ، ويطلب منهم أن تكون الترجمة بلغة سهلة ميسورة الفهم لعامة الناس .

وكان العرب يضيفون شروحا على القواعد التى تكون موجودة فى المدونات اليونانية من كتب الفلسفة ، أو غيرها ، أو يضيفون زيادات على المصنفات الخاصة بالعلوم الاخرى المختلفة ، مثل الكيمياء والرياضيات وغيرها ، بعد بحث وتمحيص لها ، بل لقد صاروا يضعون مؤلفات فى هذه العلوم بلغت الذروة فى العلم والاسلوب حتى لقد اخذ عنها الافرنج فيما بعد مادتهم وعلومهم.

وكان العرب ، قد أصابوا ارتقاء فى الادب ، كما لم توفق اليه أمة أخرى ، وذلك بعد اطلاعهم على الترجمات الادبية واستيعابها .

وقد سبق أن قلنا أن المنصور وجه عنايته الى الطب ، وانه قد عربت فى عهده بعض كتب جالينوس وابقراط اليونانيين ، وقد أضيفت الى هذه الكتب بعض ما عرف من علم الحيوان.

وكان « ماسوية أبو حنا » أميا الا أنه تلقى الطب من أفواه اليونان ، فبلغ فيه شأوا لا يجارى — وكان ذلك أيام المنصور ، كما قدمناه ، وقد ولى الرشيد ابنه ترجمة الكتب من مدونات الاطباء من أمثال جالينوس وابقراط ، وكان فى عهد المنصور ، أيضا ، طبيب آخر اسمه « جبريل بن يختيشوع » كتب رسائل فى حياة الحيوان ، وقد قربه الرشيد اليه واتخذه طبيبا بدار الخلافة .

واستنبط العرب مركبات من العقاقير ووسائل العلاج بناء على ممارسة وتجارب طويلة .

وفى عهد الرشيد وضع الائمة علم الكلام صيانة للدين من البدع ، وكان الرشيد لا يسمع الحديث الا من « أبى اسحاق الفزارى » و « عبد الله المبارك » .

وكان يحفظ الموطأ عن ظهر قلبه ، ويفضله على غيره من كتب الفقه .

وفى هذا العهد أصبحت علوم الفلسفة معروفة فى الامصار من العراق ومصر والشام ، أما فى المنطق فقد كان المرجع الى أرسطو .

وكان مرجع العرب فى الهندسة الى كتاب لاقليدس اليونانى وآخر لبطليموس ، وقد أعيد تعريبهما فى عهد الرشيد .

والى الفرس كان المرجع فى العلوم الطبيعية .

هذا وقد ألف جابر بن حيان كتبا فى الكيميا وعلم المعادن .

ودون التاريخ محمد بن اسحاق فى كتابه « المغازى والسير واخبار المبتدأ » .

وترجم أيام الرشيد كتاب « ألف ليلة وليلة » ، وذلك عن الفارسية ، واسمه كتاب هزار أفيان ، أى ألف خرافة .

وترجمت حكاية السندباد البحرى كذلك ، وهى منقولة عن اليونانية .

وقد أنشأ الرشيد « دار الحكمة » التى أحيت العلوم فى الامة وكان بها خزانة كتب قيمة ، وكان يجتمع فيها العلماء للدرس والبحث والمذاكرة . وكان « علان الشعوبى » ينسخ من تلك الخزانة كتبا للرشيد .

وقد حمل الرشيد معه فى أحد اسفاره ثمانية عشر صندوقا مملوءة بالكتب ، وكانت له خزانة وجد أنها تحتوى على أكثر من ألف كتاب .

وفى ايام الرشيد اخترعت صناعة الورق ، وانتشرت الكتابة عليه فى الامصار ، وكان لهذا الاختراع فضل فى وجود الكتب والمكتبات .

وقد دون محمد بن اسحاق التاريخ فى كتابه « المغازى والسير واخبار المبتدأ » .

وللموصلى المنجم كتب فى الاصطرلاب ، ومن المنجمين « على ابن عيسى الاصطرلابى » و « ابراهيم الفزارى » ، ولهذا الاخير كتاب فى حركات الكواكب ، وجوامع عن مساحات الممالك والبلدان .

وفى أيام الرشيد وجد اثنان من المنجمين هما « ما شاء الله اليهودى » و « أحمد بن محمد النهاوندى » ويضاف اليهما ثالث اسمه « يوبخت » وقد عينه الرشيد ، بدار الترجمة ، وقد قام بتعريب الكتب التى تبحث فى علم الفلك .

وكان أحمد النهاوندى أعلم بعلم الرصد ، وألف فيه كتابا ، ولكن الفرس برعوا فى النجامة عن العرب .

١١ ــ وبالجملة فهذه بعض معلومات موجزة تشير الى ماكانت تلاقيه البعثات التى كانت ترسل لاقتناء الكتب والمراجع من عناية، واهتمام الرشيد ، وما كان يلقاه العلماء من تكريم وحسن جزاء

هذا وقد كان الشعراء يقبلون على دار الخلافة يتنافسون فى الاجادة فى اشعارهم ، وكانوا ينالون كثيرا من العطايا الكريمة وهناك كثير مما يمكن أن يقال فى هذا الصدد ، ولكن أرى أن يشار اليه مجرد اشارة لانه ليس داخلا فى صميم موضوعنا اليوم

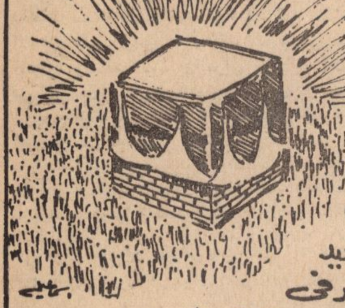

فى هذه الأيام الخالدة
ذكرى التضحية والفداء
يوم يجتمع المسلمون فى صعيد واحد فى أطهر بقعة فى العالم ..

نتضرع إلى الله العلى القدير أن يحمى أمتنا العربية الصامدة .. وأن يزيح عنها هذا الكابوس الدنس .. وأن يتم تطهير أرضنا المغتصبة على أيدى جيوشنا العربية الموحدة .. ليتنعم عربنا الأمجاد بخيرات بلادهم المستقلة ...

وننتهز هذه الفرصة لنتقدم إلى المسلمين جميعا والأمة العربية أصدق آيات التهنئة بحلول موسم الحج وعيد الأضحى المبارك ونعاهد الله سبحانه وتعالى أن نتفانى جميعا لخدمة هذا الوطن الحبيب بإمداده بما يحتاج إليه من مستلزمات الحياة فى شتى المجالات « علاقات عامة »

المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية وشركاتها

رجال صنعوا التاريخ

الأستاذ محمود الجرسى

كان على عرفات يوم الحج الاكبر يلبى والناس من خلفه يلبون ، وقد امتلأت فجاج الحرم ومسالكه بالحجيج من كل حدب وصوب، يرفلون فى أرديتهم البيضاء الناصعة كأنهم أطياف من النور ، وقد سالت بهم الشعاب المصعدة الى عرفات ليدركوا الموقف مع أبى بكر ، وينشدوا من خلفه ذلك النشيد المقدس ، الذى طالما اهتزت به جوانب عرفات ، ورددت جبال مكة أصداءه منذ أذن ابراهيم فى النـــاس بالحج ، والذى تتجه فيـــه القلوب خاشعة بالتلبية والابتهال والخضوع لرب السموات والارض !!

ووقف أبو بكر حاسر الرأس مطرقا فى خشوع ، متجها الى الله بكل مشاعره وأحاسيسه ، وقد أفعم قلبه بحمد الله وشكره وفاضت نفسه طمأنينة ورضا ، فقد حج بالناس بعد أن نصر الله الاسلام على المرتدين ، ودانت العرب فى شبه الجزيرة لسلطان المدينة، وتوالت الانباء من العراق بأن سيف الله ينتزع النصر من فارس فى كل معاركه ، ويترك من خلفه فى كل معركة دويا تتفزع منه قلوب الاعداء قبل اللقاء ، وأنه نزل الحيرة بعد أن فض كل ما اعترضه من معاقل ، ودك ما وقف أمامه من حصون ، وبدد ما احتشد له من حشود ، وتطامنت له جباه الجبابرة ، وتزايلت من بطشه قلوب الابطال ، وأن اسم الله قد هتف به المؤذن من شرفات الخورنق والسدير !!

وما أن قفل أبو بكر من حجه الى المدينة حتى استشرفت نفسه فتح الشام .. تلك الامنية التى طالما راودت نفس أبى بكر قبل فتح العراق ، والتى مهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزوتى مؤتة وتبوك .

وما الذى يمنع أبا بكر أن يجيش الجيوش ، ويفتح للعرب طريق الشمال الى الشام ؟؟ ألم تكن فارس فى نظر العرب قبل الاسلام أقوى جانبا وأعز سلطانا من الروم ؟؟ وها هى ذى تتساقط صريعة تحت ضربات خالد ، ويتلاشى من أذهان الناس ما نسجوه حولها من أساطير ، وما دام الله قد أعز بالعراق جنده ، وأنجز وعده ، وتبحبح المسلمون فى ريف العراق وفارس ، فهو لا شك آخذ بيدهم فى زحفهم على الشام ، لتكون كلمة الله هى العليا ، وليكون الدين كله لله .

ووقف خليفة رسول الله على مشارف المدينة فى مطلع العام الجديد ، بعـــد ان دخل العام الثانى عشر فى عداد التاريخ — وقف يودع الامراء والقادة والجند الذين احتشدوا للزحف على الشام ، بعد أن خطبهم ناصحا ومشيرا ، وكان الجيش يتكون من اربعة ألوية لاربعة من كبار القواد ، وقد حدد أبو بكر لكل قائد طريقه ، وعين له الجهة التى يغزوها ويليها بعد الفتح : فجعل لابى عبيد فتح حمص ، وليزيد بن أبى سفيان فتح دمشق ، وسير شرحبيل بن حسنة الى الاردن ، وعمرو بن العاص الى فلسطين .

وما أن علمت الروم بخبر هذه الجيوش الزاحفة على الشام من كل مكان حتى كتبوا الى هرقل ، وكان بالقدس فأعجلوه عن حجه ، وطار الى حمص ، حيث حشد اكثر من مائتى الف مقاتل ، وأراد أن ينازل جيوش العرب متفرقة ، ليشغل كل قائد عن أصحابه ، فحشد لكل واحد منهم أضعاف ما معه من الجند .

هال قواد العرب ما رأوا من هذه الجموع الكثيفة التى حشدها هرقل ، ورأوا ألا طاقة لهم بلقائها ، ففزعوا بالكتب والرسل الى الخليفة ، وكتبوا الى زميلهم عمرو بن العاص وهو بالعربة ، يطلبون اليه الرأى ، لما يعرفونه من حزمه ودهائه وسعة حيلته ، وكان هرقل قد خصه وحده بتسعين الف مقاتل ، فكتب اليهم عمرو بن العاص يقول : « ان الرأى عندى أن نجتمع ذلك أن مثلنا اذا اجتمع لم يغلب من قلة ، واذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا فى عدد يقرن فيه لاحد ممن استقبلنا ، وأعدلنالكل طائفة منا » ، فاتفق رأيهم على أن يجتمعوا فى اليرموك ، وقبل تحركهم وافاهم كتاب من أبى بكر بمثل مشورة عمرو بن العاص ، وقال لهم ، « اجتمعوا لتكونوا عسكرا واحدا ، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين ، فانكم أعوان الله ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى مثلكم من قلة ، وانما يؤتى العشرة آلاف ، والزيادة على العشرة آلاف اذا أتوا من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه .

أدرك هرقل من تجمع جيوش المسلمين فى تبوك بوادر الخطر على الشام وعلى دولته ، وكانت أنباء انتصار هؤلاء العرب على دولة الأكاسرة — التى هزمت هرقل منذ سنين وحاصرت عاصمته — لا يزال يدوى فى سمع الدنيا ، وعرف أن الامر جد لا هزل ، فحشد لمعركته مع العرب كل طاقاته ، ولم يدخر وسعا فى تعبئة كل القوى ، وكتب الى قواده وبطارقته : « أن اجتمعوا لهم وأنزلوا بالروم منزلا واسع العطن ، واسع المطرد، ضيق المهرب» ثم عين الامراء والقواد لهذا الجيش اللجب ، وحشد فيـــه القسيسين والرهبان بصلبانهم وكتبهم ، يحرضـــون الروم ويذمرونهم ، ويحثونهم على الدفاع عن دينهم، ويلهبون حماستهم لرد هؤلاء العرب الى الصحراء التى انحدروا منها .

ولم يكن هرقل وحده هو الذى أدرك خطر هذه المعركة ، فقد كان كل من الفريقين يدرك خطرها ، وتأثيرها على مستقبل كل منهما وعلى كيانه ووجوده ، فهى معركة فاصلة فى مصير الشام ، وبالتالى فاصلة فى مصير الدولة الرومانية ، فاذا هزم الروم ضاعت منهم الاماكن المقدسة التى استردوها من الفرس بأرواح الالوف من الجنود الرومانية ، وضاعت بقية الشام ، وتبعتها مصر وبقية البلاد التى تئن من حكم الرومان . وتهاوت بذلك أركان الدولة الرومانية ، واذا هزم العرب فمعنى ذلك أن تبقى الدولة الاسلامية بدون جيش ، لان جيوش اليرموك هى أقصى ما يمكن أن تحشده المدينة من الجيوش ، وهذه القوة هى الجيش الاكبر الذى لا يتسع الوقت ولا تتسع الطاقة لتجديد جيش غيره لو لحقت به الهزيمة ، ومعنى هذا أن تبقى الدولة الاسلامية بدون جيش يدافع عنها ، ولا تغنيها هذه القلة التى بقيت مع المثنى بالعراق ، ثم هناك ما يعقب الهزيمة ، فانها قد تغرى القيصر بأن يحرض قبائل الشام من العـــرب لتتعقب فلول المسلمين فى الصحراء حتى عاصمة الاسلام ، للقضاء على هذه الدعوة الجديدة .

كل هذا دار بخلد الفريقين ، ونوقشت كل احتمـــالات الموقف فى اجتماع القادة من الطرفين ، ولبث كل منهما ازاء صاحبه أشهرا لا يريم ، وبات كل منهما من صاحبه على حذر ، وجيش الروم فى الواقوصة على ضفاف اليرموك يبدو فى أعين المسلمين لا أول له ولا آخر ، فرأى قواد المسلمين وعلى رأسهم أبوعبيدة ان يكتبوا الى أبى بكر ، ليعطوه صورة واضحة عن الموقف ، وأنهم بعددهم القليل لا يستطيعون الهجوم على الروم فى أعدادهم الكثيفة ، ويطلبون اليه ان يمدهم بما يزيدهم قوة وأيدا .

وصل كتاب أبى عبيدة الى الخليفة ، فأخذ يقلب الامر على كل وجوهه ، ولم يجد بالمدينة من يستنفره لاغاثة المسلمين بالشام ، ولم يجد لدى القبائل من ينجده ، فقد خرج خيرة رجالها

البقيـــة صفحة ١٥٠

من التراث الفنى الإسلامى

عمارة المسجد

تصميم جامع ابن طولون

الدكتور
حسن الباشا

يقال انه بعد أن تم بناء الجامع رأى ابن طولون فى منامه كأن الله تعالى قد تجلى ووقع نوره على المدينة التى حول الجامع الا الجامع فانه لم يقع عليه من النور شىء فتألم وقال : والله ما بنيته الا لله خالصا ومن المال الحلال الذى لا شبهة فيه » .

فقال له معبر حاذق : « هذا الجامع يبقى ويخرب كل ما حوله لان الله تعالى قال : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا » فكل شىء يقع عليه جلال الله عز وجل لا يثبت » .

ويعلق المقريزى على ذلك بقوله : « **وقد صح تعبير هذه الرؤيا فان جميع ما حول الجامع خرب دهرا طويلا .. وبقى الجامع عامرا ثم عادت العمارة لما حوله كما هى الان ! .**

وتعتبر هذه القصة واحدة من القصص والاساطير الكثيرة التى ذكرها المؤرخون القدامى عن جامع ابن طولون . وربما كان ذلك من مظاهر عناياتهم به .

وكما حظى جامع ابن طولون بعناية المؤلفين القدامى امثال جامع السيرة الطولونية وابن دقماق والمقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى **فقد عنى بدراسته كثير من العلماء المحدثين نذكر منهم من العرب** على مبارك ومحمود عكوش ويوسف أحمد ومحمود أحمد وزكى حسن وحسن عبد الوهاب

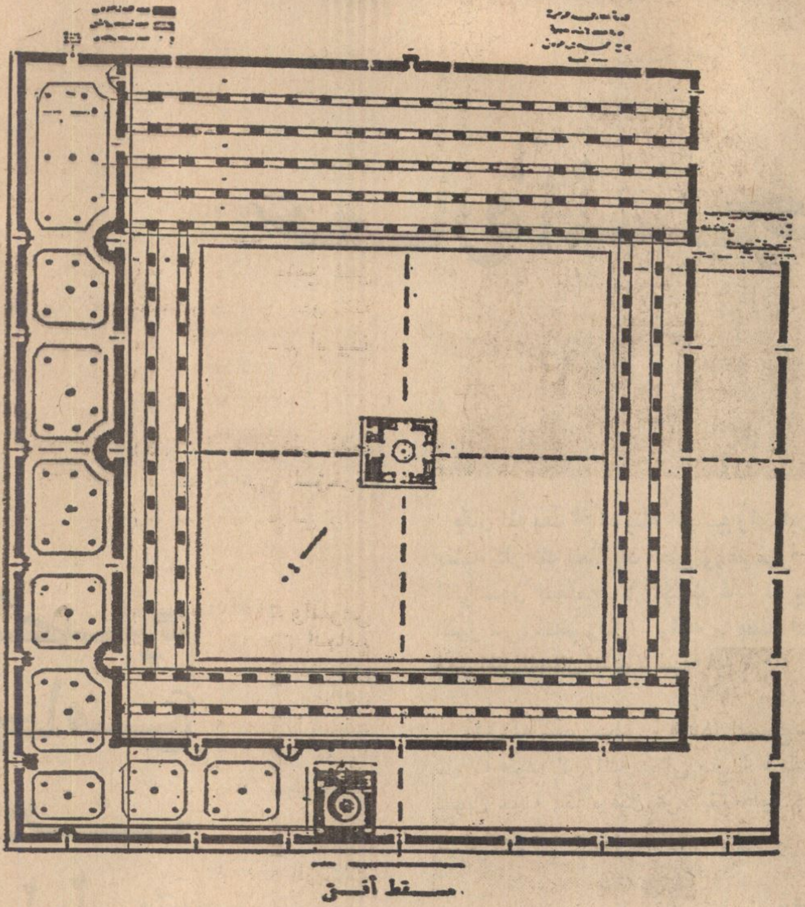

مسقط أفقى للجامع الطولونى

وأحمد فكرى وفريد شافعى وكمال المصرى ومن الاجانب كوريت بك وكريسول وجاستون فييت وفلورى وفان برشم .

وقد تناوله هؤلاء العلماء من شتى النواحى التاريخية والاثرية والمعمارية والفنية .

وقد ثبت من الدراسة أن جامع ابن طولون قد صمم حسب الطراز الاساسى لعمارة المساجد : وهو الطراز المستمد من تصميم مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة : والذى انتشر فى القرون الاولى فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، والذى لا يزال باقيا حتى الان . ونعنى بذلك التصميم الذى يتألف من صحن أو فناء اوسط غيرمسقوف يحف به من جوانبه الاربعة اروقة اربعة اعمقها رواق القبلة .

وقد عرف هذا التصميم فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط على مقربة من جامع ابن طولون ، وكذلك فى المسجد الجامع بمدينة سامرا بالعراق التى قدم منها أحمد بن طولون نفسه .

ويشغل جامع ابن طولون رقعة متسعة من

الارض اذ يقوم الجامع بصحنه وأروقته والزيادة التى تحف بثلاثة من جوانبه على مساحة مربعة تقريبا طول ضلعها حوالى ١٦٢ مترا ٠

وقد عرف قبل جامع ابن طولون عدد من الجوامع المتسعة نذكر منها مسجد الكوفة حين أعيد بناؤه سنة ٥١ هـ ٦٧١ م (على يدزياد بن أبيه اذ يقال انه كان يتسع لتسعين الفا ، ومنها جامع عمرو بن العاص الذى شغل بعد عمارة عبد الله بن طاهر فى سنة ٢١٢ هـ مساحة من الارض طولها ١٢٠ مترا وعرضها ١١٠ ، ومنها ايضا المسجد الجامع فى سامرا الذى تم بناؤه قبل جامع ابن طولون بنحو ثلاثة عقود ويعتبر اكبر الجوامع فى العالم اذ يبلغ طوله ٢٤٠ مترا وعرضه ١٥٦ ٠

ويتميز جامع ابن طولون باشتماله على ثلاث زيادات حول ثلاثة من جوانبه ، هى المؤخرة والجانبان الايمن والايسر تبلغ مساحتها حوالى تسعة آلاف متر مربع ٠

وتختلف الآراء حول وظيفة هذه الزيادات والغرض من انشائها : فيرى البعض أنها جزء من الجامع وليست زيادة عليه نظرا الى أن بعض المؤرخين القدامى مثل ابن دقماق سماها رواقا يحيط بجوانب الجامع الثلاثة ٠ وقد ذكر ابن دقماق نفسه أن سبب بنائها هو ان الجامع كان قد ضاق بالمصلين فقالوا لابن طولون : « نريد ان تزيد لنا فيه زيادة » فزاد هذه الزيادة بظاهره ٠

ويرى البعض الاخر أن الغرض من هذه الزيادات هو الفصل بين الجامع وبين ضوضاء الحياة خارجه حتى يتوفر للمصلين فى الجامع الهدوء والسكينة ٠

وربما كانت هذه الزيادات تستغل كأماكن للتدريس أو لعقد جلسات المحاكم أو ما أشبه ذلك من الامور ٠

هذا ومن المحتمل أن بناء هذه الزيادات قد اقتضاه بناء الجامع فوق ربوة مرتفعة حيث كان من الصعب توفير رقعة مسطحة من الارض تبلغ مساحتها ستة أفدنة ونصف على مستوى واحد ومن ثم لجأ المهندسون الى بناء الجامع على مستويين ٠ ومما يرجح ذلك أن زيادات الجامع اقل انخفاضا من الجامع نفسه ٠

ومما تجدر الاشارة اليه أن فكرة عمل زيادات للجوامع قد عرفت من قبل فى بعض الجوامع مثل :

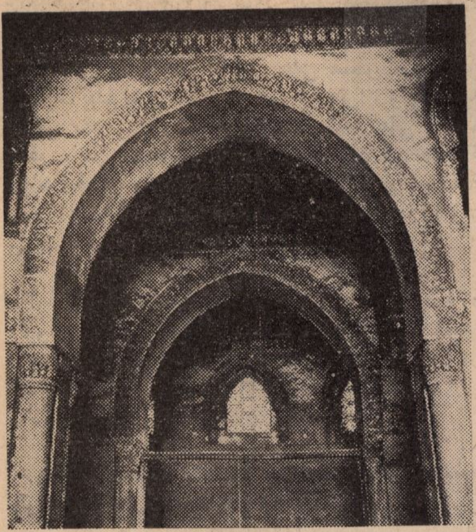

واجهة أحد أروقة الجامع الطولونى المطلة على الصحن

بعض عقود الجامع الطولونى

جامع عمرو بن العاص بمصر وجامع سوسه فى تونس وجامع سامرا بالعراق .

ويشتمل جامع ابن طولون على صحن مربع غير مسقوف يبلغ طول ضلعه حوالى ٩٢ مترا ، وفى جانبه القبلى يقع رواق القبلة ويعتمد سقفه على خمسة صفوف من الدعائم يعلوها عقود تمتد فى موازاة حائط القبلة ، وتضم بينها خمس بلاطات أو أروقة . ومن الملاحظ ان البلاطة التى تلى الصحن قد اندثرت وجددت قواعدها فى سنة ١٩٢٠ م

اما الاروقة الثلاثة الباقية : وهى رواق المؤخرة أو الرواق المواجه لرواق القبلة ، والرواقان الجانبيان الايمن والايسر فيشتمل كل منها على صفين من الدعائم المماثلة لدعائم رواق القبلة يمتدان فى موازاة حائط الرواق .

وتؤلف مساحة الصحن والاروقة حوله مستطيلا طوله ١٣٧ مترا وعرضه ١١٨ .

ودعائم الجامع مستطيلة المسقط تأخذ أركانها الاربعة هيئة عمد مندمجة فى الدعامة ذات تيجان قريبة من الشكل الناقوسى وكسوتها الجصية مزخرفة برسوم أوراق خماسية الفصوص تلف حولها فى صفين .

وتحمل الدعائم عقودا يرتكز عليها سقف الجامع .وتعتبر هذه العقود من النوع المدبب القريب فى استدارته فى أسفله من شكل حدوة الفرس . وقد استخدم هذا النوع من العقود من قبل فى جامع عمرو بن العاص ومقياس النيل بالروضة وقناطر مياه ابن طولون . كما يشاهد هذا النوع ايضا فى المسجد الاقصى بالقدس وفى الجامع الاموى بدمشق .

وتبدأ هذه العقود على ارتفاع من الارض مقداره حوالى خمسة أمتار ويبلغ ارتفاع العقود نفسها حوالى اربعة أمتار وتبلغ سعتها حوالى أربعة أمتار ونصف .

وتخترق أعلى الدعائم بين العقود نوافذ يتوجها عقود من نفس الطراز تحتها أعمدة صغيرة مدمجة من طراز الاعمدة المدمجة فى الدعائم .

وبالاضافة الى الوظيفة البنائية التى تؤديها هذه النوافذ من حيث تخفيف الثقل على الدعائم فان لها وظيفة جمالية واضحة حيث تزخرف الكوشات الواسعة : أو المساحات الكبيرة بين العقود ، وتؤلف صفا من الفتحات الصغيرة يتبادل مع صف العقود الكبيرة .

ويتمثل النظام المعمارى الزخرفى نفسه فى واجهات الاروقة التى تطل على الصحن . وتؤكد الجمال الزخرفى فى هذه الواجهات صفوف من الدوائر المحفورة داخل كل منها وردة مفصصة . وتوجد كل دائرة بين العقد الكبير والعقد الصغير . ويتوج واجهة الرواق شريط زخرفى اعلاه شرافات على هيئة دمى العرائس .

اما سقف الجامع فمعظمه مجدد وكان فى الاصل مصنوعا من فلقات من جذوع النخل وعوارض مكسوة بألواح من الخشب .

ويوجد بين قمة العقود والسقف ازار من ألواح خشبية بعضها تحت بعض فى وسطه شريط من الايات القرآنية بالخط الكوفى البسيط بحروف بارزة ويبلغ ارتفاعه ١٩ سنتيمترا وقد ضاعت اجزاء منه .

وقد ذكر البعض أن هذا الشريط كان يشتمل على جميع آيات القرآن الكريم . غير أن بعض العلماء أثبت بالحساب والقياس أنه لا يمكن أن يشتمل الا على جزء من سبعة عشر من القرآن اذ أن القرآن الكريم يشتمل على ٣٢٣٦٧١ حرفا فى حين أن الازار لا يستع لاكثر من ١٧٨٩٢ حرفا .

وقد حاول البعض ان يربط بين هذا الازار وبين رواية ذكرها المقريزى حيث قال : « ورأيت من يقول انه عمل له منطقة دائرة بجميعه من عنبر ولم أر مصنفا ذكره الا أنه مستفاض من الافواه والنقلة » .

كما ذكر ابن دقماق بهذا الصدد أن ابن طولون لما اكمل بناء جامعه اراد أن يعمل بدائره منطقة عنبر معجون ليفوح ريحها على المصلين .

ومن الواضح انه لا علاقة بين المنطقة الدائرة من العنبر التى يتحدث عنها المقريزى وابن دقماق وبين هذا الازار الخشبى لا سيما وأنه لو صح خبر دائرة العنبر فان هذه المنطقة الدائرة من العنبر لابد وأن تكون اسفل الجدران وليس أعلاها .

اليهود كما صورهم التلمود

الأستاذ عبد المجيد دياب

يقتضى فهم حركة الصهيونية عرض أهم الاراء التى جاءت فى ذلك الكتاب الذى أطلقوا عليه اسم « التلمود » أى : (السنن الموروثه) التى وضعها اسلافهم الحاقدون على البشرية واكسبوا هذا التلمود صفة التقديس ، حتى أصبح يتناوله الخلف عن السلف من اليهود .

فالتلمود شريعة اسرائيل وسجل تعاليم اليهود وآدابها ، وهو الذى نقل هؤلاء الطغمة الباغية من مرحلة اليهودية الى مرحلة الصهيونية ، مع احتفاظهم بكافة الصفات المادية والمبادىء الروحية اليهودية الموروثة ، فقد عرفت الصهيونية بأنها الامتداد الطبيعى والتطور التاريخى لليهود . وقد ظل هؤلاء اليهود معزولين عن المجتمع المسيحى حتى أوائل القرن التاسع عشر حينما حصلوا على حقوقهم السياسية .

والصهيونية حركة مبنية أساسا على البغض والكراهية والتنافر وعلى اساس نشر التعصب الدينى وكراهية غير اليهود .

وتنسب هذه الحركة الى اسم رئيس المجمع اليهودى «صهيون» الذى ادعى فى اجتماع عقده بأن موسى عليه السلام كان المدغ اللسان فلم يستطع أن يفسر وصايا الله العشر وهى : لا تسرق ، لا تقتل ، لا تكذب ، لا تزنى الخ ..

فاذا قرأت تفسير صهيون لهذه الوصايا رأيت خبث النفسية والتواء الطوية فقد فسرها بقوله : لا تسرق من اليهودى مثلك ، لا تقتلْ اليهودى مثلك ، لا تكذب على اليهودى مثلك الخ ومن هنا تعتبر الاراء التى جاءت فى التلمود تعبيرا صريحا عن الصهيونية فينص التلمود علىٰ غرور اليهود ويمهد لانتزاع الشفقة من قلوبهم وهو الامر الذى يوصم به الصهاينة فى الوقت الحاضر . فقد ذكر فى منطق خاطىء فاسد ــ يبدأ بمقدمات خاطئة تسلم بدورها الى نتائج خاطئة ــ قوله : يجب على الانسان [أى اليهودى] أن يتذرع دائما بالمكر فى تنفيذه لوصايا الله ، فيلقى التحية على غير اليهود . وفسر أصحابه هذا القول : بأنخداع غيراليهود واجب، ولكى يؤدى ذلك دون أن يكتشف أمره فعليه أن يزور جيرانه ولكن ليس من أجل اكتساب ودهم ، وانما للايقاع بهم ومعرفة مواطن الضعف عندهم .

ورسم التلمود لليهود عددا من الوسائل الملتوية التى يحققون بها أغراضهم الكبرى وهى السيطرة على العالم . ومن تلك الوسائل : استغلال الربا لتجريد العالم مما يملك فقال التلمود : أمرنا الله أن نستخدم الربا مع غير اليهود ، وأن نقرضهم المال بالفائدة لكى نصيبهم بالاذى بدلا من أن نقدم لهم المعونة حتى ولو كانوا يساعدوننا ويخلصون لنا . ولذا اشتهر اليهود بالربا طوال العصور التاريخية حتى أن المانيا قبل الحرب حرمت على اليهود أن يقرضوا بأكثر من ٤٣٪ بعد أن كانوا يقرضون بسعر يزيد على ٦٠٪ .

والتلمود ينص على أن الربا عنصر أساسى من عناصر الحياة اليهودية وهو السبيل الاول لسيادة اليهود على العالم ، ولذا وضع قاعدة لتربية ابنائهم . اذ أوصى كل يهودى أن يقرض أولاده بالربا « حتى يستمرؤا طعمه ولا يستطيعوا التخلى عنه » وفى الوقت نفسه يعتبر هذا الكتاب كتاب غير كريم بل هو كتاب كذب وخداع ولصوصية وغدر واحتيال . ومن ثم فهو عنوان الاخلاق الصهيونية ونبراس حياتهم ، فلم يكتف بحث اليهود على استخدام الربا فحسب وانما نص أيضا على غش الناس فى البيع والشراء ، وضرب مثلا على ذلك بأحد كبار اليهود ، اذ قابل شخصا غير يهودى ، ومعه قارورة من الذهب الابريز ، فما زال به حتى اقنعه بأنها من النحاس الاصفر واشتراها منه بأربعة دراهم ثم لم يكتف بذلك وانما سلبه درهما عند الدفع .

وادعوا فى هذا الكتاب : انهم شعب الله المختار ، وان شعوب الارض سوائم مسخرة لارادتهم وشهواتهم فقالوا فيه : ستصبح جميع الشعوب فى سلاسل اسرائيل بعد حرب عالمية وحشية . وسيزول ثلاثة أرباع الشعوب عن الوجود وسيحمل مفاتيح خزائن بنى اسرائيل ثلاثمائة حمار ، وسيكون لكل صهيونى عشرون الف عبد من الشعوب الاخرى . ومن أجل هذا أمر التلمود بقتل جميع البشر الذين لا يعتنقون الديانة اليهودية ، وأمر جميع اليهود أن يلعنوا الشعوب غير اليهودية ثلاث مرات فى اليوم ، وان يدعو الرب أن يسلط عليهم من يقضى عليهم ، ويستحث كل يهودى أن يعمل على تحطيم معابد غير اليهود .

وكما قلت ذكر التلمود أن يكون شعار اليهود مع غيرهم من الناس الكذب . وشرح احبارهم ذلك الكذب بقولهم : اذا اخطأ واحد من اليهود فى العد واستفهم من اليهودى عما اذا كان العدد مضبوطا ، وجب على الاخير أن لا يجيب بلا أو بنعم ، بل يقول لا أدرى ، لانه قد يكون أخطأ عامدا لكى يختبر أمانته .

وأباح التلمود لليهود عدم احترام العهود والمواثيق ، وقدم لهم النصائح التى تعفيهم وتحلهم من أى قسم يمكن ان يرتبطوا به فقال : ينبغى على كل يهودى ان يضيف الى اى قسم يتلوم امام أية مجموعة من الناس أن يتمتم سرا فى نفسه كلاما يناقض تعهده وقال فى ذلك أحد شيوخ النفاق اليهودى : يكفى اليهودى لكى

يتحلل من قسمه دون حنث أن يقول : ان هذا القسم غير نافذ المفعول .

ولذا تراهم لا يخجلون من هذا الخلق الذميم .

فمن أعيادهم السنوية عيديسمونه عيدالغفران أو « يوم قبور» يقف فيه الحاخام الاكبر ويعلن دون حياء فيقول : لتعفنا يا الله من الوفاء بجميع العهود والمواثيق التى نقطعها على انفسنا والايمان التى نتفوه بها ابتداء من يومنا هذا حتى اليوم المماثل له من العام القادم واجعلها عديمة الفاعلية عديمة القيمة كأنها لم تكن .

وليس أدل على نظرتهم بل نظرة اسلافهم التوسعية التى ورثوها ما جاء فى التلمود : كل مكان تطؤه اقدامكم يكون لكم .. كل الاماكن التى تحتلونها فانها لكم فانتم سترثون الجوييم [غير اليهود] المتكبرين فى الارض ، وبعد ذلك كل مكان بعد أرض اسرائيل التى يجب الا تكون نجسة تحت أقدام الجوييم .. أنتم بعد أن تحتلوا الارض [أرض اسرائيل] يحق لكم أن تحتلوا غيرها . « التلمود : فصل ى.ز »

والآن وجب علينا ان نعرف
من هو اليهودى

الصهيونى يظهر امامك بثوب الفيلسوف البحاث الحر المنطلق ، ويلقى فى فكرك بذور الاباحة المطلقة ليدفعك فى هاوية الالحـاد والانحطاط الخلقى .

الصهيونى يتظاهر بالالحاد ويرعى الملحدين ويدافع عنهم ويثنى عليهم ويشجع سيرهم ويخيل لهم انهم من الطبقات الراقية التى ترفعت عن أساطير عقائد العامة .

الصهيونى يحض على الموبقات ويتاجر بها ويخيل للمنغمسين فى حماتها انهم أصابوا كبد الحقيقة ، وعرفوا كيف ينتهبون السعادة ويختلسون الصفاء . اليهودى لا يتقن الصراع والنزال ولا يستطيع مقابلة الفرسان ومقارعة الابطال ، ولكنه يتقن بمفرده مالا يتقنه البشر مجتمعا من التجسس والهـدم ، والافساد ، والتحريش ، والغدر ، واسعار نار الشقاق ..

الصهيونى يتظاهر بخدمة الامة التى يتمتعبجنسيتها ويحاول كاذبا خدمتها أكثر من مخلصى ابنائها ويوجهها بلسان الناصح الى ما فيه دمارها .

ولست أرجو من مفكرى قومنا الا دراسة واعية متفحصة للفكر الصهيونى والنفسية الصهيونية حتى نرد سهامهم الى نحورهم والسلام على من اتبع الهدى

بقية « رجال صنعوا التاريخ »

المحاربين فى جيوش العراق والشام ، هنا تعلقت بالعراق آماله ، وهو يصيح : والله ما لها الا خالد !!

وقال كلمته المأثورة : « لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » ، وبعث اليه من فوره يستحثه على السير لنجدة المسلمين بالشام ، وأن يفصل من العراق بنصف الجيش على ان يخلفه المثنى بن حارثة، حتى اذا فتح الله على المسلمين الشام رجع خالد الى عمله بالعراق ، فبادر خالد بتنفيذ أمر الخليفة، وسار بعشرة آلاف مقاتل .

هنا يقف التاريخ ليحنى هامته أمام هذا الرجل الذى استحثه الخليفة لغياث جيوش المسلمين بالشام !! يحنى هامته اجلالا واعظاما لهذه الهمم التى لا منتهى لكبارها عند خالد بن الوليد !!

انه رجل من طراز فريد ، يعتسف المخاطر فى سورة من الاقدام لا تدع زيادة لمستزيد ، ولا يرقى الى مثلها وهم أو خاطر !!

لقد كان يستطيع أن يسير بجيشه فى الطرق المألوفة ذات الكلأ والماء ، وان يدور حول المفازة المهلكة التى تفصل العراق عن الشام دون ان يقتحم اهوالها ، ولكنه خالد بن الوليد الذى خرج عن كل مألوف ، واستأثر بكل معجز ، فهو لا يطرق الدروب المألوفة لانه لو سار فيها لعاقته حاميات الروم المنبثة فى المدن والقرى ، وشغلته بحربها عن غياث المسلمين ، وهو يريد أن يلبى أمر الخليفة على عجل ، ولا يريد أن يشغل جيشه بحروب جانبية .

صاح القائد العظيم فى أصحابه قائلا : « كيف لى بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم ، فانى ان استقبلتها حبستنى عن غياث المسلمين » ، فكلهم قال : لا نعرف الا طريقا لايحمل الجيوش يأخذه الفذ الراكب ، فاياك أن تغرر بالمسلمين !!

تهلل وجه خالد بشرا ، وطلب الى أصحابه أن يدلوه على دليل يهديه وعسكره فى هذا الطريق المخوف ، وهذه المفازة المهلكة ، فدلوه — وهم فى حيرة مما يسمعون — على رافع بن عميرة الطائى وكان رجلا قد شاخ وضعف بصره ، فقال له خالد فى ذلك ، فصاح رافع منزعجا : « انك لن تطيق ذلك بالخيل والاثقال ، والله ان الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها الا مغرور ، انها لخمس ليال جياد لا يصاب فيها ماء مع مضلتها » ، فصرخ فيه خالد : ويحك !! انه والله ان لى بد من ذلك ، ان القوة تأتى على قدر النية ، وان المسلم لا ينبغى له أن يكترث بشئ يقع فيه مع معونة الله » .

فعلت هذه الكلمة الاخيرة فعلها فى نفوس الجند ، فصاحوا جميعا : أنت رجل قد جمع الله لك الخير ، فسر بنا حيث تشاء ، فقال لهم الدليل : استكثروا من الماء ، من استطاع منكم أن يصر اذن ناقته على ماء فليفعل ، فانها المهالك الا ما دفع الله ، ثم قال لخالد : ابغنى عشرين جزورا عظاما سمانا مسان ، فأتاه بهن فظماهن ، حتى اذا أجهدهن عطشا أوردهن فشربن ، حتى اذا تملان عمد اليهن فقطع مشافرهن ، ثم كعمهن لئلا يجتررن ، وأشار على خالد أن يقتط أربعا من هذه الجزر كلما نزل منزلا ليسقى الخيل ، وأن يشرب الجند مما حملوا من الماء ، ففعلوا ما أشار به ، ولما كان آخر يوم من المفازة خشى خالد على أصحابه ان يجهدهم حر الشمس ونفاد الماء ، فقال لرافع : ويحك يا رافع!! ما عندك ؟ قال : خير ، أدركت الرى ان شاء الله ، وشجعهم وهو متحير أرمد ، فلما دنا من العلمين قال للناس : أنظروا هل ترون شجيرة من عوسج كعقدة الرجل ؟ قالوا ، ما نراها .. قال : انا لله وانا اليه راجعون ، هلكتم والله اذن وهلكت لا أبا لكم ، أعيدوا النظر ، فاستأنفوا البحث فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بقية ، فلما رآها المسلمون كبروا ، وكبر رافع ،

وحفروا فى اصلها فاستخرجوا عينا شربوا منها حتى روى الجيش وبعد أن انتهت المفازة أغار خالد على مافى طريقه من البلاد ، فأغار على سوى قبيل الفجر ، وناس من أهلها يشربون الخمر ، وحرقوص مغنيهم يقول :

الا علانى قبل جيش ابى بكر
لعل منايانا قريب وما ندرى

اظن خيول المسلمين وخـالدا
سيطرقكم قبل الصباح من البشر

فهل لكم فى السير قبل قتالهم
وقبل خروج المحصنات من الخدر

فما هو الا ان فرغ من غنائه حتى دهمهم خالد قبيل الصبح ، وهم لا يظنون ان احدا يأتيهم من هذه المفازة فى مثل ذلك الوقت

ثم تغلب على أرك وتدمر وحوارين وقصم وثنية العقاب ومرج راهط ، وهو يقتل ويأسر ويسبى ، الى أن وصل الى بصرى فقاتل من بها ثم صالحوه ، فكانت بصرى أو مدينة بالشام فتحت صلحا على يد خالد وجند العراق ، وبعث خالد بالاخماس الى ابى بكر .

اخـذ خالد يغذ السير حتى طلع على المسلمين فى اليرموك ، فاستقبلته جيوش المسلمين بالتهليل والتكبير ، ونزل بجنده فى جانب من ساحة المعركة ، والتقى بعد ذلك بأمراء الجند ليقف منهم على ما يكتنف الموقف من ظروف وملابسات .

وفى الصباح ألقى نظرة شاملة على ميدان المعركة ، نظرة فاحصة بصيرة متأنية ، فراعه ان رأى أمراء المسلمين قد أعدوا جيوشهم لمنازلة الروم متساندين ، كل جيش على حدة وعلى رأسه أميره ، لا تربط بينهم قيادة موحدة ولا رأى واحد ، ووجـد المسلمين فى ضيق من نشاط الروم ، وبخاصة بعد أن وصلهم مدد باهان أكبر قوادهم ، ومعه القساوسة والرهبان يحمسون الجند ، ويحرضونهم على القتال ، وينعون اليهم النصرانية ، وللجيش الرومى جلبة وله ضجيج ، ورأى خالد الروم يستعدون للخروج للمعركة فى تعبئة لم يشهد المسلمون مثلها من قبل ، فكيف ينهد المسلمون للقاء عدوهم تحت قيادات متعددة ؟ وادرك بعبقريته الحربية أن المسلمين لن يصمدوا امام أعدائهم بعد هذه التعبئة المنظمة لجيش الروم ، وهم فى قيادات غير متماسكة ، ووجد فى ذلك من الوهن ما يطيل أمد القتال ، بل ما يلحق الهزيمة بالمسلمين .

نظر خالد فى هذه اللحظة الى ما بعد هذه المعركة : وعلم أنها الحياة أو الموت . وأن هذا الدين الذى أنزله الله على رسوله أمام عاصفة جائحة ، ان لم تتدارك بالحزم اقتلعت كل شىء فى سبيلها ، وأن هذا اليوم يوم الفصل ، فاما أن تبلغ الدعوة الاسلامية مداها ، واما أن تهلك هذه العصابة فلا تقوم لهذه الدعوة قائمة .

كل هذا تمثله خالد وهو يمد بصره بين المعسكرين ، ثم جمع رؤســاء الجيش وصاح فيهم : « هل لكم يا معشر الرؤساء فى أمر يعز الله به الدين ، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه ؟ » فقالوا : نعم ! فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ان هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فان هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة ، وأنتم على تساند وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغى ، وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه الرأى من واليكم ومحبته » قالوا : هات فما الرأى ؟ قال : « ان أبا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى أننا سنتياسر ، ولو علم بالذى كان ويكون لما جمعكم ، ان الذى أنتم فيه أشد على المسلمين مما غشيهم ، وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا قد فرقت بينكم ، فالله .. الله .. فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه ان وان لاحد من أمراء الجند ، ولا يزيده عليه ان دانوا له ، ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. هلموا ، فان هؤلاء قد تهيأوا ، وهذا يوم له ما بعده ، ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وأن هزمونا لم نفلح بعدها ، فهلموا فلنتعاور الامارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والاخر غدا ، والاخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعونى اليكم اليوم !! » .

صادف هذا الرأى هوى من نفوس القادة والجند ، ومشى الامل فى صفوف المسلمين ، فقائدهم اليوم خالد ، وخالد انى سار لا يسير فى ركابه الا اليمن والنصر !!

وخرجت الروم فى تعبئة لم ير الراءون مثلها قط ، وخرج خالد فى تعبئة لم تعرفها العرب قبل ذلك ، فجعل الجيش كراديس ، وخرج فى نحو أربعين كردوسا ، وقال : « ان عدوكم قد كثر وطغى ، وليس فى التعبئة تعبئة أكثر فى رأى العين مـــن الكراديس » ، وكان رؤساء الكراديس من أهل النجدة والغناء أمثال أبى عبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد ابن أبى سفيان والقعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل وعياض ابن غنم ، وغيرهم من مغـاوير المسلمين ، وجعل للجيش طلائع عليها قباث بن أشيم : وقاضيا هو أبو الدرداء ، وقارئا يقرأ فى صفوف الجيش سورة الانفال ، وجعل على الغنائم عبد الله ابن مسعود ، وجال أبو سفيان واعظا بين الجند ومحمسا وهو يقول : « الله . الله . انكم ذادة العرب وأنصار الاسلام ، وانهم ذادة الروم وأنصار الشرك ، اللهم ان هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك » .

وكان للمرأة العربية دور كبير فى معركة اليرموك ، فجعلهن خالد خلف صفوف الجيش : وكن من أكرم بيوت قريش ، فيهن هند بن عتبة ، وبنت أبى بكر ، وزوج عكرمة بن أبى جهل ، وأسماء بنت يزيد الاشهلية ، وكان منهن من يقمن بسقى الماء ، وخرز السقاء ، ومداواة الجرحى ، واستنهاض الهمم ، واستثارة الحماس فى قلوب الرجال ، ومنهن من اشتركن فى القتال فعلا ، فقد أمرهم أبو عبيدة قبل المعركة أن يأخذن بأيديهن أعمدة البيوت والخيام ، ويجعلن الحجارة بين أيديهن ، فان كان الامر للمسلمين أقمن ما هن عليه ، وان رأين أحدا من المسلمين منهزما ضربن وجهه بأعمدتهن وأرجمنه بحجارتهن ، ورفعن اليه أولادهن ، وقلن له : قاتل عن أهلك وعن الاسلام !!

ولم يقنع خالد بما قاله أبو عبيدة لهن ، بل صاح : يا نساء المسلمين ، أيما رجل أقبل عليكن منهزما فاقتلنه .

ومما يكتب لهن بالفخر فى هذه المعركة أن أسماء بنت يزيد الاشهلية قتلت بعمود خبائها تسعة جنود من الروم وهى ترتجز بشعر حماسى .

وكان عدد جيش الروم فى معركة اليرموك أربعين ومائتى ألف مقاتل ، منهم ثمانون ألف فارس ، أما المسلمون فكان جيشهم سبعة وعشرين ألفا ممن كان مقيما ، الى أن قدم عليهم خالد فى تسعة آلاف ، فصاروا ستة وثلاثين ألفا ، وقد سمع خالد أحد الجنود من جيشه يقول بعد أن عبأت الروم جيشها : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ، فقال له خالد : « صه ! ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، انما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان ، لا يعدد الرجال ، والله لوددت أن الاشقر « اسم فرسه » براء من توجيه ، وأنهم أضعفوا فى العدد » ، وكان فرسه قد حفى فى مسيره .

هذا خالد بن الوليد قبل بدء معركة اليرموك ــ المعركة الفاصلة بين الاسلام والروم ــ أما خالد أثناء المعركة فموعدنا فى المقال التالى ان شاء الله .

قصة العدد

المسيرة الشاقة

الاستاذ حسين الطوخي

● **لم يكن اسلام « خالد بن الوليد » ودخوله فى دين الله عن رهبة من قوة محمد واصحابه : انما كان أسلامه استجابة صادقة لهاتف قلبه الذى أحس بعظمة هذه الدعوة وصدق ما تهدف اليه ، وانها من قبل ومن بعد دعوة لتحرير الانسان من جبروت اخيه الانسان : ودعوة الى نبذ عبادة الوثن الذى لا يسمع ولا يعقل ولا يرى ، ودعوة الى عبادة اله واحد لا اله الا هو رب العرش العظيم •**

كان أخوه « الوليد » قد اسلم منذ فجر الدعوة ولاذ بمحمد وأصحابه ونبذ جاهليته وشركه ، ومنذ لحق بالرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ما انفك يبعث الى اخيه « خالد » يدعوه الى اعتناق دين الحق والنور • كتب الوليد الى اخيه « خالد » يقول :

– « اما بعد فانى لم أر اعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام ، وعقلك عقلك ، ومثل الاسلام يجهله أحد ؟ سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اين خالد ؟ فقلت : يأتى الله به • فقال : ما مثل خالد يجهل الاسلام ، ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين لكان خيرا له ، ولقدمناه على غيره •• فاستدرك يا أخى ما فاتك منه ، فقد فاتتك مواطن صالحة »

كان جواب « خالد » على كتاب أخيه ان خرج من داره قاصدا الرحيل الى المدينة فى يوم مبارك من أيام السنة الثامنة للهجرة ، وفى الطريق التقى بعمرو بن العاص ، فلما سأله عن وجهته ، أجاب عمرو : الى الذى تقصد اليه •

وقال الرسول صلوات الله عليه بعد ان اعلن اسلامه بين يديه :

الحمد لله الذى هداك ، قد كنت أرى لك عقـلا ورجوت الا يسلمك الا لخير •

فتح خالد باسلامه صفحة جديدة ووضيئة فى حياته وحياة الاسلام والمسلمين : وشرح الله صدره للاسلام وبالاسلام ، وكان دخوله فى دين الله نقطة تحول خطيرة فى تاريخ الاسـلام والمسلمين ، وفى تاريخ الامبراطورية الاسلامية الجديدة •

لم يكن « خالد » من ذلك الضرب العادى من المسلمين الذين اعلنوا دخولهم فى دين الله من أجل ان يقيموا الصلاة وان يؤتوا الزكاة وان يحجوا الى البيت الحرام ثم ينصرفون الى تلك الحياة الوادعة فحسب ، **انما كان «خالد» من ذلك الطراز الفريدمن الرجال الذى يرى الاسلام عملا دائبا ومعركة ضارية بين قوى الشر والضلال ، وبين تلك الدعوة التى وضحت معالمها واتخذت سمتها لتحرر الانسان وتهديه الى صراط مستقيم •**

منذ أعلن على الملا اسلامه بين يدى الرسول وصحبه فى المدينة ، نذر نفسه وحياته ، وحتى خفقات قلبه ، ليذود عن هذه العقيدة الجديدة التى آمن بها مخلصا ومقتنعا بصدقها وجدواها لخير البشر ولخير هذا العالم الذى تصطرع فيه أمم شتى وتدين كل أمة فيه بدين يختلف عن كل ما عداه ••

نعم • فمنذ اللحظة الاولى لاسلام « **خالد بن الوليد المخزومى** » اعلن بين يدى الرسول انه لن تنام له عين ، ولن يغمض له جفن ، حتى يرى الاسلام فاشيا فى شبه الجزيرة العربية ، ثم يجاوزها الى مشارق الارض ومغاربها ، فذلك دين يستأهل ان يبذل الانسان من اجله وفى سبيله كل ما يملك وما يقدر عليه ، فهو خاتم الاديان ، ومحمد الرسول هو خاتم المرسلين ، وما نزل هذا الدين الا لخير البشر فى العالمين •

ولم يكن النبى القائد بالرجل الذى يبهره الوهج ، او يخطف بصيرته حماس ظاهرى لا باطن له ، بل كان النبى صلوات الله وسلامه عليه نافذ البصيرة ، عارفا باقدار الرجال ، مثلما يعرف الصائغ المحنك طبيعة كل جوهر ومعدن كل حجر كريم ••

كان صلوات الله عليه قد خاض الحرب بنفسه ضد المشركين فى بدر وفى احد وفى غيرهما ، وكان يتقدم الصفوف ، ويرسم الخطط البارعة بعد ان يدرسها مع صحابته الذين يستشيرهم فى كل أمر كبر

او صغر ، ومن ثم ادرك ان خالدا وعمرا سيكون لهما شأن واى شأن فيما تأتى به الايام والاحداث والمحن ·

وكتب لخالد أن يصحب النبى ثلاث سنوات قبل ان يلحق عليه السلام بالرفيق الاعلى فى السنة الحادية عشرة للهجرة ، عهد اليه خلالها فى كثير من الغزوات الصغيرة كما أشركه فى عدد من الغزوات الكبيرة كغزوة « مؤتة » وغزوة « حنين » وسرية بنى جذيمة وفى كل هذه الغزوات أبلى ابن الوليد أحسن البلاء واستحق من قائده الرسول أجزل الثناء ·

وتتم بيعة المسلمين لابى بكر الصديق أول خليفة للمسلمين، ويقر خالدا على مكانته ووضعه فىقيادة حملات الغزو والتأديب للقبائل التى أخذتترتدعن الاسلام بعد وفاة الرسول ، ولم ينقص الصديق · من تكريمه لابن الوليد بل زاد عليه ان وكل اليه تعقب هذه الردة فى مكمنها وهى بعد لم تجاوز المهد ·

خرج الصديق يودع جيش خالد الى اليمامة — وهى أول حروب الردة — ويذكى حماسة المقاتلين ويثبت مكانة خالد فى صفوف جنده فيقول مخاطبا جيش المسلمين قبل التحرك :

« أيها الناس ·· سيروا على اسم الله وبركته : فأميركم خالد بن الوليد الى ان القاكم · فانى خارج فيمن معى الى ناحية خيبر حتى ألاقيكم »

ولم يكن الصديق رضوان الله عليه يقصد الخروج الى خيبر او الى غيرها فى ذلك اليوم ، انما هى خدعة حربية رائعة ليوهم اعداء الاسلام انه ذاهب الى خيبر بينما هو يتجهز لقتال المشركين فى موطن آخر !

ثم ينتحى بخالد على حدة ويسر اليه امرا ثم يقول :

« عليك بتقوى الله وايثاره على سواه ، والجهاد فى سبيله ، والرفق بمن معك من رعيتك : فان معك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل السابقة من المهاجرين والانصار فشاورهم فيما نزل بك ثم لا تخالفهم · فاذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة فانى لا آمن عليك الجولة واستظهر بالزاد

وسر بالادلاء ، وقدم أمامك الطلائع ترتد لك المنازل وسر فى اصحابك على تعبئة جديدة ، واحرص على الموت توهب لك الحيـاة ، ولا تقـاتل بمجروح فان بعضه ليس منه واحترس من البيات فان فى العرب غرة وأقلل من الكلام واقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم الى الله فى سريرتهم ، واذا اتيت دارا فاقحم • فان سمعت آذانا أو رأيت مصليا فأمسك حتى تسألهم عن الذين نقموا ومنعوا الصدقة ، فان لم تسمع آذانا ولم تر مصليا شن الغارة ، فاقتل واحرق كل من ترك واحدة من الخمس ••

واذا لقيت اسدا وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك ، وبعضهم لا عليك ولا لك : متربص للسوء ينظر لمن تكون الدبرة فيميل مع من تكون له الغلبة : ولكن الخوف عندى من أهل اليمامة ، فاستعن بالله على قتالهم ، فانه بلغنى أنهم رجعوا بأسرهم : فان كفاك الله الضاحية فامض الى اهل اليمامة • سر على بركة الله

وانتهت حروب الردة التى كانت مفخرة الصديق بلاشريك ، وثاب العصاة الى رشدهم ، وثبتت للاسلام شدته ، وتأكدت بالحق قوته ، وانقضى واجب خالد بن الوليد فى حروب الردة كأروع ما ينقضى هـذا الواجب ، وقام وحده بأوفر سهم فى هذه الحروب ، لانه تولى تنفيذ ما رآه الصديق بقمع أخطر الفتن فى الجزيرة العربية من أقصاها الى أدناها علـى السواء •

وبانتهاء هذه الفتن الداخلية فى الجزيرة العربية ، اتفقت كلمة الصحابة على حرب فارس والروم وجيش خالد فى اليمامة يرسل بشائر النصر الى الخليفة فى مدينة الرسول وينتظر رأيه فى العودة او التحرك لحرب ثانية

ويأتيه جواب خليفة المسلمين بان يتحرك لقتال فارس بعد ان يأتيه المدد الوفير من السلاح والمئونة والرجال الذين لم تعد تشغلهم عن حرب العقيدة جمع مال او تجارة •

ويصل الامداد الى خالد •• مدد من قلوب مؤمنة نذروا أرواحهم رخيصة للموت ليذودوا عن خير دين انزل للناس ، ومدد من قادة الوية تمرسوا بألوان القتال ، وتركوا الاهل والولد والديار أمانة بين يدى خليفة لا يغامر بحرب حتى يتدارس مع صحابته كل الاصول والفروع ، فالدين دين جديد لا يسيغ الرجم بالغيب ، ولا يستهزىء ببطش اعدائه ، بل يدعو الى الحذر والحيطة البالغة ، والعدو له ماض عريض ، وحضارة تضرب فى اعماق التاريخ ، ومدنية عريقة عاشتها اجيال من بعد اجيال •

ودارت المعارك الطاحنة بين جيوش خالد وجيوش الفرس حتى بلغت خمسة عشر واقعة خاضها ابن الوليد لم يهزم فى واحدة منها ولم يخطىء لانه لم يكن ينفرد بالرأى ، بل كان فى كل حرب يخوضها يعتمد على خلاصة آراء من معه من قادة الالوية •

وحملت الرياح على أجنحتها تلك القولة المأثورة عنه :

« لا أحد أيمن طائرا منه ، ولا أصمد فى حرب ولا يرى وجه خالد قوم ابدا قلوا أو كثروا الا انهزموا عنه »

انتهت حروب فارس ، وتحطمت اسطورة الاكاسرة وملوك الشمس ، وخضعت بلاد العجم لكلمـة المسلمين ، وتطايرت الاكاسرة وملوك الشـمس ، وخضعت بلاد العجم لكلمة المسلمين ، وتطايرت الانباء من أدنى الشرق الى اقاصى الغرب بان امبراطورية جديدة صاعدة علا فى السماء نجمها وبدأت شمسها تكشف شموسا اخذت تجر ذيولها نحو المغيب •

وهناك فى الغرب ، كانت علل الفناء قد اصطلحت على بنية دولة الرومان التى استمرأت الترف وانزلقت الى مهابط الانحلال فلم تعد تقوى على مغالبة أى زحف جديد بعد ان انهكتها حروب فارس من جهة ، وتطاحن امرائها فيما بينهم من جهة ثانية •

وترامى الى سمع خالد وهو بأرض فارس قول الصديق لصحابته :

« والله لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد »

ويبتسم ابن الوليد ويدعو الله ان يأتيه كتاب الصديق بالتأهب لغزو الروم ، وتمر عليه الايـام والليالى بطيئة متثاقلة يحلم خلالها بهذا الغـزو ويتعجله •

وتقر عيناه بكتاب الخليفة الذى بعثه اليه ليسارع بحرب الدولة الرومانية بعد الفوز الذى أصاب المسلمين فى حرب فارس ، ففى ذلك مسارعة الى مرضاة الله وقتال اعدائه . ويكتب الخليفة فى ذات الوقت الى « ابى عبيدة بن الجراح » أمير الشام لينتظر خالد وينضم اليه فى هذه الحرب القادمة .

لم يضيع ابن الوليد وقتا ، و فور استلامه كتاب خليفة المسلمين يتفقد جنده ، وينظم كتائبه ، ويوفر امداده وتموينه وذخيرته ، ويدعو أهل فارس ليأخذوا ثأرهم من عدوتهم اللدود ، فاستجاب لدعوته آلاف مؤلفة حملوا سلاحهم . مع جيش المسلمين .

وفى مجلس الحرب بأرض فارس ، اجتمع خالد بقادة الالوية ليتدارسوا اسهل الطرق واسرعها الى الشام . نظر خالد ومعه قادته الى الطرق الاربعة الموصلة الى الشام وبينه وبين الشام يومئذ قرابة ستمائة من الاميال .

واحد من هذه الطرق سهل موفور الماء والكلأ ولكنه أيضا موفور الحراس والسكان ، فهم يعوقونه بالمقاومة عن الاسراع المطلوب .

وطريق آخر قليل الحراس والسكان وفيه الماء والكلأ ولكنه طريق طويل يستغرق من الحملة المسرعة قرابة عشرة ايام .

وطريق ثالث يستغرق من الحملة خمسة ايام ولكنه طريق عسير ومسيرته شاقة مضنية ، وهو طريق قليل الماء والكلأ ، مخيف غير مطروق. لكن هذه الاخطار لم تثن خالدا عن اختيار هذا الطريق فهو اقصرها وامكن لجيوشه من الانقضاض على الروم الذين يقدرون لمسيرته عشرة أيام .

أحب خالد ان يسمع رأى الادلاء فى هذا الطريق فبعث حاجبه ينادى بين الجند على دليل يعلم كثيرا او قليلا عن هذا الطريق .

جاء « **رافع بن عميرة الطائى** » احد الادلاء ، وأذن له بدخول خيمة الوليد الذى ابتدره :

– ماذا تعرف عن هذا الطريق بين سوى وقراقر ، وكم يلزمنا من أيام لكى نجتازه ؟

قال رافع وقد بان الدهش على وجهه :

– انها مسيرة شاقة ايها الامير . انك لن تطيق ذلك بالخيل والاثقال . والله ان الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها الا مغرور . انها لخمس ليال شداد لا تصاب فيها ماء مع مضلتها .

قال خالد :

– ليس من طريق غيرها يا رافع حتى ندهم الروم وهم غافلون . ماذا ترى ؟

قال رافع : عليك ان تتجهز باكثر ما تستطيع حمله من الماء على شريطة الا يشرب اى رجل من جندك جرعة الا باذنك وبعد ان يكون قد انهكه الظمأ . وعليك بأن تأتينى بعشرين بعيرا عظاما وتوكلهم الى.

وجىء لرافع على الفور بعشرين بعيرا جساما سقاها بماء اذيب فيه الملح وتركها حتى أمسى الليل فأحست الجمال بالعطش الشديد غير انه تركها حتى الصباح ثم ذهب بها لتستقى حتى رويت ثم قطع مشافرها وخاطها حتى لا تجتر ، ثم قال لخالد :

– سر على بركة الله بالخيول والاثقال فكلما نزلت منزلا نحرت من تلك الجمال اربعا ثم أخذت ما فى بطونها من الماء فتسقيه للخيل وهكذا حتى تظهر لنا البئر التى اعلمها فى نهاية المفازة .

وسار جيش خالد ينهب الصحراء ويطوى المسافات المعسرة ، وكان أمر القائد الا يشرب انسان قطرة ماء الا عندما تغيب الشمس .

وانقضى اليوم الاول من المسيرة الشاقة فى سلام ، وفى ضحى اليوم الثانى احست الخيل بالظمأ الشديد فنحرت اربعة من الجمال سقيت منها الخيل كما طعم الجنود لحومها ، وانقضت ايام ثلاثة اخرى استنفذت كل ما كان فى الحملة من الماء المحمول .

لم يبق غير يوم واحد ويصل جيش خالد الى « قراقر » ولكن قطرة واحدة من الماء لم تكن لدى احد من افراد هذا الجيش الكبير ، ونادى خالد على رافع يسأله عن موضع البئر ، فقال : اذا لم تخطئنى الذاكرة فهى على مسيرة نصف يوم وعليك ايها الامير ان تحث جنودك على الصبر حتى نبلغ البئر .

سقط البعض اعياء من الظمأ ، واسقط فى يد خالد فاخذ يتفرس فى ملامح « رافع » الدليل لعله يلمح بارقه من أمل ..

وفجأة لانت ملامح الدليل ولحظ خالد شبح ابتسامة تطوف على شفتيه فسأل :

– ايه يا رافع ماذا يدعوك الى الابتسام ونحن نوشك على الهلاك ؟

أجاب رافع وهو يشير بيده : ادركت الرى ان شاء الله . انظر ايها الامير هناك ترى شجرة عوسج على ظهر الطريق ، اذا وصلتم اليها فاحفروا فى أصلها .

أشار خالد الى خمسة من اشداء من الرجال اخذوا يحفرون فى أصل الشجرة فوجدوا عين ماء عذب يفيض حتى عن حاجتهم . شرب الجند حتى ارتووا ، ثم سقوا الخيل والابل التى تحمل الاثقال ، وحملوا معهم ما يكفى بقية الطريق .

وصل جيش خالد الى أرض الشام حيث ينتظره « **ابو عبيدة بن الجراح** » ونسقت خطط الهجوم كأحسن ما يكون التنسيق ، ولم يدر الروم أن اهوالا جساما تنتظرهم ، ودارت معارك « **اجنادين** » ومن بعدها « **اليرموك** » ثم « **الياقوصة** » حيث اطبقت جيوش المسلمين على الرومان وقدرت قتلاهم بنحو ثمانين الفا سقطوا فى الوادى فرادى وجماعات .

ولم يبق لهرقل أمير الروم بعد وقعة اليرموك ، الا ان يودع الشام الى عاصمة ملكه المتصدع وداعا ليس بعده لقاء ..

معجم ألفاظ المصطلحات العلمية الحديثة

للأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

[حرف البـاء]

[باراتونير] ـ أى قضيب الصـاعقة . وضع له اليازجى : [الشـارى] .

[بارومتر] ـ مقياس الثقل . [مجلة الطبيب ص ٣٧٢] .

[باشلس] ـ أنظرها فى [مكروب] .

[بانيو] ـ [مجلة الطبيب ص ٣٦] : تغطيس الرجلين فى ابزن سخن . وفى آخر ص ١٣٣ : الابزن والديماس . وانظر الابزن والديماس فى كتب اللغة وفى شفاء العليل للخفاجى .

(بحيث جزيرة) ـ أنظر (الجزيرة) فى حرف الجيم .

[بريتون] ـ فى ص ٢٦٤ من رقم ٢٩٠ مجاميع تيمورية : [الثرب] : اسم عربى للغشاء اللحمى الذى يغطى الاحساء .

[البزموت] ـ المقتطف ج ٦ ص ٣٩٠ .

[بكتريا] ـ أنظرها فى [مكروب] .

[بكتيريولوجيا] ـ أنظر بحثا علميا عنهـا فى مجلة المقتطف مجلد ٤٥ ص ٣٨١ .

[بلمباجين] ـ الابار [مجلة الطبيب ص ٣٥٩] وفى مجلة المجمع العلمى بدمشـق ج ٢ أواخر ص ٢٧٠ الاسرب الرصـاص الردىء ، وانظر مجلة الضياء ج ١ ص ٧١٦ ، وفى ج ٢ أواخر ص ٤٦٦ الفرافيت البلماجين .

[بلورية فى العين] ـ استعمل لها فى مجلة الطبيب ص ٥٦ الجليدية ؛ ولكنه استعمل البلورية فى ص ٢٧٥ و ص ٤٧٠ محدثة الجليدية [العدسة البلورية] فى العين .

[البليورة] ـ استعمل لها الغشـاء المسـتبطن للصدر . [مجلة الضياء ج ١ أول ص ٤٩] .

[البنكرياس] ـ عند الاطباء : [الحلاوات] مجلة المقتطف مجلد٦٣ ص ٢٥٥ .

[حرف التـاء]

[ترمومتر] ـ فى مجلة الجنـان ج ١٥ ص ٦٦١ وضـع له اليـازجى : (الميزان المئوى) . تاريخ الصحـافة ج ٢ أوائل ص ٥٨ .

[تلسكوب] ـ سـماه [بالمرقب] فى مجـلة الطبيب أول ص ٣١٢ ، وانظر [السـبكتروسكوب] فى [حرف السـين] و [المكرسـكوب] فى [حرف الميم] فيما سـيأتى بعون الله وتوفيقه .

[حرف الجيم]

[جغرافيـا] ـ والكلام فيها بتفصـيل وافٍ [أنظر الطراز المذهب ص ١٠٣ .

[جليـدى] ـ فى مجـلة الطبيب ص ٤٣٩ الطـور المصرى [الجليدى] فى الاسهال .

[حرف الحـاء]

[الحامض الخشبى] ـ أنظر مجلة الضياء ج ٢ ص ٥٢٦ .

[حجر جهنم] ـ ممـا عرفه العرب . أنظر مجـلة الهـلال مجلد ٣٠ ص ٨٢٩ من مقالة [آثار العرب العلمية] .

[حمام القدم] ـ فى مجـلة الطبيب ص ٣٦ تغطيس الرجلين فى ابزن سخن . وفى آخر ص ١٣٣ الابزن والايمـاس ، وانظر [البانيو] .

[حرف الدال]

[دسنتريا] ـ هى للزحير والزحار والزحارة ، اى استطلاق البطن بشدة وتقطيع فى البطن يمشى دما .

[دكتوراه] ـ مجلة الطبيب ص ٢١ ، ٢٢ اسـتعمل البراءة للشهادة الطبية .

[حرف الذال]

[ذوات الثدى] ـ اسـتعمل لهـا فى مجـلة الطبيب أواخر ص ١٧٥ الحيوانات اللبونية كالقردة .. الخ .

[حرف الراء]

[راتينج] ـ فى أول الفـوائد المتفرقة ص ١١٧ من مجـلة الطبيب : [الراتينج] : القلفونيا .

[الراديوم] ـ يرى الاب أنسـتاس الكرملى العالم اللغوى العراقى صاحب مجلة العرب : أنه بالعربية [المشـع] ، لان أصل اسمه الافرنجى من الاشعاع . وانظر فى مجلة المجمع العلمى بدمشق ج ٣ ص ٢٤٩ [الالماع] .

[الراسب الاحمر] ـ مما عرفه العرب . مجلة الهلال ج ٣٠ ص ٨٢٩ من مقالة [آثار العرب العلمية] .

[الرمد الصديدى] ـ يسـمى أيضـا : [الرمد المصرى] و [برمد الجند] ، لانه انتقل الى مصر مع الجند الفرنسى [راجع مجلة الطبيب وسط ص ٢٤٢ .

[حرف الزاى]

[الزرنيخ] ـ كلام فيه وفى لفظه [راجع مجلة المقتطف ج ٥٦ ص ٣٨٨ .

[زيت المزاج] ـ مما عرفه العرب [راجع مجلة الهلال ج ٣٠ ص ٨٢٩] من مقالة [آثار العرب العلمية] .

[حرف السين]

[السبكتروسكوب] ـ مجلة الطبيب ص ٥٣ [المنظر الطيفى] بقلم الخياط . وفى تاريخ الصحافة أواخر ص ٥٨ ج ٢ ان أول من وضـع هـذا اللفظ اليـازجى . وفى آخر ص ٥٢ [المنظر والعدسية] ، وفى ص ١٨٣ [المناظير المكبرة ، جمع منظار] . وفى ص ٣٥٣ [المنظار الطيفى] . وانظر أيضا [التلسكوب] و [المكرسكوب] .

[ستافيلوما] ـ عنبية ، مجلة الطبيب ص ٢٤٣ س ٢ .

[سلكون] ـ رجح فى المقتطف ان يسمى بالعربية [الصوان] ج ٥٧ ص ٩٠ .

[السليمانى] ـ مما عرفه العرب [راجع مجلة الهلال ج ٣٠ ص ٨٢٩ من مقالة [آثار العرب العلمية] .

[السنتغراد] ـ وضع له العالم اللغوى الاستاذ اليازجى : [المقياس المئوى] ، وقد يقال : [المئوى] فقط [راجع مجلة الضـياء ج ١ ص ٧١٦ . وفى ج ٢ أوائل ص ٤٦٤ عبر بالمئوى فقط عنه .

[حرف الصـاد]

[صـمغ] ـ الصمغ عربى ، ويسمى أيضا : [المعلك] فى ص ٢٦٥ من رقم ٢٩٠ مجاميع تيمورية : [الدبق] هو [المعلك] وفى ص ٢٦٩ من هـذه المجموعة : الصـمغ العربى هو [علك الطلح] .

الذكر والسماع عند الصوفية والمتصوفين

الأستاذ فتحي أحمد مصطفى

أطلق الاسلام أهله الى رحاب جنات من نعيم تفيض بالخير والجمال وعدهم بها مرتين : مرة فى الحياة الدنيا .. ومرة فى الحياة الاخرة . فاذا حقق اتباعه البلوغ الى الحياة الاولى بما اتبعوه من تعاليم الدين فهم لاشك بالغون ما وعدوا به فى الحياة الاخرى لان وعد الله هو الحق .

ولم يات نظام فى الدنيا بدعوى انه خلق المثل العليا وحقق اقصى المنافع المادية بها كما جاء بها الاسلام . فالاسلام جعل الارض لاهله جنات تفيض بالنعيم وذلك حين قرر ان الجماعة ان استغفرت ربها .. وذكرت خالقها .. ارسل عليها من السماء مدرارا وامدها بأموال وبنين ، وجعل لها جنات .. وجعل لها انهارا .

فالوسيلة وهى الذكر والاستغفار .. وسيلة هينة لكل من لا يتعمق فى معناها او يتمسك بلفظ الذكر والاستغفار دون العمل بها .. فما الذكر والاستغفار فى اسمى معانيهما الا الفرار من الذنوب .. والاقبال على عمل الخير .. وتادية كل الواجبات، وهو ما مات دونه العباد المخلصون وهم خائفون يرجفون .

فالذكر : ذكر الله سبحانه وتعالى وهو عبودية للقلب واللسان والجوارح .. بصيرة الايمان .. توام الحياة .. روح الصالحات، انه تذكرة للارادة البشرية ، وتقويم للعاطفة ، وتسديد للفكر والسلوك .

جزاء الذكر : ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى ان نذكره فى كل حال ، ليظل حالنا حال خير وصفاء وصلاح (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا) وللذكر جزاؤه الروحى والمادى تامل قول الله تعالى ((فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون)) وتدبر قوله عز وجل ((والذاكرين الله كثيرا ، والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)) .

فحسبك جزاء من الله أن يذكر من يذكره ويغفر له وله الاجر العظيم ! .

وقت الذكر : وليس للذكر وقت معين ولا حال معين فالله عز وجل يامرنا بان نذكره فى كل حال وفى كل وقت وعند القيام باى عمل من الاعمال ولاسيما عند الصلاة والحج والقتال فهو القائل عز وجل ((الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض)) وهو القائل سبحانه وتعالى ((واقم الصلاة لذكرى)) .

((يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا اللهكثيرا لعلكم تفلحون)) .. ((فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا)) .

كيفية الذكر : يقول سبحانه وتعالى ((واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين)) فلا صخب ولا عربدة ولا ناى ولا مزمار ولا طبول ولا نباح شهوات من المنشد ، انما ضراعة وخشوع يستثيرهما فى القلب حب الله والخوف منه ، ووعى كامل يستغرق مشاعر النفس ونوازع الحس وتاملات اللب وعواطف القلب ، وصوت شجى هو دون الجهر يعبر تعبيرا صادقا عن قلب عامر بالحب صادق الخوف ، ولكن لايقعده رجاء الحب عن العمل ، ولا رهبة الخوف عن الامل .

أنواع الذكر : يقول الامام ابن القيم الذكر ثلاثة انواع : ذكر الاسماء والصفات ومعانيها ، والثناء على الله بها ، وذكر الامر والنهى والحلال والحرام وذكر الالاء والنعماء والاحسان والايادى)) .

وقال ابن القيم عن انواع الذكر بالنسبة لاحوال الذاكرين انها

ثلاثة أنواع : « ذكر يتواطأ عليه القلب واللسان وهو اعلاها ، وذكر بالقلب وحده وهو فى الدرجة الثانية ، وذكر باللســان المجرد وهو فى الدرجة الثالثة .

اننا لا نذكر الا من نعرف ونحن لا نعرف الذات الا بالاسماء والصفات فماذا نذكر الله سبحانه وتعالى اذا لم نذكره باسمائه وصفاته ؟

ان ذكر الله باسمائه وصفاته يثبت روح الايمـان واليقين والطمانينة ..

بم يشعر الفقير .. وهو يذكر الغنى ؟

بم يشعر العاجز .. وهو يذكر ربه القادر ؟

بم يشعر المذنب التائب .. وهو يذكر التواب الرحيم ؟

بم تشعر الامة المؤمنة فى نضالها .. وهى تذكر ان الله يدافع عن المؤمنين ؟

بما تشعر الجماعة المسلمة..وهى تذكر ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ؟

« الا بذكر الله تطمئن القلوب » .

السماع والوجد : يقول الامام الجليل ابن القيم المسموع على ثلاثة اضرب : « مسموع يحبه الله ويرضاه ويأمر به عباده ، ومسموع يبغضه الله ويكرهـه وينهى عنـه ومسموع مباح مأذون فيـه لا يحبـه ولا يبغضـه » ثم قال عن النوع الاول وهو ما يحبه الله ويرضاه : انه هو سماع آيات الله المتلوة التى انزلها الله على رسوله .

ووصف ابن القيم هذا السماع بانه أساس الايمان الذى يقوم عليه بناؤه .

وهو سماع بحاسة الاذن ، وسماع فهم وعقل ، وسماع اجابة وقبول .

ويقول عن النوع الثانى : انه الغناء والشعر الذى يوسوس بالفتنة فان اصحابه فئة مدنفة النفوس تستخفها الى الرقص لمسة وتر وتستطير عقولها لهمسة نغم فئة لا تصلح للحياة ، ولا تصلح الحياة بهم ، ولا تركن اليهم امة القيادة .

ويقول عن النوع الثالث : ان سماع الذكر الحسن وسماع سير الصالحين بشرط ان تتضمن الموعظة والعبرة .

وما اجمل ما يقول الامام الجليل ابن القيم عن اصحاب سماع القرآن « لم يعدم من اصاب هـذا السماع — سماع القرآن — ارشادا لحجة ، وتبصرة لعبرة ، وتذكرة لمعرفة ، وفكرة فى آية ، ودلالة على رشد ، وردا على ضلالة ، وارشادا عن غى ،وبصيرة عن عمى ، وأمرا بمصلحة ، ونهيا عن معصية ومفسدة ، وهداية الى نور ، واخراجا من ظلمة وزجرا عن هدى ، وحثا على تقى ، وجلاء لبصيرة ، وحياة لقلب ، ونداء ودواء وشفاء ، وكشف شبهة ، وايضاح برهان ، وتحقيق حق وابطال باطل » .

فعسانا الا نغفل عن ذكر الله بالعمل الصالح او الاستغفار بالفرار من الذنوب والاقبال على الخير وتادية كل الواجبات .. وعسانا نستمع الى آيات الله المتلوة بقلب صادق الايمان مصمم على البعد عن كل معصية وزور وبهتان .. مسترشـدين .. مهتدين .. آملين .. مؤمنين .

من صور قناعة العلماء

الدكتور علي صافي حسين

يطيب لى ان اقدم الى قراء مجلة منبر الاسلام الغراء ، صورة بالغة التاثير رائعة التعبير صادقة الدلالة على مبلغ اتصاف العلماء العاملين من الفقهاء وائمة الدين ، بفرط القناعة مع الكلف بالبذل والاقبال على الاحسان وشدة العطف على الفقراء ، وأعنى بها شخصية « ابن الكيزانى » ذلك العالم الفقيه الذى اشتهر ابان القرن السادس الهجرى — مع كثرة ماله وفرط غناه — بالزهادة والقناعة على الفقراء ومواساة المحرومين .

ولا غرو فان الذى يدرس عصر ابن الكيزانى من الوجهــة الاقتصادية يجد ان الفاقة والعوز كانا يخيمان على سواد الشعب، واكثر افراد مجتمع ذلك الحين وذلك لعدة اسباب : احدها ان الملوك والسلاطين كانوا فى ذلك الحين اقطاعيين ورأسماليين ، لا يفكرون فى عدالة التوزيع ولم يكن ليهمهم امر الفلاحين ولا شان الكادحين .

ومن يقرأ كتاب «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» لابن اياس، يجد فية صورة واضحة المعالم بينة القسمات للنظام الاقتصادى الذى كان سائدا فى الديار المصرية ابان تلك العصور اذ يذكر ابن اياس : ان الاراضى كانت تقسم الى اربعة وعشرين قيراطا موزعة على السلطان وحاشيته..والامراء وقادة الجيش ، وطائفة الجنود ، وحكام الاقاليم .. اما الفلاحون والزراع فانهم يفلحون ويكدحون : ولا يأخذون سوى ما يسد الرمق ويقيم الاود .

هذا على ان الفقهاء ورجال الدين كانوا يعدون ضمن الطبقات ذات الشأن ، طيلة تلك العصـور ، بمـا فى ذلك المؤرخين واصحاب التراجم والرواة والمحدثون . ومن ثم وجدنا « ابن الكيزانى » يتحلى بصفتين رئيستين هما القناعة من الدنيا باليسير وشدة العطف على الفقراء والمساكين من خلطائه ومجاوريه ومن طلابه ومريديه .

ولا غرو فان كل الذين ترجموا له وارخو له وصفوه ونعتوه فى كل ما ذكروه عنه من عبارات وكلمات ، تعبر فى تقديرهم عن زهده وورعه — فمن ذاك — على سبيل المثال — قولهم : كان عابدا زاهدا قانعا من الدنيا باليسير .

وقولهم : انه كان يأكل من كسب يده وكان شديد العطف على الطلاب فكان يأتيه احدهم جائعا فيطعمه وعاريا فيكسوه .

وهذه العبارات ان دلت على شئ فانما تدل على تأصل روح ما نسميه نحن الان — بالاشتراكية ، ولعل فيما ذكره السخاوى وابن الزيات ، خير شئ يصور لنا قناعته وعطفه على المحتاجين اذ قالا ما نصه : —

عطف الأغنياء على الفقراء

« ويأتيه الطالب ليقرأ عليه ، فيجده جائعا فيطعمه ، وعريانا فيكسوه ، ويعطيه العمامة حتى انه اذا وجد فى نعله شيئا مقطوعا يخرزه بيده وجاءه يوما امير مصر ومعه رسول الخليفة فدخلا عليه وهو يدور على الدولاب بيده ، ففرش لهما برشا من خوص ، فقعدا عليه وسألاه الدعاء فدعا لهما .. فاخرج له الملك الف دينار ، فردها ، فقال له السلطان ان لم تاخذها لنفسك فتصدق على اصحابك بها ، فقال واصحابى لا يحتاجون اليها ، فانى اعمل على هذا الدولاب فى كل يوم بثلاثة دراهم ونصف . فآكل من ذلك بنصف واتصدق بثلاثة دراهم على اصحابى واهلى وجيرانى ، فخذها وانصرف » .

فهذا النص صريح ، فى ان ابن الكيزانى كان يرى ان المال قوام الحياه ، وانه لذلك ينبغى ان يكون قسمة عادلة بين الناس فلا يجوز فى مذهب ابن الكيزانى ان يجمع المال افراد ويحرم منه آخرون ثم انه يرى كذلك ان على كل فرد من افراد المجتمع ان يجد فى طلب الرزق وان يكد ويكدح بدليل ان ابن الكيزانى نفسه كان ياكل من كسب يده وانه كان يدير بيده على الدولاب .

هذا على انه كان — من ناحية اخرى — يعد جمع المال واحتكاره امرا يتنافى مع تعاليم الاسلام اذ يقول الله — سبحانه وتعالى — فى كتابه العزيز :

« ان الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » .

« يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ! » .

والدليل على ان ابن الكيزانى قد اتجه هذا الاتجاه كونه رفض اخذ الالف دينار التى عرضها عليه السلطان — فلما قال له : اعطها اصحابك وجيرانك رد عليه بقوله : انى اعمل على هذا الدولاب فى كل يوم بثلاثة دراهم ونصف فآكل منها بنصف درهم وافرق الباقى على اصحابى وجيرانى .

وهذا لعمرى ادل شىء على قناعة ابن الكيزانى وزهده ومقته الشديد لارباب رأس المال وذوى الثراء الفاحش من ناحية ، ومحاربته التواكل والاعتماد على الصدقات فى العيش مهما تعددت العلل وتنوعت الاسباب من ناحية اخرى .

وقصارى القول فى ابن الكيزانى من الوجهة الاقتصادية انه كان يعد فى زمانه — حسب عصرنا الحاضر — داعية من دعاة عدالة التوزيع وزعيما من زعماء الاصلاح الاجتماعى .

دموعي

صلاة

الشاعرة روحية القليني

ولائى الهى ولاء البشر وحب الملائك فوق البشر
فاما سعدت أقول الاله وأما شقيت اقول القدر
فما الخير الا يسر رضاك : وتبعث فى الكون حلو الصور
وانك يارب علمتنى رضائى عن الحظ اما عثر
وكل ابتسام على شفتى رضاء عن الله فيما قدر
الهى الهى بحق ظلالك والزرع يسقى بماء المطر
وارضى تزهى بشتى الثمار وروضى يبعث نفح الزهر
بكل جمال يزين الوجود يهز الفؤاد ويسبى النظر
أجرنى وخذ بيدى الهى فمن غير عطفك لن استقر
صلاتى دموع بجنح الليالى ودمعى صلاة بجفن السحر
وأحلى نشيد هو اسمك ربى اردده فى ليالى الضجر
فابسم بعد الدموع واسعد بعد الشقاء وعينى تقر
وأملك فى راحتى الحياة يلين فى الصعب حتى الحجر
ومن يرى الله فهو السعيد ويحفظه الله من كل شر
ومهما تطل امسيات الظلام سيعمر دربى نور القمر
حبيبى الهى ومن لى سواك اناجيه فى هدءات السهر
أسر اليه بهمس فؤادى فتمحو يداه الاسى والكدر
وأخفى سرى عن العالمين سوى لالهى يحلو السهر

موكب الأشواق

الشاعر
أحمد عثمان المراغي

اليك رسول الله بالقلب أسرع
وفى موكب الاشواق بالحب أسجع
أفر بروحى يا نبى ليثرب
وعندك فى نيل الشفاعة أطمع
لينعم صدرى يا نبى بزورة
لها خاطرى الولهان بالشوق يهرع
واصغى لصوت البيد بالسحر ناطقا
يرنم بالآيات والكون يسمع
والثم عطر الترب فى أرض أحمد
وأنهل من نبع الصفاء واترع
وفى ظلك الفينان سبحت داعيا
الى الله . انى بالمثابة اضرع
هناك يفيض النور فى الكون ساريا
وبالحق فى افق البرية يسطع
يحج اليك الخلق من كل بقعة
وفى ساحة الرحمات للخلق منبع
فيا صاحب القرآن حبك شرعة
وعشقك طب للنفوس ومبضع
رسمت طريق العدل والخير للورى
وكنت بشير الكون بالحق تصدع
وجئت باذن الله للناس هاديا
فانت امام للحياة ومشرع
وهذا هو التنزيل للرشد داعيا
وللفضل والاحسان والبر يجمع
وهذا هو الاسلام يا خير مرسل
تتيه به الازمان والكون أجمع
وهذا هو الدين الحنيف ضياؤه
لكل عباد الله بالهدى مرجع
وتلك رسالات السماء الى الورى
تعاليم ارشاد الى النور تدفع
تمد نفوس الناس بالعلم والهدى
وتنبت أجيالا على الخير تطبع
فهل كان غير الدين للعدل داعيا
وهل كان غير الشرع للناس أنفع
هداه خلاص الكون من كل عثرة
وآياته الاعجاز للمجد ترفع
وللجد يدعو الدين والكد والعلا
وللنصر بالاصرار لا يتزعزع
وقد ظل فى التاريخ توجيه أحمد
قويا مهيب القصد للود يصنع
ومنه يعم الحب فى الكون كله
ومنه يفيض السلم والبغض يمنع
وينساب فضل الله من شرع أحمد
ظليلا وريف الخصب فهو تضوع
ويبقى كتاب النور بالحق خالدا
ينير قلوبا للتقاة وينفع
فيا صاحب القرآن دينك ثابت
وشرعك نور للوجود ومنجع

حرب مقدسة

الأستاذ محمد المتولى الطامى

ان الانسان قطعة من وطنه ، ارتبط به روحيا وفكريا وعقائديا ، وصار وارث لغته وتاريخه وعاداته وتقاليده ، وقيمه ومبادئه ، ولزمه ان يكون وفيا له ، محافظا عليه ، متجشما المشاق فى سبيله ، مخلصا فى عمله من اجله ، مراعيا حق الله والوطن فى تصرفاته ، وصار الجهاد فى سبيل الله والوطن أمانة فى عنقه ودينا واجب الاداء ، وفرضا يتطلب الوفاء .

فاذا الحق بالوطن أى اعتداء ، كان حقا عليه أن يدافع عنه ، وأن يضحى فى سبيله ، وأن يفتديه بروحه وما يملك ، واذا تعرضت المبادىء او الحرمات او المقدسات للمهانة ، كان مثالا طيبا لعزة وطنه ، وصورة حية لمبادىء عقيدته ، وتصرف بما يمليه الواجب المقدس عليه حياله ، واندفع للجهاد بدون تردد او انثناء ، قاصدا بجهاده وجه الله والدار الاخرة ، مؤثرا ما عنده ، غير متطلع لمغنم أو جاه أو ثناء ، مفضلا الموت على الحياة الذليلة من أجل ان تظل راية الوطن خفاقة ، وان تظل مبادىء العقيدة مصونة ، وأن يحيا المسلم حياة العزة والكرامة ، أو يموت ميتة الشهادة والشهامة

قال تعالى « وقاتلوا المشركين كافة كمايقاتلوكم كافة» ، وقال « فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون » ، وقال « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » ، وقال « فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك ، وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ، والله اشد باسا واشد تنكيلا » .. وقال النبى عليه السلام (لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى ياتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك ، قالوا يا رسول الله وأين هم ؟ قال : بيت المقدس ، واكناف بيت المقدس) .

وعن أنس بن مالك قال : غاب عمى انس بن النضر عن قتال بدر ، فقال يا رسول الله : غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن اشهدنى الله مع النبى قتال المشركين ليرين ما اصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم انى اعتذر اليك مما صنع هؤلاء — يعنى أصحابه — وابرأ اليك مما صنع هؤلاء — يعنى المشركين — ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال يا سعد بن معاذ : الجنة ورب النضر ، انى لاجد ريحها من دون احد ، قال سعد ، فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، ولقد ظل يقاتل حتى استشهد . فوجدنا به بضعا وثمانين جرحا ، ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، ووجدناه وقد مثل به المشركون ، فما عرفته الا أخته بشامة أو ببنانة ، ثم قال أنس : كنا نرى ان هذه الايات نزلت فيه وفى أشباهه « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » .

والله سبحانه يعلم السر وأخفى ، يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، جعل الاعمال بالنيات وجعل لكل امرىء ما نوى ، وجعل تفاوت الثواب الذى رصده جزاء للحسنات والتضحيات عائدا الى سر الاخلاص الذى لا يطلع عليه سواه ، وجعل الشهداء أحياء عنده يرزقون ، وجعل الشهادة أرفع وسام للكرامة والخلود ، وخير كفيل بتكفير الخطايا والذنوب ، ورفع الاثم والحرج عن الراغبين فى الجهاد غير المستطيعين مباشرته لعذر خارج عن ارادتهم ، فقال تعالى : « ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون » .. ولقد نزلت هذه الاية فى رجال تقدموا الى رسول الله فى غزوة العسرة راغبين فى التضحية ، يريدون ان يقاتلوا الكفار معه ، فلم يستطع رسول الله تجنيدهم لعدم توافر وسائل الجهاد ، فرجعوا آسفين حزانى ، وظلت قلوبهم مع جنودهم حتى عادوا منتصرين ، وقال رسول الله لجيشه حينذاك « ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر » .

فمن الواجب أن نكون مع جنودنا بأرواحنا وأعمالنا وأحاسيسنا ومشاعرنا ، لنسندهم ونؤازرهم بالعمل الجاد ، والحرص على الخير ، والقيام بالمسئوليات بامانة واخلاص ، ونعبىء انفسنا من اجل معركتنا ومعركتهم ، ونكون على مستوى الحرب المقدسة ، فنحد من اللهو ، ونقبل على الجد حتى يشعروا باننا خير ظهير لهم ، وأننا نشعر بشعورهم ، ونشاركهم مسئولية الحرب المقدسة كما يجب أن ندعو الله دائما بالتوفيق والسداد لهم ، وأن نرغب فى الجهاد ابتغاء مرضاة الله حتى يكتب الله لنا ثواب المجاهدين .. قال تعالى : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى

وأنتم الفقراء » .. وقال « وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .. وقال النبى صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة جىء بالدنيا ، فيميز الله منها ما كان لله ، وما كان لغيرالله رمى به فى نارجهنم .. وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص حين طلب منه عليه السلام ان يخبره عن الغزو والجهاد : .. يا عبد الله بن عمرو : على أى حال قاتلت أو قتلت بعثك الله صابرا محتسبا ، وان قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا .. ياعبد الله بن عمرو : على أى حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال » . وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال رجل يا رسول الله : أرأيت ان قتلت فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله نعم « ان قاتلت وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر » .

ولقد كان المسلمون الاوائل من احرص الناس على مبادئهم وأوطانهم ، يجودون بالانفس فى سبيلها ، ويندفعون للجهاد بعزيمة صادقة من اجلها ، ويحرصون على الموت فى سبيل الحق كى يخلد ويخلدوا من وراء هذا الموت ، ومن أجل وحدة الهدف والمصير اتحدوا ، وبقوة العقيدة صمدوا ، وبسلاح الايمان انتصروا ، وفى سبيل المبادىء استشهدوا فخلدت أعمالهم وتضحياتهم ومبادئهم .

واكبر مثل على صدق الايمان ، وقوة العقيدة ، والتضحية فى سبيل القيم والمبادىء جيش « مؤتة » الذى أرسله رسول الله الى الشام ، وجعل قيادته أولا الى زيد بن حارثة ، فان استشهد فجعفر بن أبى طالب ، فان استشهد فعبد الله بن رواحة ، وعندما وصل الجنود الى معان جنوب الاردن ، وكان تعدادهم ثلاثة آلاف ، وعلموا ان الروم قد حشدوا قرابة مائتى الف ، اقترح بعضهم الكتابة لرسول الله طلبا للمدد ، ولكن عبد الله بن رواحة أخذ يشجع الناس قائلا « انكم خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، انما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانما هى احدى الحسنيين : اما الظهور واما الشهادة .. فتشجع المسلمون ، واندفعوا للقاء الروم فى « مؤتة » ، وكانت معركة غير متكافئة عددا وعدة ، استشهد فيها القائد الاول زيد بن حارثة ، فتولى القيادة جعفر ابن ابى طالب ، فقاتل حتى قطعت يمينه فحمل الراية بشماله حتى قطعت ، فاحتضنها بعضديه حتى استشهد ، فحمل الراية من بعده عبد الله بن رواحة ، الذى انقذ جيش المسلمين من فناء اكيد ، وعاد بالجيش الى المدينة .

ولقد قال ابن اسحاق ، لما أصيب القوم فى « مؤتة » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة « فيما بلغنى اخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، قال ابن اسحاق ، ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الانصار ، وظنوا انه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال رسول الله « ثم اخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم قال عليه السلام : « لقد رفعوا الى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه ، فقلت مم هذا ؟ فقيل لى مضيا ، وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى » وصدق قول الله [ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، الا خوف عليهم ولا هم يحزنون] ، وقوله « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » .

ان اليهود الاخساء خبثاء جشعون ، ناقضون للعهود والوعود ، يملأ الحقد صدورهم ، وتفعم البغضاء أفئدتهم ، وهم منافقون يظهرون غير ما يبطنون ، يحرصون على الحياة فيود أحدهم لو يعمر الف سنة ، ويحيون فيها امعات وجواسيس ، يخدمون كل غاز اجنبى ، ويبيعون انفسهم للتجسس ، وينفقون الاموال والاعراض فى سبيل مآربهم ، ويشترون الضمائر بالاموال ينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ومع أنهم جبناء أمام قوة الايمان تدور أعينهم كالمغشى عليه من الموت فهم تجار حروب يشعلونها للافساد بين الناس ، فيحترقون بها ، ويرجعون بذل الهزيمة ، وخيبة الامال . قال تعالى فى حرصهم وجبنهم « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ، ومن الذين اشركوا ، يود احدهم لو يعمر الف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر ، والله بصير بما يعملون » .

ووصف نفاقهم بقوله تعالى « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا : اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم « افلا تعقلون » . ووصف حقدهم بقوله « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » ، ولعنهم الله وجعل جزاءهم الخسران المبين بسبب نقضهم للعهود والمواثيق فقال تعالى « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » وجعل جزاءهم الهزيمة والخسران بقوله : « كلما أوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ، ويسعون فى الارض فسادا ، والله لا يحب المفسدين » . وهم كافرون بآيات الله ، معتدون على حدوده ، عاصون لاوامره ، قاتلون لانبيائه ، لا يتناهون عن منكر فعلوه ، ولا شفقة لديهم ولا رحمة ، ولا عاطفة خير ، أو شعور بأخوة او ندم ، يغدرون اذا أمكنتهم الفرصة ، ولا يعرفون الرحمة اذا أمكنهم شفاء أحقادهم ، قذف أجدادهم بأخيهم يوسف فى البئر تخلصا منه ، وألقوا باتباع المسيح فى اخدود عبارة عن نهر من النار ، وجلسوا يستمتعون بمنظرهم وهم يحترقون . قال تعالى « قتل أصحاب الاخدود ، النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذى له ملك السموات والارض والله على كل شىء شهيد » . ووصف قلوبهم بانها أشد قسوة من الحجارة ، فقال « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » ، ولقد لعنهم الله وضرب الذلة والخزى عليهم جزاء أعمالهم الخسيسة وصفاتهم الخبيثة فقال « ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الانبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .. وقال « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا [يسخرون انفسهم لهم] لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون » .. وقال « فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب » . والله عاقب المتمادين فى الجشع والافساد من اجدادهم بالمسخ لصورهم وأشكالهم وابعادهم عن صفات بنى الانسان فحولهم الى حيوانات ، كما تتحول الذكور الى اناث الان بعمليات جراحية ، وقد يكون المسخ بالطمس على قلوبهم وعقولهم فاصبحوا كالقردة تعيش ذليلة ، وتحيا للاضحاك والترفيه ، قال تعالى « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها ، وموعظة للمتقين » ، والله كتب عليهم التشرد لانهم أخساء لا يستحقون

الاستقرار ، فقال « وقطعناهم فى الارض أمما » وسلط عليهم الى يوم القيامة من يذلهم ، فقال « واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، ومن قبل سلط عليهم الجبابرة فازالوا ملكهم ، وتبروا ما علوا تتبيرا ، فقال تعالى « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ، ولتعلن علوا كبيرا ، فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى باس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وامددناكم باموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا، ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا » .

ولقد كانت المرة الاولى أيام « بختنصر » ملك بابل الكلدانى حيث دمر المدينة ، وأحرق الهيكل ، وكانت المرة الثانية أيام [تيطس الرومانى سنة ٧٠ م] ، حيث خرب المدينة ، وطرد أهلها وشردهم وقضى على اليهود الرومان فلم تقم لهم بعد ذلك دولة .

على ان بعض العلماء يذهبون الى ان الكرة الثانية هى ما نحن فيه الان ، حيث أغدقت الاموال على اسرائيل من الحاقدين المستعمرين ، وحيث وصل افسادها الى نهايته ، وبذلك تكون المرة الثانية هى المرة التى يدخل فيها المسلمون الى فلسطين ، وينتقمون منهم اشد الانتقام جزاء أعمالهم الهمجية من قتلهم للابرياء ، او دفنهم فى التراب وهم احياء ، او تشويههم واماتتهم بقنابل النابالم الحارقة ، والصواريخ ذات الرؤوس المدببة السامة المحرم استعمالها دوليا ، ورسول الله من قبل اجلاهم عن المدينة ، وطهر الجزيرة العربية منهم ، ولم تغن عنهم حصونهم امام قوة الحق شيئا ، ويوم تجمع الصليبيون بدافع الحقد ، واحتلوا جزءا كبيرا من بلاد الشام ، تجمع المسلمون واتحدوا بقيادة صلاح الدين الايوبى وازالوا حكم الصليبيين من بيت المقدس بعد ان استمر ثمانية وثمانين عاما ، والله قادر على ان يرد كيد اليهود وحلفائهم الى نحورهم ، ويعيد الكرة لنا عليهم ، ويبعثنا عليهم لنسومهم سوء العذاب ونثار منهم . وصدق قول الله « قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين » .. وقوله « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ، ما ظننتم ان يخرجوا ، وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب وقال « لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ، ذلك بانهم قوم لا يفقهون ، لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة ، او من وراء جدر ، باسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا ، وقلوبهم شتى ، ذلك بانهم قوم لا يعقلون » .

وحدة المصير :

ونحن الان فى الميزان ، ابتلانا الله بعدو خسيس خبيث ، فرضه الاستعمار فى بلادنا ، واحله شوكة فى قلوبنا ، وبثه سرطانا فى ديارنا ، ولن تقف اطماعه عند حد ، لانه سرطان يريد ان يستشرى ، وان لم نقطعه قطعنا ، وان لم نقض عليه قضى علينا ، فهو يطمع فى الاستيلاء على بلاد العرب كلها ويحلم بملك من الفرات الى النيل ، ومن البحر الاحمر الى البحر الابيض ، يطمع فى العراق ومصر وسوريا ولبنان والاردن ، بل ان له اطماعا فى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وان حاضره كماضيه غدر وخيانة ، وخسة ونذالة ، واستباحة للحرمات ، وطمس للمقدسات وكراهية للاسلام والمسلمين .. قال تعالى « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، والذين اشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة الذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى » .

قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ، وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض ، او كانوا غزى ، لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير» ، وانه لفرض على المسلمين ان يغاروا على شرفهم ودينهم ومقدساتهم ، وان يتجمعوا متحدين متناسين ما بينهم من خلافات شكلية ، وان يثاروا ممن نهب ديارهم ودنس مقدساتهم ، وأخرج أخوة لهم من ديارهم .. قال تعالى « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص » .. وقال « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » . والاسلام دين البذل والعطاء ، والتضحية والفداء ، والصدق عند اللقاء ، والصبر على المكاره حتى تزول وتتحقق الامال ، والعمل بثقة من اجل تحقيق الهدف ، واحراز النصر ، وان الارادة الصلبة ، والامل الدائم ، والثقة والقوة من صفات المؤمنين ، لان قوة المؤمن من قوة عقيدته ، وعزته من عزتها ، فمن الواجب الا نياس فالياس كفر ، والا نندم على الماضى ، فالندم على الماضى لا يفيد ، بل نتخذ من الماضى عبرا ، ومن المآسى حكما ننتفع بها فى حاضرنا ومستقبلنا ، ونتطوع لمعركة الثار فى هذه الحرب المقدسة ، تحدونا عقيدة فى القلوب ، واسلحة فى الايدى حتى نثار للدم المراق ، والكرامة المهينة ، والوطن السليب .. قال تعالى « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ، ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين » .. وقال « أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا ، وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين ؟ » .

وسيثبت التاريخ اننا على مستوى المسئولية ، قادرون على الصمود ومواصلة النضال ، مصممون على تطهير الارض مما دب بها من جراثيم ، فنحن خير خلف لخير سلف ، وعلينا ان نربط تصرفاتنا بالواجب المقدس علينا واجب الجهاد ، وان نؤثر ما عند الله بجهادنا . . . قال تعالى « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم » .. وقال « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » ... وقال : ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .. وقال « استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويزدكم قوة الى قوتكم ، ولا تتولوا مجرمين » .. وقال « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ؟ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون » . وما أروع عمر ابن الخطاب فى توجيهاته لجنوده ، فانه عندما تسلم مدينة القدس [ايلياء] من بطريرك النصارى [صفرونيوس] سنة ٣٥ هـ ، سنة ٦٣٦ م ، بعد ان انتصر المسلمون على الروم بقيادة ابى عبيدة بن الجراح: ويزيد بن ابى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وطلب البطريرك على ان ينص فى العهد على حرمان اليهود من ان يسكنوا مدينة ايلياء (القدس) ، خشية دسهم ومؤامراتهم ، ونص فى العهد على ذلك ، قال عمر مخاطبا جيوش المسلمين « اعلموا انكم لم تظهروا على عدوكم بعدد ولا قوة ولا حول ، ولكن بعون الله وتوفيقه .. ثم قال فى خطبة له فيهم بعد الفتح « يا اهل الاسلام ، ان الله تعالى صدقكم الوعد ، ونصركم على الاعداء ، واورثكم البلاد ، ومكن لكم فى الارض ، فلا يكونن جزاؤه منكم الا الشكر ، واياكم والعمل بالمعاصى ، فان العمل بالمعاصى كفر بالنعم ، وقلما كفر قوم بانعم الله عليهم ، ثم لم يفزعوا الى المتوبة الا سلبوا عزهم ، وسلط الله عليهم عدوهم » .

من وحي البقاع المقدسة

للشاعر حسن فتح الباب

اين منى السنا واين السناء
والبقاع القدسية الزهراء
مهبط الوحى .. مشرق النور .. نبع
زاخر الفيض باركته السماء
كلما رف بارق من ضياء
فوقها كبر الثرى والفضاء
واصاخت أسماعهن الدرارى
وتجلى الهدى وطاب الدعاء
ها هنا تشمخ القواعد أرسا
ها خليل الرحمن .. نعم البناء
قد رأى فى المنام رؤيا فما ارتا
ب وما ضل فكره الوضاء
ودنا يسأل ابنه قرة العيـ
ـن جليدا تعنو له الارزاء
فاستجاب النبت الطهور وأحنى
هامة قد سمت بها العلياء
يا أبى لا ينلك بأس فانى
صامد لن تمسنى ضراء
وتجلت عناية الله ترعى
عبده المجتبى فكان الفداء
وهنا طابت الربا وتعالت
صلوات ورددت أصداء
وسرى سيد الخلائق طرا
وزكت تحت خطوه البطحاء
خاتم الانبياء صلى عليه
ربه والملائك الرحماء
والألى آمنوا به فى البرايا
وازدهتهم خلاله السمحاء
بعد تسع من السنين قضاها
فى حمى صانه الهدى والنقاء
سار بالناس نحو مكة فى تسعيـ
ـن ألفا لم تثنهم رمضاء
واتى الكعبة الشريفة يدعو
ربه محرما وجل الدعاء
انها حجة الوداع بأرض
زانها المجد والتقى والعلاء
فلتكن أسوة لنا فى كفاح
لعدو أحلامه خرقاء
آية النصر سوف تجلو الدياجى
لتعود الحقيقة الغراء
اننا خير أمة وحدتها
شرعة فى جلالها عصماء
شرعة البر سوف تبقى سراجا
خالدا لا تناله اقذاء
شرعة المفتدين بالروح صرحا
شاده المصطفى وعز افتداء
شرعة الحق والجهاد سبيل
للألى أدركتهمو باساء
فاستعزوا بالله جل علاه
واضاءت بنوره الظلماء

لماذا.... الأمة

الأستاذ عبد السميع البطل

هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين [سورة الجمعة] يتساءلون عن النبأ العظيم ، لماذا كانت خاتمة الرسائل الالهية ، والدين العام فى الامة العربية دون غيرها من اهم الحضارات القديمة ؟

لماذا لم تكن فى الدولة الرومانية ، أو الفارسية من الامم التى سبق لها نشاط حضارى ، أو ثقافة علمية واسعة ، وما الذى اختص به العرب ، حتى امتازوا بهذا الشرف ومعلوم أن الامة العربية أمة بدوية ، وبعيدة عن مناهل العلم والعرفان ، ولم يعرف لها أثر انسانى الا قديما وفى فترات متقطعة ، وفى بيئات غير متقاربة .

هكذا يحار المفكرون والباحثون ، وينقبون عن قليل لذلك فلا يستطيعون ، والواقع أن العرب أتوا من الاعمال ، وقـاموا بنشاط واسع النطاق فى مجال العلم والحضارة والعمران ، مما لم يعرف له مثيل فى تاريخ الانسانية ، مع عدم توافر الوسائل التى كانت متاحة لغيرهم فى هذه الازمنة ، شراذم من العرب يتداحون فى أمم الارض يدعون الى دين جديد ونهضة جديدة ، ثم يبسطون سلطانهم على أمم بعيدة عن بيئاتهم وفى قـارات غير قارتهم ويسيرون الاميال البعيدة ، وفى الصحارى الشاسعة ثم يهاجمون أهلها وينتصرون عليهم الى أن ذلك لبدع من التاريخ وبدع من الفاتحين ، فما السحر الذى سحروا به الامم ،وامتلكوا زمامهم ، وقادوهم الى الحياة المثلى ، وانتشلوهم من ظلم ملوكهم ، وغطرسة امرائهم واستعباد اقويائهم لهم ؟ هذا ما نريد ان نبحثه ، ونزيح اللثام عن وجهه لعلنا نخدم بذلك الحقيقة ونزيل الحيرة التى تورط فيها الباحثون .

اختار الله الامة العربية لهذا الشرف الذى تقطع الاعناق دونه للمزايا التى ميزهم الله بها ، والله يفضل من يشاء من عباده على بعض ، ولله فى خلقه شئون .

١ ـ فالامة العربية وسط بين الامم القديمة ذات الحضارات والمدنية كمصر والشام والعراق والجزيرة وفارس ، فهناك كان الكلدانيون والاشوريون والبابليون والفينيقيون والمصريون واليونانيون والرومانيون ، ومعلوم أن العلم ليس له وطن ، فهو ينتقل من وطن الى آخر بلا أدنى تأثر بخلاف الفن لان الاول مرجعه الى العقل ، والعقل عام فى الناس ، والثانى مرجعه الى الذوق والذوق خاضع للبيئة والثقافة ومن السهل انتقال الافكار بحكم الجوار والرغبة كما نرى الان فى انتقال ثقافات الامم من قارة أو بلد الى غيرها مع الفارق بين عصر العرب وعصرنا الان .

٢ ـ كان العرب على غلبة البداوة عليهم ، أقرب الى هداية الاسلام من تلك الامم العريقة فى المجد والحضارة والثقافة ، ذلك أن هذه الامم كانت تحكمها حكومات استبدادية ، فلا رأى للشعب ولا ارادة ، بل يذوب فى حكومته ويفنى شخصيته فيها وما عليه الا ان يؤمر فيطيع طاعة عمياء ولايجرؤ احد ان يبدى رأيا ولو سليما أو يعترض على عمل ولو خطأ ، وما على الشعب الا ان يفلح الارض ، ويقوم بما يحذق من صناعة ، لخدمة السادة والرؤساء ومن هنا كانت الشعوب شيعا واحزابا يفضل بعضها على بعض ، فطوائف الحكام والرؤساء ومن اليهم يعيشون فى بحبوحة الحياة وسعة الرزق ، ويجاريهم فى هذه المعيشة المقربون ممن دونهم وأما سواد الشعب ففى شظف من العيش ، وضيق من الرزق ، واثقال من الاعمال .

واذا تكون كريهة أدعى لها

واذا يحاس الحيس يدعى جندب

وأما العرب فكانوا أقرب الى المبدأ الاسلامى : مبدأ استقلال الارادة ، واستقلال الرأى ، اذ ليس لها رؤساء سياسيون يتحكمون فى اراداتهم ، ويسوسونهم بالجبر والاكراه وليس لهم رؤساء دينيون يسيطرون على عقائدهم ، ويحلون لهم ويحرمون

العربية ؟

كما شاءت أهواؤهم ، فنشئوا على الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وعلى الحرية المطلقة التى لاتحدها حدود .

٣ — كان العرب يتمتعون بذكاءفطرى ، وفهم ثاقب ، ووجدان رقيق لسلامة فطرتهم ، وطبيعة تربيتهم واستعدادهم ، والاسلام جاء يخاطب العقل ، ويوقظ الشعور ، وينعى علىالتقليد الاعمى والجمود على ماكان عليهالاباءوالاجداد ، فماهو الا ان صاحفيهم بلسان عربى مبين [أفلا تعقلون] ؟ [أفلا يتدبرون القرآن ؟] « ان فىذلك لايات لاولى الالباب» وهكذا منهذه الصيحات المدوية حتى اقتلع من نفوسهم ذلك الحرص علىماالفوا وورثوا وسرعان ما انفعلت نفوسهم بهذه التعاليم الجديدة ، التى وجدت أرضا خصبة فانبتت من كل زوج بهيج .

٤ — كان العربى لسلامة فطرته ، وتنشئته على الحرية المطلقة اذا اعتقد شيئا وانفعلت به نفسه ، دافع عنه دفاع المستميت وضحى بحياته فى سبيله ، واعتبر ذلك ببنى اسرائيل لانهم نشئوا على الظلم والاضطهاد ، وتذبيح الابناء واستحياء النساء ، كان الجبن يحيط بهم من كل جانب ، والتردد يذهب بهم كل مذهب ، ولم ينفعهم كل ما رأوا من الايات على يد موسى عليه السلام فحين نجاهم الله من الغرق ، ووصلوا الى بر السلامة رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ؟ قال : انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ماكانوا يعملون قال :: اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين ؟ ولما قال لهم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولاترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى آخر الايات من سورة المائدة فان هؤلاء من أصحاب محمد — صلى الله عليه وسلم — الذين قالوا له حين استشارهم فى غزوة بدر : والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك وما تخلف منا أحد الخ وبهذه الموازنة القصيرة يتجلى لنا الفرق بين تربية العرب المبنية على الحرية والصراحة وعزة النفس ونصرة الحق : وتربية الاسرائيلين الناشئة عن الظلم والاضطهاد وضياع الكرامة وعزة النفس ، ومشايعة كل ظالم والخضوع لكل قوى ولو فقدوا الكرامة والشرف .

٥ — أكثر العرب كانوا لادينيين ، فليس لهم عقيدة تستند الى وحى سماوى أو كتــاب دينى كل ما كان عنــدهم من الدين كان تقليدا وكان تمسكهم بهذا التقليد بدوافع العصبية والوراثة والتمسك بما كان عليه الاسلاف وقالوا : انا وجدنا أباءنا على امة ، وانا على اثارهم مقتدون . قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون ولذلك لم تكن لديهم أدلة صحيحة يقنعون بها من يجادلهم فى عقيدتهم غير الاذى والجبروت ، وقال الذين كفروا لرســلهم : لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا ، فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الارض من بعدهم » هــذا هو دفاعهم التهديد باستعمال القوة من الطرد من الديار أو القتل أو أى نوع من أنواع الايذاء فلما جاءهم الاسلام بالدين الجديد وأساسه تجريدالتوحيد كما هو أساس كل دين سماوى ،وعرض عليهم بطريق مقبول معقول أساسه العقل والنظر وهم أصحاب فطرة سليمة ، واستقلال فكرى أسرعوا اليه مهطعين ، ومن تلبث منهم كان بقصد اجالة النظر وقدح الفكر وسرعان ما انضووا تحت لواء التوحيد الا قليلا دفعهم الحسد أو التمسك بالتقاليد الىالمكابرة واللجاجفىالخصومة « قد نعلم أنه ليحزنك الذىيقولون فانهم لا يكذبونك : ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون .

وبعد فلعل فى هذه الاسباب مقنعا للسائلين والحائرين فىحكم الله تعالى فى اختيار الامة العربية لحمل رسالة الاسلام ،ورفع منار العرفان ونشر ألوية العدل بين الانام .

وقد نزيد على الاسباب السالفة أن العرب الفاتحين والغزاة المنتصرين ، لم تسكرهم خمرة النصر ، فيطغوا كما طغى غيرهم من المستعمرين ، ولم يحابوا احدا لقرابة أو مصاهرة أو جوار بل كان العدل رائدهم وكتاب الله وسنة رسوله الحاكم بينهم والرد الى الله ورسوله الحاكم عند الاختلاف «وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله» « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر» هذا العدل الذى كان مضرب المثل للحكم الاسلامى كان سببا قويا من أسباب اقبال الكثير من الامم على الاسلام لما علموا بعدله وسمعوا أن رسول الاسلام يقول فى بعض المناسبات والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها .

هذا الدين الذى كان الخليفة الاول له يقول : انى وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينونى وان اسأت فقومونى ويقول الخليفة الثانى من رأى منكم فى اعوجاجا فليصلحه فقام اعرابى وقال : ياعمر والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيف فحمد عمر الله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بحد سيفه ، وكلمة الاعرابى كلمة بليغة ، معناها : انك ياعمر لاتستطيع ان تعوج فى أمة أفرادها مثلنا ، وصلى الله وسلم على سيدنا رسول الله الذى يقول اذا ذل العرب ذل الاسلام .

تحيّة إلى

تحية المجد .. يا شعب البطولات
في كل يوم مضى .. أو يومنا الآتى

لا زلت أذكر [للمختار] [1] وقفته
وقد تدلت حبال الباطش العاتى

يختار للموت من أعطى الحياة ومن
يجود بالعمر لا يرضى الدنيات

والكل ينصت مبهورا .. وممتلئا
حقدا على الظلم ، موصول العشيات

والشيخ فى وقفة التاريخ مبتهجا
لا يرهب الموت ، أو يلقى بآهات

مستبشرا يتهادى .. فى مسيرته
الى الخلود .. ليلقى نفح جنات

***

يصغى [لليبيا] وقد هزت مشاعرها
جحافل الشعب فى حزن وزفرات

تقول : يا شيخ [ليبيا] سر على مهل
فقطرة منك تعطى خير آيات

ستزهر القطرات الحمر فى مهج
ويستثير شبابى حر جمراتى

فانه العرس فى أفراح ساحتنا
وكم تدلى شهيد فوق ساحاتى

***

لا ترهب الموت ان الموت لى أمل
كى يعرف الشعب ما معنى البطولات

سيعرفون اذا التاريخ صافحهم
كم كنت اشرف عنوان لصفحاتى

---

[1] عمر المختار ، شهيد ليبيا البطل

ثورة ليبيا

الشاعر محمد حليم حامد غالى

سيعرفون اذا ما الثورة انطلقت
بأن لى [عمرا] أولى انطلاقاتى
سيعرفون بأن شعار المجد من دمنا
وان اسمك من أسمى شعاراتى

***

منحت ليبيا العلا من طاقة زفرت
فأشعلت بلهيب الثأر نبضاتى
فليس للظلم الا فورة .. فاذا
تجمع الشعب .. ذابت كل فورات

***

اليوم ترتفع الاعلام خافقة
كأنها من فؤادى بعض خفقاتى
يا أخوة المجد سيروا فى تجمعنا
سيزخر الزحف من تجميع موجاتى
ان فرقتنا طواغية فقد ذهبت
على اكف بطولاتى وقواتى
[معمر] ورفاق المجد .. ما ادخروا
بعض الحياة .. ولا ضنوا بطاقات

***

اهلا بهم فى رحاب المجد .. جمعهم
شعب العروبة .. فى أرض وغايات
فى وحدة [بجمال النصر] يرفعها
رب السماء .. الى أعلى القداسات
فاليوم جد .. وأعمال .. ومعركة
لا وقت فيها .. لتدبيج المقالات
فلتحزموا الامر .. والله العلى لكم
يمدكم بقوى أهل السماوات

المجاهدون مالهم .. وماعليهم !

الأستاذ محمد ابراهيم الخطيب

اخوتى المجاهدين : كلما مرت الايام ازددت بكم مع ملايين المسلمين والعرب ثقة ، وارتفعت رأسى عزة وكرامة ، وقلت فى حرارة وايمان : لابد من النصر نابعا من وقفة الرجال ، وصلابة الابطال ، وعزيمة الاحرار .

ولا شك أيها الاخوة المتقدمون الى أنبل غاية وأشرف قصد والمنتظرون ساعة الخلاص ، والعاقدون العزم على تحرير الارض وتطهيرها لا شك أنكم واثقون بأن الحرب التى تعدون لها ، بل التى تخوضونها بصورة أو بأخرى انما هى اجراء وقائى باركه الله ، ودفعتكم اليه الضرورة وأى ضرورة أعظم من حماية الدين والوطن والدفاع عن النفس والعرض والمال ؟ وصدق الله اذ يقول : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » واذ يقول ايضا : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » وحربكم هذه ليست انطلاقا لغريزة قائمة على التشفى أو الانتقام ، وليست انبعاثا لشهوة التملك والاستعباد . ولكن حربكم فى القديم والحديث قد قادتها الحكمة والعدالة وعايشتها الرأفة والرحمة من كل جانب . فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : وجدت امرأة مقتولة فى بعض غزوات رسول الله عليه الصلاة والسلام فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان .

وانك يا أخى تحارب من وراء أرض احتلت غدرا وخيانة ومن وراء جرح لا يندمل الا بالدماء الطاهرة ، وهزيمة لا يمحوها الا أن تقوم ثائرا ساحقا رأس الظالمين غير حافل بمن وراءهم ، ذلك لانهم قوم لا يبصرون الحق لان فى عيونهم عمى ، ولا يسمعونه لان فى آذانهم وقرا ، واذا كنت كذلك فثق أن طريقك الى النصر طريق ممهد وميسر غير أن النصر كما تعلم لا يأتى من الفراغ ذلك لان الله جلت حكمته جعل لكل شىء سببا فأتبع سببا ، واذا سألتنى : ما أسباب النصر ؟ فانى لا أذهب بك بعيدا وانما سأضع أمامك على الفور هذه الوصايا القرآنية وان شئت فسمها الواجبات التى دعاك الله اليها .

فأنت مطالب أن تثبت عند اللقاء وان أدى ذلك الى التضحية بروحك فى سبيل المثل الاعلى : علو كلمة الله وعزة المؤمنين وكرامتهم .

وأنت مطالب من أجل ثبات قلبك وقدمك وهما من أشق الامور — أن تذكر الله ذكرا كثيرا ، وأن تستعين به ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » . ولقد كان رسولك محمد صلى الله عليه وسلم يقول حين يلقى عدوه : « اللهم بك أصول وأجول » . وكان يقول كذلك : « اللهم انى أعوذ بك من شرورهم وأجعلك فى نحورهم » .

وأنت مطالب بطاعة قيادتك الرشيدة ، وبوحدة الصف والعمل على تماسكه فان الوحدة مع النظام هما أقصر طريق الى بلوغ الاهداف ، وأنت مطالب بالتجلد والتحمل والصمود مهما كانت الظروف ، وأنت مطالب — بعد هذا وقبله — بالاخلاص فى جهادك تخوضه من أجل الله من أجل الكرامة من اجل الباقية لا الفانية فلقد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله : ما القتال فى سبيل الله ؟ فان أحدنا يقاتل غضبا ، ويقاتل حمية فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » .

وكل هذه الوصايا وان شئت فقل كل هذه الواجبات — كما ذكرت — قد وردت فى قول الله عز وجل حين يقول موجها ومعلما ودافعا الى الخير : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » .

واذا كنت أيها الاخ المجاهد قد لبيت النداء ، وتقدمت نحو عدوك عدو الله والانسانية بشمم واباء ناسيا كل زخارف الحياة فمن حقك علينا كجبهة داخلية أن ترانا دوما يدا واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وأن ترانا فى مجالاتنا نبذل غاية الجهد وصادق العمل من أجلك ومن أجل اليوم الموعود .

واذا كان من حقى أن أقول كلمة فى مجال الحديث عن حقوقك نحو أمتك فهى أننى أحمد الله كثيرا حيث وفق المسئولين فيها الى رعاية هذا الحق فرأينا الدولة تفرض على نفسها معاشا مجزيا ، وجعلت لابناء الشهداء وأقاربهم فرصا خاصة فى مجالات متعددة نعد منها التعليم والوظائف والخدمات المختلفة . وبعد : فهذه أيها المجاهد البطل هى واجباتك التى يريدها الله منك طلبا للنصر المؤزر ودعما لمبادىء الحق والخير والسلام وهذه أيضا هى حقوقك وضعتها الدولة فى عينها . فعلى بركة الله سر وناضل فان الدنيا كلها تنظر اليك ، وليكن هذا القول النبوى الكريم دائما نشيدا فى اذنك فقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دلنى على عمل يعدل الجهاد ، قال عليه الصلاة والسلام : « لا أجده » .

والله معنا وهو نعم المولى ونعم النصير .

موكب النصر

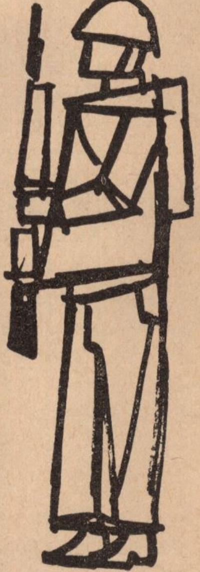

للشاعر
أبو الفتوح خلف الله أحمد

الا هبوا لسحق المعتدينا
وسوموا الخسف بالمتآمرينا
وصبوا يا حماة العرب نارا
على صهيون والمتحالفينا
فحاشا نقبل التهديد منهم
وفينا من يرد الغاصبينا
وفينا من عمالقة حماة
أقضوا مضاجع المستعمرينا

* * *

« أبا ايبان » لا يحميك منا
معاونة الطغاة الظالمينا
نهب ـ اذا دعا الداعى ـ جميعا
عن الوطن المفدى ذائدينا
نخوض غمارها جندا وشعبا
ونحدق بالفزاة الماكرينا
ونعرف كيف نقتحم المنايا
اذا احتدم الوغى نحمى العرينا

* * *

وها هو ذا كتاب الله فينا
وسنة « أحمد » الهادى نبينا
فنصرا يا اله وكان حقا
على الرحمن نصر المؤمنينا

* * *

وفينا قائد بطل شجاع
« جمال » قاهر المستعمرينا
وحرر مصر من عهد بغيض
وحكام طغاة عابثينا
واجلى الانكليز بكل عزم
وقد خرجوا بذل صاغرينا
عزيمة « ناصر » وكذا « القذافى »
و « جعفر النميرى » لن تلينا
باصرار لهم سنرد بغيا
ونكتب فى سجل الظافرينا
لقاءات نسجلها بفخر
لقادتنا على مر السنينا
ستؤتى أكلها عما قريب
بفضل كفاحنا متضامنينا
عزمنا أن نخوض غمار حرب
نحقق فى غد نصرا مبينا

* * *

بقية مقال : ابراهيم واسماعيل وبناء الكعبة

اختلف السلف من علماء امة نبينا صلى الله عليه وسلم فى الذى أمر ابراهيم بذبحه من ابنيه فقال بعضهم : هو اسحق بن ابراهيم وقال بعضهم هو اسماعيل بن ابراهيم وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ، لو كان فيهما صحيح لم نعده الى غيره ، غير أن الدليل من القرآن على صحة الرواية التى رويت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : هو اسحق اوضح وأبين منه على صحة الاخرى .

اما الدلالة من القرآن التى قلنا انها على كون اسحق هو الذبيح اوضح ، فقوله تعالى مخبرا عن دعاء خليله ابراهيم حين فارق قومه مهاجرا الى ربه الى الشام مع زوجته سارة وقال : **انى ذاهب الى ربى سيهدين ، رب هب لى من الصالحين** ، وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم اسماعيل ، ثم اتبع ذلك ربنا عز وجل الخبر عن اجابته ودعائه وتبشيره اياه بغلام حليم ثم عن رؤيا ابراهيم انه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعى ، ولا يعلم فى كتاب الله عز وجل تبشير لابراهيم بولد ذكر الا باسحق وذلك قوله : وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب » .

وقوله : **فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم** » ثم ذلك كذلك فى كل موضع ذكر فيه تبشير ابراهيم بغلام ، فأنما ذكر تبشير الله اياه به من زوجته سارة ، فالواجب أن يكون ذلك فى قوله « **فبشرناه بغلام حليم** » نظير ما فى سائر سور القرآن من تفسير اياه به من زوجته سارة .

رأى مخالف لابن كثير

واذا كان ابن جرير الطبرى يرى أن سياق القرآن يؤدى الى أن الذبيح هو اسحق ، فان ابن كثير يرى على العكس منه ان سياق سورة الصافات يؤدى الى أن الذبيح هو اسماعيل ، اذ بعد أن ذكرت قصة الفداء وانتهت ، جاءت الايات تقول « **وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين** » فدل ذلك على أن البشارة باسحق تالية على حادث الفداء (١) .

رأى الشيخ عبد الوهاب النجار

وقد جزم الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه القيم « قصص الانبياء » **أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وليس اسحق** فيقول : « اما هذه القصة فى التوراة فبطلها عند اليهود اسحق ، وفى اعتقادى أن لفظ اسحق حشر حشرا فى غضون القصة وذلك حرصا منهم (أى من اليهود) على أن يكون ابوهم هو الذبيح الذى جاء بنفسه فى طاعة ربه وهو صغير .

ودليلى على أن الذبيح هو اسماعيل من التوراة نفسها . فقد وصف الذبيح فى التوراة بأنه ابن ابراهيم الوحيد اى الذى ليس له سواه ، اذ سخاوة نفس ابراهيم بولده الوحيد بذبحه امتثالا لامر ربه له فى منام ادل على نهاية الطاعة والامتثال لامر الله وهذا هو الاسلام بعينه ، اذ الاسلام هو الامتثال والطاعة وهو دين الله فى الاولين والاخرين ، واذا رجعنا الى اسحق لم نجده وحيدا لابراهيم فى يوم من الايام لان اسحق ولد ولاسماعيل نحو اربع عشرة سنة كما هو صريح التوراة ، وبقى اسماعيل الى أن مات ابراهيم وحضر اسماعيل وفاته ودفنه ـ وايضا فان ذبح اسحق يناقض الوعد الذى وعد به ابراهيم ، ان اسحق سيكون له نسل . هذا الى أن مسألة الذبح وقعت فى مكة لان اسماعيل ذهب به ابوه اليها رضيعا كما ورد فى صحيح البخارى .

الدكتور هيكل

ولم يقطع الدكتور محمد حسين هيكل فى كتاب « حياة محمد » برأى معتذرا بأن « ليس ها هنا مقام تمحيص هذا الخلاف » وقد أشار الى رأى الشيخ عبد الوهاب النجار وختم بحثه فى هذه القضية بقوله : ولم يرد فى القرآن ذكر لاسم الذبيح مما جعل المؤرخين المسلمين يختلفون فيه .

ونرى قبل ان نبدى رأينا فى الموضوع ان نثبت ما جاء فى كتاب العهد القديم خاصا بهذه القضية ، كى تكون عناصر البحث متاحة أمام أى قارىء .

العهد القديم والذبيح

جاء فى الفصل الثانى والعشرين من سفر التكوين ما يلى :

« وكان بعد هذه الامور أن امتحن الله ابراهيم فقال : يا ابراهيم : قال ، لبيك قال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق وامضى الى أرض مورية واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أريك ، فبكر ابراهيم من الغداة وأكف حماره ، وأخذ معه غلامين واسحق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام ومضى الى الموضع الذى اشار الله اليه . وفى اليوم الثالث رفع ابراهيم طرفه فأبصر الموضع من بعيد . فقال ابراهيم لغلاميه امكثا انتما هنا مع الحمار وانا والغلام نمضى الى هناك فنسجد ونرجع اليكما . واخذ ابراهيم حطب المحرقة وجعله على اسحق ابنه واخذ بيده النار والسكين وذهبا كلاهما معا . فكلم اسحق ابراهيم أباه وقال : يا أبت . قال لبيك يا بنى . قال هذه النار والحطب فأين الحمل للمحرقة . فقال ابراهيم الله يرى له الحمل للمحرقة يا بنى ومضيا كلاهما معا . فلما

(١) يمكن الرد على ذلك بان البشارة هى بنبوة اسحق لابميلاده

انقضيا الى الموقع الذى اشار الله اليه؟ بنى ابراهيم هناك المذبح ونضد الحطب وأوثق اسحق ابنه والقاه على المذبح فوق الحطب • ومد ابراهيم يده فاخذ السكين ليذبح ابنه ، فناداه ملاك الرب من السماء قائلا : ابراهيم ابراهيم • قال : ها انذا • قال لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا ، فانى الان عرفت انك متق لله فلم تدخر ابنك وحيدك عنى • فرفع ابراهيم طرفه ونظر فاذا بكبش وراءه معتقل بقرنيه فى الجداد فعمدا ابراهيم الى الكبش واخذه وأصعده محرقة بدل ابنه • وسمى ابراهيم ذلك الموضع الربيرى ولذلك يقال اليوم جبل الربيرى.

رأينا فى الموضوع

تحدثت عن هذه القضية فى كتابى « الحج أسراره ومناسكه » على أساس أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وعللت بعض مناسك الحج على هذا الاساس ، واليك ما قلته بهذا الصدد .

« كان العرب مذ عرفوا منسك الحج يرجمون هذه الشواخص الحجرية الثلاثة فى منى مطلقين عليها اسم الشيطان الكبير والشيطان الاوسط والشيطان الصغير • مشيرين بذلك الى ما قيل فى قصة الفداء ، عندما حلم ابراهيم الخليل عليه السلام انه يذبح ابنه اسماعيل فأدرك ان ذلك أمر من الله سبحانه بذبح ابنه فعرض ذلك الامر على اسماعيل فأجابه هذه الاجابة الخالدة التى سجلها القرآن « **يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين** » فاصطحب ابنه وسار به فى وادى منى ملتمسا مكانا ليذبحه فيه، **فعرض له الشيطان موسوسا** ، كيف يذبح ابنه وفلذة كبده ، وحرضه على العصيان على هذا الامر ، **فما كان من ابراهيم عليه السلام ، الا أن اخذ حفنة من الحصى وحصب بها الشيطان ففر مذعورا ، فهذا هو محل الجمرة الاولى** •

ولكن الشيطان لم يلبث أن جدد غارته ، لا على ابراهيم عليه السلام هذه المرة ، **بل على هاجر ام اسماعيل ، فراح يوسوس لها** ، كيف تسكت عن ابراهيم وقد أخذ ولدها الوحيد ليذبحه ، وحرضها على أن تحول دون ذلك ، **ولكن هاجر المؤمنة اخذت بدورها حفنة من الحصى وحصبت بها الشيطان ففر مذعورا ، وهذه هى الجمرة الوسطى • ولم يبق الا اسماعيل نفسه فوسوس له الشيطان ان يتمرد على** ابيه وينجو من المصير الذى ينتظره ، **ولكن اسماعيل كأبويه من قبل حصب الشيطان ففر مخذولا ، وهذه هى الجمرة الصغرى** •

هذه هى قصة الشخوص الحجرية الثلاثة يراها العرب رمزا لهذا الحادث التاريخى الخالد ، فهم يخلدونه فى كل عام خلال العصور والاجيال بان يرجموا الشيطان ممثلا فى هذه الاحجار الثلاثة • فالذين يتصورون ان هذه الاحجار هى الشيطان نفسه هم جد مخطئين ، اما الذين يعتبرون رجم هذه الاحجار بمثابة تخليد لهذا الحادث ، فهم يقومون بعمل حميد اذ يذكرون انفسهم ، ويذكرون البشر بقصة من اروع قصص الفداء والايمان العميق والتسليم بأوامره ، حتى لو كانت تتضمن التضحية بالنفس وبما هو أعز من النفس وهو ولد الانسان » •

ذلك ما قلته فى كتاب « الحج أسراره ومناسكه » منقولا عما تضمنته المصادر القديمة تفسيرا لعملية رجم الجمرات • ويفهم منه مدى ارتباط قصة ان يكون الذبيح هو اسماعيل عليه السلام ، وان الحادثة قد وقعت فى منى فى منتصف الطريق بين مكة وعرفات ، وان ذلك تفسير اضحية العيد التى يتقرب بها المسلمون الى الله عز وجل •

فهذا الواقع المتبع ، والذى يفسر لنا مناسك الحج ويربطها باسماعيل عليه السلام ، يجب ان يقضى على هذا الخلاف من وجهة النظر الاسلامية على الاقل ، ويتم الاتفاق على أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام •

اسماعيل وأولاده •

كيفما كان الامر وكان اسماعيل هو الذبيح او كان الذبيح هو اسحق فالامر المحقق أن الذى سكن الحجاز هو اسماعيل وليس اسحق وان اسماعيل قد انجب عددا كبيرا من الابناء هم اصول العرب المستعربة او العرب العدنانية •

يقول كتاب العهد القديم :

وهذه مواليد اسماعيل بن ابراهيم الذى ولدته هاجر المصرية • هذه اسماء بنى اسماعيل بحسب اسمائهم ومواليدهم : بنايوت بكر اسماعيل وقيدار وادبئيل ومبسام • ومشماع ودومة ومساه وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمه • هؤلاء بنو اسماعيل وهذه اسماؤهم بحسب احويتهم وحظائرهم اثنا عشر زعيما لقبائلهم • وهذه سنو حياة اسماعيل مائة سنة وسبع وثلاثين سنة ثم توفى وانضم الى قومه • وكانت مساكنهم من حويلة الى شور التى تجاه مصر وأنت آت نحو اشور قبالة جميع اخوته نزل •

ويتفق مؤرخو العرب مع هذا الذى جاء فى العهد القديم فيقول ابن هشام :

ان اسماعيل قد انجب من زوجته الثانية رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمية اثنى عشر ابنا وكان اكبرهم نابتا ثم قيدر او قيدار وأذيل ومبشا ومسمعا وماشى ودما وأذر وطيما ويطور ونبش وقيذما •

نابت وقيدار ابوا العرب

والرأى عند مؤرخى العرب ، أن نابت وقيدار من بين ابناء اسماعيل هما اصل العرب المستعربة ، ويضطرب المؤرخون فى ذكر السلسلة ما بين نابت وبين عدنان فيطيل البعض هذه السلسلة فيجعلها ثلاثين بطنا ، ومنهم من يضيقها ويقصرها على سبع حلقات فقط •

لبيك

الشاعر عبد البارى أبو العينين

نسمات مكة الهبت اشجانى
فافاضت العبرات من اجفانى
يا ماء زمزم أطفىء النار التى
فتكت بقلبى المغرم الحيران
ظمآن اظمانى الحنين وعادنى
شوق يؤرق مهجتى وجنانى

* * *

يا بئر زمزم ان بعدت فاننى
بالروح زرتك والحبيب سقانى
فمتى اطير الى رباك وارتوى
من نبعك العذب الذى روانى
ومتى يعود الحلم فيك حقيقة
وارى صفاء معينك الربانى
ومتى أرى البيت الحرام يضمنى
واضمه بحرارة الايمان
ومتى أطوف مقبلا اركانه
متلهفا كالعاشق الهيمان
ومتى اناجى اللـه فى عرفاته
وأصوغ فوق رماله الحانى
ومتى انال منى حياتى فى منى
وأسدد الجمرات فى الشيطان
ومتى ارى ركب الحجيج يقلنى
ومتى أرى فوق المكان مكانى
ومقام ابراهيم هل احظى به
بصدى اذان ساحر الالحان

* * *

لبيك يا رب الحجيج فقد سعت
روحى تطوف بساحة الغفران
لبيك يا رب الحجيج فقد عنت
كل الوجوه لعزة الرحمن
لبيك يا رب الحجيج فما انحنى
راسى لغير جلالك الروحانى

* * *

لبيك يا ربى هداك على فمى
نور يبدد ظلمتى وهوانى

يا رب الحجيج

لبيك يا ربى دعوتك خاشعا
وصدى الدعاء يهز كل كيانى
لبيك ما أحلى النشيد فانه
لحن الحجيج يفيض بالايمان

***

يا غاديا نحو الديار تحية
تحيى فؤادا دائم الخفقان
قلب جريح والدموع بوادر
وكأنها سيل من الطوفان
والنار شبت بين كل جوانحى
وتكاد تعصف بالمحب العانى

***

يا زائرا روض الحبيب اشرح له
بالحق وجد العاشق الولهان
وقل السلام عليك مبعثه الهوى
انشودة قدسية الاوزان
الروضة الفيحاء ذبت تشوقا
لجمالها ولحسنها الفتان
هل تأذن الاقدار أن أحظى بها
وأرى حبيب الله قد نادانى
رباه يا رب الحبيب محمد
ادعوك عن بلدى وعن أوطانى
ادعوك أن ترعى العروبة كلها
من كيد غدار وكل جبان
ادعوك أن تهب العروبة قوة
وتزيدها نصرا على العدوان

***

اقسمت بالله العظيم وبيته
وبكل بيت طاهر ومكان
وبكل من حمل السلاح مناضلا
يبغى القضاء على قوى الطغيان
سنمزق الاعداء شر ممزق
ونسوم اسرائيل كل هوان
ونعيد للقدس الشريف جلاله
ونحوطه بكتائب الرحمان
ونعيد للروض البلابل هتفا
ونبيد كل البوم والغربان

أسنان
بيضاء
ناصعة

بفضل استخدام
معجون الأسنان

سيدنت

مطهر للفم
مزيل للرائحة

مجهز على
أسس علمية

إنتاج :

شركة تنمية الصناعات الكيماوية (سيد)
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للأدوية

باب العلم

المستحدثات

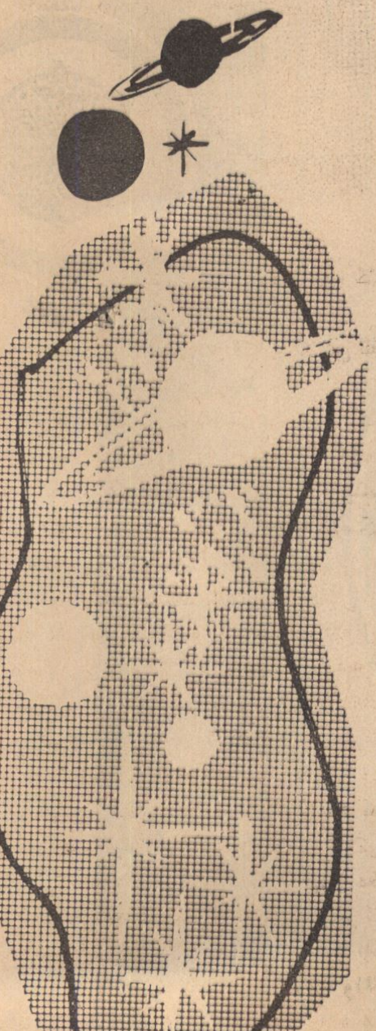

دلائل الحق في عظمة الوجود

الدكتور عزت محمد خيرى

« ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره آلا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين (٥٤) » - من سورة الاعراف .

يكون كوكبا الزهرة والمريخ - مع الارض - مجموعة من الكواكب نطلق عليها « الانماط الارضية » ، حيث أن كتلها وأقطارها متقاربة ، الا أن بعد كل من الزهرة والمريخ عن الشمس يقل عن بعد الارض عنها بحوالى ٤٠ مليون كيلو متر . وقد كان الاعتقاد السائد منذ أمد بعيد حتى خمسة عشر عاما مضت أن الزهرة والارض كوكبان توأمان لا يمكن التفرقة كثيرا بين الاحوال الفيزيائية على سطحهما ، ولكن هذا الاعتقاد قد ثبت خطوه فى العقدين الاخيرين نتيجة للتقدم العلمى والتكنولوجى العظيم بصفة عامة والنجاح الحاسم فى ارتياد الفضاء بصفة خاصة . هذا وقد تراكمت فى العقد الاخير (أى فى الستينات) من هذا القرن معلومات قيمة عن كوكب الزهرة أكبر وأوضح وأعم من كل ما أمكن الوصول اليه منذ آلاف السنين ، ومازال الباب مفتوحا فى عصر ازدهار العلوم والتكنولوجيا أمام الاغتراف من منهل العلم العذب ، والتعرف على حقائق الكون العظيم ، وسبر أغوار الكواكب والاجرام ، وتعميق الايمان الواعى تبعا لذلك بالقدرة الخارقة اللانهائية واللامحدودة للخالق الواحد الواسع العليم . وقد

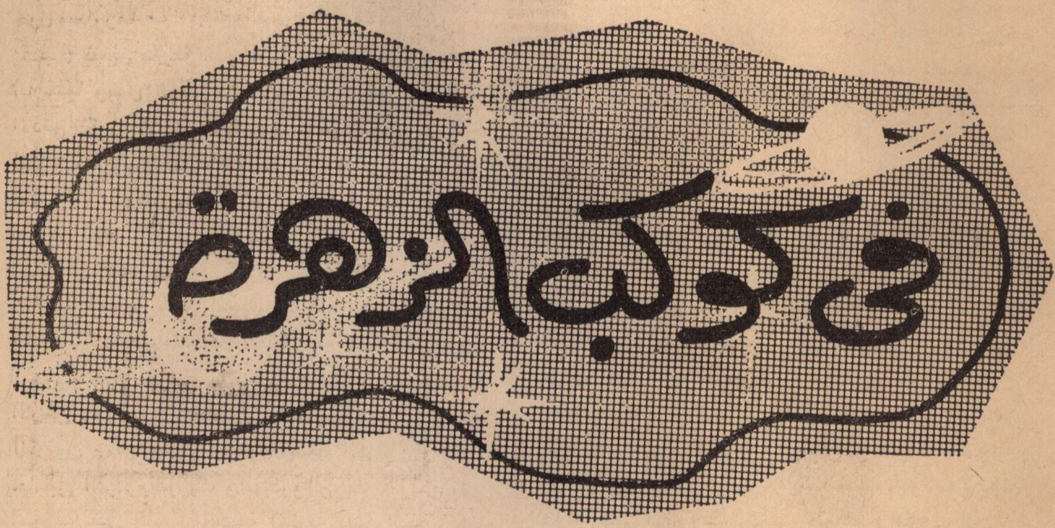

أثبتت تلك المعلومات والمشاهدات أوجه خلاف كثيرة بين الزهرة والارض.

« وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين (٧٥) » ــ سورة النمل .

ويحيط بالزهرة غلاف سميك من السحب يحجب الرؤية من حوله بحيث كان يصعب على الراصد أن يتابع بدقة الاحوال على سطح هذا الكوكب أو يتعرف على دقائق تكوينه ، وذلك اذا ما كان التليسكوب بعدساته المكبرة والمطورة هو وسيلة الرصد . وقد تغير الموقف تماما بعد اكتشاف الفلك الراديووى الذى تأتى بفضله سبر غور الكواكب واستكشاف أجوائها : وتبين باستخدام موجات الراديو ــ من بين ما تبين من معلومات قيمة ــ أنه النفاذ من الغلاف السميك المحيط بالزهرة والاقتراب من هذا الكوكب ، ومن ثم أمكن ارسال محطات الفضاء السوفيتية والامريكية الالية الى كوكب الزهرة بدقة متناهية حيث اقتربت كثيرا منه وأرسلت عنه فيضا من المعلومات الى الارض كانت تعز على العلماء والباحثين طوال قرون مضت من الزمان ، وهكذا نفذت بصيرة العلم الانسانى الذى وهبه الله البشر الى استجلاء الجديد من خفايا الكون والتعرف على خباياه : ومازال الشوط متسعا والمجال ممتدا أمام الانسان ليجول فى تيه الوجود ، فكلما توصل الى جديد تفتحت أمامه أبواب المزيد من المجاهيل وتهيأت له فرص الكشف عنها ، وهكذا العلم مجاله واسع ومساره شاسع ، وحقا ان العلم نعمة الله الكبرى على البشر ، وحقا ما أوتينا من العلم الا قليلا من فيض علم الخلاق العليم الخبير ، وصدق قوله تعالى :

« لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣) » ــ الانعام ــ ويثور التساؤل الان عما وصلنا اليه من المعلومات عن جيراننا الكواكب ، فيكون الجواب ان معرفتنا تتزايد باضطراد واضح وتتدافع بعجلة ملحوظة . وفيما يلى نستعرض بعض ما كشف عنه من المعلومات عن الزهرة وعلاقتها بالارض وموقعها من الشمس وباقى أجرام المجموعة الشمسية فى مجرتنا :

تبين من الموجات اللاسلكية المرتدة عن سطح الزهرة ومن المعلومات التى نقلتها محطات الفضاء السابحة فى مجاله ، خاصة المحطات الزهرة (فينوس) ــ ٥ ، والزهرة ــ ٦ ــ وهى سوفييتية ، والمحطة الامريكية مارينر ــ ٥ ــ ، أن قطر كوكب الزهرة يبلغ حوالى ٦٠٥٠ كيلومتر (بدقة تقع فى مدى خمسة كيلومترات) ، كما ثبتت الحقائق الاتية :

١ ــ تبلغ دورة الكوكب حول محوره ١ر٢٤٣ يوما أرضيا (وكانت هذه تقدر خطأ عن طريق الاشعة فوق البنفسجية بأربعة أيام أرضية فقط) .

٢ ــ يتميز كوكب الزهرة فى دورانه حول محوره بخاصتين فريدتين وهما :

أ) يدور الكوكب حول محوره فى اتجاه مضاد

لدوران الكواكب الاخرى التابعة للمجموعة الشمسية حول محاورها ٠

ب) تتميز سرعة الدوران لكوكب الزهرة بخاصة أنه كلما وصل البعد بين الزهرة والارض الى الحد الادنى تكون الارض مواجهة لنفس الموقع من ذلك الكوكب ، وينتج ذلك للعلاقة الزمنية المتناسبة بين الكوكبين ٠ وقد دلت هذه الخاصية المفيدة نوعا لدوران الزهرة حول محورها على أنه مثل الارض ذو لب سائل ٠

٣ ـ بالنسبة للجو المحيط بكوكب الزهرة ـ وعلى وجه التخصيص الطبقة العليا منه فقد ثبت نتيجة للبحوث التى أجريت باستخدام الطرق الطيفية من الارض منذ حوالى أربعين عاما وجود ثانى أكسيد الكربون ومقاديرقليلة من أول أكسيد الكربون وابخرة حامض الهيدروكلوريك والهيدروفلوريك ، ولكن بقى التعرف على النسب الكمية المكونة لهذا الجو ، كما بقى التعرف على وجود غاز النتروجين ـ الذى يكون الجزء الاكبر من جو الارض ـ فى جو الزهرة ٠ وقد أمكن عن طريق تحليل العينات التى حصلت عليها مركبتا (فينوس ٥ ، ٦) من الهواء المحيط بالزهرة أنه يتكون من ٩٧ فى المائة ثانى أكسيد الكربون ، ونسبة ضئيلة من النتروجين والغازات الخاملة ومالا يزيد على ٤ر٠ فى المائة من الاكسجين ٠ وهذا التركيب يخالف تماما تركيب جو الارض (حوالى ٧٨ فى المائة نتروجين ، ٢١ فى المائة اكسجين ، ٤ر فى المائة ثانى أكسيد الكربون ، والغازات الخاملة وبعض الابخرة الاخرى بنسب ضئيلة) ٠ ومن ثم لا يصلح مثل هذا الجو لتنفس مثل الكائنــــات الحية ـــ بما فيهـا الانسان ـ التى تعيش على الارض ٠

٤ ـ أجريت قياسات عدة خاصة فى السنوات الثلاث الاخيرة على خصائص أخرى لجو كوكب الزهرة مثل الضغط ودرجة الحرارة والكثافة ٠ وقد تبين بدلائل لا تقبل الشك أن درجة الحرارة تتراوح بين حد أدنى يبلغ ٣٢٠ درجة وحد أقصى يبلغ ٥٠٠ درجة مئوية ، بينما يبلغ الضغط المقابل لتغيرات درجة الحرارة فيما تقع بين ١٠٠ ، ٢٠٠ ضعف لضغط جو الارض ٠ وتكون درجات الحرارة فى الطبقـات الداخلية لجو الكوكب أعلى منها فى الطبقات العليا التى أعطت النتائج السالفة والتى قامت بقياسها سفينة الفضاء الموجهة نحوالكواكب، وبالمثل بالنسبة للضغط الذى ثبت كذلك أنه يزداد كلما اقتربت طبقة الجو من سطح الكوكب ذاته ٠ وقياسا على ما تقدم أمكن للعلماء أن ينتهوا الى رأى قاطع فى انه يستحيل اقامه حياة مماثلة للحياة على الارض أو من نفس نوعها فوق كوكب الزهرة ٠ والان نستطيع القول بصفة مؤكدة أن الاعتقاد الذى كان يسود منذ أمد طويل بأن الارض والزهرة كوكبان توأمان لا أساس له من الواقع ٠ ولكن تبقى بعد ذلك عدة تساؤلات لا نجد جوابا حتى الان ومازالت فى علم علام الغيوب العزيز المتعال ، وأهم هذه الاسئلة هى : لماذا كان جو الزهرة أكثف بمائة ضعف عن الضغط الجوى الارضى ؟ ولماذ؛ ومن أين مصدر هذه الحرارة الكامنة فيه التى ترفع حرارته الى القيم المقاسة ؟ ولماذا وكيف يحتوى هذا الجو على النسبة الغالبة المقاسة من ثانى اكسيد الكربون؟ كلها أسئلة حيوية وكلها تشير الى قدرة الخالق وعظم أسرار الكون ٠ وان بقيت هـذه التساؤلات فان ذلك لا يقلل بحال من اجتهاد العلماء وبراعة الانسان فى الوصول الى ماوصل اليه بالعلم والبحث والاستقصاء والمثابرة عن بعض أجرام الكون وآلاء الوجود ، وان كانت وسوف تظل شاهدا ودليلا على عظمة الخلق ودقة الخالق فى صنعه وجلال الخلقة ٠ سبحانه يقول وقوله الحق :

« لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٥٧(ولا يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون (٥٨) » ـ من سورة غافر

الخلفاء الراشدون
و
أعلام الإسلام

صفحات مشرقة من تاريخ الإسلام

بطولة العلم والعلماء

الأستاذ أنور الجندي

للعلم والعلماء صفحة بطولة فى تاريخ الاسلام ، رائعة باهرة ، ففى كل مجال من مجالات العلم تجد اسماءهم اللامعة واضافاتهم البناءة .

ففى التاريخ : الطبرى والمسعودى وابن الاثير وابن خلدون .

وفى الادب الجاحظ وابن قتيبة والخليل بن أحمد .

وفى الفلسفة : الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد .

وفى التصوف : ابن عربى وابن الفارض والشعرانى وعبد القادر الجيلانى .

وفى الكلام : واصل بن عطاء والنظام والاشعرى والماتريدى والباقلانى والجوينى .

وفى الحديث النبوى : ابن شهاب الزهرى ، وابن جريج المالكى وابن اسحق والترمذى .

وفى الفقه : مالك وابوحنيفة والشافعى وابن حنبل وابو يوسف .

وفى العلم : الخوارزمى والبيرونى والبتانى وجابر ابن حيان والرازى وابن الهيثم وثابت بن قرة .

وفى تصحيح المفاهيم : ابن حزم والغزالى وابن تيمية .

●●●

٢ ـ وابن سينا اعظم الاطباء والبيرونى اعظم الجغرافيين وابن الهيثم اعظم علماء البصريات وجابر ابن حيان اعظم الكيمائيين وابن رشد فقيه وفيلسوف

يقول ول ديورانت : ليس ما نعرفه من ثمار الفكر الاسلامى الا جزءا صغيرا مما بقى من تراث المسلمين وليس هذا الجزء الباقى الا قسما ضئيلا مما اثمرته قرائحهم وليس ما اثبتناه الا نقطة من تراثهم » .

كان لهؤلاء العلماء رحلاتهم الطويلة من أجل البحث عن النص وتحقيق السند ، ذهب البخارى فى رحلته الطويلة بضعة وعشرين عاما فى تحقيق الحديث ، وجد سبعين الفا واقر منها اربعة الاف فقط . وعرض لذلك كله فى ذوق رفيع وادب وخلق فلم يهاجم احدا ، ولما عاد رفض ان يحدث الناس الا فى بيته أو فى المسجد .

كانوا جميعا يوجهون العلم لله خالصا ولخدمة الامة ، ولا يتطلعون الى مال أو جائزة سنية ، كان ابن الهيثم صاحب نظرية الضوء التى قام عليها علم أوربا كله يعتمد فى كسب قوته على نسخ الكتب وكان يقول ويكفينى قوت يوم ، وقال كلمته المشهورة عندما وصلته هدية احد الامراء اعلم انه لا أجر ولا رشوة ولا هدية فى اقامة الخير ونشر العلم ، أما البيرونى فقد رد ثلاثة جمال تنوء باحمالها من النقود وقال « انما نخدم العلم للعلم .

●●●

٣ ـ وفى مجال العلم عرفوا : « البرهان والحق » ، دافع ابن حزم عن كروية الارض بالعقل والدين . وسبق « كانت » فى نظرية المعرفة بسبعة قرون ، وقال ان التقليد حرام ، ولا معجزة لنبى بعد وفاته . وكان مذهبه « لا يحل لاحد أن يأخذ بقول أحد من غير برهان » .

والفارابى فكر فى أمم متحدة منذ قرون ، ومدنيته الفاضلة تضاءلت الى جانبها جمهورية أفلاطون ، فقد

أقام على العدل المطلق بين أبناء المدينة أما أفلاطون فقد رفع الامراء وجعل عامة الشعب عبيدا ، والامة عند الفارابى جسم واحد لا يستقيم أمره الا بالتضامن والتعاون ·

وقد ظهرت آراء الفارابى فيما بعد فى نظرية العقد الاجتماعى لجان جاك روسو ، ومن آراء الفارابى : ان السعادة ممكنة على وجه الارض اذا تعاون المجتمع على نيلها بالاعمال الفاضلة · ويرى ان النجاح فى الاعمال هو تمام ارتباط العلم بالعمل وان بلوغ الغاية يكون باصلاح الانسان نفسه ثم اصلاح غيره والعلماء العرب هم الذين أطلقوا الاسماء على النجوم ، هذه الاسماء التى لا تزال حتى اليوم تطلق عليها فى عصر الكواكب ، فالشعرى اليمانية والعيون والسماك والرامح والنسر وقلب العقرب ، ما زالت تترجم الى اللغات الاوربية باسمائها العربية · وقد كشف علماء المسلمين عن المجموعات الفلكية : مجموعة العقرب والبروج الاثنا عشر والدب الاكبر والنجم القطبى والفرقدان والحاوى ·

« وابن رشد » دعا الى مشاركة المرأة الرجل فى خدمة المجتمع والدولة ، وعنده ان النظر البرهانى لا يؤدى الى مخالفة ما ورد به الشرع ، فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له أما « الغزالى » فقد سبق « كانت وهيوم » وغيرهما من الفلاسفة العقليين فى مسألة قدم العالم ، والزمان والمكان بمئات السنين ، واهتدى فى ذلك الى آراء سبق بها فلاسفة القرن الثامن عشر ·

و «الطوسى أبو جعفر » : له فضل اقامة مرصد مراغة العظيم ، وله مؤلفات رائعة فى علم التحول وانعكاسات الشعاعات : قال سارطون : ان أقوال « الطوسى » مهدت للاصلاح التى قام (كوبرنيكس) فيما بعد ، وبحوثه عن الكرة السماوية ونظام الكواكب وكتابه (شكل القطاع) أول كتاب يفصل المثلثات عن الفلك ويجعلها علما مستقلا ·

أما « الشاطبى » فقد توصل الى نظرية شبيهة بما يسمى فى القوانين العصرية بـ « نظرية التعسف فى استعمال الحقوق ، فاثبت بعد تحليل وتفصيل دقيقين أنه يجب منع الفعل المأذون فيه شرعا اذا لم يقصد منه فاعله الاضرار بالغير وقال « ابن حزم » : زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل وانها ترى وتسمع ، وهذه دعوى باطلة وبلا برهان وصحة الحكم أن النجوم لا تعقل أصلا ، وأن حركتها أبدا على رتبة واحدة لا تتبدل عنها ، وهذه صفة الجماد الذى لا اختيار له ، وليس للنجوم تأثير فى أعمالنا ولا لها عقل تدبرنا به ، الا اذا كان المقصود انها تدبرنا طبيعيا كتدبير الماء والهواء ونحو أثرها فى المد والجزر وقال ان النجوم لا تدل على الحوادث المقبلة ·

أما ابراهيم النظام فدعا الى الشك فى سبيل اليقين : وقال : ان الشك سبيل الانسان الى كل يقين وان طالب العلم لا يكون كحاطب ليل ، بل ينبغى أن يتخير مما فيها ولا يسمح أن يدخل فى نفسه الا الجيد المنتقى وعنده ان الكتب لا تحيى الموتى ولا تحول الاحمق عاقلا ، ولا البليد ذكيا ، ولكن طبيعة الانسان اذا كان فيها أدنى قبول ، فالكتب تشخذ وتفتق وترهف وتشفى ·

ويقول الشاك أقرب اليك من الجاحد ، ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك ولم ينتقل أحد من اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى بينهما حالة شك ·

والمعروف أن النظام وواصل بن عطاء وغيرهما كان لهم دور ضخم فى الدفاع عن الاسلام فى وجه مناهج الفلسفة اليونانية التى حمل لواءها خصوم الاسلام ، وقد استطاع بعمق منطقه وسلامة جدله ، الى تصحيح الحقائق والعقائد فى نفوس المئات ·

٤ ــ وقدعرف علماء المسلمين « التقنين » ممثلا فى اللغة القانونية المحكمة التى كتبت بها مصنفاتهم الفقهية ، وفى التبويب الدقيق للمسائل مما نجده فى أوضح صورة فى المختصرات المكرمة للفقه العملى مثل كتاب الماوردى وكتاب ابى يعلى المعاصر له والحامل نفس العنوان ، وقد نسقت أحكام هذه المختصرات على صورة تجعل من الميسور تصنيفها الى مواد قانونية على الشكل المتبع فى التقنين الحديث وكان بن حجر العسقلانى واحدا من أعمدة المنهج العلمى ، يقول « البقاعى » عنه : لا يستطيع أحد أن يفسره فى شىء أصلا ، أو أن يقرب من ذلك ، فهو لا يقبلكلام أحد فى غيبة خصمه فهو آية فى حسن القضاء ومعرفة دسائس الناس فى كلامهم ، والاهتداء الى قطع الامور له فى المناظرة مسلك غريب قل أن يثبت له فى ذلك أحد ويركز « الترمذى » منهجه الفكرى على الحق والعدل والصدق : يقول : انا وجدنا دين الله عز وجل مبنيا على ثلاثة أركان : على الحق والعدل والصدق ، فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول ، فاذا افتقد الحق من عمل خلفه الباطل واذا افتقد منه العدل خلفه الجور واذا افتقد منه الصدق خلفه الكذب ، فهذه الثلاثة ضد المعرفة وهذه الثلاثة التى هن أضداهن وجند الهوى » .

والطرطوشى فى كتابه (سراج الملوك) يسبق فلاسفة السياسة وفن الحكم فى أوربا ، وهو واحد من عدد من علماء الاسلام الذين عملوا فى هذا المجال : كالغزالى فى التبر المسبوك والشيرازى فى المنهج المسلوك فى سياسة الملوك وابن طباطبا فى (الفخرى) وأبرز مفاهيم الطرطوشى أنه لا يفرق بين السياسة والاخلاق بل يراهما شيئا واحدا متفقا ، وهذا المنهج الاسلامى يخالف منهج « ميكافيلى » فى كتابه الامير ·

٥ ــ أما « الكندى » الفيلسوف فقد درس الصلة بين الموسيقى وتحريك النفس وما يناسب أحوالها وما

يبعث السرور ،ودرس علاقة ذلك بالطب وأمكنه التوصل الى امكان معالجة المرضى بالموسيقى ، وذلك بضرب الانغام المناسبة للمريض .

وعرف المقدسى بأنه أعظم جغرافى عرفته البشرية قاطبة على حد تعبير المستشرق (**اشيرنجر**) **فقد طاف العالم كله ما عدا الاندلس والسند وركب المخاطر فى بحر الهند والبحر الاحمر والبحر الابيض يقول** : ما بقيت خزانة ملك الا وقد لزمتها ولا مذاهب قوم الا قد عرفتها ولا أهل زهد الا وقد خالطتهم ولم يبق شىء مما يلحق المسافرين الا وقد أخذت منه نصيبا غير الكدية « التسول » وركوب الكبيرة ، وقد تفقهت وتزهدت وتعبدت وفقهت وأدبت وخطبت على المنابر ، ودعوت فى المحافل وتكلمت فى المجالس ، وأكلت مع الصوفية الهرائس ، ومع الخافقائيين الثرائد ، ومع النواتى (الملاحين) العصائد ، وطردت فى الليالى من المساجد ، وسحت فى البرارى وتهت فى الصحارى .

اما « الطبرى » قد صور منهجه فى كتابه التاريخ فى مقدمة كتابه « تاريخ الرسل والملوك » فقال : ليعلم الناظر فى كتابنا أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره منه مما شرطت انى راسمه فيه ، انما هو على ما رويت من الاخبار التى أنا ذاكرها فيه والاثار التى أنا مسندها الى رواتها دون ما أدرك بحج العقول واستنبط بفكر النفوس وابن كثير « الذى تصدى للمرويات الاسرائيلية وفصل القول فيها ، وهو يرى أن القرآن قصد الى الاجمال فيجب الوقوف عندما قصد اليه والزمخشرى فى « الكشاف » يحرر فكره من الخضوع للاهواء ، ويعارض العلماء ذوى الاهواء الذين جمعوا عزائم الشرع ودونوها ، ثم رخصوا فيها للامراء وهونوها ، وقال : انما حفظوا وعلقوا وصفقوا وحلقوا ليجمعوا المال وييسروا »

والخليل بن أحمد واضع قواعد العروض ومناهجه ، وأبو الاسود الدؤلى واضع مناهج الفصحى وقواعد النحو والجاحظ واضع مناهج النقد الادبى ، والشافعى واضع مناهج الاستنباط وأصول الفقه .

والاشعرى صاحب الحملة على الانحراف الى الفكر اليونانى وابن تيمية صاحب الحملة الى الطرقيات المنحرفة والغزالى صاحب الحملة على مغالاة الفقهاء .

وابن دقيق العيد الذى قال : « النص » هو الامام، والرأى هو المأموم والمذاهب ترد اليه ، ويقول لا يصح أن يجعل الرأى الذى فيها للنص أصلا ، فيرد النص اليه بالتكلف والتحيل .

وبعد فحديث العلم والعلماء فى تاريخ الاسلام طويل فالى لقاء .

زيد بن الخطاب

من الأمثلة الرائعة فى البطولات الإسلامية

الأستاذ عبد المغنى المنشاوى

ان حياة خلوا من المنازعات والجدال ، نائية عن ميادين الصراع والقتال أن يظفر بها طلابها وعشاقها الا فى دنيا الخيال، ولكن دنيانا التى هى ميدان امتحاننا وابتلائنا ، لا تلد ايامها ولياليها الا ابناء العلات ، ونبات الخصومات ، وقل من ابنائها وبناتها من ينكر حب الذات ، ولا يتهالك على نيل اللذاذات ، ولو كان ثمنا لذلك ألم الجميع وشقاء الجميع .

ومكلف الايام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نار

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، فليس بدعا مايفشى عالمنا اليوم من غيوم ورجوم ، وما يستقطب حوله من الوان شر وضر ، فتلك نحيزة الدنيا وطبيعة الدهر .

ومن يشترى خيما سوى خيم نفسه
يبعه ويغلبه على النفس خيمها

والعجب ان الانسان وهو الانسان الذى كرمه مولاه بنعمة العقل ، لينعم بفكره ، ويهتدى على ضياء رشده ، قد فوت بما زين له الشيطان والنفس والهوى ، على هذا العقل قصده ، وأضل رشده ، بعد ان اتخذ الهه هواه ، وجعل حب المادة وتحصيل اللذة قصاراه ، فما هو الا ان اتخذ من هذا العقل الحكيم البناء، أداة للهدم وسلاحا للفناء ــ يفنى ويفنى به جماهير الاصدقاء قبل الاعداء .

ومن أجل هذه النزعات الغاشمة ، والنزوات الظالمة ، التى تتجاوز فى وثباتها الحدود والسدود ، شرعت شرعة الجهاد ، حفاظا على دين العباد ، وصيانا لكرامات البلاد ،وكان جهاد ساعة فى سبيل صيان الدين والوطن ، افضل عند شارع الجهاد سبحانه ، من عبادة شهور وأيام .

وياما كان أسرع صحابة رسول الله عليه وعليهم صلوات الله، استجابة لدعوة الجهاد فلقد كانوا الحراص على تلبية هذه الدعوة الهادفة السامية ، حرصهم على نفوسهم التى بين جنوبهم، بل كانوا الحراص على بذل هذه النفوس الغالية ، تلبية لنداء هذه الدعوة السامية ، يغشى احدهم ميدان الغزاة ووطيس المعركة المستحرة ، وقد وضع روحه فوق كفه ، حريصا أن ينال ببذلها شرف الشهادة قبل غيره ، ــ (لمثل هذا فليعمل العاملون،

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون –) جلس جمهرة من صحابة رسول الله عليه صلوات الله حوله ، وجرى بينه وبينهم حديث أطرق بعده رسول الله عليه صلوات الله لحظات ، ثم استأنف الحديث مخاطبا من حوله :

ان فيكم لرجلا ضرسه فى النار أعظم من جبل أحد :

ثم انفرط عقد المجلس واتخذ كل صحابى طريقه الى حيث تقضى مطالب دينه ودنياه ، ولكن ألوانا من الرعب واحاديث النفس المفزعة قد أخذت بتلابيبه لا تزايله ولا تهادنه ، يا ترى من المعنى بقولة الرسول ؟ ، ومن ذلك الشقى الذى كتب عليه ان يفتن فى دينه ويتربص به شر العاقبة وسوء المنقلب ،

نعم ، كانت هذه حال كل صحابى عند منصرفه عن هذا المجلس النبوى الكريم بعد اذ انفرط عقده ، ولكن جميع الذين وجه اليهم الحديث النبوى يومئذ ، كتبت لهم سعادة الخاتمة : اذ قضوا نحبهم شهداء فى سبيل الله : ولم يبق منهم مبهورا منقطع الانفاس تحت كابوس هذا المرعب الراعب من ذلك المصير المتوقع ، الا ابو هريرة ، اذ لم يظل معه على قيد الحياة الا صحابى واحد ، هو الرجال بن عنفوة ، ولقد ظل ابو هريرة عليه الرضوان ترتعد فرائصه خوفا من أن تصيبه تلك النبوءة ، لا يرقأ دمعه ، ولا تقر بلابله : حتى رفعت يد المقدار مسدول الستار عن صاحب هذا الحظ التاعس ، الذى أورثه البوار : وأورده النار وبئس القرار – فقد ارتد الرجال عن الاسلام ولحق بمسيلمة الكذاب ، وشهد له بالنبوة ، فكان لهذه الشهادة الكذب خطرها فيما لقى الكذابان من نصب وعذاب .

ويرجع بنا التاريخ القهقرى لنجد هذا الرجال الشقى التاعس قبل ان تتكشف حجب الغيب عن معدن شقاوته ، يقصد الى رسول الاسلام فجر الاسلام ليبايعه ويعاهده ، ويظل المسلم الحريص على اسلامه ، حتى يختار الله رسوله الاكرم الى جواره ،

ذهب الرجال بعد استئذان أبى بكر الى أهل اليمامة ، فالفاها مرتعا خصيبا تجول فيها دعوة مسيلمة الكذاب وتصول ، ورأى الكثرة الكاثرة من أهل اليمامة تناصر هذه الدعوة الكذاب ، لهذا الداعى الشقى الكذاب ، فتحدثت اليه نفسه الخبيثة الغرور ، فى غفلة من غفلات الفتون والغرور ، ان يساوق كوكبة الردة والضلال ، لعله أن يهيىء لنفسه مكانة فى دولة الكذب تحت أمرة الكذاب ، فكان خطر الرجال على الاسلام بارتداده ، اشد من خطر مسيلمة ذاته ، فقد استغل اسلامه المسبق المشجوب ، وحفظه لآيات من كتاب الله ، استغلالا خبيثا يحاول به الكيد لدين الله ، ودعم سلطان مسيلمة عدو الله ، كما استغل فى سبيل تحقيق ذلك سفارته لابى بكر خليفة المسلمين ، وشرع يكيد للاسلام وهو المسلم السابق كيدا يتصاغر معه كيد الاعداء ، بله الاصدقاء .

احذر عدوك مرة
واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق
فكان أعلم بالمضره

وهنا يجيء دور البطل بل زين الابطال – : زيد بن الخطاب ، انه الاخ الاكبر لامير المؤمنين عمر بن الخطاب ، والاسبق منه الى الاسلام ، والى نيل شرف الشهادة فى سبيل الله ،

كان زيد على بطولته الباهرة النادرة ، لا يحتويه ولا يرضيه الا العمل الصامت المعن فى الصمت ، ولعل هذه النزعة الموموقة المرموقة فيه كانت جوهر بطولته ، ان ايمانه بالله وبرسوله وبتعاليم دينه ، ايمان من لون ممتاز : لحمته قوة لا تتزعزع ، وسداه ثقة لا تتحلحل لم يعهد عليه طوال حياته أن تخلف عن رسول الله عليه صلوات الله فى شهود مشهد ولا غزاة ، والعجب العاجب أنه – وقد تعالم ذلك عنه عارفوه – لم يكن يبحث عن النصر بقدر ما يبحث عن الشهادة .

تشهد بذلك غزوة احد ، وقد حمى وطيس القتال بين المؤمنين والمشركين ، وراح زيد بن الخطاب يطعن ويضرب : ثم يطعن ويضرب ، وقد راع عمر اخاه ان رآه وقد سقطت عنه درعه واصبح فى متناول الاعداء ، فما وسع عمر الا ان يصيح به : خذ درعى يا زيد فقاتل بها : فاجابه زيد فى ثقة بالله وعزم وحزم ، : انى اريد من الشهادة ما تريده يا عمر : وانطلق يقاتل ويناضل ، ويكافح وينافح ، فى غير درع بل فى فدائية باهرة واستبسال عظيم –

كان زيد عليه الرضوان يتحرق شوقا للقاء الرجال بن عنفوة ، المناصر لمسيلمة الكذاب ، والمنافح عنه وعن دعوته الكذاب ، متمنيا من قرارة نفسه المؤمنة ، أن يكون الاجهاز على نفس الرجال الخبيثة المرتدة من حظه وحده ، فالرجال فى نظر زيد لم يكن مرتدا فحسب ، بل كان الى ارتداده ، الوصولى المنافق الكذاب ، لا يرد ارتداده الى اقناع مقنع ، بل الى وصولية خسيسة حقيرة ونفاق بغيض هزيل ،

ان زيد بن الخطاب ينزع اخاه عمر ، كلاهما يبغض الكذب والنفاق ، لا شىء ابغض الى نفسيهما من الكذب الفاضح المفضوح ، والنفاق الذى تساوقه الوصولية الهابطة والغرض الدنىء لقد تجاوز الرجال باساليب كيده وكذبه ونفاقه حد الامانى عند مسيلمة ، ومن لف لفه من عصابات اشياعه واتباعه ، اذ أربى عددهم فوق ما ينتظر وينتظرون ، كما اعد زيد لقاء ذلك من نفسه المؤمنة وعزيمته الصادقة ، وقلبه الكبير ، جيشا لجبا يستأصل به شأفة هذه الفتنة العارمة ، ويحتز به رأس هذه الضلالة المستشرية ، التى تتمثل فى شخص الرجال قبل ان تتمثل فى شخص مسيلمة ،

وأقبل يوم اليمامة مكفهرا وجهه محلولكة جوانبه ، عاصفة حواشيه ، مضطربة أعجازه وهواديه ، يتحدث عنوانه بما ينطوى فيه ، هنالك يرى الرائى جيش المسلمين تحت امرة خالد ، تتوزعه مواقعه ، كما يبصر خالدا وقد دفع بلواء الجيش الى يد زيد بن الخطاب ،

مال ميزان المعركة عند بدايتها فى غير صالح المسلمين ، اذ كانت كفتهم شائلة ، وكفة اعدائهم راجحة ، وتهاوى على صعيد المعركة شهداء وشهداء ، ورأى زيد خلال هذا القتال المستحر واللهيب المستعر ، ان مشاعر الفزع والهلع تتسرب فى افئدة بعض المسلمين ، هنالك علا ربوة وصاح فى اخوانه :

أيها الناس ، عضوا على أضراسكم ، واضربوا فى عدوكم وأمضوا قدما ... والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله ، أو القاه سبحانه فاكلمه بحجتى ، :

ونزل من فوق الربوة ، عاضا على أضراسه ، زاما شفتيه ، لا يحرك لسانه بهمس ، وتركز مصير المعركة لديه فى مصير الرجال ، فراح ينشر الميدان ويطويه باحثا عن الرجال حتى أبصره ،

وما أبصره حتى راح يأتيه عن يمين وشمال ، وكان الرجال عليه اللعنات ، واسع الحيلة فى الهرب سعة نفسه فى النفاق ، فاذا

ابصر زيدا عن كثب ، اسلم نفسه لطوفان المعركة ليبتلعه ، فلا يرى زيد الا وقد تبعه فدفعه ، وهكذا تتكرر فى ساحة الكر والفر بين الغريمين ، صور شتى للهرب والمطاردة ، تتلوها صور أخرى للمتابعة ، والمخادعة والمدافعة ، حتى يتح الله لزيد فرصة العمر ، وأمنية الدهر ، بامساكة يطوق بها خناق الرجال ، وضربة سيف يطوح بها رأسا قد ملىء غرورا وكذبا وخسة .

وبسقوط الاكذوبة اخذ عالمها الخادع المتهالك المتهافت يتهاوى ، فدب الرعب فى نفس مسيلمة وفى نفوس جنوده بعد مقتل هذا الطاغية الداهية الكذاب .

أما مقاتلة المسلمين ، فما كاد خبر مصرع الرجال يأخذ طريقه الى قلوبهم قبل آذانهم ، حتى تشامخت عزماتهم ، ونهض جريحهم مصلتا سيفه غير عابىء بجراحه ، هنالك لم يسع زيدا الا ان يرفع كلتا يديه الى السماء ، شاكرا انعم رب الارض والسماء ، ثم عاد الى خطة الصمت عن الكلام باللسان ، اذ لا مجال للغة اللسان ، مع لغة الضرب بالسيف والطعن بالسنان ، فلقد اقسم زيد بالله منذ لحظات الا ينطق ببنت شفة حتى يتم النصر أو ينال الشهادة .

ولقد اخذت المعركة طريقها نحو نصرة المسلمين ، ورأى زيد طلائع النصر مقبلة ، فاستروحت نفسه ، وانشرح صدره ، واطمان قلبه ، وتمنى بعد وثوقه من هذه الخاتمة السعيدة المرتقبة ، لو يرزقه الله الشهادة فى يوم اليمامة هذا .

استانف البطل القتال وريح الجنة تملأ نفسه شوقا ، وقلبه عزما ، ومآقيه دموعا ، وراح يضرب ضرب الباحث عن مصيره العظيم ، فكان له ما تمنى وسقط البطل شهيدا ، بل صعد شهيدا ، وعاد جيش المسلمين الى المدينة ظافرا منصورا .

كان عمر يستقبل مع الخليفة ابى بكر هؤلاء الجنود العائدين المظفرين ، حريصا ان تقع عيناه على أخيه زيد فى العائدين ، لكن احد العائدين اقترب فى رفق وأسى الى عمر فعزاه فى زيد أخيه البطل الشهيد ، فقال عمر فى رنة حزن وأسى — يرحم الله زيدا ، سبقنى الى الحسنيين أسلم قبلى ، واستشهد قبلى ، وعلى كثرة الانتصارات التى راح الاسلام يظفر بها ، فان زيدا لم يغب عن خاطر الفاروق لحظة — وانما كان يكثر من ترديد هذه العبارة : ما هبت الصبا الا وجدت منها ريح زيد ، : وها نحن اولاء نحتذى عمر فى قولته بعد اذ راعتنا مواقف زيد وبطولاته فنقول : ما هبت ريح النصر على الاسلام والمسلمين فى كل زمان ومكان ، منذ يوم اليمامة الى يوم الناس هذا ، الا وجد الاسلام فيها ريح زيد ، وبلاء زيد ، وبطولة زيد ، وعظمة زيد — ولعلنا لا ننسى هذه البطولة الرائعة التى ضرب لنا زيد مثلها العليا لنحتذى بها ونلمح شخص زيد فى اثوابها ، فاننا اليوم أشد ما نكون حاجة الى ان نتأثر خطوات هذا البطل الشهيد ، حتى يكتب لنا النصر المؤزر بمشيئة من الله ومعونة من السماء فى معركة حتمية بيننا وبين عصابات الصهاينة والمستعمرين ، يقول فيها عبد الناصر البطل والزعيم :

ان حتمية المعركة يجب أن تعطينا عزما وصلابة نستمدها من الخيار المطروح أمامنا ، وقد وصل ببساطة الى السؤال الاول الذى يواجه أى نضال : نكون او لا نكون ؟ : — الى ان يقول : لا مفر من معركة بيننا وبين العدو ، نخوض فيها بحرا من الدماء ، ونشق جوا من النيران : نسألك اللهم لهذا الزعيم الفدائى العظيم ، ولاخوانه من زعماء المسلمين ، عونا سماويا ومددا ربانيا يشد أزرهم ، ويعجل نصرهم ، : وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم .

الخنساء

الخنساء : هى شاعرة الرثاء المتفردة به بين شعراء العرب — فقد أجادته أدبا وأصالة حتى تميزت بهذا النوع من الشعر وتخصصت به دون سائر الشعراء .. فاذا ما ذكرت الخنساء انحنت لشخصيتها العظيمة الرؤوس اكبارا واجلالا لهذه المرأة العربية الفذة — فقد أسفرت ترجمتها عن أخلاق فاضلة كريمة — وصفات حميدة نادرة ومشاعر رقيقة عالية ظلت محتفظة بها بكل اعزاز وافتخار طول حياتها قبل اسلامها وبعده .

والخنساء هو لقب لها وحقيقة اسمها (هو : تماضر بنت عمر السلمى) ولقبت بذلك تشبيها لها بالظباء — لخنس فى أنفها وهو تأخر الانف عن الوجه قليلا مع ارتفاع قليل فى الارنبة وهى صفة مستحبة من سيمات الجمال .

ونشأت الخنساء فى قبيلتها من (بنى سليم) نشأة عربية خالصة فيها كل خصال العرب الامجاد .. تقول الشعر معتزة بمجد قبيلتها — كرمها وابطالها وحسبها ونسبها — مما رفع شأن القبيلة وأخذت تفتخر « بالخنساء » وتباهى بها بين القبائل .

كانت الخنساء تتبارى مع باقى شعراء الجزيرة العربية فى سوق (عكاظ) بالحجاز وتبز عليهم بجودة شعرها واصالته .

وفى باكورة حياة الخنساء — رفضت أن تتزوج من غير بنى عمومتها اعتزازا بقبيلتها وفى ذلك قالت لابيها فى تلك المناسبة (أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح وناكحة شيخ بنى جسم) وفعلا تزوجت من ابن عمها « رواحة بن عبد العزيز السلمى » وأنجبت منه طفلا يدعى (عبد الله) ثم طلقت الخنساء من زوجها الاول — وتزوجت ثانية من ابن عم لها

بين مقامات الرضا والصبر والوفاء

الأستاذ احمد الجبالى

ايضا يقال له « مرداس بن أبى عامر السلمى » وأنجبت منه ثلاثة أبناء هم (يزيد - معاوية - حرب) وكذلك أنجبت بنتا يقال لها (عمره) ثم مات عنها زوجها الثانى وترملت بعد ذلك وكرست حياتها لتربية ابنائها - وكان يعينها على حياتها هذه اخواها [معاوية - وصخر] ثم فجعها الدهر بعد ذلك بمصرع أخيها معاوية أولا - وبعد عامين فجعت ايضا بموت أخيها الثانى - صخر - وكان هذا الاخير العائل الوحيد لها وكان يغمرها وبنيها بالحنان الكامل والاموال اللازمة لتوفير كل أسباب الهناء والسعادة لهم لهذا ظلت الخنساء تنعى اخاها صخرا وترثيه بقصائد رائعة هى « قمة الشعر » فى الرثاء ومعلقاته - لازالت - وستظل مراثيها مصدرا للادب الرفيع والعبقرية الفذة فى التعبير عن مشاعر الحزن والحنان والاعتراف بالجميل للاخوة الحبيبة العطوفة - وبهذا التصوير الشعرى والترجمة العاطفية عن مشاعرها نحو أخيها - هو تخليد لذكراه العطرة ٠٠ وتمجيد لصفات الكرم والشجاعة والجود وهى بذلك خلدت نفسها بجانب أخيها ٠٠ كأعظم شاعرة تحققت بالرثاء وانفردت به وأصبح اسمها مقرونا بالرثاء والادب الحزين ٠

ولم تكتف الخنساء بتجميد ملكتها الشعرية ووقفها على رثاء أخيها صخر فقط ٠٠ طول حياتها بل ظلت متشحة بالسواد نحو نصف قرن بعد أخيها صخر حتى وفاتها ٠

أليس هذا قمة الوفاء ؟؟ فأنعم بها من أديبة شاعرة وفية ٠٠ وهى التى قالت :

يذكرنى طلوع الشمس صخرا
وأذكره لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولى
على اخوانهم لقتلت نفسى

فلا والله لا أنساك حتى
افارق مهجتى ويشق رمسى

فيا لهفى عليه ولهف نفسى
أيصبح فى الضريح وفيه يمسى

غداة غدا ناع لصخر فراعنى
واورثنى حزنى طويل البلابل

فاصبحت لا التذ بعدك نعمة
حياتى ولا أبكى لدعوة ثاكل

وان صخرا لتاتم الهداة به
كانه علم فى رأسه نار

وان صخرا لوالينا وسيدنا
وان صخرا اذا شتو لنحار

اعينى جودا ولا تجمدا
الا تبكيان لصخر الندا

ياصخر قد كنت بدرا يستضاء به
فقد ثوى يوم مت المجد والجود

هذه هى الخنساء فى أعلى مراتب الوفاء لاخيها لا يعلوها أحد فى هذا المجال الادبى فى مستواه الرفيع العالى ٠

وفى العام الثامن للهجرة عند فتح مكة المكرمة ٠٠ حضرت الخنساء مع وفد قبيلتها من بنى سليم - وأسلمت معهم على يد (رسول اللهصلى الله عليه وسلم) ٠

واستنشدها الرسول عليه السلام بعضا من قصائدها فى رثاء أخيها ٠٠ فالقت بين يديه كثيرا من

ذلك وكان عليه السلام يستزيدها فى عطف وتأثر حيث كانت عندئذ فى العقد السابع من عمرها ٠

وأشرق قلبها بنور الاسلام ٠

وظلت الخنساء موضع الاكبار والاحترام من كبار الصحابة فى عهد أمير المؤمنين سيدنا (أبو بكر الصديق) رضى الله عنه وكذلك فى عهد امير المؤمنين سيدنا (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه وأرضاه ٠٠ ولم يثنها اسلامها عن استمرار قولها الشعر فى رثاء أخيها صخر — ولم يعرف عنها أنها تحولت عن ذلك الاتجاه

والخنساء مثل كل المؤمنات فى صدر الاسلام ومثل كل أم عربية أصيلة ٠٠ أحسنت تربية بنيها على العزة والشجاعة والفداء وزادتها المثل الفاضلة الاسلامية قوة وكرامة ٠

فقد بعثت بأبنائها الاربعة فى جيش المسلمين فى عهد سيدنا (عمر بن الخطاب) لقتال الفرس فى موقعة (القادسية) ٠٠ ومما قالته عند توديعهم ٠٠ تشجيعا لهم وترغيبا فى الجهاد فى سبيل الحق والاسلام)) يا بنىانكم أسلمتم طائعين وهاجرتم **مختارين وانكم بنو أب وأم واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت أخوالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم ٠ وقد تعلمون ما أعد الله تعالى للمؤمنين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين ٠٠ واعلموا ان الدار الاخرة خير من الدار الفانية بقوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ٠**

فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقيها ٠ ٠ فتيمموا وطيسها وجالدوا رميسها تظفروا بالغنى والكرامة فى دار الخلد والمقامة ٠٠)) ٠

هذه هى (الخنساء) الام ٠٠ المسلمة ٠٠ تغلب عليها ايمانها وطرح عنها عاطفة الامومة مخالفة بذلك سنة الطبيعة ٠٠ فأخذت تحرض أولادها على الاستشهاد فى سبيل الحق ونشر الاسلام وتدفعهم الى ساحة الميدان ليؤدوا واجبا مقدسا عليهم هو الجهاد فى سبيل الله وتثير فيهم حمية العرب بالحسب والنسب وشرف الابوة والخؤولة ليكون جهادهم دفاعا عن العقيدة والعشيرة والوطن ٠٠ ولذلك يكون الاستشهاد محببا للنفوس وفداء لعز الامة الاسلامية وثمنا كريما للنصر ٠

ولقد حارب جيش المسلمين فى موقعة القادسية ٠٠ رغم قلة العدد والعدة ٠٠ ولكن بقلوب عامرة بنور الاسلام اندفعوا كالاسود الضوارى لا يهابون الموت ٠٠ وانتصروا على عدوهم وفتحوا بلاد فارس ورفعوا لواء الاسلام عاليا فى تلك الديار واستشهد فى موقعة الشرف هذه عدد غير قليل من جند الرحمن منهم أولاد الخنساء الاربعة ٠

ولما علمت بخبر استشهادهم جميعا قالت بنفس مطمئنة راضية بقضاء الله وقدره وقلب مشرق بنور الايمان والصبر ٠

[الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم — وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة) ٠

بهذه الكلمات الصادقة الخالدة عبرت الخنساء عما فى قلبها ونفسها ومشاعرها عند نعى بنيها الاربعة ٠٠ والامر هنا يستحق وقفة طويلة ٠٠ فالامهات رقيقات العاطفة ٠٠ فطبيعة الام لا تتحمل قتل أحد أبنائها دون أن تفرج عن نفسها بالبكاء والعويل ولطم الخدود وشق الجيوب ..ولوان الامر عند الخنساء باستشهاد واحد فقط من بنيها وبقى لها ثلاثة او باستشهاد اثنين وبقى اثنان او باستشهاد حتى ٠٠ ثلاثة ٠٠ وبقى واحد يعولها فى كبرها وبعد أن فقدت بصرها ٠ ولكن الامر فذ ٠٠ فاق الحد وجل الخطب بقتل اولادها .. الاربعة جميعا وفى وقت واحد فأى عين لا تدمع وأى قلب لا يحزن وأى نفس لا تجزع .. فما بال تلك الام .. تتقبل هذه الصدمة التى تهد الجبال بهذه الصورة المذهلة .. فلو نظرنا اليها بعين الحقيقة لوجدنا الامر هينا ٠٠ سهلا ٠٠ فلقد كانت الخنساء نموذجا للمرأة المؤمنة ومثلا أعلى للام المسلمة التى امتلا قلبها بفيوضات الايمان وألبست نفسها ثوب الرضا فتحققت به وشربت من كؤوس الصبر فثملت فترنحت بين الدرجات العليا فى مقامات الرضا والصبر ٠٠ وتلفظت بكلماتها المأثورة تلك التى سجلها التاريخ بحروف من نور لترددها أمهات الشهداء فى كل زمان ومكان ٠٠ وما أجدر أمهات جنودنا فى الميدان أن يتمثلن بالخنساء فى تشجيع ابنائهن لقتال الصهاينة المعتدين .. وطردهم من البلاد العربية .. وتحرير مقدساتنا وأوطاننا ومسجدنا الاقصى .. من براثن أولئك الفجرة الفسقة « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » ويرتلون قوله تعالى :

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) ٠

الإمام البخارى

ومنزلة السنة من الدين

الأستاذ الرفاعى البنا

جدير بالمسلمين أن يذكروا لذلك الامام الكبير فضله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم : فهو كالشمس للدنيا وكالصحة للناس . لقد حفظ الله به على الامة السنة الثابتة الصحيحة : والسنة المحمدية هى الهداية العظمى ، والحكمة البالغة ،والدين الخالص ، والعلم النافع وقد اعتبرها الائمة الاعلام المرجع والنور الهادى الى الطريق المستقيم وقد نوه بها الامام الشافعى رضى الله عنه فى قوله :

كل العلوم سوى القرآن معولة
الا الحديث وعلم الفقه فى الدين
العلم ما كان فيه حدثنا
وما سوى ذلك وسواس الشياطين

فلم يكن احد من الائمة يستطيع أن يتعدى حدودها فى مسألة من الدين حتى يعدم فيها توجيها . وقد حفظ عن كل امام من الاربعة انه كان يقول : اذا صح الحديث فهو مذهبى .

فمنزلتها من الاسلام منزلة الروح من الجسد : لا اسلام لمن لم يعرفها ولا دين لمن تنكب عنها . لقد تكفلت ببيان مجمل القرآن الكريم وتقييد مطلق منه ، واحكام متشابه فيه وهى التى علمتنا مواقيت الصلوات ، واعداد الركعات وكذلك كانت فى كثير من الشعائر .

فمثلا : يقول الله سبحانه وتعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » : ولكن ما السرقة التى توجب القطع ؟ وكيف يكون ذلك ؟ ويقول سبحانه وتعالى « كتب عليكم الصيام » ولكن ماذا يفعل من زل بالفطر ؟ وهل له كفارة ؟ وما تلك الكفارة

ذلك وأمثاله بين واضح فى السنة الكريمة ، فهى بيان الكتاب وتفسيره .

وفى صحيح البخارى قال عمر « لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل : لا نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله : الا وان الرجم على من زنا وقد احصن اذا قامت البينة » وفى مسند احمد يوشك احدكم ان يكذبنى وهو متكىء على اريكته يحدث بحديثى فيقول : « بيننا وبينكم كتاب الله . الا وأن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » .

لاجرم أن تنافس رجال الدين فى حفظها والذود عنها حتى يبنى عليها الدين الخالص ، وحتى يكون بمأمن من وعيد الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتواتر « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » هذا وقد اعتمد الصحابة رضى الله عنهم فى نقل السنة على الحفظ والضبط لجودتهما اذ ذاك ، ولاسيما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهاهم أن يكتبوا عنه غير القرآن خوف الالتباس بالقرآن على مر الزمن .

ولما اتسع الاسلام ، وتفرق الصحابة واتباعهم ، ومات الكثير منهم فى الفتوحات ، وقل الضبط . وكاد يلتبس بالحق فى عدة عوامل مختلفة احتيج الى تدوين الحديث ، وابتدأ التصنيف فكان عمر بن عبد العزيز الامام العادل أول من أمر بتدوينه .

وفى مقدمة الفتح لابن حجر : ان أول من جمع فى ذلك الربيع ابن صبيح وسعد بن أبى عروبة وغيرهما ، يصنفون فى كل باب على حدة ، فلما انتهى الامر الى كبار الطبقة الثالثة ، صنف مالك الموطا بالمدينة والف ابن جريج بمكة والاوزاعى بالشام ، ثم تلاهم كثير من الائمة كل بحسب ما سنح له ، فمنهم من رتب على المسانيد كأحمد وابن راهويه ، ومنهم من رتب على العلل ومنهم من رتب على الابواب الفقهية وهؤلاء منهم من تقيد بالصحيح كالشيخين البخارى ومسلم ومنهم من لم يتقيد كباقى اصحاب السنن فالبخارى أول من صنف فى الصحيح على أبواب الفقه وكان معروفا بالفقه فى الدين وقوة الاستنتاج كما تشهد بذلك عناوينه الدقيقة فى كتابه الجامع الصحيح .

نشأ البخارى وقد تمهد سبيل الرواية ، فدقق فى بعض الاشتراط بما لم يكن لغيره ولذلك كان جامعه هذا اصح الكتب بعد كتاب الله . وتلقته الامة بالقبول حتى وصف بانه متواتر معنى ، ونشأ البخارى فى عهد قامت فيه الحركة العلمية على ساقها . وتنافس الرجال على التجارة فيها على اختلاف نزعاتهم وتنوع أصنافها ، فشهد حينا من أخريات عهد المأمون الذهبى صبيا . اذ كانت ولادته يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة ١٩٤ هـ ، ولابد أن الوسط ظل متأثرا بتلك الروح العظيمة المأمونية حينا من الدهر فى عهد المعتصم الذى بدأ البخارى يطلب فيه العلم ، وقد تغلغل فى نفسه حب العلم الدينى بالوراثة عن أبيه الصالح التقى اسماعيل بن ابراهيم ، الذى روى عن حماد ومالك وصحب ابن المبارك ، والذى روى عنه العراقيون ، وكانت له سمعة طيبة كريمة فى الورع والزهادة .

وكان البخارى من آيات الله فى ذكائه وحفظه وتحريه وشدة

حرصه وتقلله من الدنيا ومن الاصابة منها والتنافس على جمعها يحدوه توفيق وتيسير عجيب . فضلا من الله الذى رد عليه بصره ليحفظ به سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

حدث البغدادى الخطيب بسنده الى السجاد قال : سمعت شيخى يقول ذهبت عينا محمد بن اسماعيل فى صغره ، فرأت والدته فى المنام ابراهيم الخليل عليه السلام يقول : يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو لكثرة دعائك ... فاصبح وقد رد الله بصره !

وأظن أن فى الطب الان متسعا لمثل هذا الذى كان يعد من الخرافات على أن فى قدرة الله مالا يعلم الناس ولا يحتسبون .

وقد حدث البخارى عن نفسه ببعض قصة حياته ، وقد سأله محمد بن أبى حاتم : كيف كان بدء أمرك ؟ قال : الهمت حفظ الحديث وأنا فى المكتب قال : وكم أتى عليك اذ ذاك ؟ قال عشر سنين أو أقل ، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت اختلف الى الداخلى وغيره ، وقد جرى بينى وبين الداخلى أنه قال يوما فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبى الزبير عن ابراهيم فقلت يا أبا فلان أن أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم فانتهرنى ، فقلت ارجع الى الاصل ان كان عندك فدخل فنظر فيه ثم خرج وقال لى : كيف هو يا غلام ؟ فقلت هو الزبير عن عدى ابن ابراهيم ، فأخذ القلم منى فاحكم كتابه . فقال له بعض اصحابه ابن كم كنت ؟ قال ابن احدى عشرة سنة ، فلما طفت فى ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ، ثم خرجت أمى بى وبأخى أحمد الى مكة ، فلما حججت رجع اخى بها وتخلفت فى طلب الحديث ، فلما طفت فى ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وصنفت كتاب التاريخ اذ ذاك عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة وقال : قل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت التطويل .

ويظهر أن هذا الكتاب كان من آيات غزارة علم الرجل وسعة اطلاعه الى حد جعل الناس تفتن به حتى فى وضعه وجعل البخارى يعجب به وقد حدث البخارى ان شيخه ابن راهويه دخل بالكتاب على عبد الله بن طاهر ، فقال أيها الامير ألا أريك سحرا ؟ فنظر فيه عبد الله بن طاهر فتعجب منه وقال : لا أفهم تصنيفه. وقال العباس بن سعيد : لو ان رجلا كتب ثلاثين الف حديث لما استغنى عن تاريخ البخارى .

وأما جمعه لهذا الجامع الصحيح فيرجع الى ما حدث به عن نفسه ، قال كنت عند اسحاق بن راهويه فقال لنا بعض أصحابنا لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبى صلى الله عليه وسلم : فوقع ذلك فى قلبى فاخذت اجمع هذا الكتاب وجمعته من ستمائة الف : ولله هذا الامام الحافظ الخطير أما كان أضفى نفسه وأحذره على الجمع والحفظ والفقه وحدث البخارى وهو الثقة الثبت انه ما أدخل فى كتابه الا ما صح . وترك من الصحاح خوف الاطالة ، وانه ما وضع فى هذا الصحيح حديثا الا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين والحديث عن هذا الجامع يطول . وكذلك الحديث عما كان من امتحانات البخارى وتجمهر كثير من البلاد

لتحديه فى الحفظ والضبط فذلك أمر قد يدخل فيما يقرب من الاعجاز ومن شاء علم ذلك فليرجع الى مقدمة الفتح والى تاريخ بغداد وغيرهما . وهنا نشير الى أن للبخارى عدا الكتابين العظيمين كتبا اخرى ، كالادب المفرد . وبر الوالدين وخلق الافعال ، والضعفاء ، والمسند الكبير ، والتفسير الكبير . وكتاب الفوائد ثم نعود بك الى بعض صفحاته العظيمة التى فتحت له ذلك الفتح المبين وجملته فى ذلك الوضع النادر فقد قالوا : انه كان غاية فى السخاء وبذل الدنيا ، وكان آية فى عفة اللسان ونزاهة القول ، حتى أنه قال يوما : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى انى اغتبت أحدا . فقال : له بعض الشهود : انك جرحت بعض الرواة ، فقال : ذلك رواية ولم نقله من عند انفسنا وقد قال صلى الله عليه وسلم : بئس اخو العشيرة . على انه قد كان من دأبه أن يقول فى الساقط المتروك فيه نظر أو سكتوا عنه . وكان البخارى صبورا غفورا ، حتى أن الجارية أراقت حبره يوما فلما سألها قالت انه فى طريقى فقال : أنت حرة لوجه الله .

فاما أحاديث النسك والعبادة والاستغفار وذكر الله وتلاوة القرآن . فقد كان فى ذلك كله المثل الاعلى للمؤمن الناسك القانت الخاشع صلى الظهر يوما فى بستان مع جماعة من أصحابه ثم قام الى التطوع فاطال القيام فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فاذا زنبور قد اثر فى ستة عشر موضعا حتى تورم جسمه فلما سئل فى اطالته ، قال كنت فى سورة فاحببت أن أتممها . وهنا اترك للقارىء الكريم التعليق على هذا الحادث الجسيم وكيف أن ذلك الامام الذكى كان يؤثر الروح ولذتها ، ويقدر الكتاب الكريم ويقدس آياته . وقد كان فى شهر رمضان يعنى بالقرآن عناية خاصة مع تشميره فى عبادة الله . فكان يجمع أصحابه منذ أول ليلة منه فيصلى بهم ويقرأ فى كل ركعة عشرين آية . وكذلك الى أن يختم القرآن وكان يقرأ فى السحر ما بين نصف القرآن وثلثه . فيختم عند السحر فى كل ثلاث ليال وكان يختم فى كل يوم ختمة عند الافطار ويقول: عند كلختم دعوة مستجابة على أن البخارى كان يتعهد العمل فى ليلة مع ذلك القنوت والتهجد اللذين علمت من خبرهما . وقد حفظ عنه ذلك وعرفه أصحابه فى السفر . قال أبو الوراق : كان أبو عبد الله [البخارى] اذا كنت معه فى سفر يجمعنا فى بيت واحد أحيانا فيقوم فى ليله خمس عشرة مرة الى عشرين فى كل ذلك يأخذ القداحة ثم يورى ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها وكان يصلى فى السفر ثلاث عشرة ركعة فهذا شان من شغله التفكير فى العلم وتصحيح النقل والامانة فى الرواية عن نوم الغافلين الكسالى فهذا نوم الاغفاء والتفكير لانوم الاغماء . وكذلك النفوس الكبيرة

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام

فاما الخوض فى طريقه بتصنيفه ودقة استنتاجه وقوةنظره وعلو كعبه وبعد مراميه فى فهم السنة والتفريع منها ، فلذلك مجال غير هذا . وانما قصدت توجيه الانظار الى ذلك الذخر العظيم ، وتلك النفحات الربانية الكريمة . وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

من أعلام الصوفية

الإمام العارف بالله سهل التسترى

الأستاذ جودة محمد أبو يزيد المهدى

بنور اليقين استضاءت بصائر أهل العرفان والتمكين ، وعلى النهج المحمدى واصلوا المسير . فكانت خطواتهم على الدرب هى مفاتيح القرب وبزاد من التقوى تزودوا فى رحلة النور حيث كان غذاؤهم الذكر وقوتهم الفكر وأنفاسهم مسافات من العمر قطعوها فى مرضاة الله خشعا ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا فمن عليهم ربهم بالوصول وانا لهم منه القبول وجعلهم خاصته وصفوته من عباده .

ومن اعلام اولئك الائمة الواصلين والاقطاب العارفين : سيدى أبو محمد سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه . ولد على رأس القرن الثالث الهجرى سنة مائتين او احدى ومائتين ببلدة (تستر) احدى مدن خراسان والتى اليها نسبته .

وشخصية العارف التسترى لها بين أئمة العارفين منزلة سامية وقدم لا يلحق فى ميدان المعرفة والذوق الروحى . فهو امام عصره فى العلوم والمعاملات وأوحد أهل زمانه فى الورع والمجاهدات لقى الصوفى العارف سيدى ذا النون المصرى ، وتربى على يديه نخبة من السالكين والاقطاب . والامام التسترى قد عرف الطريق الى مولاه منذ ترقرق فيه ماء الصبا حيث تفتحت زهرة طفولته الناضرة فى بيت تأسس على التقوى وارتوى من معين الايمان الذى لاينضب . لخاله محمد بن سوار أحد الزهاد الورعين العاكفين على طاعة مولاهم . وكان سهل وهو فى الثالثة من عمره يقوم فى اثناء الليل لينظر الى خاله وهو يقطع أنفاس الليل فى صلاة لربه حتى يؤذن الفجر فاستغرق سهل فى هذا المشهد الجليل بفطرته السوية ، واعتاد ان يقطع بدوره هجعة الكرى لكى يسقى قلبه من روعة هذا المشهد . وذات ليلة قال له خاله : ياسهل : اذهب فنم فقد شغلت قلبى . ولكن ما للنوم ومن تعده العناية للولاية فلما رأى منه خاله هذا الميل الفطرى للعبادة أقبل عليه قائلا : ألا تذكر الله الذى خلقك ؟ فقال : وكيف أذكره ؟ قال له قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك : (الله شاهدى) . ففعل ذلك ثلاثة أيام ثم أشار عليه خاله بأن يزيد العدد الى سبع ثم الى احدى عشرة مرة . وكانت النتيجة كما قال سهل نفسه (فوقع فى قلبى له حلاوة) وحثه خاله على المواظبة على هذا الذكر قائلا احفظ ما علمتك ودم عليه الى أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والاخرة . وكان خاله يعده بهذا الذكر للفتح الالهى . فاكتمل له من تلقين خاله ورد صار معراجا للفتح الربانى وعرف بورد التسترى وهو : « الله معى .. الله ناظر الى .. الله شاهد على » . لقد كان هذا الورد معراجا لفتح الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله عنه اذ يقول فى

الفتوحات : (دخلت به الخلوة ففتح لى به فى ليلة واحدة وفيه أسرار عجيبة وأذواق غريبة ومن ذكره حببت اليه الطاعات وبغضت اليه المنكرات) . تلك أسرار عجيبة حظى بها العارف سهل ولم يزل بعد غلاما زكيا ثم مضى الى الكتاب فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين وكان يصوم الدهر آنذاك ويقتصر فى غذائه على خبز الشعير ويعكف على طاعات ربه من صيام الى قيام ومن ذكر الى علم كافا جوارحه عن المعاصى وقلبه عن الشهوات فاكتمل فى طفولته مالم يكتمل لاحد من قرنائه فى عصره . حتى لقد روى عن أحمد بن سالم فى كتاب صفة الاولياء انه قال (ذكر سهل التسترى وهو ابن ثلاث سنين وصام وهو ابن خمس سنين وترك الشهوات وهو ابن سبع سنين وساح فى طلب العلم وهو ابن تسع سنين وكانت تلقى مشكلات المسائل على العلماء ثم لا يوجد جوابها الا عنده وهو ابن احدى عشرة سنة وحينئذ ظهرت عليه الكرامات) ولقد ذكر العارف المناوى فى طبقاته ان العارف سهلا كان أعلم أهل تستر وهو ابن اثنتى عشرة سنة . انه فتوح من الله خص به احبابه المقربين اليه . وفى تلك الفترة التى كان فيها العارف سهل يخوض غمار المجاهدات ويتطهر من أوشاب انيته ويجتاز العقبات فى سيره الى الله وجد روحه من فرط شفافيتها تحلق فى عالم الملكوت وترشف من رحيق المحبة الالهية . ووصل فى سيره الى الله الى مقام لم يظفر به فى ديوان الولاية الا بعض خواص الخواص انه مقام (سجود القلب لله) لقد دهش العارف سهل نفسه من نفسه لانه لم يسمع من قبل بشىء يسمى سجود القلب لله ومع ذلك فقد تحقق عمليا قبل أن يعرفه نظريا . وعن تلك الواقعة وأسرارها يحدثنا الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى فى فتوحاته **(كان بدء سهل فى هذا الطريق سجود القلب . وكم من ولى كبير الشأن طويل العمر مات وماحصل له سجود القلب ولا يعلم أن للقلب سجودا مع تحققه بالولاية ورسوخ قدمه فيها فان سجوده – أى القلب – اذا حصل لايرفع رأسه أبدا من سجدته فهو ثابت على تلك القدم الواحدة التى تتفرع منها أقدام كثيرة . وأكثر الاولياء يرون تقلب القلب من حال الى حال ولهذا سمى قلبا . وصاحب هذا المقام وان تقلبت احواله فمن عين واحدة هو عليها ثابت يعبر عنها بسجود القلب . ولهذا لما رأى سهل فى ابتداء دخوله الطريق أن قلبه سجد وانتظر أن يرفع فلم يرفع فبقى حائرا فما زال يسأل شيوخ الطريق فما وجد أحدا يعرفها فانهم أهل صدق لاينطقون الا عن ذوق محقق . فقيل له ان فى عبادان شيخا معتبرا لو رحلت اليه ؟ ففعل فقال له : أيها الشيخ : أيسجد القلب ؟ فقال : الى الابد .. فوجد شفاءه عنده فلزم خدمته فالله يؤتى ماشاء من علمه من شاء من عباده (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) .**

وكان الرجل الذى وجد العارف سهل عنده جوابه هو عارف عبادان الشيخ حمزة بن عبد الله رضى الله عنه . وكان فيما قاله له حين أخبره بواقعته **(بشراك ياسهل وطوبى لك . لقد بلغت الذروة العليا وانتقلت الى المقام الاسمى . لقد سجد قلبك وهو أعلا مراتب اليقين وماأحسب اليوم ان فى الارض سواك فى هذا المقام)** . ان العارف سهلا لم يصل الى تلك المنزلة الرفيعة الا بأن فرغ قلبه لله وأعرض عن الاكوان فناء فى المكون وفر الى الله من نفسه هناك وجد قلبه وهناك سجد قلبه .

واذا ماأردنا ان نتعرف على المنهج السلوكى عند العارف التسترى لوجدنا آفاقا تتوهج بالنور وتشع بالضياء . فان هذا العارف لم يترك سبيلا للطاعة والعبادة الا والتمسه حتى انصهرت روحه فى محراب المجاهدة الروحية فأسلمت له نفسه القياد وصارت الطاعات عنده عادات بفضل قهره للنفس ودحضه لاهوائها . ولقد سئل سيدى سهل يوما عن سر النفس فقال : **(للنفس سر ماظهر ذلك السر على أحد من خلقه الا على فرعون** – اى ما اكتمل ظهور ذلك السر الا فى شخص فرعون – فقال أنا ربكم الاعلى . ولها سبع حجب سماوية وسبع حجب أرضية . فكلما يدفن العبد نفسه أرضا سما قلبه سماء فاذا دفنت النفس تحت الثرى وصل القلب الى العرش) ولقد حرص العارف سهل على ان يصل الى تلك الغاية السامية وهى وصول القلب الى العرش فجاهد نفسه حتى دفنها تحت الثرى فنال ما أمل . وكما جاهد نفسه فقد حارب ابليس وقطع عليه الطريق الى قلبه حتى أيس اللعين منه . ولقد تغلب على الشيطان بالعلم الذى كشف به عقبات الطريق . فهاهو ذا يقول : **(مامن قلب ولا نفس الا والله مطلع عليه فى ساعات الليل والنهار فأيما قلب أو نفس رأى فيه حاجة لسواه سلط عليه ابليس)** فالسبيل الى تطهير ساحة القلب من عدوه ابليس انما هو بتعلق القلب بالله بالمراقبة والذكر [**واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله)** ولقد كان العارف سهل دائما مع الله ساجد القلب صفى الروح . ولقد سلك هذا الطريق بأسلحة الجهاد الروحى وأوصى غيره بالتذرع بهذا السلاح قائلا : **(اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة الا بذبح نفسه بالجوع والصبر والجهد لفساد ماعليه اهل الزمان)** ولا يغيب عن الذهن ان هذا المنهج للجهاد الروحى انما هو منهج خاص لايتأتى الا لمن

لديه الاستعداد الشخصى له · ولقد وصل به الصوفية الى ماوصلوا من مراتب الحب الالهى والترقى الى مقامات اليقين والمشاهدة ومما يشير الى مكانة القطب التسترى بعد أن طبق منهجه السلوكى فى الطريق : تلك الواقعة التى ذكرها الامام الشعرانى رضى الله عنه فى طبقاته اذ يقول عن العارف سهل : (وكان رضى الله عنه يقول : أنا حجة الله على الخلق وأنا حجة على أولياء زمانى · فبلغ ذلك أبا زكريا الساجى وابا عبد الله الزبيرى فذهبا اليه فقال له أبو عبد الله الزبيرى — وكان جسورا لانه ضرير — بلغنا عنك انك تقول : اناحجة الله على الخلق وأنا حجة الله على أولياء زمانى فبماذا صرت ؟ هل أنت نبى أو صديق ؟ فقال سهل : لم أذهب حيث ظننت ولست أنا نبيا · انما قلت هذا لاننى صححت أكل الحلال دون غيرى . فقال له أأنت صححت الحلال ؟ قال نعم · لا آكل دائما الا حلالا · فقال له الزبيرى وكيف ذلك ؟ فقال له سهل : قسمت عقلى ومعرفتى وقوتى على سبعة اجزاء فأترك الاكل حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فاذا خفت ان يذهب ذلك الجزء وتتلف معه نفسى أكلت بقدر البلغة خوفا ان اكون قد اعنت على نفسى ولترد على الستة الاخرى فبهذا صح لى الحلال . فقال له الزبيرى : نحن لا نقدر على المداومة على هذا ولا نعرف أن نقسم عقولنا ومعرفتنا وقوتنا الى سبعة أجزاء واعترفا بفضل سهل رضى الله عنه) · هذا عن جانب من جوانب السمو الروحى عند العارف سهل وهو جانب تحرى الحلال بتلك الدقة الخارقة . وهو يعلل لهذا التحرى الدقيق للمطعم الحلال وبالقدر الضرورى بقوله (**انما حجب الخلق عن مشاهدة الملكوت وعن الوصول بسبب سوء المطعم وأذى الخلق**) ومرة اخرى يقول (الدنيا حرام على صفوة خلق الله لا يتناولون منها الا بقدر الضرورة) · بعد هذا يحدد لنا الامام سهل أصول هذا الطريق الصوفى قائلا (**أصولنا سبعة : التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه سلم وأكل الحلال وكف الاذى ، واجتناب المعاصى ، والتوبة ، وأداء الحقوق**) بهذه الاصول السبعة يتحقق العبد بولاية الله تعالى لانه قد وافق فى افعاله ما يحبه الله من عبده · والعارف سهل يقول حين سئل عن الولى : (**هو الذى توالت أفعاله على الموافقة**) · وبنسبة الولى الى الله تعالى فان فى معاداته محاربة لله عز وجل كما جاء فى الحديث القدسى (**من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب**) · وتأكيدا لهذا المعنى يقول سيدى سهل (**اياكم ومعاداة من اشهره الله بالولاية فانه كان بالبصرة ولى فعاداه أهلها وآذوه فغضب الله عليهم فهلكوا أجمعين فى ليلة**) وفى مقابلة التحذير من المعاداة يكون الترغيب فى الموالاة اذ يقول الامام سهل : (طوبى لمن تعرف بالاولياء فانه ربما استدرك مافاته وان لم تستدرك شفعوا فيه لانهم اهل فتوة) . ذلك حديث الاولياء من قطب الاولياء سيدى سهل بن عبد الله الذى اقام فى مقام البقاء بعد الفناء حيث كان مع الله بقلبه ومع الخلق بجسده وعقله ومن ثم أطلق عبارته النافذة الى شغاف القلوب (لى أربعون سنة أكلم الله والناس يظنون أنى أكلمهم) انه لم يخاطب فى الخلق الا تجليات الحق فهو فان فى الحق باق به معه فى الخلق ولسان حاله يقول :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى
وابحت جسمى من اراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس
وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ولقد وقف العارف سهل على أسرار الفهم اللدنى لكتاب الله تعالى فألف تفسيرا موجزا للقرآن الكريم عرف بتفسير التسترى · وفى هذا التفسير من دقائق الفهم فى كتاب الله تعالى مالا يصفه واصف انظر اليه وهو يفسر معنى الاخلاص فى قوله تعالى (دعوا الله مخلصين) : الاخلاص هو المشاهدة وحياة القلب فى شيئين : الايمان فى الاصل والاخلاص فى الفرع · وان الاخلاص خطر عظيم وصاحبه منه على حذر حتى يصل اخلاصه بالموت لان الاعمال بالخواتيم (**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**) اهـ ومن كرامات هذا الولى العارف انه حصل له فالج آخر عمره فكان اذا حضرت الصلاة زال عنه فاذا فرغ منها عاد اليه · ومنها ان رجلا دخل اليه يوم جمعة قبل الصلاة فرأى فى بيته حية عظيمة فوقف فقال له سيدى سهل ادخل · لا يبلغ العبد حقيقة الايمان وعلى وجه الارض شىء يخافه !! ثم قال : هل لك فى صلاة الجمعة ؟ فقال بيننا وبين الجامع مسيرة يوم · فأخذ بيده فادخله اليه فورا فصليا ثم خرج ينظر الناس خارجين · فقال : أهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل · وكرامات هذا الامام ومناقبه لا تقع تحت حصر وهى مذكورة فى كتب الصوفية وطبقاتهم · (أما بعد) : فهذا امام من أئمة الصوفية سبحنا فى محيط أنواره نلتقط بعض جواهره ودرره لنقدمها للمتعطشين الى الضياء . على أننا لم نقدم الا اقل القليل من ذلك العطاء الكثير الذى هو منحة الله لخواصه الذين هداهم واجتباهم · وعسى ان تشفع لنا هذه الكلمات فى أن نشرف ببركة هذا الولى العارف سيدى سهل التسترى وان نكون فى معيته مع المنعم عليهم من الاولياء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين ·

حمزة الأصفهانى

الدكتور عبده بدوى

هناك ظاهرة لا يخطئها المتتبع لجغرافية الحضارة الاسلامية وهى أن الاسلام حرك السكون الذى كان يغطى العديد من المناطق فاذا كانت بعض هذه المناطق متألقة بالفعل ، فانه يزيدها تألقا ومعنى هذا انه كان حضارة متكاملة يتسرب الى الاصول ، ثم يحرك كل شىء ابتداء من هذه الاصول ولعل علماءنا الاقدمين كانوا على حق حينما كانوا يقولون دائما ؟ انما الامور بأصولها ! »

ومهما يكن من شىء فنحن فى محاولة تعرفنا على « أبو عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهانى .. المولود حوالى ٢٨٠ هـ ٨٩٣ م ، والمتوفى حوالى ٣٦٠ هـ ، ٩٧٠ م » نجد انه ولد فى اقليم أصبهان ونجد ان هذا الاقليم قد تفجر بالمعرفة تفجرا لم يعرفه من قبل ، وقد ظل كذلك « رافدا عقليا » لا ينتهى للثقافة الاسلامية منذ فتح فى عهد عمر بن الخطاب ، ولقد كان ياقوت ثاقب النظرة بحق وهو يقول « ... وقد خرج من أصبهان من العلماء والائمة فى كل فن مالم يخرج من مدينة من المدن - وعلى وجه الخصوص علو الاسناد فان اعمار اهلها تطول ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث وبها من الحفاظ خلق لا يحصون ! »

ولقد عاش حياة بسيطة فى هذا الاقليم ، كما استوعب فيه تلك التيارات المتوهجة التى فجرها الاسلام ، ولكنه لم يكتف بهذه التيارات هناك ، ذلك لانا رأيناه يتنقل فى عدد من مراكز الثقافة الاسلامية ، ثم يستقر به الحال فى بغداد وبخاصة بعد ان خطفت الضوء من الكوفة والبصرة ، وبعد ان راح يصنف لعضو الدولة بن أيوب كتاب « الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية » ، ولقد عرف فى الفترة المبكرة من حياته ان يجلس الى عدد من الشيوخ الكبار فى العديد من العلوم على نحو مانعرف من تتلمذه على الطبرى ، والجواليقى ، والواسطى ، وابن دريد ، والانبارى ، والعكبرى ، والاخفش الصغير ، بل انه كان يدرك ان المعرفة ضالة المؤمن وان عليه ان يسعى سعيا شاقا ومرهقا من اجل ان يتثقف عقله ، ويرهف وجدانه ، ولذلك نعرف فى كتاباته انه اخذ عن كثير من العلماء فمن اقواله فى هذا السن « يقرأ ويكتب الرومية ، وكان لاينطق الرومية الابجهد »

وقد ساعده هذا على ان يقدم لنا عديدا من الكتب مثل تاريخ أصبهان والتشبيهات والتنبيه على حدوث التصحيف والامثال الصادرة عن بيوت الشعر ، وديوان أبى نواس ، والتماثيل فى تباشير السرور ، ومضاحك الشعراء ، والدرة الفاخرة فى الامثال .. وقد تنبه له من وقت مبكر عدد من المستشرقين نذكر منهم « اوجين منقوخ » الذى اصدر كتابا بعنوان « مؤلفات حمزة الاصبهانى » كما نشر « جوتوالد » كتاب « تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء » وقد اعيد طبعه باسم « تاريخ ملوك الارض » .

وقد تنبه له من قبل ذلك علماء العربية فقد قال عنه ابن النديم « كان اديبا مصنفا » كما جاء عنه فى « انباه الرواه على أنباه النحاه » للقفطى « الفاضل الكامل المصنف المطلع الكثير الروايات كان عالما فى كل فن وصنف فى ذلك ، وتصانيفه فى الادب جميلة وفوائده حجة وله كتاب الموازنة بين العربى والعجمى وهو كتاب جليل دل على اطلاعه على اللغة وأصولها لم يأت أحد بمثله »

ويبدو ان « حمزة الاصفهانى » قد شغل عصره وماتلاه من العصور الى حد ان هناك من ينسبه الى الشعوبية بينما ينفيها عنه آخرون ، ودليل الذين نسبوه الى الشعوبية انه اشاد بالفرس كقوله « ولما رأيت الايوان رأيت فى جانب منه قبة صغيرة محكمة العمارة يعرفها أهل الناحية .. فعجبت من قوم كان هذا مذهبهم فى العدل والرفق بالرعية كيف ذهبت دولتهم لولا النبوة التى شرفها الله بعباده وشرف بها عباده »

وهم يقولون انه كان له رأى فى اللغة العربية يقول « ٠٠ وأما سبب وقوع التصحيف فى كتابه العرب فهو ان الذى أبدع صور حروفها لم يضعها على حكمه والا احتاط لمن يجىء بعده ، وذلك انه وضع لخمسة احرف صورة واحدة هى البـاء ، والتاء ، والثاء ، والياء والفنون ، وكان وجه الحكمة فيه ان يضع لكل حرف صورة مباينة للاخرى حتـى يؤمن عليه التبديل ! ثم يقول « فقد بان لمن عقـل وأنصف نفسه ان اعتراض التصحيف فى هذه الكتابة والاعجام ليس الا من ضعف الاساس »

والحقيقة التى يؤكدها تراث الرجل ويـؤكدها تاريخه فى الوقت نفسه ان الرجل كان محبا للاسلام ، وكان ثمرة من ثمراته ، ولكنه فيما يتصل ببعض قضايا الفكر كان حرا وجسورا على عادة المفكرين الكبار ، ومن هذه الحرية والجسارة نفذ اليه حاسدوه والذين عجزوا عن ملاحقته ويكفى للتعرف على منهجه العلمى الذى يقره الاسلام ان نقف عند قوله « ٠٠ وأنا أجيبك عما سألت عنه سالكا فيه طريق الانصاف وتاركا سبيل العناء ، متملصا من ركوب العصبية والركون الى العناء واللجاج وحمية الجاهلية ان شاء الله ٠٠ » وانطلاقا من هذا المنهج فى التفكير نراه ينصف العرب الذين اتهم بمعاداتهم ، وذلك حين نسب اليهم من نسب فاحشة التشبيب بالمذكر ، فهو ينسب هذه الفاحشة ابتداء الى الخراسانيين ، ويعلل هذا بذهابهم الى الحروب مع غلمانهم بعيدا عن النساء .

وقد تنبه الى هذه القضية وفصل فيها كارل بروكلمان حين قال « . . وكان حمزة الاصفهانى فارسيا يفخر بنسبه العجمى لكنه برغم ذلك لم يعاد العرب بل أنصفهم ، وأعلى ذكرهم فلا يجوز ان يعد من الشعوبية كما فعل جولد زيهر فى كتابه عن الدراسات الاسلامية ، كما تنبه لهذا محقق كتابه الدرة الفاخرة فى الامثال عبد المجيد قطامش فقد أكد ان علماء عصره نفسوا عليه لانه أخملهم ويمكن ان نرى اشارة لهذا فى قول القفطى « ٠٠ ولكثـرة تصانيفه ، وخوضه فى كل نوع من أنواع العلم سماه جهلة أصبهان بائع الهذيان، وما الامر والله كما قالوا ! »

وفى ضوء هذا نرى ان من الواجب التعرف على تراثنا وعلى رجالنا ، دون ان تصدنا عنهم تهمة قد تكون الى حد ما مقصودة حتى لا تتكامل النظرة الى حضارتنا وحتى تظل فيها بعض الفجوات ، فالله يشهد ان « ابو عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهانى » لم يكن « بائع هذيان » ولكن كان بائع عرفان ! ٠

« على الثبات فى الحرب »

فى وقعة اليرموك ، وكانت فى أواخر أيام أبى بكر [رضى الله عنه] . وتعد من أعظم المعارك خطرا ، وأجلها أثرا : جمع لها الروم زهاء مائتى ألف جندى ، والمسلمون فى نحو ستة وثلاثين ألفا

ولما تراءى الجمعـان قام كل امير من أمراء المسلمين يحرضهم على الحرب ، ومن هؤلاء معاذ ابن جبل [رضى الله عنه] خطب فى جنده فقال : —

« يا أهل القرآن ، ومستحفظى الكتاب ، وأنصار الهدى والحق ، ان رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالامانى ، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسـعة الا الصادق المصدق ألم تسمعوا بقوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحـات ليستخلفنهم فى الارض كمـا استخلف الذين من قبلهم ،وليمكنن لهم دينهم الـذى ارتضى لهـم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » استحيوا — رحمكم الله — من ربكم أن يراكم فارين من عدوكم ، وانتم فى قبضته ، وليس لـكم ملتحد من دونه ، ولا عز بغيره »

من أقطاب الإيمان

سيدى أبو العباس المرسى

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

بدأ منتصف القرن الخامس الهجرى الى ما يقرب من القرن السابع وقد أصبح بمصر الكثير من أجل العلماء وأرقاهم فى الفكر وانقاهم فى العقيدة وازكاهم فى العقل وأطيبهم فى النفس واطهرهم روحا • برزوا بالتصوف الى مقام لائق من حيث العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم • والبعد عن كل بدعة وضلالة • وقد وضعوا الامور فى نصابها وأرسوا سفينة العلم فى البلاد رسوا راسخا محاطا بالاراء الحرة الكريمة المدروسة لا يهابون ظالما قد جنت يداه بظلم ولا الوشاة المستبدين بلؤم • بل كان سيفهم العلم وما ورد من أحكام القرآن الكريم وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعوا هذا السيف وانتصروا به لله والى الله وفى الله • فزادهم الله قوة فى أيمانهم وطهارة لاجسادهم وساروا على الدرب فوصلوا لنهاية الطريق واتصلوا بالله فأبقى الله سيرتهم وعلومهم بين الناس يتدارسونها حتى اليوم والناس يشيدون بعلومهم ويحفظون لهم كرامتهم بمحبة ظاهرة بين روادهم فى مقرهم الاخير مترحمين عليهم ذاكرين ما خطه التاريخ وراءهم من حسن السيرة وطيب السريرة •

ومن هؤلاء العلماء سبط الشيخ الجليل مولانا وسيدنا ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه • هو الشيخ الجليل والتلميذ الوفى لشيخه : أحمد بن عمر ابن محمد ابو العباس الانصارى المرسى • والذى ورث شيخه فى التصوف والعلوم وقيادة الطريق وقد توفى عام ٦٨٦ هـ بالاسكندرية فى المكان المسمى به الان — والقبر ليس تحت التابوت الموجود فى المسجد مباشرة بل بينه وبين أعلى المسجد مسافة كبيرة يمكن للزائر الخاص أن ينزل فى الدور الاسفل حيث يوجد المكان بالذات •

كان ابو العباس المرسى قد قدم من مرسيه من الاندلس وصحب مولانا ابا الحسن الشاذلى رضوان الله عليه فاصبح بهذه الصحبة مقدما فى معرفة الحديث وحسن الاستنباط للاحكام والمعانى من السنة والكتاب مبرزا فى العلوم النقلية والعقلية وسمع بمصر والشام والحجاز على تحر فى ذلك واحتراز • وله بالتجريد تخلق وبكرامات الصالحين وخدمتهم تحقق • وله فى الادب باع وكرم طباع شهد له شيخه الشاذلى رضى الله عنه **فقال عنه ، لم تر عينى ادب منه** • وكان سيدى ابو العباس المرسى يكرم الناس الطائع والعاصى وربما دخل عليه الطائع فلا يحفل به وربما دخل عليه العاصى فيكرمه ويقول : **الطائع أتى وهو متكثر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل بكسر معصيته وذل مخالفته** • وكان رضى الله عنه شديد الكراهة للوسواس فى الصلاة والطهارة ويثقل عليه شهور من كان على صفته • وذكر عنده يوما شخص بأنه من العلماء والصالحين الا انه كثير الوسوسة فقال له وأين العلم •• العلم الذى ينطبع فى القلب كالبياض فى الابيض والسواد فى الاسود • وله كلام فى تفسير آى الذكر الحكيم فقد قال رضى الله عنه فى قول الله تعالى (الحمد لله رب العالمين) • **علم الله عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه فى أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده فقال (الحمد لله رب العالمين) (أى الحمد الذى حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينبغى أن يكون لغيره وبهذا تكون الالف واللام من كلمة الحمد هى للعهد** • وقال رضى الله عنه فى قول الله تعالى **(اياك نعبد واياك نستعين) احسان أياك نعبد شريعة وأياك نستعين حقيقة •• اياك نعبد اسلام • نعبد فرق • واياك نستعين جمع** • وله فى هذا الموضوع كلام طويل ذكره ابن عطاء الله السكندرى فى لطائف المنن • وقال رضى الله عنه فى قول الله تعالى (أهدنا الصراط المستقيم) **بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل** وقد ذكر ابن عطيه فى تفسيره هذا المعنى ثم توسع سيدى ابو العباس المرسى فقال عموم المؤمنين يقولون **أهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين •• والصالحون يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسالك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل لانهم حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء والشهداء يقولون أهدنا الصراط المستقيم أى ما يثبت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل لانهم حصلت لهم درجة الشهادة وفاتهم درجة الصديقين • والصديق**

كذلك يقول أهدنا الصراط المستقيم ان حصلت له درجة الصديقية وفاته درجة القطبانية والقطب كذلك يقول أهدنا الصراط المستقيم فانه قد حصلت له مرتبة القطبانية وفاته علم اذا شاء الله تعالى أن يطلعه عليه أطلعه ٠٠ وقال رضى الله عنه : فى الفتوة هى الإيمان ٠٠ قال الله تعالى (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) وقال فى قوله الله تعالى حاكيا عن الشيطان (ثم لاتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم)الآية ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لان فوقهم التوحيد وتحتهم الاسلام ٠ وقال عن التقوى فى كتاب الله عز وجل اقسام متعددة : تقوى النار -(واتقوا النار) وتقوى اليوم (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) وتقوى الآنية (واتقونى يا اولى الالباب) (٠٠وقال فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى لا افتخر بالسيادة انما الفخر لى بالعبودية لله) وكان كثيرا ما ينشد :

يا عمرو ناد عبد زهراء
يعرفه السامع والرائى
لا تدعنى الا بيا عبدها
فانه أشرف اسمائى
وقال رضى الله عنه فى قول سحنون المحب لله :
وليس لى فى سواك حظ
فكيفما شئت فامتحنى

كان الاولى به أن يقول فكيفما شئت فاعف عنى اذ طلب العفو أولى من طلب الاختبار وقال عن الزاهد انه جاء من الدنيا الى الاخرة ٠٠ والعارف جاء من الاخرة الى الدنيا ٠٠ وقال العارف لا دنيا له لان دنياه لاخرته وآخرته لربه ٠٠ ثم قال رضى الله عنه : الزاهد غريب من الدنيا لان الاخرة وطنه ٠٠ والعارف غريب فى الاخرة وفسر بعض صحابته معنى الغربة أى أن الزاهد يكشف له عن ملك الاخرة فيبقى للاخرة موطن قلبه وعيش روحه فيكون غريبا فى الدنيا اذ ليست وطنا لقلبه الذى عاين الاخرة فاخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقوبتها ونكالها فيغرب فى هذه الدار : واما العارف فانه غريب فى الاخرة اذ كشف له عن صفات معروفةفأخذ قلبه فيما هناك فصار غريبا فى الاخرة لان سره مع الله تعالى بلا أين ٠

فهؤلاء العباد تعتبر الحضرة معشش قلوبهم ، اليها يأوون وفيها يسكنون ٠ فان تنزلوا الى الخصوص لشهوة ولم يركنوا الى الحقوق بسوء أدب وغفلة بل كانوا فى ذلك كله بآداب الله تعالى وآداب رسله وانبيائه متأدبين ٠ وبما اقتضى منهم مولاهم جل شأنه عاملين رضى الله عنهم وأرضاهم ٠٠ وقال ايضا (مخالطة أهل البدع تميت القلب من كان فيه ادنى بدعة فاحذر مجالسته لئلا يعود عليك شؤمها بعد حين) وقال ايضا (اذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات وتنخرق له العادات فلا تلتفتوا اليه ولكن انظروا كيف هو عند امتثال اوامر الله ونواهيه) ٠

لقد استصحب سيدى ابو العباس المرسى شيخه ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنهما فى رحلتهما للاراضى الحجازية ولما وصلا قنا ٠ واشترى ابو الحسن الشاذلى مكتلا وفأسا وقماشا أبيض وحمله لتلميذه ابى العباس المرسى فسأله ولم هذه الاشياء ونحن غير قادرين على السير بمفردنا فرد ابو الحسن الشاذلى وقال : عند حميسرة سوف ترى وسارا معا حتى وصلا صحراء عيذاب وهى شمال ادفو وعند وادى حميسرة طلب سيدى الشاذلى من ابى العباس أن يملأ الاناء ماء فملأه ٠ وهناك قال ابو الحسن الشاذلى يا أبا العباس الان وقد أعددت لك كل شىء وحفرت هذه الحفرة وسوف القى الله بعد قليل فعليك أن تغسلنى وتكفننى وسوف يحضر اليك رجل يساعدك فى دفنى فلا تسأله من أنت : وتمدد ابو الحسن الشاذلى ونطق بالشهادتين ولقى ربه وقام ابو العباس بتنفيذ كلام شيخه ٠ وأنتظر ورود الرجل الذى سيساعده فى حمل الجثة ودفنها ٠ ثم وصل ورد السلام وأجابه ابو العباس ثم سأله من أنت ٠ فأجابه انا ابو الحسن الشاذلى هكذا الروح (وأشار الى نفسه) وذلك الجسد (وأشار الى جثته الملقاة على الارض) وساعده فى دفن جثته ومقامه هناك معروف وببركته عمرت هذه الصحراء وازدهرت بالزائرين كل عام فى عيد الاضحى - واستمر ابو العباس الى الحجاز بعد دفن شيخه ومكث فيها طويلا ثم عاد الى الاسكندرية والناس فى شوق اليه لانه كان مرآة صادقة لشيخه وغرس حبه ونورانية طريقته ٠ عاد ليجد أناسا قد أوحشهم مكان الشيخ الكبير سيدى ابو الحسن الشاذلى فتربع عليه أبو العباس المرسى ٠ وقد ملأ المكان وأصبح فى العلوم بحرا لا ساحل له ٠ وقد أبلغ ابو العباس المرسى تحيات شيخه للناس قائلا ان آخر وصية وصى بها شيخى وآخر كلمة حملنى أمرها اليكم ٠ قال : قل لاولادى وأخوانى ٠ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) (اعلموا أن المرء يحشر معمن أحب) ٠٠ رضى الله عن سيدى ابى العباس المرسى فلقد كان شمعة مضيئة للمسلمين يهتدى بها الى خيرى الدنيا والاخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله من قيل فيه :

فان من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

من أعلام اليمن

شيخ الإسلام المجتهد
محمد بن علي الشوكاني

الأستاذ قاسم غالب أحمد اليمني

— ٢ —

● والده المواطن والعالم والقاضي
● حياة الشوكاني كطالب وعالم ومدرس
● عبقريته المبكرة
● عصره عصر الثورات الفرنسية والامريكية وسابقة طيبة لعصر جمال الدين والشيخ محمد عبده .

■ ■ ■

ان من مميزات الشوكانى كعالم مجدد مصلح ـ البحث عن الشىء الذى يجمع الشعب اليمنى دينيا وسياسيا واجتماعيا ـ ولو لم يجده فى الرجوع الى الكتاب والسنة والخروج من المذهبية لاوجده فى الادب والفتوى والمدرسة وفى التاريخ والارض والدم الواحد .

والحقيقة التى لا يدخلها الشك أن الشوكانى ترك فى الذهنية اليمنية بصماته الفقهية الحرة بعد أن اختبره الشعب طالبا مواطنا ومدرسا ومفتيا شعبيا .

كما اختبره حاكما حاملا لمسئولية التعبير والتغيير القضائى ايام الامة فى اصعب الظروف فوجده مصلحا عفيفا موسوعى الذهنية . قدم للمواطنين الوصفة التى انتفع بها المواطن باختلاف ميوله وطبقاته حاكما ومحكوما وباحثا وطالب علم . ذلك لانه اخرج البحث الفقهى والتاريخى من التفكير الاسلوبى الموروث الى واقع شعب سنقرأ الشوكانى فى هذا المقال قدرة علمية وقدرة ذكاء كما نقرأه من تسعيراته لابيه ومشائخه وبأى مقياس كان يقيس الرجال ـ فابوه مثلا لم يزنه بميزانه القبلى ولا قياس الثروة والجاه الذى هو ميزان المعاصرين .

ـ والعلماء الذين تتلمذ عليهم وزنهم بميزان الفهم وعدم التبعية وبالشهرة العلمية لا بميزان النسب والاسر والعلم والحكم كالعادة المتبعة ـ والشخصيات التى كتب عنها انما كتبها بأسلوب البحث فى المخلفات والاحصائيات التى تفيد المجتمع فالفتوحات الفكرية عنده والميراث العلمى هى السطور التى يجب ان تسجل . تاركا للاخرين تسجيل الفتوحات بالسيف والمواريث .

، فقد ذكر شيخ الاسلام الشوكانى انتقال والده الى صنعا وطلبه للعلم وحرصه عليه وتبريزه فيه ولم يذكر الظروف والاحوال التى كانت السبب فى نقل ابيه غير انه يقول بان والده اعتذر من توليه القضاء للمهدى عباس فى خولان فلما استوطن فى صنعا قبيل القضاء وبعد ان وصف والده بالاستقامة وبصفات حميدة أخصها الصبر والتواضع والتقوى والتقشف وعفة اليد واللسان قال وكان هذا الوالد بارا بابنه رحيما عليه أعانه على طلب العلم فلم يلجئه الى ما يصرفه عن هذا الطلب .

« القاضى كان ايام الامامة موضع الشبهات !

ويذهب الشوكانى فى وصف والده بعد توليه فيقول وبرغم ان القضاء كان صناعة تدر على اصحابها الكثير من الاموال فقد تنزه الوالد عن الشبهات برغم

انه استمر فى القضاء اربعين سنة وهو لايملك بيتا يسكنه بل انه باع بعض ما تلقاه ميراثا من ابيه من اموال يسيرة فى مسقط رأسه خولان ولم يترك عند موته الا أشياء لا مقدار لها ٠

وصفوه القول ان من عرفه حق المعرفة تيقن انه من اولياء الله ٠ وتوفى هذا الوالد فى عام ١٢١١ هـ بعد ان كان ابنه قد بلغ من العمر الثامنة والثلاثين وبعد ان رآه متوليا للقضاء الاكبر فى صنعا ثلاثة اعوام ٠

« حياة الشوكانى الدراسية والعلمية »

ان المتتبع لتاريخ حياة الشوكانى من كتابه البدر الطالع ومن التاريخ الذى كتبه عنه المؤرخون يجد نوعا جديدا من الجدية فى اول حياة كل طالب علم ٠ فقد كان الشوكانى التلميذ لا يكتفى بدراسة الكتاب مرة واحدة بل كان يتتبع بالكتاب الواحد عددا من اساتذته حتى يستفرغ ما عندهم من مادة كما فعل بشرح الازهار ومتنة اللذين نقدهما نقدا مرا فى آخر حياته

فقد قرأ المتن والشرح فقه الشيعة الهادوية على اربعة من العلماء ٠٠ احدهم والده وأخرهم شيخ الفروع احمد بن محمد الحرازى الذى لازمه ثلاثة عشر عاما ٠٠ نستمع الى الشوكانى يصف هذه الدراسة فهو يقول درسته مرتين الى ما تدعو الحاجة والثالثة استكملت الدقيق والجليل من ذلك مع بحث وتحقيق ٠

« مشائخه »

وقد عدد الشوكانى مشائخه الذين يعتز بهم فقال انهم ثلاثة عشر شيخا درس على بعضهم كتابا واحدا والبعض الاخر تتلمذ عليهم فى عدد كبير من امهات الكتب ولم يترك واحدا منهم دون ان يستقصى ماعنده من معرفة الا واحدا فقط قال عنه انه انتقل الى جوار ربه قبل ان يستكمل دراسته على يده هو الشيخ عبد القادر بن احمد فقد قرأ على يده سنن النسائى وابن ماجه وصحيح مسلم وصحيح البخارى وسنن الترمذى وبعض الموطأ والمنتقى وجامع الاصول كما سمع منه كثيرا من الاحاديث المسلسلة ٠ وفى الفقه قرأ على يده ضوء النهار على الازهار وجمع الجوامع مع شرحه والقلائد فى الاصول كما قرأ الصحاح والقاموس فى الصحاح والجزرية وغيرها فى العروض واذا كان الشوكانى يفخر بهذا الشيخ وبغيره من المحققين فانما لما يجده عند هؤلاء المشائخ من سعة العلم فى الكتاب والسنة الى ما يجد نفسه انه قد تساوى عندهم مع كبار زملائه واساتذته امثال القاسم بن يحى الخولانى وعلى بن عبد الله الجلال وعبد الله بن محمد الامير .

نوعية الدراسة والبحث العلمى

واذا كان الشوكانى مع استاذه عبد القادر خاصة لا يرقى بنفسه الى اكثر من تلميذ على عتبات شيخ كبير فقد كانت الدراسة انذاك اقرب الى المناظرات والابحاث الجامعية منها الى اى شىء اخر ـ وكانت القرارات جميعها والدراسات تجرى فيها من المباحث الجارية على نمط الاجتهاد ٠ ولربما انجر البحث الى تحرير رسائل مطولة ٠ يقول الشوكانى التلميذ وكنت احرر مايظهر لى فى بعض المسائل واعرضه على شيخى فان وافق ما لديه من اجتهاده فى تلك المسألة قرظه تارة بالنظم الفائق وتارة بالنثر الرائق وان لم يوافق كتب عليه ثم اكتب على ما كتبه ثم كذلك فى بعض المسائل التى وقعت فيها المباحثة حال القراءة ٠٠ كان هذا الذى يجرى بينه وبين استاذه وبينهما هذه الفروق ٠

« من الفروق »

فعبد القادر بن احمد حفيد لامامين من ائمة الهادويه لاحمد بن يحيى صاحب متن الازهار بل صاحب المذهب الهادوى الشيعى وحفيد لشرف الدين ٠

والشوكانى التلميذ ابن الشعب ابن آدم وحواء وابن قرية من قرى خولان

ـ الاستاذ فى عشر السبعين والتلميذ فى عشر الثلاثين الاستاذ اعلم علماء اليمن فى الكتاب والسنة والتلميذ مبتدىء حائر فى المذهبية ٠٠ يقول الشوكانى فى كتابه البدر الطالع وانى لأذكر وانا فى الكتاب مع الصبيان انى سألت والدى رحمه الله عن اعلم من بالديار اليمنية انذاك فقال فلان يعنى عبد القادر .

ـ فاذا لم يصل الشوكانى الى درجة المجتهد الداعى للوحدة تحت مذهب الكتاب والسنة وترك المذهب الذى يفرق فمن ذا يكون اذا ٠

« عبقرية مبكرة »

والذى خطى بالشوكانى هذه الخطوات السريعة فاهله للمكانة العلمية الرفيعة المبكرة انما هو ذكاؤه الفطرى بالاضافة الى تكامل شخصيته ودأبه على التحصيل فقد يظن ظان ان ماكان يجرى بينه وبين عبد القادر انما هو شىء فريد بين الاستاذ والتلميذ ولكن الشوكانى كان قدرة فى كل الفنون الامر الذى اقر له بها كبار العلماء فى اليمن ٠٠ فهذا هو ابراهيم بن محمد بن اسحق يسأله اسئلة متعاقبة بقصد الاستيضاح العلمى والاختبار وبعد ان يجيب عليها الشوكانى نثرا ونظما انجذب اليه فمدحه بالشعر الاتى من قصائده

أيا بدر دين الله هنئت أولا
بفهمك ان الفهم اقوى الدلائل
بلغت به شأوا رفيعا ومحتدا
ونلت به ما لم ينل كل نائل

اليس الشوكانى العالم الشاب جديرا بهذه التهنئة من العالم ابن اسحق الذى كشف عن ابرز مميزاته الا وهو الفهم ٠

وكتب اليه السيد لطف الله بن احمد جحاف
الى بحر علم نداه تدفقت
جداول تحقيق بها استعذب الورد
فتى ماربى الا بحجر التقى ولا
نشا فاضلا الا وشيمته الزهد
فما انجزت اقلامه غير معجز
ينمق فى تحقيقه الجوهر الفرد
هو البحر والبحر الذى علم صدره
يفيض على الطلاب ان جذر المد

وفى هذا الجو اليمنى الحر . الجو العلمى الذى اسسه الشوكانى ينقسم العلماء فيه بين مشجع معجب وحاسد مبغض يبقى فيه صوت المعجبين ويموت صوت الحاسدين ويتسابق حتى الوزراء فى ابداء رايهم فى مدرسة الشوكانى الحره .

فهذا وزير المنصور - الاديب محمد بن احمد بن خليل الهمدانى - يقول من قصيدته التى ارسلها للشوكانى

حجة العصر ابلغ الناس بالاجماع منهم معارف وخطابه
خير من شرف الاله معاليه وزكى بين الوراء انتسابه .

والعالم الشهير السحولى يشيد بالشوكانى مدرسا فيقول :

يا انفع الناس فى التدريس فى البلد
وباذلا نفسه فى طاعة الصمد
بقيت تحيى ربوع العلم مجتهدا
فى نشرها عن اولى التحقيق والسند

مدارس الكتاب والسنة

بعد ان عرفنا الشوكانى تلميذا وعالما وباحثا كان لابد لنا ان نعرف حروف الابجدية التى انشأ عليها مدرسته ومدارسه - ليوجد فى اليمن العالم المجتهد الواثق بالله وبنفسه بنفس المناهج الدراسية التى خرجت عمر بن الخطاب وعلى ومعاذ وعبد الله بن عباس وزيد وغيرهم من العباقرة مؤسسى الفقه الاسلامى لذلك فقد تلقى الشعب اليمنى كل كتب الشوكانى ورسائله وفتاويه واستمع اليمنى لتلاميذه فى كل أنحاء اليمن شماله وجنوبه .

وتكونت المدارس الكثيره فى كل من صعده وصنعا واب وزبيد وتعز واقبل طلاب العلم يلتهمون مؤلفاته بنفس الاقبال الذى قابل الشعب بها فتاويه وتوجيهاته تاركين كبار العلماء والقضاة حتى اولئك الذين يجمعون بين سؤدد العلم وسؤدد النسب متجهين الى عالم شاب صغير من عامة الشعب والتفت حول هذا الشاب ثقة الطالب والمستفتى من شمال اليمن وجنوبه .

ورغم ما احاطت بالشوكانى من ظروف البيئة وتعقيد المجتمع وتفتيته ورغم الحروب التى شنها عليه الجاحدون والحاقدون فقد قابل كل ذلك بشجاعة الفقيه المؤمن بعدالة ما يدعو له .

وسنخلص من كل هذه الدراسة الى ان الشوكانى كان خاتمة مشرقة مضيئة لصراع فكرى طويل تطل المدرسة الاسلامية منه على افاق وسيعة من الابحاث القيمة والاراء الجريئة والسماحة السمحاء ومايقابل كل ذلك من عصبية متعصبة عميا ومذهبية اشرعت السيف فى وجه المخالفين حتى أروت السيوف وأترعت سفوح الجبال بالدماء - ولا نعدو الحق اذا قلنا ان الشوكانى كان خلاصة لتاريخ اليمن الفقهى والسياسى ومما يزيد الباحث قربا والتصاقا بكتب الشوكانى ان يدرس دراسة متعمقة كتبه الى جانب دراسة تاريخ اليمن بتعمق منذ بدأ الصراع المذهبى السياسى فى اليمن .

مواجهة عصور الجمود والانفجار

وقد وجد الشوكانى فى عصر كان الخارج على المذهب السياسى الحاكم فى اليمن كالخارج من الاسلام - عصر كانت حتى المدرسة فى المسجد التى تدرس المذهب الشافعى والحنفى والمالكى تعتبر الذى ينادى بكسر قيود التقليد ويدعو الناس الى الاجتهاد مبتدعا كما كانت هذه المدارس ايضا تعتبر هذا الخروج اى خروج حتى عن النص نص المتن نص الشرح والحاشية أو التقرير ترديا فى هوة لاتؤمن سلامة العقيدة معها .

عصر كان السجع المقيت والمحسنات البديعيه المفتعلة والجمود الفقهى والاهواء السياسية يجعل من الفقيه والشاعر والكاتب اتباعا اذلاء للحاكم اياكان نوعه واتجاهه ومستواه العلمى عصر تطمس فيه الافكار بالارهاب الفكرى والسياسى - كانت اطماع الامامه والخلافة التركية ودعاة الشركات والتوسع الاجنبى تسوق المجتمع اليمنى بعيدا عن البحث العلمى .. جماعات من عصور الضغط تغير على الفكر والاسلوب فى اليمن العربية المسلمة اجبرت الافكار الناشئة المتحررة الى الهزيمة امام التفكير المستقل فى كل شىء

الشوكانى وظواهر مجتمعه المتخلفة

ولو اتيح للشوكانى ان يتخطى كل هذه الاسوار من العصور التى سبقته والتى احاطت به - نقول لو اتيحت للشوكانى وسائل النشر الحديثة لمؤلفاته وافكاره كما أتيح لغيره من العلماء الاحرار فى الاقطار الاخرى - بل نقول لو أتيح للشوكانى مجتمعا متماسكا هادئا قابل لهضم الاراء مجتمع غير ممزق بالخلافات المذهبية السياسية وبالقبلية والاسرية المستغلة للخلافات لكانت لافكاره الحرة ثورة علمية ولكانت نهضة فكرية .

ويكفى ان نعلم ان الشوكانى ولد فى عام سنة ١٧٦٠ ميلادية وتصدر للافتاء والتدريس فى سنة ١٧٨٠ ميلادية فكان معاصرا للثورة الامريكية وللثورة الفرنسية وسابقا لثورة عرابى وملهما جمال الدين الافغانى والامام محمد عبده بمائة عام .

بطل من ليبيا

الشهيد عمر المختار

فضيلة الشيخ محمد على الطعمى

كم للاستعمار من مآس مخزية خلفها فى الشعوب العربية الطيبة ؟ وكم له من رواسب عفنة تركها فى ارضنا ، أرض النبوات ومهد الرسالات ؟ وكم له من مؤامرات دنيئة دبرها فى هذا الوطن الابى الشامخ ، فاثرت على مستقبله الزاهر العظيم ؟

لقد كان القرن التاسع عشر ، قرنا حافلا بالمظالم والمساخر بالنسبة للامة العربية ، التى لاقت فيه كثيرا من سوء الحكم وغباء المستعمر ، واضطهاد الاحرار ، وارتكاب الجرائم وابتزاز الاموال ، وسفك الدماء وخراب الديار ..

فى هذا القرن تحالف الاستعمار مع الاستعمار ، على تمزيق الوطن العربى وتفتيت وحدته ، وتقسيم ارضه والرجوع به الى الوراء ، ليعيش مكبلا ذليلا ، لا يستطيع أن يحيا أو يموت ..

وكان من نصيب ايطاليا ان تاخذ ليبيا لقمة سائغة ، وتحتلها احتلالا واقعيا ، فتحرك اسطولها بعدده ومعداته ، وعلى مدينة بنغازى وطرابلس صوب مدافعه ، فتنفست بالبارود والحمم والنار فصارتا أكواما من رماد ..

ويومها طاطات تركيا رأسها ، فقد كانت تحكم ليبيا باسم الباب العالى والخلافة الاسلامية ، ويومها كانت تركيا مشغولة بنفسها وبالانقلابات الداخلية التى دبت فيها ، وجعلتها مسرحا للمتاعب والقلاقل ، ويومها كان الخليفة العثمانى ، محموم العقل ، مضطرب القلب ، مشدود الاعصاب ، لا يستطيع ان يجلب لنفسه نفعا ، ولا يدفع عن غيره ضرا ، فالاحداث تتالت عنده وراء الاحداث ، والايام اخنت عليه بكلكلها ، فاصبح صورة مهزوزة فى نظر المجتمع الدولى الكبير ....

من أجل هذا وذاك أحنى الخليفة راسه للعاصفة الهوجاء التى هبت عليه من بلاد المغرب ، ولم يتمكن من الصمود فى وجهها ، واصبحت البلاد التى يحكمها تركة قابلة للتقسيم ، بل تركة يقال على صاحبها « الرجل المريض » فوزعت رغم انفه ، وهو حى يرزق وموجود ..

ومن اعجب العجب ، واسخف السخف ان ايطاليا بررت احتلالها بحجة وهمية ، وادلة تقوم على السلب والنهب والاحتيال ، فقالت ان لها حقا شرعيا فى تلك البلاد ، يرجع تاريخه الى الفين من السنين ، وان جدودهم الغابرين ، وآباءهم الاولين كانوا يملكون الارض الليبية ... والمستعمر دائما له اسلوب واحد لا يتغير ، يزعم فيه ان وطنه الاصيل كان هنا ، واغتصبه العرب فى قديم العصر والاوان ، كقصة الذئب والحمل التى ترويها الكتب ويعرفها الكبار والصغار ....

والمهم ان نقول هل استسلم الشعب الليبى البطل لهذا الغزو المسلح السافر ، الذى يعد ابشع غزو من نوعه فى التاريخ القديم والحديث على حد سواء ؟ ...

الواقع يقول ان الشعب الليبى رفع راية الجهاد ، ودافع عن ليبيا ، وعن تربتها وصحرائها ومياهها ، وتزعم حركة المقاومة رجل شديد البأس قوى العزم ، نظيف اليد والقلب واللسان ، انه الشهيد عمر المختار الذى تجاوز عمره الخمسين عاما ، واستطاع بوطنيته الصادقة ان يؤلف الكتائب من شعبه العنيد الهادر ، واستطاع باخلاصه ان يهاجم قلاع الايطاليين وحصون المستعمرين ويلقى فى قلوبهم الروع الذى سلبهم الطمانينة وجعلهم لاينامون..

واحس الاستعمار بصدق هذا الرجل وخطورته ، فنشرت صحفه فى ايطاليا تقول «ان عمر المختار أشجع الرجال الليبيين وأجرؤهم وأعرقهم فى الاخلاص » لذلك دبروا له المكايد وعقدوا العزم على اغتياله ، فعلم عمر المختار بنواياهم ، فاحتاط لنفسه ونجا منهم باعجوبة لم تخطر على بال ...

وفى الجبل الاخضر تحصن هذا البطل مع الفدائيين الذين لبوا نداءه من كل فج ، ووقفوا بجواره ذائدين عن حماهم الذى لوثه الاحتلال البغيض ، وقد تمكن عمر برجاله من ان ينفذ الى جيش العدو الايطالى ، وان يصليه نارا حامية وان يضاعف خسائره فى الارواح والسلاح ، فوجه انذارا رسميا الى عمر المختار يقول فيه « اذا قاومت مرة ثانية سيكون مآلك الدمار » ولكن القائد كان مخلصا لربه وعروبته ، وكان مخلصا فى جهاده ونضاله ، فلم يلتفت الى الانذار ، وواصل عملياته الحربية أضعاف ما كانت عليه ، فاهتز الايطاليون وفر جيشهم المزود بجميع انواع الاسلحة الحديثة ... وجاءت موقعة المعمورة ، وفيها هب الشعب الليبى عن بكرة ابيه ، وفيها تصدى الشباب الليبى والشابات الليبيات لايهابون القنابل الحارقة ، ولا المدافع الضاربة ، وفيها استمات المواطنون العرب فى سبيل حريتهم وبذلوا المهج التى لا تبذل الا فى سبيل الله ، وفيها أحس العدو بانه يجابه شعبا عنيدا لايقهر ، فلجا الى الدس والخداع ، وهذه الوسائل الخسيسة تكون سلاحه الاوحد عندما يفقد القوة ويشعر بالهزيمة وخيبة الامال ....

وارسل الايطاليون مندوبا عنهم ليفاوض عمر المختار فى الشروط التى يريدها ، والحقيقة أنهم كانوا يريدون هدنة زمنية يستريحون فيها من الجهد الذى اصابهم ، والمطاردة التى كانت لهم بالمرصاد ، حتى اذا جددوا قواهم المنهوكة استانفوا الحرب من جديد ، لكن عمر المختار قال لهم « ليس عندى شروط امليها

عليكم سوى ان تخرجوا من بلادى العربية ، وتتركوها حرة طليقة كما خلقها الله » ...

وسافر المندوب السامى من ليبيا متظاهرا بانه سيستشير حكومته ، وبعد اوبته قال ، ان حكومتى الايطالية قررت ان ياخذ عمر المختار ما يشاء من الذهب ، وما يشاء من العقار وما يشاء من السلطة ، شريطة ان يتخلى عن جهاده المقدس الذى يدعيه .. وركل عمر المختار هذه العروض الرخيصة بقدميه ، واحتقرها مع وفرتها ، وقال للمستعمرين ان الوطن لايباع بثمن ، وهو اعز من الارواح والاموال ، ولا يمكننى بوسيلة او اخرى ان اخون قضية وطنى ، واسجل على نفسى خيانة ابدية تلوثنى كعربى .. وتوصمنى كرجل شريف ...

واستانف عمر المختار القتال رغم ان عمره كان تجاوز الثمانين عاما ، استانفه بعزم ومضاء ، الامر الذى جعل ضحايا الايطاليين تتزايد ، وخسائرهم تشكل خطرا جسيما لا يطاق ..

ماذا يفعل العدو مع رجل مكافح تزعم حركة المقاومة ، ومن ورائه شعب ثائر لا يرهب الموت الزؤام ؟

فكر الاستعمار مليا واطال التفكير ، فلم يجد الا عملا دنيئا يستطيع ان يتخلص به من هذا الزعيم المناضل ، فرصد له كتيبة باكملها من الجنود ، اخذته على غرة بالرصاص ، فاصابت جواده فنفق ، ثم تتابع الرصاص على عمر فوقع على الارض جريحا ، فجرى اليه أعداؤه وأوثقوه بالحديد وساقوه أسيرا .

والاستعمار له خبرة واسعة بتدبير الجرائم ، وله خبرة واسعة بحبك خيوطها واتقان دورها ، ومن خسته بفلت المجرم الحقيقى ، ويأخذ البرىء المحق الى قفص الاتهام ..

وسيق عمر المختار الى محكمة مزيفة كان قضاتها ايطاليين — فدافع عن قضية وطنه بشهامة ، واتهم الغاصبين بالقرصنة والخطف والمساومة ، وقال لهم بصوت مرتفع ، لو كان لكم ضمير تعرفون به شرف العدالة ونزاهة الحكم ، لوضعتم انفسكم فى قفص الاتهام ، ولكن من اين ياتيكم الضمير وانتم لصوص اغبياء ؟؟ وتغيظت هيئة المحكمة من دفاع الرجل ، وحبه لبلاده وقوة منطقه واصراره على الكفاح ، فحكمت عليه بالاعدام رميا بالرصاص ، فسخر عمر من الحكم ، وقال لهيئة المحكمة « ان ضربى بالرصاص تقدير جليل » ..

وفى سنة ١٩٣٢ نفذ حكم الاعدام فى عمر المختار ، فوقف امام الجلادين بايمان وثبات ، وقبل ان يطلق عليه الرصاص قال « ان الموت فى سبيل حرية الوطن ، افضل من الحياة المليئة بالمذلة والهوان » ..

وزعم الاستعمار ان قتل عمر المختار سينهى المقاومة ، ويخلق الذعر فى بقايا المواطنين ، ولكن النتيجة كانت عكسية ، فقد ابى الشعب الليبى ان يستكين للغاصب وشنها حملة جبارة عليه ، جعلته يترنح ولا يستقر له قرار .

ومن هذا التاريخ الحافل بالمآسى والشعب الليبى يجاهد الغاصبين الذين تتالوا عليه تباعا ، حتى قامت ثورته المباركة ، ثورة الفاتح من سبتمبر ، فاطاحت بالفساد والمفسدين ، وازالت بقايا القواعد الاستعمارية الامريكية والبريطانية ، التى كانت سيفا مصلتا يهدد البلاد العربية ..

ولقد بارك الشعب الليبى ثورته العظيمة ، وباركتها الامة العربية ، وتمنت لها المزيد من القوة والتقدم والازدهار ...

وفى موكب الثورات والحريات ، وفى موكب الزحف المقدس الهادر ، ينبغى علينا أن نطمئن عمر المختار فى قبره ، ونقول له نم قرير العين جزلان ، فقد انتهى الاستعمار من ليبيا شكلا وموضوعا ، وان دمك الزكى الفوار الذى دفعته ثمنا لشجرة الحرية ، أنجب فتية كراما شجعانا ، قاموا بثورة بيضاء جعلت ليبيا لليبيين ، وجعلت العلم الليبى يرفرف حرا طليقا من غير شروط وقيود ، والشعوب دائما لن تموت ..

سلام على عمر المختار فى الخالدين ، سلام على كل شهيد قدم روحه قربانا لوطنه العربى الثائر ، سلام على الذين يؤازرون قضيته الكبرى بالمال والرجال ...

فى ذكرى أديب العروبة والإسلام

من الارزاء الكبرى التى تصيب بين الفينة والفينة امة من الامم أو مجتمعا من المجتمعات وفاة رجل ذى قيم وذى أخطار فاذا انماز هذا الرجل ذو القيم والاخطار بقدرات وهبها متفردا او متفوقا فتلك اذن هى كبرى المصائب التى تحدث فى الامم والمجتمعات الاثر الذى يحدثه فى الطائر انحطام جناح وفى السامر انطفاء مصباح ومن هذا الضرب من الرجال فقيدنا الخالد الذكر (على أحمد باكثير) ذلك لان الفجيعة فيه ليست مقصورة على بلادنا هذه ولكنها متعدية بنفس الموازين الى سائر البلاد العربية التى رادها الى مراقى الكمال بفنه وآرائه وكتبه كعلم من أعلام العروبة والاسلام وداعية من دعاة الحق والخير والسلام وموسوعة كبرى فهو الاديب المطلع الرائد والشاعر المجيد والناقد البصير والمؤرخ الثبت والقصصى البارع والمسرحى العملاق وهو قبل ذلك كله العربى المناضل والمجاهد الصادق والداعية المسلم والمصلح صاحب الرسالة وآية ذلك كله ما الفه فى كل هذه الفنون وكأنه متفردا فيها وما أثرت به حياته الخصبة من سبق فى الفكرة ووفرة فى الانتاج وصمود فيما اعترض حياته هذه منذ طفولته حتى آخر ايامه من صراع .

وقد علمنا فيما درسناه عن (على أحمد باكثير) انه ولد فى حضر موت عام ١٩١٠ وعاش فى أسرة تنتظم والدين وثمانية ابناء وقد كان والده (أحمد باكثير) يجوب البلاد العربية وما يحيط بها من بلاد الشرق فى تجارة يعود بخيراتها الى موطنه الى

على أحمد باكثير

الأستاذ على الجمبلاطى

حضر موت وأخيرا استقر هذا الوالد فى (سورابايا) بأندونيسيا ومعه اسرته ومنها (أديبنا العملاق) الذى كان آنئذ فى الثامنة من عمره وهناك مارس التجارة مع والده بجانب نزوعه الى العلم والادب وكان قد حفظ الكثير من القرآن الكريم وتلقى اصول اللغة العربية على بعض الشيوخ فى حضر موت وقرأ الكثير من الشعر وتأثر به فظهرت مواهبه الشعرية فى تجارب محدودة تأثر فيها بشاعرى العروبة الخالدين (المتنبى وشوقى) وفى موطنه الجديد راح ينمى مواهبه فأتم حفظ كتاب الله واتقن اللغة الانجليزية حتى تفوق فيها وهنا تزوج رحمة الله وعاش حياة أسرية سعيدة مع شريكة حياته ولكن القدر فجعه فيها فلم يعد يطيق العيش فرحل الى الحجاز عام ١٩٣٢ وطاف فى طريقه اليها باليمن والحبشة والصومال البريطانى وفى الطائف أقام فترة مارس فيها هوايته الادبية فكان من نتاجها اولى مسرحياته (همام او فى بلاد الاحقاف) وفى عام ١٩٣٤ رحل الى القاهرة والتحق بكلية الاداب قسم اللغة الانجليزية ولم يقف (باكثير) عند التحصيل الدراسى بل توهجت مواهبه حتى كان له مكانه المرموق فى الاوساط الادبية التى شارك فيها بأدبه الفذ وكان ان ترجم (روميو وجوليت) لشكسبير وهى أولى الخطوات فى الشعر المرسل كما يقول وأراد ان يكمل الشوط فى هذا الفن الجديد الذى راده فأخرج مسرحية (أخناتون ونفرتيتى) من الشعر المطلق الحديث وكان لا يزال بالسنة النهائية بالكلية عام ١٩٣٨ وقد تعرض حينئذ لهجوم عنيف لابتداعه هذا الفن ولكنه لم يحفل كعادته بما يعترضه من صعاب ما دام يؤمن بما يعمل وانتهى من دراسته ليعمل بالتدريس فى مدرسة الرشاد الثانوية بالمنصورة فى عام ١٩٤٠ ولكنه كان وثيق الصلة بالقاهرة بمن فيها من ادباء وشعراء وكتاب وما تعج به من مناشط ادبية وثقافية واخيرا نقل الى القاهرة وأخذ طريقه فيها كما نعلم اذ ترك التدريس عام ١٩٥٥ وعمل بوزارة الثقافة بعد أربعة عشر عاما قضاها معلما منها سبعة بالمنصورة وسبعة بالقاهرة وأخيرا اصبح مدير المكتب الفنى للرقابة على المصنفات الفنية حتى فقدته العروبة وخسره الاسلام فى العاشر من نوفمبر ١٩٦٩ بعد رحلة ثرية سار فيها على الشوك ليثمر لنا الورود التى لا تفنى مع الزهور

ولعلنا فى حاجة لننطلق الى ابحاثنا عن (باكثير) كأديب العروبة والاسلام ان نقف على مفهوم فقيدنا الشامخ لكل من العروبة والاسلام وقد اوضح لنا ذلك فى مقدمته لمسرحيته الشعرية (اخناتون ونفرتيتى) فقال : ولعلنا ابناء العرب واحفاد الفراعنة والبابليين والاشوريين والفينيقيين والقرطاجيين وعاد وقوم تبع وورثة تلك الحضارات كلها التى توجتها العناية الالهية بالحضارة المحمدية لتشهد الدنيا منا خير أمة أخرجت للناس ولنكون شهداء على الامم نتعظ فيما نتعظ به من أحداث تاريخنا الاكبر وسير رجاله وأبطاله بحياة جدنا هذا العظيم وما أصابه فى جهاده من نجاح ومن اخفاق فنتعلق بأسباب الاول ونتقى مهاوى الثانى ونزداد فى الوقت نفسه ايمانا بوحدتنا

الكبرى تحت زعامة مصر الناهضة موئل الفصحى وملتقى آمال العرب تلك الوحدة التى يؤيدها الماضى ويقتضيها الحاضر ويتهلل لها المستقبل لصالحنا وهذا هو معنى العروبة ولصالح الانسانية جمعاء وهذا هو الاسلام) ومن هذا المنطلق لمعنى العروبة والاسلام عند اديبنا الملهم نستطيع أن نفسر طابعه الفكرى فيما ترك لنا من تراث مذخور فهو فى قصته المعجزة (واسلاماه) يجلو لنا صفحة رائعة من صفحات التاريخ المصرى فى عهد من أخصب عهوده وأحفلها بالحوادث الكبرى والعبر الجلى يطل منها القارىء على المجتمع الاسلامى فى أهم بلاده من نهر السند الى نهر النيل وهو يستيقظ من سباته الطويل على صليل سيوف المغيرين عليه من تتار الشرق وصليبى الغرب فيهب للكفاح والدفاع عن أنفس ما عنده من تراث الدين والدنيا ويشاء الله ان تحمل مصر لواء الزعامة فى هذا الجهاد الكبير فتحمى تراث الاسلام المجيد بيومين من أيامها عظيمين كلاهما له ما بعده يوم الصليبيين فى فارسكور ويوم التتار فى عين جالوت وهكذا يختتم مقدمته فى مسرحيته (همام او فى عاصمة الاحقاف) فيقول (انه ما كان يقصد الا ارضاء الحق وخدمة الامة الحضرمية ويقدمها لغيرهم من الناطقين بالضاد فى الاقطار العربية الشقيقة ليعرفوا شيئا عن احوال اخوانهم فى العروبة والاسلام كما أراد بتقديمها كذلك ان يسهم فى تقوية الروابط الادبية بين الشعوب العربية التى توحدها العروبة والاسلام وتجمعها الامال والالام) وقد حمل هذه المسرحية الشعرية الى القاهرة بعد أن نظمها فى الطائف وطبعها له علامة هذا العصر وفيلسوف الاسلام الخالد الذكر صاحب الفتح (السيد محب الدين الخطيب) وقد اتصل (باكثير) بمدرسته الاسلامية العربية الكبرى وكان لها اثرها فى مد مفاهيمه السلفية بالقوة والحيوية واذا اردنا ان نستقرىء تراثه الادبى الضخم وهو خمس قصص واحدى وثلاثون مسرحية مطبوعة وثلاث عشرة ما بين قصة ومسرحية معدة للطبع ــ الفينا هذا الانتاج الخصب مابين شعر مثير أو نثر موقظ تتناقله الافواه ويملأ سمع الزمن الفينا الباعث عليه ما عرف به فقيدنا الكريم من جهاد مثمر فى سبيل العرب والعربية وما اتسم به من عقيدة وثيقة وايمان عميق وحفاظ على امجاد اللغة العربية ومفاخر التاريخ الاسلامى والتراث العربى الاسلامى ودفاعه عن كل ذلك دفاع المؤمن باقدار وعظمة رجالات العروبة المسلمين وهذا نثار من عناوين قصصه ومسرحاته يومىء الى ما ذهبنا اليه فها هى ذى مثلا : سلامة القس وواسلاماه وسيرة شجاع وسر الحاكم بأمر الله وابو دلامة وحرب البسوس وشادية الاسلام وأخيرا ملحمته الاسلامية الكبرى التى وضعها فى تسعة عشر مجلدا عن هذه السيرة الطاهرة للخليفة العادل (عمر بن الخطاب) وقد طبعت منها ستة هى (على اسوار دمشق ومعركة الجسر وكسرى وقيصر وابطال اليرموك وتراب من أرض فارس ورستم) وبقيت ثلاثة عشر مجلدا تبتدىء (بأبطال القادسية) وتنتهى (بغروب الشمس)ولعله من الوفاء للعروبة والاسلام وللاديب الكبير ان نراها بين ايدينا مع غيرها من هذا التراث العظيم الذى نعتقد انه أمانة فى اعناقنا حيال الاجيال الصاعدة ما بقيت عروبة واسلام ٠

ومن الملامح التى نراها مؤكدة لعروبته واسلامه حرصه الاكيد على ان يستهل جميع قصصه ومسرحياته بأيات من القرآن الكريم تتسق فى هدفها مع مضمون قصته او مسرحيته فهو فى (اخناتون) مثلا يقدم لها بالشعار القرآنى الكريم (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) وفى سلامة القس) يستهلها بقوله تبارك وتعالى (**ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه**) وفى (همام) يقدمها بقوله جل شأنه (واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف) وفى (الفرعون الموعود) يجعل شعارها قوله سبحانه (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وهكذا اذا تتبعنا قصصه ومسرحياته الفيناه يستفتحها بأيات الذكر الحكيم التى كان يقدسها ويعمل بها ولذا مجدها فى ملحمته (ذكرى محمد) عليه السلام وهى قصيدة شماء انتهج فيها نظام البردة وعدة ابياتها ثمانية وخمسون ومائتا بيت وفى القرآن الكريم يقول :

ذاك الكتاب الذى احيا النبى به
بقدرة الله أجيالا من الرمم
أقام من يعرب من من بعد شقوتها
شعبا عزيزا قويا جد ملتئم
قامت به دولة عظمى على اسس
من الهدى والتقى والعدل والكرم
ومنة لم يمض من تكوينها زمن
كبرى اممالك بعد الشاء والنعم

بالمعجز الخالد الباقي بجدته
اذ معجزات سوى المختار لم تدم
العلم آيته والعقل حجته
والعدل شرعته فى كل محتكم

ولقد كانت الصبغة الدينية تسوداسلوبه حتى فى قصصه الاجتماعى فهذه قصة (السلسلة والغفرآن) وهى تعالج مشكلة اجتماعية يختتمها بقوله (سألقاك يا ربى بنفس مطمئنة سأرجع اليك يا ربى راضيا مرضيا أشهد الا آله الا الله وأن محمدا رسول الله اللهم اغفر لى ما أعلم ومالا أعلم اللهم اغفر للذين اسات اليهم وللذين آساءوا الى اللهم افصم بغفرانك سلاسل الخطايا من اعناق عبادك آمين) . وهوفى مقدمة لمسرحية (اخناتون) يحرص على أن يطل علينا بعروبته الاصيلة واسلامه الحنيف فيقول اردت بها ان أسجل مجدا من أمجاد هذا الشرق العربى فى تاريخه القديم وأصور شخصية عظيمة رائعة عاشت تحت سماء وادى النيل العزيز قبل زهاء ثلاثين قرنا وقامت بجهاد روحى نبيل ورسالة فكرية سامية يشهدان بأن الجزء من الارض « الوطن العربى اليوم » لم يزل منذ الازمنة الموغلة فى القدم مهد الرسالات الانسانية العظمى ومطلع شموس الفكر والحضارة والعرفان والحكمة والبيان) واننا على يقين من أنه كان يمتاح تراثه الادبى من تراثنا العربى وتاريخنا الاسلامى حتى ماكان ينتجه من أدب الفراعنة كمسرحية (الفرعون الموعود) و (أزوريس) وغيرهما يقدم على أنه أدب عروبة بمفهومه الفسيح للعروبة التى تحدثنا بها آنفا اما ما قدمه من ألوان اخرى يحارب بها الاستعمار بمختلف أنواعه كقصة (امبراطورية فى المزاد) و (مسمار جحا) وغيرهما فلقد ثار ثورته العارمة على أفاعيل الاستعمار بوطنه الحبيب فكان يكتب ساخرا تارة وجادا أخرى وفى الحالين يلقى على هذا الاستعمار البغيض شواظا من نار لانه يحس احساسا عميقا أنه بذلك يذود عن عروبته واسلامه فان الاستعمار الباغى لا يستهدف الا القضاء على العروبة والاسلام ولذا فهو يعالج فى بعضها قضايا السلام العالمى ويعرى المتجرين به فى الغرب والشرق ويبشر بقوة ثالثة تقر السلام فى الارض وتضع قسطاس الحق والعدل ـ ثم تقتضيه عروبته الاصيلة واسلامه الواعى ان تكون (لقضية فلسطين العربية) مكان الصدارة فى انتاجه الزاخر وقد أرهقه وهز كيانه ما فكر ورأى فى مشكلة فلسطين فاذا به يخرج لنا مسرحية ثلاثية تستوعب هذه المشكلة من اقدم عصورها الى ان انتهت بالحركة الصهيونية فى العصر الحاضر وقد استطاع أن يهتك الستار عما تضمره هذه الحركة من عداء لبنى البشر عامة ومن سعى لتحطيم قواهم المعنوية وامتصاص قواهم المادية وقد جسد (باكثير) هذه المعانى جميعا فى الصراع الطويل بين الانبياء عليهم السلام وبين ابليس ومعه بنو اسرائيل وأديبنا الكبير (باكثير) بهذه المسرحية الرائعة (اله اسرائيل) انما يواصل جهاده الفكرى المشكورفى سبيل قضية فلسطين فقد كان من أوائل الكتاب العرب الذين اهتموا بقضيتها فنشر فى عام ١٩٤٥ مسرحية (شيلوك الجديد)تنبأ فيها بقيام دولة اليهود فى فلسطين ونادى بالمقاطعة الاقتصادية لوأدها ثم كتب بعد ذلك مسرحية شعب الله المختار) حيث سلط الاضواء على ما ينخر فى الدولة اللقيطة من عوامل الانحلال والفناء وأخيرا كانت مسرحيته العملاقة بعد النكسة فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ بعنوان (التوراة الضائعة) وقدكان يرى أن قضية فلسطين تنتظر العمل الادبى الذى يتكافأ مع خطرها العظيم وعنده انه من الطبعى ـ وهو لايؤمن بالفصل بين العاطفة والعقل فى الاعمال الادبية ـ أن تركز الاعمال الشعرية فى قضية فلسطين على العاطفة لان اولئك الشعراء يصفون الجراح الغائرة التى فى قلوبهم والرسالة التى يحملها هؤلاء الشعراء هى ان يعمقوا احساس الامة بالمأساة ويذكروها بأنها قضية حياة او موت أى قضية مصير .

ولعل مؤرخنا الاديب الباذخ (باكثير) حين اختار سيرة الخليفة العظيم (عمر بن الخطاب) لتكون موضوعا لملحمته الخالدة كان ذلك لانه يرى فيه مثله الاعلى فقد اتصف (باكثير) بكثير من سمات (الخليفة الاعظم) كمقابس من هداه فكان (باكثير) لايقف عند الفاظ القرآن واساليبه ولكنه جاوز ذلك الا التأدب بأدبه والتخلق بأخلاقه وكان مجاهدا صادق العقيدة يحمل شجاعة الرأى وأمانة الدعوة وكان يقدس الكلمة ويتبدى ذلك فى كل ما قاله طوال حياته فلم يعتذرعن كلمة قالها او فكرة دعا اليها كان يوائم بين المثل العليا التى ينشدها وبين واقع الحياة التى نحياها كان أمينا لمبادئه فيه تواضع فى عزة وتؤدة فيها ثورة وثقة يقين كان ـ غايته غيوث الرحمة لاينافق ولا يمالق ولا يداهن ولايداجى ولا يقول الا ما يصح فى معتقده ولا يعتقد الا ما يصح فى رايه كان يعطى النصفة من نفسه ويرى السعادة

أجمل السعادة ان يرقى عن نفسه وفية من أجل ذلك صرامة على نفسه وله على نزعاتها سيطرة جادة فى تحقيق الخير الاجتماعى •

ولعلى اسهب فى تعداد مناقب اديبنا السامق حتى أقربها بعض الشىء من شمائل خليفة المسلمين الاعظم وأعلل لما ذهبت اليه من سر اختياره لسيرته العطرة والعكوف على اذاعتها على الناس ليروا فى تاريخها الحافل عبرة لمن يعتبر وذكرى لمن يتذكر وليدفع المسلمين بها فى سبيل القوة والعظمة والمجد فتلتقى بطولات الامس ببطولات اليوم فى صعيد فيكون الغد الامجد لهذه الامة الخالدة وشعوبها العربية الناهضة •

وبعد فاننا على يقين ايضا من أن اصالة عروبة (باكثير) ووثاقه اسلامه دفعاه الى أن يكون الحفيظ على لغة القرآن والحارس الامين للغة العربية لانه يرى فيها دعامة كبرى من دعائم القومية والوحدة العربية وقد نافح دونها ما وسعه الجهد والتزمها فى جميع تواليفه حتى ما كان منها فى الفكاهة وكان يرى أن الافة ليست آفة اللغة وانما الناس آفة اللغة وأنهم ابتدعوا بدعة خبيثة بتقسيم اللغة الى لغة خاصة ولغة عامة لينقلوا بذلك معنى الطبقية اليها وهم يريدون أن يدمروا ماضينا فيجعلوه ركاما يسد امامنا الطريق فيشلوا حاضرنا ويبلبلوا مستقبلنا وكان يرى فى العامية مسخا يصدع الرءوس والقلوب والاسماع فتصبح الامة مجردة من الادوات التى تحرك العواطف وتنبه الخواطر وتثير اشرف ما فى النفس الانسانية من حمية تنافح عن وطنها اذا جد الجد وكان يرى كلما اشتد الهجوم المسعور على اللغة من الخارج ومن الداخل انه انما يراد بذلك القضاء على العروبة ووأد الوحدة الاسلامية وقد بذل فى سبيل الحفاظ على اللغة العربية وتراثها المجيد الكثير من الجهد والجهاد والمال •

وبعد هذا الموجز لحياة أديب عبقرى أقل مفاخره موضوع كتاب وجملة مآثره تاريخ حقبته وكفايته ثروة أعترف هنا اننى كنت اسبح منه فى بحر لجى زاخر من ثقافة هذا العصر وحضارته وأن أمثاله يعد فقدهم خسارة انسانية لا خسارة قومية ومصاب أمة لا مصاب اسرة وفجيعة منفعة لا فجيعة عاطفة •

ولذا أرجو أن نلتقى به فى مقال آخر ان شاء الله فانه كان كما قال الشاعر :

مات مستعظما وعاش حييا

رضى الله عنه ميتا وحيا

« عمر بن الخطاب يحاسب نفسه »
[رضى الله عنه]

قال الاحنف بن قيس : قدمنا على عمر بن الخطاب بفتح عظيم نبشره به ، فقال : اين نزلتم ؟ قلنا : فى مكان كذا !

فقام معنا حتى انتهينا الى مناخ ركابنا ، وقد اضعفها الكلال ، وجهدها السير ، فقال : هلا اتقيتم الله فى ركابكم هذه ! .. أما علمتم أن لها عليكم حقا ؟ هلا رحمتموها ؟ هلا حللتم بها فأكلت من نبات الارض !

فقلنا : يا أمير المؤمنين ، انا قدمنا بفتح عظيم ،فأحببنا التسرع اليك والى المسلمين بما يسرهم . فانصرف راجعا ونحن معه .

فاتى رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، ان فلانا ظلمنى فاعدنى عليه : أعنى وانصرنى عليه . فرفع فى السماء درته ، وضرب بها رأسه ، وقال : تدعون عمر حتى اذا شغل فى أمر المسلمين أتيتموه وقلتم ، أعدنى أعدنى !! فانصرف الرجل يتذمر ، فقال عمر : على بالرجل ! فجىء به فالقى اليه المخفقة : الدرة أو سوط من خشب ، فقال : اقتص ، قال : بل أدعه لله ولك . قال ليس كذلك ، بل تدعه اما لله وارادة ما عنده ، واما ان تدعه لى ، فقال : أدعه لله ، قال : انصرف .

ثم جاء حتى دخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين خفيفتين ثم جلس ، فقال لنفسه :

« يا بن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله . وكنت ضالا فهداك الله . وكنت ذليلا فاعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاء رجل يستعديك على من ظلمه فضربته ، ماذا تقول لربك غدا ؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبة .. فعلمت انه من خير خلق الله .

مؤسسة

دار التحرير للطبع والنشر

أكبر مؤسسة متكاملة للصحافة والإعلان والطباعة والنشر

دار الجمهورية للصحافة

تصدر

الجمهورية - المساء - الإجبشيان جازيت
الإجبشيان ميل - لبروجريه إجيبسيان

شركة الإعلانات المصرية

أضخم مؤسسة
للخدمة الإعلانية فى الشرق الأوسط تتولى
الإعلان عن طريق الصحف العربية والأفرنجية
ملصقات - سينما - راديو - تليفزيون - وكالة الإعلان
نيون : استعداد كامل لتصميم وتنفيذ الإعلانات المضاءة

شركة الإعلانات الشرقية

مطابع ضخمة
للطبع التجارى بكافة اللغات

شركة التوزيع المتحدة

تتولى توزيع الصحف والمطبوعات
داخل وخارج الجمهورية ..

القاهرة
٢٤ شارع زكريا أحمد / ت ٧٥٥٠٠ (١٠ خطوط) ص.ب ٤٠
الإسكندرية
٢٣ شارع سعد زغلول / ت ٣٢٨٣٦

مراسلون ومكاتب فى جميع محافظات ومدن الجمهورية العربية المتحدة ومعظم عواصم الأقطار الشقيقة .. وممثلون فى عواصم الدول الأجنبية ...

فضل العرب

للأستاذ ابراهيم محمد الفحام

يقول العلامة (تايلر) فى كتابه (التاريخ الاسلامى) : « ان الملاحين الاسبان والبرتغاليين الذين اكتشفوا طريق أمريكا ورأس الرجاء الصالح ، قد اخذوا الفنون البحرية وتعلموها عن معلمى العرب ، وهم مدينون لهم بهذه الاكتشافات » .

والواقع أن الفضل يرجع الى العرب وحدهم فى تهيئة أذهان الاوربيين لقبول فكرة وجود أرض أخرى عبر آفاق المحيط الاطلسى ، واطلاق مطامحهم من عنانها للبحث عنها .

واذا لم تكن تلك الرحلة المثيرة التى قام بها بعض الفتية العرب فى القرن التاسع الميلادى من ميناء لشبونة غربا ، ووصولهم الى أرض قيل انها احدى جزر الانتيل ، أو احدى موانىء المكسيك ، والتى روى تفصيلاتها الشريف الادريسى فى كتابه (نزهة المشتاق) قد أثارت مطامح الملاحين الاوربيين ، فى احتذاء حذوهم ، حتى جرؤ كريستوف كولمبس على الاقدام على تلك المغامرة بعد ذلك بنحو خمسة قرون . فحسبنا أن عالما حرا من علماء العرب هو (أبو الثناء الاصفهانى) قد لفت الاذهان الى امكان تحقيق تلك الفكرة ، قبل قرن ونصف من اصدار مجمع سلامنك الدينى ، فتواه المشهورة بأن ما قصده كولمبس من اكتشاف أرض جديدة ، يخالف أصول الدين المسيحى .

فقد ذكر ابن فضل الله العمرى فى كتاب (مسالك الابصار فى ممالك الامصار) نقلا عن ذلك العالم العربى الجليل « وقال شيخنا فريد الدهر ، ابو الثناء محمود بن أبى القاسم الاصفهانى ، أمتع الله به ، لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الارض من جهتنا منكشفا من الجهة الاخرى . واذا لم أمنع أن يكون منكشفا من تلك الجهة ، لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن ، مثل ما عندنا ، أو من أنواع وأجناس أخرى . والذى ظهر لنا من ذلك عقلا ونقلا ذكرناه ، وبالله التوفيق » .

وقد أجاز العلامة البيرونى ـ الذى عاش أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر الميلادين ـ فى كتابه (الاثار الباقية) احتمال أن يكون النصف الغربى من الكرة الارضية معمورا .

وتضم مكتبة الاسكوريال بأسبانيا مخطوطا عربيا يصور ما كان يعرفه العرب قبل سنة ١١٩٨م عن المحيط الاطلسى ، ويرجح أن يكون ذلك المخطوط لابن الزيات .

ويرجع كثير من العلماء ـ ومنهم خوان بيرنيت استاذ العلوم العربية بجامعة برشلونة ، فى بحث له بالعدد الاول من مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ـ نجاح رحلة كولمبس الى المامه بالمعارف البحرية للملاحين العرب ، واطلاعه على المؤلفات الجغرافية العربية . وقد كتب كولمبس عن نفسه أن من الدوافع التى دفعت به الى اجتياز المحيط ما قرأه فى بعض مؤلفات ابن رشد عن استدارة الارض .

وفى ذلك يقول العلامة والتر جالشبان فى كتابه (تاريخ اشبيلية) « يعود الفضل فى كشف العالم الجديد ، الى ما أعلنه علماء الاسلام عن كروية الارض ، والى ابحاث ابن رشد التى أطلع عليها كولمبس فحفزته على القيام برحلته » .

وأكد ذلك أيضا العالم الاسبانى ميكائيل الفارس سلمنكا الغرناطى فى رسالة بعث بها الى الامير شكيب أرسلان قال فيها : « اننى أعلم حق العلم انه لولا العلم العربى ، واطلاع كريستوف كولمبس عليه ، لما تمكن من اكتشاف القارة الامريكية ، فلقد كان العرب على علم بطريق أمريكا . وكان هذا الطريق يعرف عندهم بطريق الهند » .

وأشار الامير شكيب أرسلان الى تلك الرسالة فى محاضرة طبعت ضمن مجموعة محاضرات المجمع العلمى العربى فى سنة ١٩٥٤ .

في الاكتشافات البحرية

وأيد ذلك الرأى العلامة مارك كلون فى كتابه عن قلاع اسبانيا الذى طبع فى لندن سنة ١٩٥٣ اذ قال « عاش كريستوف كولمبس فى قرطبة ثمانية أعوام يفكر فى رحلته ويعد العدة لها . وقد اتصل ابان مقامه فيها بعلماء العرب وبحاريهم » .

ومن الثابت ايضا ان كولمبس قد اطلع على كتاب (صورة العالم) للكردينال بيير دايى مطران كمبراى الذى وضعه سنة ١٤١٠ وضمنه معلومات جغرافية يرجع معظمها الى مصادر عربية .

والعرب هم الذين نبهوا الاذهان الى اتصال المحيط الاطلسى بالمحيط الهندى ،وامكان الدوران حول القارة الافريقية جنوبا للوصول الى الهند . وهى الفكرة التى ينسبون اكتشافها الى فاسكو دى جاما .

وقد أشار الى ذلك الاتصال كثير من علماء العرب كالبيرونى والمراكشى وابن خلدون ، وغيرهم . ووصف القلقشندى ذلك الاتصال تفصيلا فى كتابه [صبح الاعشى) فذكر ان المحيط الاطلسى « يأخذ فى الامتداد من سواحل بلاد المغرب الاقصى من زقاق سبتة – أى مضيق جبل طارق – الذى بين الاندلس وبين العدوة الى جهة الجنوب حتى يجاوز صحراء لمتونة وهى بادية البربر » ثم يستمر فى شرح امتداده قائلا انه « يعطف الى جهة الشرق وراء جبال القمر التى منها منابع نيل مصر والاتى ذكرها ، فيصير البحر المذكور جنوبيا عن الارض ، ويمتد شرقا على أرض خراب وراء بلاد الزنج ، ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل ببحر الهند » .

ولم يقف هذا الامر عند ذلك الاعتقاد النظرى . فقد ذكر العلامة الايطالى فرامورو عندما وضع مصوره الجغرافى فى سنة ١٤٥٧م أن ملاحا عربيا أبحر حوالى سنة ١٤٢٠م من المحيط الهندى حول القارة الافريقية ، فظهر بالمحيط الاطلسى وفى ذلك ما يثبت سبق العرب فى سلوك ذلك الطريق ، لا مجرد اعتقادهم فى امكان ذلك نظريا فقط .

والمعروف أن فاسكو دى جاما لم يقدم على سلوك ذلك الطريق الا بعد أكثر من سبعين سنة ، من مغامرة ذلك الملاح العربى المجهول .

وقد شهد فاسكو دى جاما بتقدم المعارف البحرية للملاحين العرب الذين قابلهم على شواطىء افريقية الشرقية ، وبدقة الالات البحرية التى كانوا يستخدمونها ، واستفادته منهم . وسجل ذلك فى مذكراته . وذكر العلامة دينو انه أرسل بعض الالات البحرية ، والمخطوطات العربية التى حصل عليها من احدى السفن الى الملك مانويل البرتغالى .

أما مواطنه المشهور الفونسو البوكرك فانه يدين بفتوحاته فى منطقة الخليج العربى الى خريطة بحرية اعدهاربان عربىيدعى عمر ، وكان قد استولىعليها من ملاح مسلم وقع فى أسر البرتغاليين عند جزيرة سقطرى . وقد وصف ألبوكرك ذلك الملاح فى مذكراته بأنه «كان ربانا عظيما ، ذا معرفة جيدة بهذا الساحل » .

وذكر المؤرخ البرتغالى ج . دى باروش فى كتابه (آسيا البرتغالية) أن فاسكو دى جاما التقى فى سنة ١٤٩٨ بثغر مالندى الذى يقع الى الجنوب من خط العرض الثالث جنوبى خط الاستواء بشاطىء افريقية الشرقى ، بملاح مسلم يدعى (المعلم كانا) أو [كاناكا] وجد معه عددا كبيرا من الخرائط والالات البحرية . وقد دله ذلك الملاح المسلم على طريق الهند . وأوصل سفنه الى ميناء قاليقوت بشاطئها الغربى .

وقد أثبت شيخ العروبة أحمد زكى باشا فى سنة ١٩١٧ أن ذلك الملاح المسلم لم يكن سوى أحمد بن ماجد صاحب المؤلفات العربية العديدة فى فنون الملاحة . واستدل على ذلك برواية ذكرها المؤرخ والجغرافى العربى قطب الدين المكى النهروانى المتوفى سنة ١٥٨٢ ، والذى ترجع مؤلفاته الى ما بعد خمسين سنة بالتقريب من كشف البرتغاليين طريق الشرق . فقد جاء فى كتابه عن فتح العثمانيين لليمن المسمى (البرق اليمانى فى الفتح العثمانى) ان الذى أرشد فاسكو دى جاما الى طريق الشاطىء الهندى

«شخص ماهر من أهل البحر يقال له أحمد بن ماجد» .

وقد أيد المستشرق الفرنسى جبرييل فيران ماذكره أحمد زكى باشا واضاف الى ذلك أن كلمة (كاناكا) التى ذكرها المؤرخ دى باروش ليست اسما للملاح الذى ارشد فاسكو دى جاما ، وانما هى لقب اوصفة عرف بها . وهى كلمة هندية الاصل معناها (الحساب) او (المنجم) وكانت تلك الصفة تطلق على الخبير بشئون الملاحة ، التى تعتمد على الثقافة الفلكية .

وقد ذكر الدكتور أنور عبد العليم فى كتابه عن (ابن ماجد الملاح) أنه علم من استاذ بجامعة شرق افريقية بنيروبى ، ان حكومة البرتغال اعترفت أخيرا بفضل ابن ماجد فأقامت له نصبا تذكاريا فى ثغر ماليندى بجمهورية كينيا .

وقد أشاد المستشرق الروسى (كراتشكوفسكى) فى كتابه [تاريخ الادب الجغرافى] بتأثير المكتشفين والربابنة البرتغاليين بالمعارف البحرية للعرب ونفى تأثر الربابنة العرب بمعارفهم فقال « من الواضح أن ابن ماجد وسليمان المهدى - وهما من الربابنة الذين ألفوا فى المعارف البحرية - قد اقتصرا فى مادتهما على المذهب الشرقى وحده . ولا يوجد أى أثر للنفوذ البرتغالى عليهما البتة ، رغما من أنه الثانى قد وقع نشاطه الملاحى فى عهد سيطرة البرتغاليين . وعلى النقيض من هذا فان النفوذ العربى يبدو قويا على البرتغاليين الذين تعرفوا على التجربة العربية فى الملاحة منذ لحظة دورانهم حول رأس الرجاء الصالح . بل ان أقدم ما دونوه فى هذا المجال يحمل آثار النفوذ العربى بوضوح . أضف الى هذا أن بعض الاصطلاحات الفنية البرتغالية : ليست سوى ترجمة صرفة لمثيلاتها العربية » .

وهكذا يثبت ان العلماء والملاحين العرب ، كان لهم الفضل - كل الفضل - فى اثراء المعارف البحرية للاوربيين ، وانجاح اكتشافاتهم البحرية .

(جزاء الصابرين)

الصابرون هم أولئك الذين يتجرعون الغصص ، ويحتملون البلايا ، ويتجشمون المصاعب ، ويقتحمون المخاطر فى طاعة الله وسنام هذه الطاعة الجهاد لاعلاء كلمة الله ، أو الحفاظ على الوطن من عدو الله .

وكل أنواع الطاعات أجورها يوم القيامة بموازين ، الا الصبر فالاجر عليه لاميزان له ، او كما روى عن ابن عباس لا يهتدى اليه حساب الحاسبين .

عن النبى [صلى الله عليه وسلم] : « ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى أهل البلاء [وكانوا صابرين] فلا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الاجر صبا ، قال الله تعالى « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ، حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء » .

الأسرة السعيدة فى بنك بورسعيد

ادخار × بنك بورسعيد = فائدة ٣½ ٪
+ جوائز مالية
+ جوائز عينية
+ هدايا قيمة
+ خدمة ممتازة
= سعادة واستقرار

السحب القادم فى ٢٥ يـ ١٩٧٠
الجائزة الأولى تصل إلى ٣٠٠٠ جنيه

بنك بورسعيد
خدماتنا تصل إلى كافة فئات الشعب

الافتاء
المرأة المسلمة
الرياضة
بريد القراء
بريد التعارف

أنت تسأل ؟ و

المفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

س ١ : من عاطف السيد حسنى – المحلة الكبرى .

يقول ، عاش رجل مع زوجته ثلاث سنوات ثم توفى فتزوجت رجلا آخر وطلقها هذا الرجل فهل الزواج الثانى يحلها لابن الزوج الاول ؟

الجواب :

من المحرمات التى نص عليها القرآن الكريم زوجة الاب . فيحرم على الابن أن يتزوج بمن كانت زوجة أبيه سواء دخل بها أبوه أم لم يدخل بها وسواء تزوجت بعد أبيه زوجا آخر أم لم تتزوج . وقد نص الفقهاء على حرمة زوجة الاصل الاب وان علا .

جاء فى حاشية ابن عابدين جـ ٢ فى باب النكاح – فصل المحرمات ما نصه « وتحرم زوجة أصله وفرعه مطلقا ولو بعدوا دخل بها أولا لقوله تعالى : « ... **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا** » .

ومن هنا يتضح الجواب عن السؤال وهو عدم حل الزوجة المسئول عنها لابن زوجها ولا عبرة بزواجها برجل آخر بعد وفاة أبيه فان ذلك لا يحلها للابن لان حرمتها على الابن حرمة أبدية – والله أعلم .

● ● ●

س ٢ : من : ع . ع . أ من قصاصين الشرق – شرقية

يريد الزواج من ابنة عم والده التى تكبره بسبعة شهور ، ويسأل ان كان ذلك جائزا أم لا !

الجواب :

قرابة بنت عم الاب ليست من القرابات التى تحرم الزواج ، فهى ليست من محارم الشخص .

وعلى ذلك فان الزواج بها صحيح الا أن يكون بها سبب آخر يحرم الزواج منها غير القرابة المذكورة ، قال تعالى : « **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الأختين الا ماقد سلف ان الله كان غفورا رحيما** » .

فليس من المحرمات بنت عم الاب .

فزواج السائل من ابنة عم والده جائز وحلال ما لم يكن بها مانع آخر والله أعلم .

● ● ●

س ٣ : من فاروق فريد أحمد فوزى

يسأل عن الاركان والشروط المعتبرة شرعا فى صحة عقد الزواج ؟

الجواب :

لعقد الزواج ركنان ، أحدهما الايجاب من أحد

الطرفين ، وثانيهما القبول من الآخر . كأن يقول أحدهما : زوجت نفسى أو بنتى أو موكلتى منك . ويقول الآخر : تزوجت أو قبلت ، ويشترط سماع كل من الطرفين كلام الاخر . ولو حكما كالكتاب الى غائبة لان قراءته قائمة مقام الخطاب وذلك ليتحقق رضاهما .

كما يشترط حضور شاهدين مكلفين سامعين قولهما معا فاهمين مسلمين. راجع حاشية ابن عابدين ج ٢ وفتح القديرجـ ٢ منكتاب النكاح، والمالكية رضوان الله عليهم يشترطون لصحة عقد الزواج الاعلان أى اعلان الزواج لما روى عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعلنوا النكاح » رواه أحمد وصححه الحاكم. يقول صاحب كتاب سبل السلام جـ ٣ وفى الباب عن عائشة « أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال » أى الدف ، أخرجه الترمذى .

س ٤ : من سعيد عبد الملك حسن - معلا جنوب اليمن

تزوج رجل امرأة ولم ينجب منها وبعد مدة من الزمن طلقها فتزوجت برجل آخر وأنجبت منه بنتا ، فهل يجوز لزوجها الاول أن يتزوج من هذه البنت وأمها على قيد الحياة أو بعد وفاة أمها ؟

الجواب :

بنت الزوجة من المحرمات على الزوج بصريح القرآن الكريم وذلك اذا دخل الزوج بالام . قال تعالى : « **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما** » .

وواضح من السؤال أن الزوج دخل بزوجته اذ يقول السائل : « تزوج رجل امرأة ولم ينجب منها - فمعنى ذلك أنه دخل بها - وبناء عليه فان ابنتها من غيره محرمة عليه سواء أكانت أمها على قيد الحياة أم توفيت . فان لم يكن الزوج المذكور قد دخل بزوجته حل له أن يتزوج ابنتها - والله أعلم .

س ٥ : من السيدة نظيمة الصحن حرم الاستاذ محمد عبد القادر بهنسى - الاسكندرية

هل للخطيبة الحق فى الخروج مع خطيبها قبل الزواج بغرض الدراسة البريئة ؟

الجواب :

الاسلام شريعة تعنى بتكوين الاسرة على أساس من الخلق المتين والدين القويم ، ولعل مما يشير الى ذلك ما ينصح به الرسول صلى الله عليه وسلم الرجال بأن يختاروا لنطفهم وأن يرجحوا جانب الدين على غيره من الامور ، التى ترغب فى الزواج ، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » وقوله صلوات الله وسلامه عليه : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

كما يعنى الاسلام بان يكون بين الزوجين من المودة والمحبة ما يستقيم به أمر الاسرة وهى لبنة من لبنات المجتمع وفى سبيل ذلك أباحت الشريعة الاسلامية للخاطب أن ينظر الى من يريد خطبتها ليرى منها وترى منه ما يرغب كليهما فى الاخر وينبت المودة والالفة بينهما ، ومن الاحاديث المشهورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله لاحد الصحابة وقد علم بأنه خطب امرأة : « أنظرت اليها ؟ » قال : لا - قال : « اذهب فانظر اليها » وفى رواية أخرى : « أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » . سبل السلام جـ ٣ .

وفى سبيل المحافظة على دين الرجل وعفاف المرأة حرم الاسلام الخلوة بينهما فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما خلا رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما » وبدهى أن الخاطب أجنبى عن مخطوبته حتى يعقد قرانه عليها فيحرم عليهما ما يحرم على غير المخطوبين . وبدعة خروج الخاطب مع مخطوبته بدعوى دراسة كل منهما للاخر بدعة وافدة علينا غريبة على ديننا لا ترضاها الاسر المحافظة على دينها وتقاليدها لانها كثيرا ما تؤدى الى أمور لا تحمد عقباها . وما يؤدى الى الحرام فهو حرام - ومن المستطاع التوفيق بين ما يرضاه الاسلام وبين ما يدعيه الناس اليوم من الرغبة فى دراسة كل من المخطوبين للاخر - وذلك - بزيارة الخاطب لاسرة مخطوبته وجلوسهما معا فى صحبة من محارم أحد الطرفين ، وبهذه الطريقة التى لا يأباها الاسلام يستطيع كل منهما دراسة الآخر بشتى الوسائل التى لا تتنافى مع الشريعة الاسلامية بشرط ألا يخلو أحدهما الى الاخر فان ذلك ذريعة الى الوقوع فيما لا يرضاه الاسلام - والله أعلم .

س ٦ : من المياء ونجلاء وايناس الصحن الموظفات بالمدارس الابتدائية بالاسكندرية

ما حكم الاسلام فى المراة التى تعمل بجانب الرجل فى الاعمال العامة كما يحدث حاليا ؟

الجواب :

الاسلام لايحرم على المـراة فى حالة الضرورة أن تمارس عملا من الاعمال لكسب قوتها والمشاركة فى بناء مجتمعها مادامت ملتزمة حدود الله مراعية أداب الدين ، وللاسلام آداب وتقاليد لا تخفى على أحد فالحلال بين والحرام بين .

انما يحرم الاسلام تبذل المرأة وتبرجها وخروجها بالاوضاع الشائنة التى شاعت وانتشرت انتشار النار فى الهشيم .

والله يحفظ مجتمعنا ويقيه شر هذا الوباء الذى يرد الينا من مجتمعات غريبة عن مجتمعنا الاسلامى .

●●●

س ٧ : من الطالب احمد محمد موافى سعد طالب ثانوى كفر الشيخ

يقول : انه قرأ آيتين من القرآن الكريم ورأى بينهما تناقضا : الاولى : قول الله تعالى : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » . والثانية : » ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . ويريد توضيح هذا الاختلاف .

الجواب ،

لاتناقض بين الآيتين الكريمتين فالاية الاولى تكملة لقولهتعالى : « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة او ماملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا » .

فبعد ان اباح الله تعالى للرجل فى صدر هذه الاية نكاح ماطاب له من النساء مثنى وثلاث ورباع قرر سبحانه وتعالى ان على الرجال عند الخوف من عدم العدل عند تعدد النساء الاكتفاء بواحدة ويحرم دينا الزواج باكثر عند الخوف من وقوع الجور بالنساء كعدم التسوية بينهن فى القسم والمبيت والطعام والكسوة وغير ذلك من الامور المستطاعة .

اما قوله تعالى « **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة** » فالمراد ـ والله اعلم ـ كما جاء فى كتب التفسير : نفىمقدرة الانسان على العدل المطلق اىلن تستطيعوا ان تساووا بينهن فى جميع الوجوه بحيث لا يقع ميل ما الى احداهن فى شأن من الشئون فانهوان وقع القسم الصورى ليلة وليلة فلابد من التفاوت فىالمحبة والشهوة كما قال ابنعباس وغيره ولو حرصتم علىاقامة العدل وبالغتم فيه لانالميل يقع بلا اختيار فى القلب (راجع محاسن التأويل للقاسمى جـ ٥) .

وقد اورد » الألوسى » فى جـ ٥ ما اثرفى هذا الصدد فقال .

أخرج البيهقى عن عبيدة انه قال : « لنتستطيعوا ذلك فى الحب والجماع » . واخرج ابن المنذر عن ابن مسعود انه قال : «فى الجماع » .

واخرج ابن ابى شيبة عن الحسن وابن جرير عن مجاهد انهما قالا « فى المحبة » .

واخرجا عن ابى مليكة ان الآية نزلت فى عائشة رضى الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها اكثر من غيرها .

واخرج أحمد وأبو داود والترمذى وغيرهم عنها انها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول : «اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » . واراد صلى اللهعليه وسلم » بما تملك » المحبة وميل القلب .

يقول الله سبحانه وتعالى بعد ذلك : « **فلا تميلوا كل الميل** » اى فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها حقها من غير رضا منها واعدلوا ماستطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل لا يمنع من تكليفكم بما دونها من المراتب التىتستطيعونها وقد حذرالرسول صلى الله عليه وسلم من سوء عاقبة الجور باحدى النساء فقال صلوات الله وسلامه عليـه فيما رواه عنه أبو هريرة : « من كانت له امرأتان فمـال الى احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط »

ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحرون العدالة مااستطاعوا بين نسائهم .

فعن جابر بن زيد انه قال : «كانت لى امرأتان فلقد كنت اعدل بينهما حتى اعد القبل » .

وعن مجاهد قال : كانوا يستحبون ان يسووا بين الضرائر حتى فى الطيب يتطيب لهذه كما يتطيب لهذه .

وعن ابن سيرين : فى الذى له امرأتان يكره ان يتوضأ فى بيت احداهما دون الاخرى .. والله اعلم .

س ٨ ، من سميرة السعيد داود من شباس الملح دسوق
ماحكم صلاة الجنازة دون خلع الحذاء ؟

الجواب :

● ● ●

صلاة الجنازة وان كانت بلا ركوع وسجود الا انها يشترط لصحتها مايشترط لصحة الصلاة ذات الركوع والسجود ٠ فيشترط لها الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والنية وغير ذلك ٠

فاذا كان بالحذاء نجاسة غير معفو عنها فسدت الصلاة جنازة كانت أو غير جنازة ٠

وان كان الحذاء طاهرا صحت الصلاة غير ان الادب مع الله تعالى يقتضى خلع الحذاء فى الصلاة وان كان الحذاء طاهرا ـ والله اعلم ٠

● ● ●

س ٩ : من احد المواطنين

يقول : انه طلق زوجته عند المأذون مرتين وراجع زوجته فى كل منهما ثم حدث خلاف بينهما فكرهت الزوجة الحياة معه وعرضت اعطاءه مبلغا من المال ليخلصها فقبل ذلك وبعد وقوع الخلع يريدان عودة الحياة الزوجية بينهما ويسأل الرأى !

الجواب :

جمهور الفقهاء متفقون على ان الخلع طلاق ، ومادام السائل قد اوقع على زوجته طلقتين قبل حدوث الخلع بينهما فان هذا الخلع يعتبر طلاقا مكملا للثلاث ، وبناء على ذلك لا تجوز عودة الحياة الزوجية بينهما الا اذا تزوجت رجلا آخر زواجا شرعيا صحيحا ودخل بها الزوج الثانى دخولا حقيقيا ثم طلقها او مات عنها فيجوز ان تعود الى الزوج الاول بعد انقضاء عدتها من الزوج الثانى بعقد ومهر جديدين ، قال تعالى : « **الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان** » الى ان قال سبحانه :« **فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره** » الآيتان ٢٢٩ ، ٢٣٠ من سورة البقرة ٠

ويرى فقهاء الحنابلة ان الخلع فسخ وليس طلاقا فلا اثر له فى عدد الطلقات غير ان المعمول به فى محاكم الاحوال الشخصية ـ فى مثل هذه الحالة ـ هو أرجح الاقوال فى مذهب الامام ابى حنيفة وهو مايتفق مع رأى جمهور الفقهاء من ان الخلع طلاق وليس فسخا.

● ● ●

س ١٠ : من : ع ٠ م ع ٠ الضواهرية مركز الحسينية شرقية

يقول : انه تزوج فى ١٩٥٢ وكانت زوجته دون السادسة عشرة من عمرها ورزق منها بولد وست بنات اصغرهن سنها ثمانية عشر شهرا وفى شهر رجب الماضى امتنعت الزوجة عن مخالطة زوجها جنسيا مع بقائها فى عصمته ويسأل الرأى فى ذلك ؟

الجواب ،

نحن ننصح السائل بأن يكون رفيقا بزوجته وان يتلطف فى معاشرتها وان يأخذها بكل رفق ولين ليقف على سبب امتناعها عن مخالطته جنسيا بعد هذا العمر الطويل وبعد ان انجبا هذه الذرية فلعل هناك من الاسباب النفسية والصحية مايمنعها من اجابة طلبه وقد يكون بها مرض خاص يمنعها حياؤها او خوفها ان تبوح به لزوجها كماننصح الزوجة بأن تلبى رغبة زوجها وان كان بها من الاسباب مايمنعها عنه فعليها ان تطلعه على حقيقة الامر حتى تذهب عنه الحيرة ويطمئن على ان حياته مع زوجته غير مهددة وحتى يشاركها فى ازالة هذه الاسباب ٠ ولتعلم هذه الزوجة ان المرأة اذا امتنعت عن زوجها اذا دعاها للفراش باءت باللعنة من الملائكة والسخط من الله سبحانه وتعالى ٠

فقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا دعا الرجل امرأته **الى فراشه فأبت ان تجىء لعنتها الملائكة حتى تصبح** » أى وترجع عن العصيان ففى بعض الفاظ البخارى حتى ترجع (متفق عليه واللفظ للبخارى) ولمسلم كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها ٠ راجع كتاب سبل السلام جـ ٣

● ● ●

س ١١ : من : م ٠ م ٠ ع ٠
يقول : انه يعرف مسلما أدخل التيار الكهربائى منزله وبعد وضع العداد جاء رجل مسلم كهربائى

صديق لذلك الرجل ومنع بعض المؤشرات التى تبلغ العداد بكمية الاستهلاك عن بعض الحجرات الهامة خدمة لصديقه وبموافقته فكان هذا المسلم يدفع قيمة الاستهلاك أقل من الحقيقة بكثير وبلغ حتى الان ما تستحقه ادارة الكهرباء من أموال نتيجة لهذا التلاعب مالا يقل عن خمسة جنيهات .

ويسأل السائل عن حكم الاسلام على صاحب البيت وعلى الكهربائى — ويريد أن يعرف ماذا يفعل لمواجهة هذا الامر حتى لايقع فى الوزر لسكوته على هـذا المنكر ؟

الجواب :

هذا عمل لا يرضى عنه خلق أو دين ، اذ هو اختلاس لاموال الدولة وسرقة لاحد مرافقها الهامة ووزره لا يقل عن وزر السارق للافراد بل قد يكون أشد بشاعة منه فان سرقة الفرد يكون ضررها محدودا اما سرقة الدولة واختلاس أموالها فانه اعتداء على الشعب كله . فان أموال الدولة هى أموال الشعب وما تحصله نظير خدماتها انما هو لخدمة الشعب كله ولتتمكن من توفير حاجات الافراد والهيئات من مياه ونور ونظافة وتعليم وصحة ودفاع وأمن وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى وما كنا نظن أن مواطنا من المواطنين يتلاعب هكذا بمرفق حيوى كمرفق النور ويستعمل فنه ومهنته فيما يحرمه الدين ويمنعه القانون ويأباه الخلق وينفر عنه الوطن ، ولزاما على هذا الكهربائى أن يقلع عن هذا الفعل الذى يغضب الله سبحانه ويوقعه تحت طائلة القانون وحتى لو أفلت من سطوة القانون فانه لن يفلت من عقاب الله سبحانه يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » .

وعلى مالك المنزل أن يعرف القيمة الحقيقية للاستهلاك ويرسل المبلغ المدين به لمرفق النور بأى طريقة من الطرق حتى تبرأ ذمته ثم يتوب الى الله ويسأله المغفرة هو وصاحبه الكهربائى ولا يعود لذلك ابدا وعسى الله سبحانه بعد هذا أن يتوب عليهما .

أما أنت أيها السائل الكريم فمادمت قد عرفت هذا الامر مشارك فى وزره اذا سكت عليه فعليك أن تنصحهما بالاقلاع عن ذلك ورد ما على المستهلك من أموال عملا بقول الله تعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف .. وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « **الدين النصيحة .. لله وللرسول ولائمة المسلمين وعامتهم** » فان لم ينتهوا عن هذا المنكر فعليك شرعا وقانونا أن تبلغ المسئولين واذا خشيت الضرر من أحد فيمكنك أن ترشد ادارة الكهرباء أو المباحث العامة الى هذه المخالفات ولو بخطاب مجهول ابراء لذمتك وحماية لك من الوقوع فى المكروه والله يجزيك خير الجزاء .

● ● ●

س ١٢ : فايز عبد المجيد زايد — من طنطا

يطلب الالتحاق بالمعهد الثانوى الازهرى ليتعلم التعاليم الاسلامية :ويسأل عما اذا كان خروج الفتيات والنساء بالملابس القصيرة التى نشاهدها يتمشى مع تعاليم الاسلام ؟

الجواب :

الالتحاق بالمعاهد الازهرية الثانوية يخضع لقانون يحتم الحصول على الشهادة الاعدادية الازهرية أو النجاح فى امتحان مسابقة للحاصلين على الاعدادية العامة يكون فى مستوى امتحان الاعدادية الازهرية — أما خروج النساء والفتيات بالملابس القصيرة التى تكشف عما نهى الله سبحانه عن كشفه أو تحدد مواضع الفتنة من أجسادهن فذلك منكر من الفعل نهى عنه الاسلام ويأباه الخلق الكريم وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يأمر زوجاته وبناته ونساء المؤمنين بارتداء ما يسترهن من الملابس محافظة عليهن من الاذى ، كما نهى المرأة عن ابداء زينتها الا لمن نص عليه القرآن الكريم .

قال تعالى : « **يأيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما** » .

وقال سبحانه : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو ابائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون** » .

مواقيت الصلاة

الأيام	ذي الحجة ١٣٨٩	فبراير ١٩٧٠	مغرب		عشاء		فجر		شروق		ظهر		عصر	
			ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت
السبت	١	٧	٣٦	٥	٥٤	٦	١٣	٥	٤٢	٦	٩	١٢	١٤	٣
الأحد	٢	٨	٣٧		٥٥		١٣		٤٣		٩		١٥	
الاثنين	٣	٩	٣٧		٥٥		١٢		٤١		٩		١٥	
الثلاثاء	٤	١٠	٣٨		٥٦		١٢		٤٠		٩		١٦	
الأربعاء	٥	١١	٣٩		٥٧		١١		٣٩		٩		١٧	
الخميس	٦	١٢	٤٠		٥٨		١٠		٣٨		٩		١٧	
الجمعة	٧	١٣	٤١		٥٩		١٠		٣٧		٩		١٨	
السبت	٨	١٤	٤١		٥٩		٩		٣٦		٩		١٨	
الأحد	٩	١٥	٤٢		٠٠	٧	٨		٣٥		٩		١٩	
الاثنين	١٠	١٦	٤٣		١		٧		٣٤		٩		١٩	
الثلاثاء	١١	١٧	٤٤		٢		٦		٣٤		٩		٢٠	
الأربعاء	١٢	١٨	٤٥		٢		٦		٣٣		٩		٢٠	
الخميس	١٣	١٩	٤٦		٣		٥		٣٢		٩		٢١	
الجمعة	١٤	٢٠	٤٦		٣		٤		٣١		٩		٢١	
السبت	١٥	٢١	٤٧		٤		٣		٣٠		٩		٢٢	
الأحد	١٦	٢٢	٤٨		٥		٢		٢٩		٩		٢٢	
الاثنين	١٧	٢٣	٤٩		٥		١		٢٨		٩		٢٣	
الثلاثاء	١٨	٢٤	٤٩		٦		٠٠	٥	٢٧		٨		٢٣	
الأربعاء	١٩	٢٥	٥٠		٧		٥٩	٤	٢٦		٨		٢٣	
الخميس	٢٠	٢٦	٥١		٨		٥٨		٢٥		٨		٢٤	
الجمعة	٢١	٢٧	٥١		٨		٥٧		٢٤		٨		٢٤	
السبت	٢٢	٢٨	٥٢		٩		٥٦		٢٣		٨		٢٤	
الأحد	٢٣	١ مارس	٥٣		١٠		٥٥		٢٢		٨		٢٥	
الاثنين	٢٤	٢	٥٤		١١		٥٤		٢١		٨		٢٥	
الثلاثاء	٢٥	٣	٥٤		١١		٥٣		٢٠		٧		٢٥	
الأربعاء	٢٦	٤	٥٥		١٢		٥٢		١٩		٧		٢٦	
الخميس	٢٧	٥	٥٦		١٣		٥١		١٨		٧		٢٦	
الجمعة	٢٨	٦	٥٦		١٣		٥٠		١٦		٦		٢٦	
السبت	٢٩	٧	٥٧		١٤		٤٩		١٥		٦		٢٧	
الأحد	٣٠	٨	٥٨		١٥		٤٨		١٤		٦		٢٧	

المرأة المسلمة

المرأة السودانية وقضايا مجتمعها بين الماضي والحاضر

إعداد: نجاة الزنيري

السودان .. البلد العربي الشقيق الذى أثبت عروبته الاصيلة فى أوقات الشدة وفى الظروف العصيبة . وأكد تضامنه مرات عديدة مع الصف العربى . وأكد شعبه كله أنه درع من دروع العروبة . وحصن منيع من حصونها .. وعندما كان فجر ٢٥ مايو ١٩٦٩ كانت ثورة السودان خطوة كبيرة على مسيرة النضال العربى ودعما جديدا للثورة العربية يزيد من صلابة جبهة النضال والصمود ..

جاءت ثورة مايو لتعبر أصدق تعبير عن أمانى وآمال كل فئات الشعب السودانى وكانت انعكاسا مخلصا لمشاعر الجماهير وحرصت على أن تمضى بخطى واسعة فى مسيرة الثورة العربية التى تحمل لواء الحرية والاشتراكية والوحدة وتمثلت هذه المشاعر فى التأييد الجارف الذى انطلقت به الجماهير عشية قيام الثورة فقد خرج الرجال والنساء والعمال والفلاحون والموظفون والطلبة الشماليون والجنوبيون.. كلهم خرجوا فى مظاهرات تردد الهتافات وتحمل اللافتات التى تعبر أصدق تعبير عن أمل الجماهير فى الثورة وفى انضمام السودان الى المسيرة العربية الكبرى ..

ومنذ اليوم الاول لثورة مايو العظيمة واجهت تركة مثقلة بالاعباء وقررت بحسم الثوار أن تواجه كل مشكلاتها بروح القدرة والمسئولية .. القدرة على حل المشكلات والمسئولية عن تطوير المجتمع وبناء مقدراته من جديد بصورة تضمن معها أن يسير السودان فى موكب الحرية رافعا اعلام النضال فى موكب أمته العربية ...

وحرصت ثورة مايو من اليوم الاول على أن تضع الحقائق كلها أمام الشعب ....

وطرحت على لسان قادتها المشكلات وعرضت حلولا وافكارا ترسم معالم الطريق الى المستقبل ومضت الثورة فى طريقها المرسوم وراء شعب السودان شماله وجنوبه وشعوب الامة العربية كلها . ..

فماذا عن الاخت السودانية الشقيقة .. ما مدى فهمها لقضايا مجتمعها .. ما هو دورها فى مراحل الكفاح الوطنى التى اجتازها شعب السودان الشقيق ...

حتى كانت ثورة مايو ١٩٦٩ ...

ما هو دور المرأة .. وما هى المكاسب التى حققتها لتأكيد ذاتها فى المجتمع السودانى .. وما الذى أعدته ثورة مايو المجيدة من أجل المرأة السودانية .. — ولقد صرح اللواء جعفر نميرى رئيس مجلس الثورة السودانى بان الوزارة السودانية تقوم حاليا بمراجعة القوانين لتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة فى كافة المجالات .. وقال .. وستشهد الايام القليلة القادمة تعيين أول أمرأة ضابطة فى القوات المسلحة فى السودان

ومن هنا كان منطلقى نحو البحث عن مدى فهم المرأة السودانية لقضايا مجتمعها فى الماضى والحاضر .

للمرأة السودانية نضالها السياسى وكفاحها على مدى التاريخ الطويل حتى استطاعت أن تثبت وجودها فى المجتمع السودانى. ووجدت المرأة السودانية نفسها تلقائيا تخرج فى المظاهرات بما لديها من وعى سياسى وليد تشارك الشعب فى مطالبه فى الحرية والاستقلال .

ومن هنا بدأ التفكير فى ضرورة تكوين جمعيات خاصة بالمرأة وتكونت بالفعل هيئات نسائية لكنها كانت على مستوى الصالونات حيث تجتمع السيدات لبحث شئونهن ومشاكلهن الاجتماعية والعائلية وكان ذلك عام ١٩٤٨ .. ثم تكونت اتحادات الطلبة عام ١٩٤٩ وكانت هذه الاتحادات تضم الطلبة والطالبات معا ..

وفى عام ١٩٥٢ رأت المرأة ضرورة تكوين هيئة خاصة تنطق بلسانها .. وتكون الاتحاد النسائى لتنظيم النساء والمطالبة بحقوقهن الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكان شعاره المساواة بين الرجل والمرأة . وفى بادىء الامر اقتصر نشاط الاتحاد على العاصمة . ثم تكونت له بعض الفروع فى المدن الكبيرة وتشكلت لجان فى الاحياء والاقاليم مهمتها الاشراف على الحالة الاجتماعية للاسرة عن طريق الزيارات المتكررة وارشاد الامهات وفتحت فصول مسائية لمحو الامية بينهن ونجح الاتحاد فى مهمته .. وانضمت اليه أكثر من ٥٠٠٠ عضو فى أكثر من ٤٠ فرعا اقليميا وضم فرع أم درمان وحده ١٢٣٠ عضوا .. وتركزت أهداف الاتحاد فى الاهتمام بقضايا المرأة السودانية وابراز دورها فى المجتمع السودانى ..

وبعد أن نال السودان استقلاله فى يناير ١٩٥٦ — أصبح لزاما على كل فرد أن يشارك بجهده لحماية الاستقلال والدفاع عن الكرامة السودانية .. ولم تبخل المرأة السودانية بجهدها ... ومن هذا التاريخ بدأت المهمة السياسية للاتحاد النسائى ..

ومن الاسماء التى لمعت فى ذلك الوقت — فاطمة أحمد أبراهيم — التى أمضت حياتها فى النضال من أجل قضية المرأة حتى أصبحت رئيسة الاتحاد النسائى ثم تمكنت من اصدار مجلة — صوت المرأة سنة ١٩٥٥ وكانت أول مجلة نسائية فى السودان لعرض قضايا المرأة وايجاد حلول لها ونشر الثقافة الديمقراطية وايجاد وحدة فكرية بين النساء حول حقوقهن ..

والمجلة شهرية بدأت ميزانيتها بخمسين جنيها هى ثمن مصوغات وحلى عضوات الاتحاد .. واستمرت المجلة بدون مساعدات ولا اعانات معتمدة على مساندة جماهير الشعب لها ..

وتم بعد ذلك تكوين اتحاد الموظفات واتحاد المدرسات واتحاد العاملات وتكونت نقابة للمرضات ورابطة للصحفيات السودانيات سنة ١٩٦٧ .

وفى يونيو ١٩٦٥ .. سجلت المرأة السودانية انتصارات كبيرة بان حصلت — فاطمة أحمد أبراهيم — على مقعد فى الجمعية التأسيسية بارادة الجماهير الشعبية واصبحت أول نائبة فى السودان الى جانب عملها كرئيسة للاتحاد النسائى ورئيسة تحرير مجلة صوت المرأة .. وبلغ عدد النساء اللائى تم تسجيل اسمائهن بالدوائر الانتخابية فى أنحاء السودان سنة ١٩٦٥ . ٥٥٨ الفا و ٣٧٩ ناخبة .. ويبلغ عدد النساء السودانيات اللائى لهن حق التصويت ٣ ملايين و ١٥ الفا ..

وفى عام ١٩٦٧ .. فازت أول أمرأة سودانية فى انتخابات مجالس البلدية وكان هذا اعترافا وتقديرا للمرأة لايمانها بقدرتها على أداء واجبها فى هذا المجال أيضا . واعترافا كاملا بحقها فى التنظيمات .. وفى يوليو الماضى تم لاول مرة انتخاب أول سيدة لرئاسة نقابة .. اذ انتخبت السيدة — هدى زين العابدين — رئيسة لنقابة الخطوط البحرية السودانية وممثلة للنقابة المركزية ببور سودان . وفى مجال التعليم .. يوجد فى فى جامعة الخرطوم أكثر من ٣٠٠ طالبة يدرسن العلوم والاداب

قالوا : هذا من صنع الخيال ٠٠ مع أن الاعداء انفسهم اعترفوا بذلك لانهم رأوا بأعينهم رأى العين ، تماما كما يرى الناس الان الشاب الافريقى خارق القوة ، فيصدقون لان التليفزيون يعرض عليهم أمثلة من قوته ٠٠ والانسان الذى يخلو قلبه من الايمان ، لا يؤمن الا بالحسيات ٠٠ تماما كقولهم لمحمد صلى الله عليه وسلم :

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا » .

وتشاء الاقدار أن تلقى على أسماع العالم فى أول شهر من السبعينات درسا عمليا يؤكد كل ما ردده التراث الاسلامى عن ابطال المسلمين الاوائل ، وكل ما يردده الائمة والوعاظ فى المساجد والندوات ٠٠

كان هذا الدليل أو الدرس العملى من معركة « شدوان » ٠٠ جزيرة فى عرض البحر الاحمر على فوهة خليج السويس ٠٠ ليس بها الا ما يلزمها من قوة لحراسة الفنار المرشد للسفن ، ويحاول العدو المتغطرس الذى أعماه عدوانه عن الحقيقة أن يغزو الجزيرة بحشود ومعدات تصل الى عشرات أضعاف قوة الحراسة المؤمنة ٠٠

وظلت طائرات العدو تدك المواقع والدشم أربع ساعات ٠٠ ولكن هذا الارهاب النفسى لم يؤثر فى نفوس الفئة المؤمنة ٠ فظلت رابطة الجأش ٠٠ لم تستسلم ، ولم تيأس ، ولم تنسحب من مواقعها بالرغم من أنها رأت دماء طاهرة تراق ٠٠ وأجسادا تحمل قلوبا مؤمنة تتمزق ٠٠ لم تيأس لان المعركة الصغيرة المحدودة ، لم تكن تحتمل من وجهة نظر الابطال غير أمرين :

اما النصر ٠٠ واما الشهادة وكلاهما فوز مبين ٠

وقد تحقق النصر ٠٠ واستشهد من استشهد وصعدت الارواح الطاهرة الى بارئها لتعلن على الملأ فى أول شهر من السبعينات أن فى بلدنا اشبابا يسير على نفس النهج ، ملتزم بميثاق الله ، وعهد رسول الله ٠٠ يسير كما سار السابقون ضاربين أروع المثل فى التضحيات من أجل دين الله ٠٠ وأرض الله ، وعزة المؤمنين ٠

٠٠ وليسمح لى القارىء أن أقول انه لا فرق بين هؤلاء القلة الذين خاضوا معركة « شدوان أمام عدو شرس وبين الذين قال فيهم أبى حمزة الخارجى فى مكة :

« شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، افضاء عبادة ، وأطلاح سهر ٠ فنظر الله اليهم فى جوف الليل منحنية أصلابهم على اجزاء القرآن كلما مر أحدهم بذكر آية من ذكر الجنة بكى شوقا اليها ٠ واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة بأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصولة كلالهم بكلالهم ٠ كلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الارض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ٠ واستقلوا ذلك فى جنب الله حتى اذا رأوا السهام قد فوقت والرماح قد أشرعت والسيوف قد انتضيت ٠ ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت ٠ استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلف رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فاسرعت اليه سباع الارض ، وانحطت اليه طير السماء ، فكم من عين فى مناقير طير طال ما بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من كف زالت عن معصمها طال ما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله ٠٠

ثم بكى ابو حمزه الخارجى ٠٠ بعد ان عبر عن حقيقة الشباب المؤمن ٠

وليس عجبا بعد ذلك ، أن تكون الفئة المؤمنة فى جزيرة شدوان قد انتصرت لان الثقة بالله ، كانت هى العنصر الاساسى فى تحقيق النصر ، اذ ليست القوة الجسمية وحدها هى التى تكفل النصر ٠٠ وليست [illegible] العتاد وقوة الافراد هى التى تحققه ، ولذلك انهزمت اسرائيل فى موقعة كانت اختبارا شاقا ٠ نجح فيه ابطالنا .. حين رأوا العدو من أمامهم ومن فوقهم ، والبحر من كل جانب يحيط بهم ٠٠ فكان الله معهم ٠٠ وكانت سواعدهم تعمل بوحى من قلوبهم ، وبدافع من ايمانهم ٠٠

ومن هنا تكون القوة وحدها غير كافية ٠٠ بل انها غير لازمة اذا لم تصحبها عقيدة صحيحة وقوة روح ٠٠ وهدف سام تسعى لتحقيقه ، والا فماذا يعود على الانسان اذا استطاع أن يجر عربة أو يحمل عشرة اشخاص فوق يديه ٠

وحين كان الاسلام يعد شبابه لخوض معارك الحرية ، وحقوق الانسان ، لم يكن يعتمد على الناحية الجسمية وحدها ٠٠ بل هناك نواح فنية هى فى ذاتها ايضا قوة ، ولعل أهم ما يشير اليها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الا ان القوة الرمى »

وليست الرماية فى حاجة الى عضلات مفتولة وأذرع مشدودة ، ولكنها مع ذلك قوة ٠٠ فيها دقة التصويب ٠ فيها رباطة الجأش ، فيها مهارات يجيدها كل انسان ٠٠ غاية ما فى الامر أن تكون موجهة للخير : للقضاء على أعداء الله .

عزيزى القارىء :

يا لها من شريعة انسانية سمحاء تلك الشريعة الاسلامية العصماء ، تدعــو الى الخير فى يسر وحكمة ، فالوحدانية هى الحرية فى اسمى صورها وأعلى مراتبها .. والعبودية الحقة لله سـبحانه وتعالى هى مفتاح الحرية المطلقة حيث لا رغبة سوى اعلاء كلمة الحق ، ومن ثم جاءت الشعائر الاسلامية ذات من[illegible] تطبيقى لهذا المعنى الجليل الخالد .. فالصلاة [illegible]شــوع ودعاء ، والزكاة تطهير ونماء ، والصو[illegible] امتثال وطاعــة ودربة على الصــبر وجهاد للنفس ، ومشاركة عملية ووجدانية لمن نزلت بهم حوازب الخطوب ، والحج جهــاد ، وتدريب متكامل على بلوغ الدرجات العلى ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم .. ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ..

ومن ثم كان الجهاد هو جوهر الشريعة الاسلامية ، ومحور شعائرها ، ودرعها الواقى ، وسبيل الامة العربية والاسلامية الى الفوز باحدى الحسنيين .. وصدق الله العظيم اذ يقول فى محكم كتابه العزيز « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

فالجهاد والجهاد وحده هو سـبيل النصر الذى اختص الله به امتنا ، كى تشق طريقها وسط هذا الحصار الرهيب ، وتحتل مكانتها كخير امة وسط هذا الصراع المرير .. وانا ان شاء الله بالفــوه ومحققوه ..

محاسن الاسلام بين الترجمة والنشر

حول ما نشرته مجلة منبر الاسلام — فى غرة رجب ١٣٨٨ هـــ :

من تلخيص لكتاب « محاسن الاسلام » الذى وضعته باللغــة الايطالية المستشرقة الكبيرة الدكتورة لاورا فيتشا فاليرى وتقدمت به الى المؤتمر الاسلامى الذى عقد بلوزان فى ١٩٣٤ — وقــام بترجمته الى العربية فى نفس العام الاستاذ طه فوزى فان سيادته يقترح فى رسالة يبعث بهــا ان تتكرم ادارة المجلة بنشره كملحق لها حيث ان الكتاب كان قد طبع بمدينة يافا — رد الله غربتها — وقد نفدت نسخه ، بينما يتلقى يوميا العديد من الرسائل يطلب فيها مرسلوها من مختلف البلاد العربية الحصول على محاسن الاسلام على اثر الملخص الذى نشرته المجلة للاستاذ ابراهيم الفحام فى العدد سالف الذكر .

والمجلة اذ تشارك السيد المترجم امنيته فى نشر الكتاب، يسرها ان تفيد سيادته بان الاقتراح قد احيل الى لجنة التعريف بالاسلام بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية للبحث والدراسة ...

(شخصية الرسول الاعظم قبلة المهتدين ومنارة الحائرين) :

ايمانا بما لشخصية الرسول الاعظم — عليه الصلاة والسلام — من جوانب مضيئة ، ومثل تحتذى ، وقيم تقتدى ، ومعالم تفتدى ، يتحقق معها المثل الاعلى ، والسلوك الامثل ، والخلق العظيم ، يقترح الاديب عبد السلام محمد عبد السلام ، تخصيص مسلسلة شهرية لهذه الجوانب الكريمة المتعددة « متناولة اياها بالبحث والدراسة بعيدا عن الغموض والمتاهات والاساليب المعقدة حتى يستبين شبابنا السلوك السوى والعلاج الناجع لما قد يتعرضوا له من تيارات فكرية هدامة .. »

والمجلة اذ تتناول مثل هذه الدراسات القيمة تشير الى بعضها متمثلا فى سلسلة « من قصص السنة » لفضيلة الشيخ محمود احمد هاشم ..

(موسوعة الفقه الاسلامى « هدية للمنبر » على غرار التفسير] :

اقتراح يتقدم به الاستاذ محمود احمد اللبودى قــائلا : ان اصداركم لتفسير القرآن كهدية للمنبر الاغر خدمة لن ينساها الزمان .. واملى ان تنشروا موسوعة الفقه الاسلامى بنفــس الطريقة ..

والمجلة اذ تعلن عن عزمها — ان شــاء الله — على نشر « المنتخب من السنة النبوية الشريعة » اتماما للفائدة ، تأمل ان تكون قد التزمت بالاولوية فالقرآن والسنة هما اصلا الفقــه والتشريع ..

« المنتخب من السنة النبوية الشريفة » هدية المنبر التالية :

تتوالى الرسائل على ادارة المجلة مطالبة بنشر المنتخب من السنة النبوية الشريفة وهى الدراسة الموضوعية لسيرة الرسول الاعظم والتناول الامين للاحاديث النبوية الشريفة بالشرح والتحليل ، والتى قام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية باصدارها بعد أن هيأ لها كل اسباب النجاح من تخصص فى الاعداد وكفاءة فى الاخراج مما يتناسب ومكانة السنة النبوية الشريفة كمصدر ثان للتشريع ونشير هنا الى رسالة القارىء محمود احمد علام بالثانوية العامة ضمن الرسائل المطالبة بنشر هذه الدراسة الاسلامية الفريدة للسيرة النبوية الشريفة على غرار نشر تفسير القرآن الكريم .. بان المجلة تعد العدة للقيام بهذه المهمة الجليلة فى غرة ربيع الاول احياء لذكرى مولده عليه الصلاة والسلام فور اكتمال تفسير القرآن الكريم فى غرة صفر القادم باذن الله .. والله الموفق والمستعان .. وشكرا .. والى اللقاء .

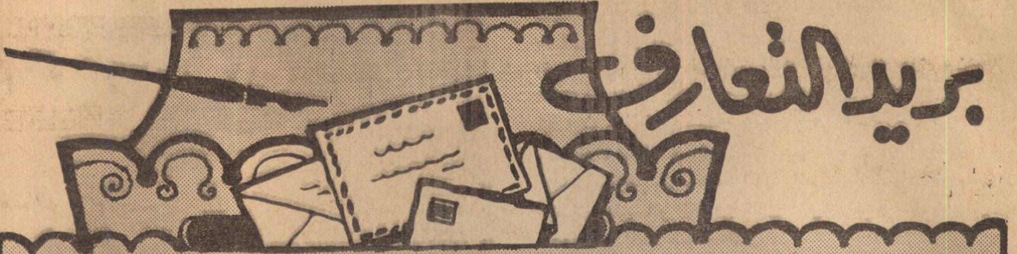

الاسم : عبد الفتاح عبد الفتاح البرماوى
البلد : الجمهورية العربية
السن : ٢٠ سنة
المهنة : قارىء وحاليا مجند بالقوات المسلحة
الهواية : قراءة كتب تفاسير القرآن الكريم وكتب الاحاديث
العنوان : ٢ حارة أبو حسين — ميدان العجمى — المنصورة

الاسم : سمير عبد اللطيف شوشان
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة .
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : القراءة — المراسلة — تبادل الطوابع والصور
العنوان : ٤١شارعهليوبوليس — المعسكر — الاسكندرية .

الاسم : الحسينى عبد الرحمن
البلد : المغرب
المهنة : طالب
الهواية : جمع الطوابع والصور والمراسلة وتبادل الاراءوالافكار
العنوان : مدرسة دربميمون ٢٦ — مكناس — المغرب الاقصى

الاسم : محمد قاسم زيتون
البلد : الجمهورية العربية السورية
السن : ٢٣ سنة
المهنة : موظف
الهواية : تبادل المجلات والهدايا والمناظر والطوابع
العنوان : ناصية خان أرنبة

الاسم : ابن العربىالبشير
البلد : الجمهوريةالجزائرية
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بالمعهد الاسلامى بوهران
الهواية : المطالعة . والمراسلة وجمع الصور
العنوان : ١٨٥سيتىجوردان كاسطور وهران

الاسم : زكى ابراهيم على خليف
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالببكليةالهندسة جامعة الازهر
الهواية : المراسلة وتبادل المناظر
العنوان : السنطة غربية شارع الجمهورية

اقرأ فى هذا العدد :

الباب	الموضوع	الكاتب	الصفحة
معالم الطريق ..	نص الخطاب الهام الذى ألقاه السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر البرلمانيين الدوليين		٤
	حريق المسجد الاقصى (حديث خاص) الى مجلة منبر الاسلام للسيد حسين الشافعى	اعداد عبد العليم المهدى	٨
الفقه ـ التشريع الابحاث ـ الدراسات الصوفية فى الاسلام	ابراهيم واسماعيل وبناء الكعبة	الاستاذ احمد حسين	١٠
	انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	فضيلة الشيخ عبد الجليل عيتى	١٤
	الوجدان العربى المشترك فى الشعر الحديث	الدكتور أحمد الحوفى	١٧
	من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها	فضيلة المستشار محمد خاطر	١٩
	من قصص السنة المحمدية	فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم ..	٢١
	براعة الاستهلال وروعة الاساليب فى فواتح سور القرآن	فضيلة الشيخ عبد الغنى الراجحى ..	٢٣
	قاعدة وضع الجوائح ـ مشروعيتها وأحكامها فى الفقه الاسلامى	الدكتور محمد سلطان	٢٦
	من أخلاق القرآن (كظم الغيظ)	فضيلة الدكتور أحمد الشرباصى ..	٢٩
	تسمية الاشياء بغير أسمائها	فضيلة الدكتور بدر المتولى عبد الباسط	٣٢
	الطريق الى الله	الاستاذ أحمد زين	٣٤
	بنو اسرائيل فى ميزان القرآن	الاستاذ البهى الخولى	٣٦
	الصبر والصمود وسيلة النصر	فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور ..	٣٨
	مع القرآن الكريم	الدكتور عبد الله محمود شحاتة ..	٤١
	الاسلام دين الوحدة	الدكتور بدوى طبانة	٤٣
	الاخلاص روح العمل	فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ..	٤٦
	الفتوى فى الاسلام	الاستاذ رجائى عطية	٤٩
	طلائع النصر على طريق الجهاد	الاستاذ أحمد وافى	٥٢
	مدرسة الرسول	الاستاذ عبد المنعم حمادة	٥٦
	الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	٦٢
	فى رحاب القرآن العظيم	فضيلة الشيخ محمود خليل الحصرى	٦٥
	التصوف فى الاسلام	الاستاذ طه رياض سيف النصر	٦٧
	الليالى العشر	فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى ..	٧٠
	الاسرة العالمية الكبرى	فضيلة الشيخ حسن صالح	٧٢
	الجنة فى شرح عقيدة أهل الجنة	فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب ..	٧٥
	تكريم الله وتأييده لعباده المخلصين	فضيلة الشيخ محمد وهيب	٧٨
	الجهاد والجندية فى تعاليم الاسلام	سماحة الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى	٨٠
	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا	الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى ..	٨٢
الحج	الحج عرفة	فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى ..	٨٥
	حجة البلاغ	الاستاذ عبد الحكيم النجار	٨٨
	فى حج بيت الله	الاستاذ حسن الشيخة	٩٠
	الحج وروحانيته	الاستاذ أحمد عمر هاشم	٩٢
	فريضة الحج وأثرها فى وحدة المسلمين ..	الاستاذ محمد الدسوقى	٩٤
	الحج	الاستاذ توفيق على وهبة	٩٥
	أسرار الحج	فضيلة الشيخ محمد أنيس عبادة ..	٩٨
	من وحى عرفة	الدكتور مصطفى الرافعى	١٠٢
	نظرة الى اقتصاديات الاضاحى	الاستاذ محمد دياب	١٠٣
	هجرة أقامت البيت وأسست أمة التوحيد ..	الاستاذ محمد حسن عبد العزيز	١٠٥
	عيد الاضحى المبارك	المستشار عبد الستار آدم	١٠٨
	نظرة الاسلام الى العيدين	الاستاذ مهدى عبد الحميد مصطفى ..	١١٠
التاريخ الاسلامى	ماذا تعرف عن العالم الاسلامى	الدكتورة عنايات الطحاوى	١١٤
	قضية فلسطين من بدايتها الى ذروتها	الاستاذ عثمان عبد السميع العدل ..	١١٨

فكر وفن	سطور عن المسجد الاقصى المبارك	الاستاذ سعد عبد السلام حبيب	١٢٢
	مسئولية الاديب المعاصر	الدكتور عبد الحكيم بلبع	١٢٤
	حاجة العالم الى الايمان	الدكتور جمال الدين الرمادى	١٢٦
	من المثنوى	فضيلة الشيخ الصاوى شعلان	١٢٨
	استراتيجية الجولات العربية الاسرائيلية ..	الاستاذ محيى الدين على عشماوى ..	١٣٠
	ركائز النصر ودعائم التحرير	الاستاذ عبد الرحمن السحترى	١٣٣
	كيف استيقظت روح المقاومة بعد أحد	الاستاذ محمود محمد عمارة	١٣٦
	الاسلام والحضارة العالمية	الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ..	١٣٨
	العلوم والمعارف فى عهد هارون الرشيد ..	الاستاذ محمود كمال	١٤٠
	رجال صنعوا التاريخ	الاستاذ محمود الهجرسى	١٤٤
	من التراث الفنى الاسلامى	الدكتور حسن الباشا	١٤٥
	اليهود كما صورهم التلمود	الاستاذ عبد المجيد دياب	١٤٩
	المسيرة الشاقة (قصة العدد)	الاستاذ حسين الطوخى	١٥٢
	معجم الفاظ المصطلحات العلمية الحديثة ..	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى	١٥٦
	الذكر والسماع عند الصوفية والمتصوفين ..	الاستاذ فتحى أحمد مصطفى	١٥٧
	من صور قناعة العلماء وعطف الاغنياء على الفقراء	الدكتور على صافى حسين	١٥٨
	دموعى صلاة (قصيدة)	الشاعرة روحية القلينى	١٦٠
	موكب الاشواق (قصيدة)	الشاعر أحمد عثمان المراغى	١٦١
	دين ودنيا	الاستاذ محمد المتولى النظامى .. .	١٦٢
	من وحى البقاع المقدسة (قصيدة)	الشاعر حسن فتح الباب	١٦٥
	لماذا الامة العربية ؟	الاستاذ عبد السميع البطل	١٦٦
	تحية الى ثورة ليبيا (قصيدة)	الشاعر محمد حليم حامد غالى	١٦٨
	المجاهدون .. ما لهم وما عليهم	الاستاذ محمد ابراهيم الخطيب	١٧٠
	موكب النصر (قصيدة)	الشاعر أبو الفتوح خلف الله أحمد ..	١٧١
	لبيك يا رب الحجيج (قصيدة)	الشاعر عبد البارى أبو العينين	١٧٤
باب العلم	دلائل الحق فى عظمة الوجود	الدكتور عزت محمد خيرى	١٧٨
إعلام الاسلام	بطولة العلم والعلماء	الاستاذ أنور الجندى	١٨٢
	زيد بن الخطاب	الاستاذ عبد المغنى المنشاوى	١٨٤
	الخنساء	الاستاذ أحمد الجبالى	١٨٦
	الامام البخارى	الاستاذ الرفاعى الباز	١٨٩
	الامام العارف بالله سهل التسترى	الاستاذ جودة محمد أبو يزيد المهدى	١٩١
	حمزة الاصفهانى	الدكتور عبده بدوى	١٩٤
	سيدى أبو العباس المرسى	الاستاذ عبد السلام الشاذلى التوصى	١٩٦
	الامام محمد بن على الشوكانى	الاستاذ قاسم غالب احمد	١٩٨
	الشهيد عمر المختار	فضيلة الشيخ محمد على الطعمى ..	٢٠١
	على أحمد باكثير	الاستاذ على الجمبلاطى	٢٠٣
المكتبة الاسلامية	فضل العرب فى الاكتشافات البحرية	الاستاذ ابراهيم محمد الفحام	٢٠٨
الافتاء ــ المرأة المسلمة ــ الرياضة ــ مع القراء ــ بريد التعارف	انت تسال والمفتى يجيب	فضيلة الامام الدكتور محمد الفحام ..	٢١٢
	المرأة المسلمة	اعداد نجاة الزنيرى	٢١٧
	مع الشباب	الاستاذ ناصف سليم	٢١٩
	مع القراء	اعداد الاستاذ فؤاد هيبة	٢٢١
	بريد التعارف	.. ..	٢٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لجنة القرآن المرتل

نزولا على رغبة المواطنين واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التى وردت للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الاسلامية فى قارات افريقيا وآسيا وبعض دول أوربا وامريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتل ان تعلن عن بيع

اسطوانات القرآن المرتل

رواية حفص عن عاصم

٤٤ اسطوانة سرعة ٣٣ لفة فى الدقيقة

ترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
بالغلاف الفاخر	٧٩٦	٢٣
بالغلاف العادى	٣٢٢	١٩

رواية ورش عن نافع

٦٨ اسطوانة سرعة ٣٣ لفة فى الدقيقة

ترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
الثمن :	١٥٠	٣٥

كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأوردية والسواحلية

المجموعة تحتوى على ٧ سبع اسطوانات

الاسطوانة الأولى : شاملة الآذان
الاسطوانة الثانية : تشمل كيفية الوضوء
والخمس اسطوانات الأخرى :
على كل اسطوانة صلاة من الصلوات الخمس وامام كل اسطوانة كتيب يشرح كل فريضة بالكلمة والصورة

الثمن ٥٠ خمسون قرشا

العنوان
القاهرة : مخازن القرآن المرتل ٧٦ ش الجمهورية ت ٩١١٢٠٨
الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٢٤ ش سعد زغلول ت ٢٨٦٦٢

مواعيد البيع : من الساعة ٩ صباحا - ٢ مساء ومن الساعة ٥ - ٩ مساء ماعدا ايام الجمع والعطلات الرسمية

كما يسر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
أن يعلن عن بيع

مطبوعات باللغة العربية واللغات الأجنبية

١ مطبوعات لجنة القرآن والسنة
٢ مطبوعات لجنة موسوعة الفقه الاسلامى
٣ مطبوعات لجنة إحياء التراث الإسلامى
٤ مطبوعات لجنة إحياء أمهات كتب السنة
٥ مطبوعات لجنة التعريف بالإسلام

خصم خاص للمؤسسات والهيئات والمكتبات

مقر البيع الوحيد بالقاهرة :
٣ شارع الأمير قدادار :
خلف عمارة بجرى بميدان التحرير
مواعيد العمل :
من ٩ صباحا الى ٢ ظهرا
ومن ٦ مساء الى ٨ مساء

مطابع الأهرام التجارية